الجزء الثالث		المجلد السابع والأربعون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تموز « يوليو » سنة ١٩٧٢م		جمادى الاولى سنة ١٣٩٢هـ

# بقايا الفصاح

## البعبع ـ التابع ـ الوعوعة

الاستاذ شفيق جبري

أولعت بتصفح معجم من معجمات اللغة من حين إلى آخر ، وإذا كان كاتب كبير من كتّاب فرنسة في هذا العصر يرى أن المعجمات تشتمل على روح الأمة ولحمها ودمها فلا شك في أن هذه المعجمات تصور الأمم في مجامع نواحيها ، فهي تصور أخلاقها وطبائعها وعلومها وآدابها ، إنها تصور حضارتها كلها ، ولكني في هذا المقال الوجيز قد تخليت عن النظر في هذه الأمور ، وحبست هذا النظر على قليل من بقايا الفصاح وقعت عليها في يسير من صفحات القاموس المحيط في باب العين . إن مثل الألفاظ في اللغة كمثل المخلوقات الحية في الطبيعة ، فكما أن هذه المخلوقات خاضعة لقوانين خاصة مثل تنازع البقاء أو التطور أو الانتخاب الطبيعي أو غير ذلك من القوانين فكذلك الألفاظ فإنها خاضعة للقوانين نفسها ، فلها حياتها الخاصة ، إنها تولد فتعيش فتموت ويطرأ عليها ما يطرأ على المخلوقات

الحية، فقد يتصرف فيها أبناؤها مختلف التصرف ، فمرّة يقلبون معانيها من الحقيقة إلى المجاز ،ومرّة يغيرون حركاتها ، وحيناً ينقلونهامن معنى خاص إلى معنى عام، أو من معنى عام إلى معنى خاص ، وحيناً يضيقون معانيها أو يوسعونها إلى غير ذلك من الأمور التي لا يحتمل هذا المقال التبسط فيها .

لقد قلبت النظر في باب العين في القاموس المحيط ، فمررت في صفحات قليلة بألفاظ تصرّفت العامة في معانيها وحركاتها ، وبأمثال لست أدري أيصلح التمثل بها في هذا العصر .

فمن الألفاظ التي تصرفت العامة في معانيها وحركاتها البعبع ، فالبعبع في اللغة ، بفتح البائين،حكاية صوت الماء المتدارك إذا خرج من إنائه ، هذا من جملة معاني هذه المادة .

ولكن كيف استفاضت هذه اللفظة فيلغة العامة ؟ لا ريب في أنها لم تفهم معناها اللغوي ، إلاّ أنها إذا لم تلتفت إلى هذا المعنى ولم تهتم به فقد استطاعت أن تستخرج من لفظة البعبع صورة التخويف ، فهل من صلة بين صوت الماء المتدارك إذا خرج من إنائه وبين التفزيع والتخويف ؟ قد يكون شيء من ذلك ولو أنه ضعيف، فإذا أرادت الأم أن تخيف طفلها وتفزعه قالت له : جاء البعبع ، فيسكت ،فاستعارتالعامة منصوت الماء صورة رجل يخوّف ويفزّع، وأحيت لفظة البعبع في لغتها ، وكما تصرّفت في معنى اللفظة فقد تصرفت في حركاتها فضمت البائين بدلاً من فتحهما ، وإني أرى أن حركة الضم في هذا الباب تعطي اللفظة قوة في التخويف أكثر من حركة الفتح . أفرأينا كيف أن هذه المادة تدل على مذهب من مذاهب تربية الأمهات للأطفال ، وهو مذهب التفزيع والتخويف الذي تبطله قواعد التربية الحديثة على ما أظن .

ومن هذا القبيل لفظة التابع ، فالتابع والتابعة في اللغة الجنيّ والجنية يكونان مع الإنسانيتبعانه حيث ذهب ، إلاّ أن العامة في عصرنا لم تجد فيالتابع

والتابعة جنياً أو جنية ، لقد كان في دمشق من ستين سنة أو أكثر خصائص لبعض أهل البيوتات ، من جملة هذه الخصائص أنه كان لأصحاب البيوتات خادم يتبعهم ، فإذا ركب أحدهم بغلة مشى الخادم وراءه، ولا أزال أذكر وجيه حيّ الشاغور الشيخ سليم الكزبري ، لا أزال أذكر بغلته البيضاء وخادمه الذي كان يمشي وراءه إذا ركب البغلة حتى يصل إلى مسجد بني أمية ، وإذا سهر أحدهم في ليلة من ليالي الشتاء في بيت من البيوت غير بيته حمل الخادم له الفانوس ومشى قدّامه لفقدان الكهرباء في أزقة دمشق في تلك السنين ، إلا أنهم كانوا يسمون الخادم تابعاً ، فكانت هذه اللفظة شائعة في دمشق في القديم بدلاً من لفظة الخادم، ولكنها اليوم بطلت ، فقد بطل معناها العاميّ ، فلا تقوم لفظة التابع مقام لفظة الخادم ، فإن العادة التي كانت تدلّ عليها قد بطلت ، فليس لوجيه يومنا هذا بغلة يركبها ويمشي تابعه وراءه ، وليس للفانوس حاجة ، فلا يحمله التابع ويمشي قدّام الوجيه حتى لا يقع في الوحل أو حتى لاتعثر به قدمه ، فالكهرباء في أزقة دمشق كلها ،فهذه المادة التي تصرّفت العامة في استعمالها فنقلتها من معنى إلى معنى لم يبق لها أثر في لغة العامة للأسباب التي تقدّم ذكرها وعلى كل حال فقد كانت تدل على حالة اجتماعية في دمشق .

وأخيراً من الألفاظ التي تصرّفت العامة في معانيها لفظة : الوعوعة : إنّا نجد في اللغة أن الوعوعة صوت الأسد والكلاب وبنات آوى ؛ ومنه حديث علي رضي الله عنه استشهد به شارح معجم الفيروزابادي : وأنتم تفرّون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد .

غير أن العامة يومنا هذا قلبت معنى هذه المادة من وجهٍ قويّ إلى وجهٍ ضعيف ، فلا شك في أن وعوعة الأسد تدل على القوة ولكن العامة إذا قالوا : وعوعة فلان،أو فلان يوعوع، أرادوا بذلك ضجته التي لا فعل بعدها، ولم يريدوا بها ضجة الأسد ، فالوعوعة في لغة العامة تدل على القول دون الفعل ، فإذا وعوعت

جماعة من الناس فليس في وعوعتهم ما يخيف ويفزع ، فقد تطير ضجتهم في الهواء دون شيء من الآثار ، فهي مثل الجعجعة : أسمع جعجعة ولا أرى طحناً ، فهذا المثل يضرب للجبان يوعد ولا يوقع .

وفي أمثالنا القديمة : هنًا وهنًا عن جمال وعوعة ، وهو رجل من قيس بن حنظلة ، أي ابعد عنها وقيل معناه : إذا سلمت لم أكترث بغيرك ، كما تقول : كل شيء ولا وجع الرأس .

وعلى سبيل الاستطراد إني أرى أن الأمثال تدل على حالات تتصل بالمجتمعات ، حالات في الأخلاق والطبائع ، حالات في الحياة كلها ، في الحياة الاجتماعية والسياسية وغيرهما ، فهي داخلة في ميراثنا الأدبي ، سواء أصدرت عن جماعة أم عن فرد ، وسواء أقيلت في الجاهلية أم بعدها ، ولكن الذي نريد أن نعرفه : هل تصلح هذه الأمثال لكل عصر ولكل زمن ؟ فإن أكثرها يحتاج إلى شرح طويل وإلى توضيح الحالات التي قيلت فيها ، فهل يتسع وقتنا في هذا العصر للبحث عن معنى كل مثل وعن أصله وقائله وغير ذلك ، إني أعتقد أن قليلاً من الأدباء الراسخين يعرفون معاني الأمثال القديمة وأصولها ، فما قولنا في الذين لم يتعمقوا في الأدب ؟ من هذا يتبين لنا أن أمثالنا القديمة على حكمتها حيناً وعلى روعتها حيناً لا تصلح كلها للتمثل بها في كل عصر ، إن العصر الذي نعيش فيه انما هو عصر السرعة ، فإنا نفضل اللغة المألوفة الصالحة لكل زمن ، إنا نفضل الكلام الذي يفهمه الناس دون شيء من الجهد ، فما يصلح لعصر من عصور اللغة قد يجوز أنه لا يصلح لعصر آخر ، على الرغم من بعض أمثال سهلة ، رقيقة ، عزيزة علينا لأنها تتصل بأدبنا الذي نحرص عليه ، وهذا موضوع قد يصح الرجوع اليه .

شفيق جبري

# كتاب الفنون

## لأبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي

حققه وقدّم له جورج المقدسي ، دكتوراه الدولة في الآداب من السوربون .
القسم الأول ( مقدّمة بالعربية ص ١٠ - ٦٢ + النص ص ٧ — ٤٢٧ + مقدّمة بالإنجليزية ص ١٣ — ٦٦ )
القسم الثاني ( مقدمة بالعربية ص ١٣ — ١٦ + النص ص ٤٢٨ — ٧٦٢ + فهارس الكتاب ٧٦٥ — ٨٣٧ )
( طبع دار المشرق — بيروت ١٩٧٠ ، ١٩٧١ )

**الدكتور إحسان عباس**

ليس أبو الوفاء ابن عقيل ( ٤٣١ - ٥١٣ ) بالرجل الذي تجهل مكانته في تاريخ المذهب الحنبلي ، واعظا كان أو أصوليا أو جدليا ، وليس الدكتور جورج المقدسي حديث الصلة بهذا المفكر الكبير ومؤلفاته ، فقد ألف كتاباً كاملًا باللغة الفرنسية في حياته وعصره وآثاره ، وكتب عنه المادة الخاصة في الموسوعة الإسلامية ، وما زال يدأب منذ سنين « في تحقيق ما وصل إلينا من مؤلفاته القيمة » ، كذلك ليس كتاب الفنون - من بين مؤلفات ابن عقيل الكثيرة — بالكتاب الذي يمكن إغفاله عند دراسة تاريخ الفكر الإسلامي الأصيل في القرن الخامس ، ذلك أن هذا الكتاب الذي بلغت مجلداته حسب التقدير المتوسط - بين المقلل والمكثر - مائتي مجلد ، لا يتمتع بحجم كبير وغزارة في المادة وحسب ، بل هو مصدر هام من مصادر الفكر الديني ، وفيه كما قال ابن رجب « فوائد كثيرة جليلة في الوعظ والتفسير والفقه والأصلين والنحو واللغة والتاريخ والحكايات » وفيه أيضاً صورة متكاملة لخواطر ابن عقيل ونتاج

فكره على مر السنين . ومن طبيعة الأمور وإن كان ذلك مؤسفاً ـ أن يضيع القسم الأعظم من هذا الكتاب ، لأن حجمه الكبير كان عقبة عملية كبيرة تحول دون الاضطلاع بنسخه كاملاً .

وقد وجد الدكتور المقدسي مخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس تحمل الرقم ٧٨٧ بين المخطوطات العربية ، وهي مخطوطة غفل لم يذكر اسم مؤلفها ، وعنوان الكتاب على الورقة الأولى منها مضطرب ، وكان الدكتور مصطفى جواد ، رحمه الله ، قد اطلع على تلك المخطوطة ، ورجح أنها جزء من كتاب « الفنون » لابن عقيل في مقال نشره بمجلة المجمع العلمي بدمشق ( الجزء : ٢٤ سنة ١٩٥٤ ) واستند في رأيه ذاك إلى شواهد ترجيحية ، إذ ليس في الكتاب نفسه شواهد داخلية يقينية قاطعة في نسبة هذا الجزء إلى ابن عقيل ؛ وقد حاول الدكتور المقدسي في مقدمته أن يضيف إلى تلك الموجحات أموراً جديدة ، ولكن العناصر التي ذكرها لا تحتل منزلة اليقين القطعي أيضاً ، ويبقى بعد ذلك أن يقال : إنه ليس هناك شواهد تمنع من نسبة الكتاب إلى ابن عقيل : أي أنه لا تقوم في وجه العناصر المرجحة عناصر أخرى مناقضة ، وهذا قد يطمئننا إلى أننا ـ في الأغلب ـ إزاء جزء من أجزاء « الفنون » ، وإذا شئنا الدقة قلنا إزاء « قطعة » منه قد تمثل ما يزيد عن جزء أو ما هو أقل من ذلك ، أو لعلها تمثل « خليطاً » من عدة أجزاء . ولهذا التوقف في الحسم ما يستدعيه ، فإننا حين نجد مخطوطة قد بترت في مواضع ، لا نستطيع أن نعين مقدار ما فقد منها .

وأشهد لقد كان العمل في تحقيق هذه المخطوطة شاقا ، لطبيعة مادتها ـ أو معظمها ـ كما كان امتحاناً عسيراً بسبب من طبيعة نسخها ، ولكونها في الوقت نفسه ، وحيدة لا ثانية لها ، ولعله لو وجدت ثمة مخطوطة أخرى لكانت المقارنة بينهما كفيلة بتذليل جانب من الصعوبات الكثيرة التي تواجه بها المخطوطة الوحيدة أي محقق ، مهما تبلغ درجة تمرّسه بالتحقيق ، وألفته لأسلوب المؤلف وطريقته ،

وقد كنت حقيقاً بأن أتهيب الكتابة عن هذا العمل أو الخوض في شأنه لأسباب عديدة : منها أن معظم المادة في الكتاب جدلية الطابع تدور حول أمور في أصول الأحكام الفقهية ، وليس لي في هذا البـــاب ما أدعي إزاءه طول باع أو قصره ، ومنها أني لا أملك صورة عن المخطوطة نفسها ، لكي أقوم بتوجيه القراءة فيها توجيهاً جديداً ، ومنها كذلك إحساسي بأني ــ رغم التزامي بالموضوعية الكاملة في ما سأورده من تعليقات ــ إنما أصيب عمل صديق أقدر له كفايته في ميدان البحث العلمي ، ولكني وجدتني أتجاوز هذه العوائق المثبطة بقوة دوافع أخرى : ليس أقلها حرصي على الدقة العلمية ، والتزامي بأمانة العلم لدى جمهور القراء والدارسين ، وغيرتي على هذا الأثر النفيس من أن يظل في كثير من المواضع عديم الجدوى لاضطراب النص فيه ، وأشد ما أخشاه أن يترجم هذا النص ، وهو على هذه الحال ، إلى لغة أجنبية ، فتكون الترجمة مدعاة إلى تشويه فكر ابن عقيل ، ومطية للاستنتاجات الخاطئة ، ولا أحسب الدكتور المقدسي يؤذيه أن يكون التعاون على تمييز الخطأ وتصويبه مدعاة إلى خدمة ابن عقيل ، بجلاء آرائه وأفكاره ، على نحو صحيح . وهذا لا يعني أن هذه المحاولة المتواضعة التي أرسم خطوطها في هذا المقال قد استطاعت أن تذلل كل ما هنالك من صعوبات تعترض قارىء هذا النص ، بل إن هناك مواضع كثيرة جداً وقفت أمامهــا حائراً لا أستطيع لها توجيهاً ، ولعل غيري ممن هم أرسخ قدماً مني في المادة وفي التحقيق معاً ، يستطيع أن يحل إشكالاتها ، ويجلو غموضها .

- ١ -

وأول ما أبدأ به ــ راجياً ألا تكون لهجتي تعليمية في هذا المقام ــ أن الإقبال على تحقيق مخطوطة وحيدة يمثل مشكلة ذات طبيعة متفردة ، تستدعي قسطاً وافراً من الحذر والأناة ، وإطالة المعايشة والتقليب ، ورسم صورة متكاملة

لها في النفس ، كي ينجو المحقق من مزلق خطر محتمل ، وهو اضطراب الأوراق فيها من حيث التقديم والتأخير ، وذلك عيب قل أن تنجو منه المخطوطات ، ومن السهل اكتشافه بالمقارنة حين تتوفر من الكتاب غير مخطوطة واحدة ، أما اكتشافه في مخطوطة وحيدة فإنه رغم عسره ، أمر منوط بتدقيق المحقق وربطه بين الأجزاء المتباعدة ، وليس يعفيه منه عذر قوي أو ضعيف ، وذلك هو أول عيب أصاب هذه القطعة من كتاب الفنون ، فإن المحقق لم يستطع أن يستكشف أن بعض أوراقها كانت « مدشوتة » أي ندّت من مواضعها الأصلية إلا بعد أن انتهى من نشر الكتاب ، فوضع جدولاً في مقدمة القسم الثاني من الكتاب يبين فيه مواضع اللقاء بين جزئي كل نص قد تباعد طرفاه ، فالنص الوارد على الصفحة ٣٢ من الكتاب تجيء تتمته ص ٣٧٤ ، والنص الوارد على الصفحة ٤٥٨ تجيء تتمته ص ٨١ وهكذا ، وإذا صح أن هذا يفيد قارئاً يرد أن يقرأ فصلاً واحداً متكاملاً مستقلاً ، فإنه لايعينه على تمثل الترتيب الطبيعي للكتاب ، ولا يمكنه من الحكم على طبيعة هذا الترتيب وعلى طريقة المؤلف في تسجيل مذكراته ، رغم وجود جدول آخر يعين هذا الترتيب ، إذ أي قارىء ـ أو دارس ـ على استعداد لأن يرجع في كل حين إلى هذا الجدول ليؤلف « الترتيب » من جديد ؟ وقد أضاع هذا الكشف المتأخر كل قيمة للأرقام المتابعة التي ميَّز بها المحقق فصول الكتاب وفقراته ، فلم يعد توالي الأرقام إلا أمراً شكلياً خالصاً لا دلالة له . أضف إلى ذلك أن الترقيم كان في مواضع عديدة خاطئاً لأنه يقسم النص الواحد في قسمين ( كالقطعتين اللتين تحملان رقمي ١٠٨ ، ١٠٩ فهما قطعة واحدة ، والقطعة ١٤٢ متصلة بما قبلها فلا تتطلب رقماً جديداً والقطع ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ كلها من كلام علي بن عبيدة الريحاني جمعها المؤلف في نطاق واحد ، وهي تتمة للأرقام ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ولو تبين المحقق اضطراب الأوراق ابتداء لكان في مقدوره جمعها كلها تحت

رقم واحد ، والقطعة ٤٦٩ متصلة بما قبلها فلا ضرورة للفصل بينهما ، والقطعة ٦٣٨ من كلام الثعالبي فليس من الضروري فصلها عما سبقها ) أو يجمع بين نصَّين متباعدين ( كما هي الحال في القطعة رقم : ٤١٠ فان الفقرة الأخيرة فيها منقطعة الصلة بما قبلها ) . ويتبين من هذا كله أن هذه الطبعة من كتاب الفنون بسبب ما يعتورها من اضطراب قليلة الجدوى ، إذ ليست هي إلا صورة أمينة من مخطوطة مضطربة ، وربما كان الحلّ الامثل لمثل هذه المشكلة - رغم مافيه من كلف مادية باهظة - أن يحال بين هذه الطبعة وبين التداول إلا لفئة قليلة من المتحققين بهذا اللون من العلم ، ويعاد طبع الكتاب مرتب الصفحات والارقام ، مزوداً بما يقترحه الدارسون العارفون من تصويبات ، أو مصوباً حيث تكون صحة القراءات المقترحة حتمية ، لا معدى عنها .

- ٢ -

والمحقق ، حين يعتمد على مخطوطة وحيدة ، في حاجة ماسة الى الاستكثار من المراجع ذات العلاقة بمادة المخطوطة ، طلبا للتثبت ، ورغم أن المراجع التي اعتمدها المحقق ( وعددها ٢١ مرجعاً ) تعد من المراجع المفيدة ، فإنها لم تسعف في المقارنة بين روايتين إلا في أحوال قليلة . وقد يقال إن مادة الكتاب مما لم تقتبسه المراجع الأخرى ، ولكن هذا لاينطبق على ما يتصل من مادته بالأحاديث النبوية الشريفة والأخبار التاريخية والأدبية ، كما أن بعض الأحكام الفقهية والأصولية في الكتاب يعتمد على معرفة عامة بما تهيئه المصادر الفقهية والأصولية من معلومات ومصطلحات . وفيما يلي أمثلة توضح ما أشير اليه :

(١) ص ٣٣ ( س ١-٨ ) : واضح أن هذا النص يشير إلى تطبيق حد أو حدين في الزنا أيام الرسول إذ جاء فيه : والذي ثبت حدٌّ أو حدان ماعروا العامل به (اقرأ : ماعز والغامدية ) وقد عملوا به . . . والمقرُّ على نفسه يقول

[قتلت] ( اقرأ : زنيت ) والنبي يعترض ( اقرأ : يُعْرِض ) ويقول لعلك قتلت ( اقرأ : قبّلْت ) ... والأربعة بغير ( اقرأ : ينبغي ) أن يشهدوا ... الخ ». مثل هذا النص موجود في كتب الحديث وكتب الفقه ، لانه متصل بحادثي ماعز والغامدية ، وهو في الحال التي أوردها المحقق لا معنى له . بل انه حين زاد فيه لفظة [ قتلت ] دلّ على أنه لم يدرك صلة النص بالعبارات الواردة قبله ، وقد عاد المؤلف يشير إلى مثل هذه الحادثة ( ص : ٦٨١ ) وورد هنالك : « ولما كلمه ( اقرأ : وكلما كلمه ) ... لعلك قتلت ( والصواب : لعلك قبّلت ) » .

(٢) القطعة : ٨٤ وردت في تاريخ الخطيب ١٤: ٤٥ وابن خلكان ٦ : ٨٢ ( ط . بيروت ، ١٩٧١ ) . ويصوب فيها ما يلي :

| | |
|---|---|
| فحفظت : | صوابه : فحفظته |
| ما ... القبضة : | صوابه : ما دون القبضة |
| فصرت مثله : | صوابه : فصرت مُثْلَة |

(٣) القطعة ٩٣ ص ٧٧ وردت هذه القطعة في ابن خلكان ٣ : ١١ ( ط . بيروت ١٩٧٠) وهي تقص قصة الفرزدق حين دخل على بلال بن أبي بردة ( وليس : بلال بن برد ) وذكر الفرزدق منقبة لأبي موسى الأشعري جدّ بلال متهكماً وتلك أنه ولي من الرسول حجامته ( في الأصل : ملخي حمل ) فأجاب بلال « أفتراني أرفع أبا موسى عن أن يحجم ( الأصل : يحيج ) رسول الله ؟ » وفي النص : وأعقل من أن يجرب على رسول الله ، وهو نص صحيح ولكن المحقق عاد فغيره في ملحق التصحيحات إلى « يجرب » في موضعين .

(٤) القطعة ٩٨ ص ٧٩ وردت في عيون الأخبار لابن قتيبة ( ٢ : ٢٣٩) وهي خطبة لعتبة بن أبي سفيان في أهل مصر ، يقول لهم فيها : « قد طالت مخاطبتنا لكم بأطراف الرماح وظبّات ( اقرأ : وظبات ــ بتخفيف الباء ــ )

السيوف فأصبحنا سحاً (اقرأ : شجى ) في لهاكم ( ورواية العيون : في لهواتكم) ... وأقدم عهدكم به حديثا ( اقرأ : حديث) » . والقطعة التالية لها ( رقم ٩٩) خطبة أخرى لعتبة افتتحها بقوله : « يا أهل » ، وواضح أن العبارة : « يا أهل [ مصر ] » وأن لفظة « مصر » سقطت منها .

(٥) القطعة ٢١٩ ( ص : ٢١٣ ) فيها حديث عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان على جرّي فتحرك الجرّي فضربه رسول الله ﷺ برجله وقال اسكن جرّي ... الخ ، والحديث مشهور يستطيع أن يجده المحقق في باب فضائل أصحاب النبي من صحيح البخاري وروايته فيه : « على أحد » ، فقال ( النبي ) اثبت أحُد ( إرشاد الساري ٦ : ٨٩ ) ولكن لفظة « جرّي » التي فسد النص بها مصحفة عن « حراء » دون ريب ، وذلك لأن ثمة حديثاً آخر مشابهاً للحديث الأول مروياً عن بريدة جاء فيه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً على حراء . . . الخ ، الحديث ( مجمع الزوائد ٩ : ٥٥ ) وقال ابن حجر الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٦) من الواضح أن القطعة ٢٢٥ من الأحاديث الصحيحة التي رواها البخاري ( انظر إرشاد الساري ٦ : ١١٧ ) وفي الرواية كما ثبتت في كتاب الفنون اختلافات كثيرة عما ورد في نصّ البخاري ، وهذا كله يستلزم مقارنة ، كما يثير التساؤل حول سبب هذا الاختلاف القائم بين النصين .

(٧) القطعة : ٢٢٨ أيضاً من أحاديث البخاري حسبما ذكر المؤلف نفسه ، والأمر فيها يختلف عن القطعة السابقة ، فهذه القطعة لا تمثل نصاً مخالفاً وحسب ، وإنما هي مليئة بالأخطاء ، ولو عنّى المحقق نفسه وقام بالرجوع إلى الأصل لاستطاع أن يصوب « البرّاء بن عارب» فيقرأ البراء ـ بتخفيف الراء ـ بن عازب ( بالزاي ) .. حتى ظهرنا ( والصواب : حتى أظهرنا ) ، فهل أنت جالب ( اقرأ : حالب ) ، فاعتنق شاة ( اقرأ : فاعتقل شاة ) وقد جعلت لرسول الله أداوة (اقرأ:

إداوة ) ، فوافيته قد استيقظ ( عند البخاري : فوافقته ) ، هذا إلى مواضع أخرى تستحق المقارنة بين النصَّين .

(٨) القطعة ٤٢٣ ورد فيها ( السطر : ١٥ ) حديث : « أكل الهريس لا يقوى به على قيام الليل » ، وهذا مناقض لقول المؤلف في السطر السابق « وأكل الطعام قصداً لإحياء نفسه وتقويتها » وقد كان من الممكن تصحيح الخطأ في نصّ الحديث بحيث يصبح « لأتقوّى به على قيام الليل » دون الرجوع إلى مصدر ، ولكن إمعاناً في التثبت وجدت في مجمع الزوائد ( ٥ : ٣٨ ) هذا الحديث : « إن جبريل أطعمني الهريسة يشدّ بها ظهري لقيام الليل » وهكذا يتضح أن « لأتقوّى » هي القراءة الصحيحة ، دون ريب .

(٩) القطعة : ٤٢٤ ورد فيها حديث آخر : ليس منا إلا منهم ، أو عصى إلا أخي يحيى ؛ وهو على هذا الشكل كلام مضطرب لا معنى له : وصوابه : ليس منا إلا من همّ أو عصى ، إلا أخي يحيى ، وقد ورد مثله في مجمع الزوائد ( ٨ : ٢٠٩ ) .

(١٠) القطعة : ٥٠٥ فيها ذكر لأبي الخطار ابن مردوع الكلبي وأبياته التي مطلعها « أقادت بنو مروان قيساً دماءنا » ، وهذه الأبيات قد وردت في الوحشيات : ٤٢ ، وقد خرجها المحقق هنالك ، ولا حاجة إلى ذكر مصادر أخرى ، ولكن الذي يستوقف النظر أن أبا الخطار تسميه المصادر : الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ، وقد رفع نسبه الآمدي في المؤتلف : ١٢٣ — ١٢٤ ( تحقيق عبد الستار فراج ) وليس فيه « مردوع » أبداً . وفي البيت الثالث من قصيدته « وفينا كم » والصواب « وقيناكم » وفي الرابع « وافد الحرب » والصواب « واقد الحرب » .

(١١) القطعة : ٥٢٣ وردت في تاريخ بغداد ١٤ : ٢٠٠ وابن خلكان ٦ : ١٥١ ( ط . بيروت ) والمخاطب فيها هو يحيى بن أكثم ، وفي الرواية

الثابتة في هذين المصدرين بعض اختلاف عما أورده ابن عقيل ، ولكن النص المثبت صحيح .

(١٢) القطعة : ٥٣٦ بيتان من الشعر ، والأول منهما : إذا شُعَبيي لاحت ذراها كأنها ؛ والبيتان في معجم ياقوت ( مادة : شُعَبَى – بالألف المقصورة) قال : موضع في ديار بني فزارة .

(١٣) القطعة : ٥٤٥ في أمالي القالي ( ٢ : ١٩٠ ) وعلق عليها البكري في شرح الأمالي ( ص : ٨٠٤ ) ، وقد ورد البيت الأول :

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم وفيهن لا كَذْبٌ نساءٌ صوالحُ

وصوابه :

رأيت رجالاً يكرهون بناتِهم وفيهن لاتُكْذَبْ نساءٌ صوالحُ

(١٤) القطعة : ٥٦٨ هي المفضلية رقم : ٢٣ ووردت في الأشباه والنظائر للخالديين ٢ : ١٠٠ والحماسة البصرية ٢ : ٢٣٦ ( ط . الهند ) ولا بد من إجراء التصويبات التالية فيها :

البيت ٣ : فقمت وقد امحى اقرأ : فقمت ولم أفحش

البيت ٦ : وقمت إلى الكرم الهواجد ما دعت
مقاييد كرم كالمحاول روق

وصوابه :

وقمت إلى الكُوم الهواجد فاتقت
مقاحيد كومٌ كالمجادل روق

البيت ٨ : فضربة ساق أو نجلا ثره ؛

والصواب : بضربة ساق أو بنجلاء ثَرَّةٍ

البيت ٩ : يطيران عنها الجلد وهو يفوق ؛

والصواب : يطيران عنها الجلد وهي تفوق

البيت ١٠ : سوى سمتين ، صوابه : شواء سمين

البيت ١١ . وهي مرة ، صوابه : وهي قوّةٌ .

(١٥) وردت القطعة : ٥٧٨ على النحو التالي : « وقال اصبغ بن مطهر ابن رباح بن عمرو بن عبد الله وهو جدُّ الاصبغي : اثنوا على الله وبثوا ذكره ، الله لا يعلم شيء قدره » والتدقيق في القطعة يشير إلى أن الحديث عن جدّ الأصمعي ( لا الاصبغي ) وعند الرجوع إلى نسبه عند كاسكل ( ١ : ١٣٣ ) وابن خلكان ٣ . ١٧٠ ( ط . بيروت ) ورد النسب كما يلي : أصمع بن مظهر بن رباح بن عمرو بن عبد شمس ؛ أما قوله هذا فانه من الرجز وليس نثرا ؛ ولذلك لا بد من الفصل بين شطريه :

اثنوا على الله وبثوا ذكره الله لا يعلم شيء قدره

(١٦) القطعة : ٥٨٧ مأخوذة من مقامات بديع الزمان ، والقطعة الشعرية المنسوبة إلى بشر بن عوانة إنما هي في الأرجح من نظم البديع نفسه . وبالمقارنة بين ما ورد في الفنون وما ورد في المقامات لابد من تصحيح الأخطاء الآتية :

البيت ٣ : فقلت غفرت ، والصواب : فقلت عُقِرتَ

البيت ٦ : تدلّى بخلب ، والصواب : تُدِلُّ بخلبٍ

البيت ٧ : قراع الحرب ، والصواب : وقراعُ الحرب

البيت ٨ : ظبَاةٌ وكاظمةٌ ، والصواب : ظُباةٌ بكاظمةٍ

البيت ١١ : وتجعلُ . . . النفسُ ، والصواب : ويجعلَ . . . النفسَ

البيت ١٢ : باريك غيري ، والصواب : ياليتُ غيري

البيت ١٦ : لم يستطع المحقق أن يقرأه فرسمه مضطربا ، وصوابه :

وَجُدْتُ له بجائشةٍ أرتْهُ بأنْ كَذَبتْهُ ما مَنَّتْهُ غدرا

البيت ١٨ : جَلْداً ، والصواب : جَلَداً

البيت ٢٠ : مراه ، والصواب : فراراً

(١٧) القطعة : ٦١٤ وردت في ابن خلكان ٦ : ٤٣١ (ط . بيروت) ، ويمكن على ضوء هذه الحقيقة أن نقرأ جَمّة (موضع : جُمَّة )، تَواصَفها (موضع: تُواصِفها) ، تفتُ عليه كلُّ (موضع : يَغيث عليه كلُّ ).نائلُ (موضع:بابك ) وأكتفي بهذا ، إذ لا ضرورة للإشارة إلى الفروق بين الروايتين .

(١٨) القطعة : ٧٠٤ وردت في مخطوطة للتوحيدي ( كوبريللي : ١٢٣٤) ويقول التوحيدي إنه نقلها من خط السيرا في ولم يجد لها إسناداً ، وقد أشار المحقق إلى أن هذه القطعة هي تتمة للقطعة : ٧٤٦ وإنما تباعد مكاناهما لاضطراب الأوراق ، وبين الروايتين فروق لاداعي لإثباتها هنا ، ولكن نص التوحيدي يفيدنا في موضعين: ص ٧٥٥ س ٤ من الصوحان، والصواب : من آل صوحان ص ٧٣٠ س ٥ — ٦ وبلوغ الغاية وعظم ، والصواب : وبلوغ الغاية وعظم [المحنة] .

(١٩) القطعة : ٧٠٥ خطبة لأبي جعفر المنصور وردت في العقد ٤ : ٩٨ (ط . لجنة التأليف بمصر) وهي صحيحة في الجملة ، إلا في موضع واحد : سمعا لمن فهم عن الله وذكرته ، والصواب : سمعا .... وذكَّرَ به .

(٢٠) القطعة : ٧٠٨ وردت في العقد ٤ : ١٢٨ وبلاغات النساء لابن أبي طاهر طيفور (ص : ٨) وإليك تصويب ماورد فيها من أخطاء :

| | |
|---|---|
| وحصنني من كل مضيع | اقرأ : وحصنني من كل بضع |
| ورتق لكم اساه | اقرأ ورتق لكم اثناءه ( بلاغات ) |
| | ورتق لكم فتق النفاق ( العقد ) |
| فرتق الله به الثاا | اقرأ : فرأب ( أو : ورأب ) الله به الثأي |
| واطيا على هاضه الشقاق | اقرأ واطئاً على هامة الشقاق |

(٢١) القطعة : ٧٠٩ وردت أيضاً في العقد ٤ : ٢٦٢ وبلاغات النساء (ص : ٣) ، والمقارنة تكشف عن أخطاء كثيرة منها :

| | | |
|---|---|---|
| إلى أرقلة من الناس . | ، | اقرأ : إلى أزفلة من الناس |
| إلى وما أبيه | ، | اقرأ : أبي وما أبيَـهْ |
| الحج والله إذ كذبتم | ، | اقرأ : أنجح والله اذ أكديتم |
| يراب شعثها | ، | اقرأ : يُرأب شعثها |
| ويفك عانيها | ، | اقرأ : ويفك عانيها |
| فما برحت سليمته | ، | اقرأ : فما برحت شكيمته |
| وحنثت له على نسيّها | ، | اقرأ : وَحَنَتْ له على قيسيِّها |
| ومرّ على سساه | ، | اقرأ : ومرّ على سيساه ( والسيساء : العادة والطبع ) |
| ورست أو فاده | ، | اقرأ : ورست أوتاده |
| وقام أوده بقيامه | ، | اقرأ : وأقام أوده بثقافه |
| فانذعر النفاق | ، | اقرأ : فابذعرّ النفاق |
| وابتأس الدين فنعشه | ، | اقرأ : وانتاش الدين فنعشه |
| له أم حفلت به | ، | اقرأ لله أمٌّ حملت به |
| لقد أوجدت به | ، | اقرأ : لقد أوحدت به |
| مرّ أمه ويتصدف عنها | ، | اقرأ : ترأمه ويصدف عنها |
| وأيّ يومي ، أيّ تتعمون | ، | اقرأ : وأيّ يومَيْ أبي تتقمون . |

( ٢٢ ) القطعة : ٧١٣ وردت في العقد ٤ : ١٣٨ وفيها غلطة واحدة ( السطر ١٢ ) وهي : من ملك ، اقرأ : من هلك .

( ٢٣ ) القطعة : ٧١٨ وردت في عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ١٦٦ وفيها

| | | |
|---|---|---|
| ووهْم | اقرأ : | ورومْ . |
| حقه اتكلت | اقرأ : | فقد اتكلت |
| على كفائه | اقرأ : | على كفاية [ منك ] |

( ٢٤ ) القطعة : ٧٢٩ وردت في الأغاني ١٩ : ٣١٢ ( ط . دار الثقافه . بيروت ) ونسبها لعلي بن جبلة المعروف بالعكوك ، ووردت دون نسبة في عيون الاخبار ٢ : ١٦٦ وفيها :

وقالوا لا تمر ، وصوابه : لاتم

( ٢٥ ) القطعة : رقم ٧٦٢ وتتمتها رقم : ٦٢ وردت في الكامل للمبرّد ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ١ : ١٢١ — ١٢٢ وقد جاء في نص كتاب الفنون : عن أبي مخزوم بن سقفل راوية الفرزدق «وفي الكامل : عن أبي مخزوم عن ابي شفقل» وقد ضبط الاسم في تاج العروس كذلك أي « ابو شفقل » إلا أن صاحب التاج نقل عن ابن خالويه أن راوية الفرزدق اسمه « شفقل » ( بإسقاط لفظة : أبو ) .

(٢٦) هنالك قطع اخرى وردت في المصادر وانما أشير اليها استكمالا للفائدة ، من ذلك رقم ٢٨ ,ص : ٣٩ ) فقد وردت عند ابن خلكان ٣ : ٤٦٨ وللتعريف بالنعيمي ( القطعة : ٤٠ ) راجع السبكي ٣ : ٢٨٨ واسمه علي ابن احمد بن الحسن بن نعيم النعيمي البصري الأشعري (توفي سنة ٤٢٣)، والقطعة : ٩٦ في العقد ٤ : ٢١ وابن خلكان ٢ : ٢٣٩ ، والقطعة : ١٠١ في مصادر متعددة أقربها إليّ في هذه اللحظة ياقوت ( مادة : ميسان) ، والقطعة : ٢٢٧ في البخاري ( انظر إرشاد الساري ١ : ٢٢٨ ) .

ذلك قدر لا بأس به من التصويبات ، تيسّر بالرجوع الى عدد من المراجع ولا ريب في أن الاحتكام الى مراجع اخرى يعدّ وسيلة ضرورية للحصول على مزيد من الفوائد التي تعين على تقويم النص وتبرئته من الاضطراب والخطأ ، في حدود الإمكان .

- ٣ -

غير أن فقدان المصادر أيضاً لا يعفي المحقق من الاجتهاد في استيضاح المعنى لنفسه بحيث يمكنه ذلك من توجيه القراءة توجيهاً يتلاءم والمعنى ، دون أن يخل ذلك بالأمانة في التحقيق ، أو يدفع المحقق إلى الانسياق وراء تأويلات بعيدة ، وبخاصة حين يواجه مخطوطة مثل المخطوطة الباريسية سيئة الإعجام ، يرسم الناسخ فيها الكلمات رسماً دون أن يفهم المعنى . أو يواجه قضية الإعجام بشيء من قلة الاحتفال لأنه واثق من أنه يستطيع أن يقرأ النص دون ما حاجة اليه . ومن الإنصاف أن أقول إن المحقق كان أميناً للمخطوطة ، وإنه في إطار هذه الأمانة حاول أن يخرج بقراءة صحيحة ، فوفق إلى ذلك في مواطن عديدة ، إلا أنه كثيراً ما خانه الاجتهاد ، أو توقف في البتّ توقفاً يستحق مزيداً من التقدير لأمانته العلمية؛ وقد صح لي عند قراءة الكتاب - قراءة لا أدعي لها منتهى الدقة والشمول - أن أرجح القراءات التالية ، وأنا أرجو أيضاً أن يكون ما أقترحه ملتزماً جانب الصواب :

(١) ص ٧ س ٦ - ٧ ويحصله من الاهواء . والصواب: ويخلصه من الأهواء .

(٢) ٧ : ١١ التي تنثرها المناظرات ، والصواب التي تثيرها المناظرات.

(٣) ١٠ : ١٣ وينزل الاعتقاد ، والصواب: ويتنزل الاعتقاد .

(٤) ١٣ : ٣ - ٥ لأن السفر إذا كان مأمونا [ يكون مأمونا ] في الغالب بحشمة السلطان وقلة القطاع للطريق وكثرة الخفراء وانتشار الخلل [....] فلا يبقى . . . . أرى أن يحذف ما زاده المحقق بين معقفين وتكتب العبارة على النحو التالي : « لأن السفر إذا كان مأموناً بحشمة السلطان وقلة القطاع للطريق وكثرة الخفراء ، وانتشار الخطر [مأمونا] فلا يبقى ... الخ » .

(٥) ١٣ : ٧ وكان صاحبها أطلق للإيداع . والصواب وكان صاحبها أطلق الايداع .

(٦) ١٧ : ١٨ لأجل الإعانة على التجمل وتجمل المكلف . والصواب: لأجل المعاونة على التجمل وتحمل الكلف.

(٧) ٢٠ : ٢ – ٣ كيف قال لزوجتين كريمتين خليا بأعمى . والصواب : خلتا بأعمى.

(٨) ٢٠ : ١٦ – ١٧ وعنى كونهم معه في الشغب . وفي أصل النسخة « في الشعب » بالعين المهملة ، وهو الصواب لاغيره لأن الحديث يتناول دخول الرسول وآله « الشعب » عند مقاطعة قريش لآل أبي طالب . وبعد هذه العبارة : « وهذا إشارة الى التعليل بالنصر » والصواب : التعليق » أي أن الرسول علّق العطاء على النصر ، فأعطى من نصره حين كان في الشعب وفي المواقف الاخرى . ولهذا نفسه اضطربت العبارة ( ص ٢١ : ١ – ٢ ) إذ جاء فيها : إنما أبعدهم مع القرابة لحق له . والصواب « لخذله » ؛ أي أنه أبعدهم لأنهم خذلوه ولم ينصروه .

(٩) ٢١ : ٨ فجعل الخمس إغناء . وقبل العبارة « أليس في خمس الخمس ما يغنيكم ». واذن فيجب أن يجعل ماتلا ذلك : فجعل [خمس] الخمس إغناء .

(١٠) ٢٣ : ٦ ومن ثقل حملته . اقرأ : ومن ثقل جملته ، اذ العبارة تتضمن المقارنة بين النصف والكل ( في المهر ) : خوفاً من كثرة نصفه قبل الدخول ، ومن ثقل جملته بعد الدخول .

(١١) ٢٣ : ١٣ – ١٤ فإذا تحققنا بجبسه لحظها من المال . والصواب : فاذا تحققنا بَخْسَهُ لحظها من المال .

(١٢) ٢٤ : ٧ وامتهان حبسه وقدره . والصواب : وامتهان جنسه وقدره ( وهي أقرب إلى ما في الاصل ) .

(١٣) ٢٤ : ٩ – ١٠ كل ذلك حبس يُزْرَى وقلة القدر أيضاً يُزْرَى . والحديث ما يزال عن المهر وأن الرجل قد يقدم حبَّ القطن وقشور الجوز

اذا رضيت الزوجة ، ولذلك يجب أن نقرأ « كل ذلك جنس مزدٍ » وقلة القدر ( أي قلة مقدار المهر ) أيضاً تزري » .

(١٤) ٢٤ : ١٢ وحسم أمر الزوج في حقها . وهذا لا يتفق مع قوله بعد ذلك « حتى إنها لو تلفظت بتزويج نفسها لم يصحّ » . ولذلك يصحح ما قبله فيقرأ « وحسم أمر الزوج [ ليس ] من حقها » .

(١٥) ٢٥ : ١٢ من رآه في برجه وجرّه (أي الطائر) ، والصواب وجوْه ( ولعله خطأ مطبعي ) .

(١٦) ٢٦ : ٢ انقاد أن كان صورته ... الخ . اقرأ : انقاد وان كان ...

(١٧) ٢٦ : ٣ وكذلك الجمل في العرس ، تركت اللفظة الأخيرة دون نقط وحاول المحقق أن يرجع في الحاشية أنها قد تكون العرين أو الغريف أو العريش ، ولاتصحّ واحدة من هذه القراءات. والصواب «العزيب» وهو المرعى .

(١٨) ٢٦ : ٩ طولب بكونه كالموت ، والحديث عن الردة وعلاقتها بالإرث ، ولذلك يقرأ : « بكونها » أي الردة .

(١٩) ٢٧ : ١ — ٢ اذا مات بعد ردّته بما كان فيه من استمام . توقف المحقق في اللفظة الأخيرة وكتب في الحاشية « كذا » ، وإذا قرئت « إسلام » لم يعد في المعنى إشكال .

(٢٠) ٢٨ : ٢ للإطلاق من حبس الزوجة ، اقرأ « الزوجية » .

(٢١) ٢٨ : ١٠ وبان بعد ما بان الخليط . المؤلف يتحدث عن المعاني المختلفة للفظة « بان » فيقول إن بان معناها انقطع ؛ « وبان بَعُدَ [ مثل ] بان الخليط » .

(٢٢) ٣٢ : ١ وداخل الحريم ينشأ فيه الضمان . الحديث عن الطير ، وكيف يضمن إذا صيد داخل « الحرم » — بمكة — لا داخل الحريم .

(٢٣) ٣٣ : ١٤ — ١٥ يتحدث هنا أحد الفقهاء عن خبر الآحاد والتواتر ثم

يوضح موقفه في التواتر فيقول « لكن لو وقف ذلك على التواتر وطريق قطعي لا يسع ذو الدين . واستهانوا بالإقدام على الفساد حيث اطمأنوا أنه لا عن طريق مقطوع يكشف سخائفهم » . والعبارة على هذا النحو مضطربة كثيراً ، وأرى أن تقرأ « لكن لو وقف ذلك على التواتر وطريق قطعي ، لا تسّع ذرع الذين استهانوا بالإقدام على الفساد ... الخ » ، واللفظة الأخيرة « سحائفهم » بالحاء المهملة ، أو « سخائمهم » والثانية أرجح ، وقد وردت هذه اللفظة أيضاً في الصفحة التالية ( س : ١٣ ) .

(٢٤) ٣٥ : ٥ « وإنما الذي يدوم به الفساد الحواب والمرأة ، وليست صالحة لهذا النوع » . هذا نموذج لأخطاء كثيرة وردت في الكتاب بسبب استعمال خاطىء لعلامات الفصل والوقف وما أشبه ، وليس في الامكان حصر ذلك كله في هذا المقام . وصواب العبارة : « وانما الذي يدوم به الفساد الحِرابُ ، والمرأة ليست صالحة لهذا النوع . » والحراب : المحاربة وقطع الطريق ؛ والفقيه المحتج في هذه المسألة يرى أن المرأة لا تستطيع أن تقوم بمثل ذلك .

(٢٥) ٣٥ : ١٧ وكفى بافساد الدين مخزية . صيغة اللفظة الأخيرة لو كانت صحيحة يجب أن تكون « مخزاة » ، ولكن الحديث متصل عن الحرابة ، ولذا يتعين أن تقرأ « مَحْرَبَةً » .

(٢٦) ٣٦ : ٩ — ١٠ والرجال أهل للإفساد بالحراب ، والنساء بخلاف ذلك ، وهذا ليس بصحيح . العبارة كذلك ناقصة ويجب أن تصدر بمثل لفظة « [ وقولك ] الرجال أهل » . . . الخ ، حتى يكون الجواب لاحقاً .

(٢٧) ٣٧ : ١١ أو تأديبهم بما لا يطيقونه من الخدم . اقرأ « الحزم » بالزاي

(٢٨) ٣٧ : ١٤ كاتب المهدي الدّين يصاف مربعسا بباب الطاق . والصواب : كاتب المهدي الذي تضاف [ اليه ] مربعتنا بباب الطاق ؛ وقد ذكرت المصادر مربعة أبي عبيد الله كاتب المهدي ببغداد ( راجع مثلا ابن خلكان ٧ ٢١ في ترجمة يعقوب بن داود ) .

(٢٩) ٣٨ : ٤ مع ماستر من جفانه . اقرأ : مع ماسبق . . . .

(٣٠) ٣٩ : ١ فلا يلاموا إلا أنفسهم . اقرأ : فلا يلومنّ .

(٣١) ٤٠ : ١ — ٢ وقال رجل لولده : تعلم الأدب فانه زيادة في العقل . . . . وصلة في المجلس وصاحبه في الغوبة . والصواب : وحلية في المجلس ، وصاحب في الغربة .

(٣٢) ٤٠ : ٧ إساءة المحسن مع جدواه . اقرأ : منع جدواه .

(٣٣) ٤٠ : ١٠ خرج قوم الشام . اقرأ : خرج قوم [ إلى ] الشام

(٣٤) ٤٣ : ٧ ورد البيت :

من عاش مات ومن تشيب أصداغه يلقى القيان بذلة المملوك

والصواب : ومن تشبْ . . . . يلقَ .

(٣٥) ٤٤ : ٢ من ساحى الكرخ . لعلها : من ساكني الكرخ .

(٣٦) ٤٤ : ٥ صدر بيت أغنى وأقنى ولم يكلفني . والصواب : أغنى وأقنى فما يكلفني .

(٣٧) ٤٥ : ٦ — ٧ ما بينك وبين نصف الليل . اقرأ : ما بينك وبيني نصف الليل .

(٣٨) ٤٥ : ٨ واشتمل سيفه . اقرأ : واستلّ سيفه .

(٣٩) ٤٥ : ١٥ فان أرجع فذاك رجوع جنحي . أرى صواب اللفظة الأخيرة : « منجى » .

(٤٠) ٤٦ : ٤ فكل فتى الى الغابات يجري . اقرأ : الغايات .

(٤١) ٤٧ : ٧ في حديث عن رؤيا يقصها عمرو بن العاص على معاوية أنه رأى في منامه أبا بكر ثم عمر بن الخطاب واذا أمام عمر صحف مثل الجزوزة . والصواب « مثل الحَزْوَرَة » وهي الرابية الصغيرة أو التل الصغير » . وفي السطرين ١٠ — ١١ رأى صحف عثمان « فاذا صحف مثل الخندمة

جبل ، اذا دخلت البطوا على يسارك » ؛ وهذا أيضا نموذج لوضع الفاصلة في غير موضعها . والصواب : « فإذا صحف مثل الخندمة ـ جبلٌ اذا دخلت البطحاء على يسارك » . والعبارة التي وضعتها بين شرطتين صغيرتين شرح من المؤلف أو الراوي ، والبطحاء هي بطحاء مكة ، والخندمة عند ياقوت جبل بمكة .

(٤٢) ٤٨ : ١٢،٢ العنجر الساني . في فهارس الطبري (الطبعة الأوربية): الفِنْخِر الشيباني .

(٤٣) ٤٨ : ٥ كلم معنى فيه المنصور . اقرأ : كلُّم معنٌ ( أي معن ابن زائدة ، وهو من بني شيبان ، قوم الفنخر الشيباني ) .

(٤٤) ٤٨ : ١٥ دعا عليٌّ العشاء . اقرأ : دعا عليٌّ بالعشاء .

(٤٥) ٤٩ : ١٠ — ١١ وأنا متقلد أحدها من وجوهها . اقرأ : وأنا متقلد أخْذ ها ( والاشارة الى الأموال التي يحصلها الإمام من وجوهها ) .

(٤٦) ٥٠ : ١١ الحديث عن رجل رأى في منامه عدداً من نساء المسجد في الجنة فسألهن « بم تلقين هذه الدرجة » . والصواب : « بم نِلْتُنَّ » .

(٤٧) ٥٣ : ١١ — ١٢ [ التجني ] داعي الغلو وسالب السلو ، وفي النسخة الخطية « وسبب السلو » : وهو الصواب الذي لا معدى عنه ، رغم التعليق الذي كتبه المحقق في الحاشية : فالتجني هو سبب في حدوث السلوّ ، والسلوّ ـ كما جاء بعد ذلك ـ أول منازل الهجران .

(٤٨) ٥٤ : ١٦ وحب الدنيا والدرهم . اقرأ . وحب الدينار ، وصوّب اللفظة حيث وردت مرة أخرى في الصفحة التالية ( السطر : ٢) .

(٤٩) ٥٥ : ٥ فكيف حالي اذا سا الفراس و'نقطعت العلاتق . اقرأ : « فكيف حالي اذا [ ابتُتَّ ] بيننا القرائن ، وانقطعت العلائق » هذا ما أرجحه دون القطع به ، ولكنه ملائم للسياق .

(٥٠) ٥٦ : ١٣ مثلك حالة الطلاق . اقرأ : فتلك حالة الطلاق .

(٥١) ٥٧ : ١٢ لا يسوغ خلافتها . العبارة من كلام علي بن عبيدة الريحاني في وصف الدنيا ، وصوابها : « لا تسوغ حلاوتها » .

(٥٢) ٥٨ : ١ قد أصبحت سماؤه . اقرأ : قد أصحت ....

(٥٣) ٥٨ : ٦ – ٧ الحديث عن الذمي والجزية وكيف جعلته الجزية مبسّطا في دارنا ، وثبوت عبادته في دارنا . والصواب « متبسطا في دارنا (والاصح · جوارنا ) وبيوت عبادته في دارنا » .

(٥٤) ٥٨ : ١١ من بذل الأيمان الخطيرة . اقرأ : الأثمان ، وتصوّب أيضا في السطر التالي .

(٥٥) ٥٩ : ٦ أهرقت وقتلت الخنازير . العبارة ناقصة ولعل صوابها : « أهرقت [ الخمر ] وقتلت الخنازير » .

(٥٦) ٥٩ : ١٤ فإن مات لي صديق فأخرج جنازته بالقرابين والشموع « هذا حديث على لسان الذمي . والخطأ في لفظة القرابين ، اذ يجب أن تقرأ « القرّائين » والدليل على ذلك قوله في السطر : ١٦ « وتفريق الجموع وصفع القرابين » والقرابين لاتصفع ، وانما يصفع القراؤون .

(٥٧) ٦٠ : ٨ – ٩ فتمنيت الحبس والحصر والذل والاهانة كرامة ، أو أنك رجل رأيت نفسك قد سُلّت من السيف ، يسهل عندك ضنك العيش . وقع خطأ في ثلاثة ألفاظ : فتمنيت : اقرأها فسميت . . . سلّت : وصوابها سلمت يسهل : وصوابها : فسهل . وبهذه التصويبات يستقيم المعنى .

(٥٨) ٦١ : ١٢ والرياح الناشبة . اقرأ : والرياح الناشئة . وفي القرآن الكريم : (وينشىء السحاب الثقال ) ، ولهذا فلا بد من تصحيح ٦٢ : ١ السائقة للعموم ، وأن تقرأ : السائقة للغيوم و ٦٢ : ٥ يصوت المطر ، فتصبح : بصوب المطر .

(٥٩) ٦٣ : ١١ – ١٢ الحديث عن هاروت وماروت ، وكيف ضعفا عن

تحمل ما يتعرض له الآدميون من اغراء ، والعبارة «افلسوا عما صمخ عليه بنو آدم ». وأعتقد أنها يجب أن تقرأ: « فشلوا ( أو فسلوا ) عما صحَّ عليه بنو آدم » ، فاذا أبقينا لفظة «أفلسوا » وهي مما قد يتكرر لدى ابن عقيل وجب أن نقرأ « أفلسوا مما » .

(٦٠) ٦٤ : ١ ورد بيت شعر وهو :

وراح كالشعاع اذا أديرت    شممت روائح المسك القنيت

اقرأ : أديرت ، المسك الفتيت .

وفي البيت الرابع من القطعة ( ص : ٦٤) اقرأ : بحسن سالفة ( موضع : سالفه ). أما البيت الخامس الذي ورد :

وأسودُ فاحمٌ وبياضُ ثغرٍ    نقيُّ اللونِ لمّاعٌ شتيت

فيجب أن يصبح :

وأسودَ فاحمٍ وبياضِ ثغرٍ    نقيٌّ اللونِ لمّاعٍ شتيتِ

(٦١) ٦٤ : ٨ بيت شعر :

يعرّض للنزاع الوجهَ حتى    لصفحةُ خدّه منه تنوب

وصوابه :

يعرض للقراعِ الوجهَ حتى    بصفحةِ خدّه منه نُدُوبُ

(٦٢) ٦٤ : ١٠ اذا الأبطال في خَمْسٍ . اقرأ : في حَمَسٍ .

(٦٣) ٦٤ : ١٥ بأن يحفر السطح او سحه وبعصه . اقرأ . بأن يحفر السطح أو يسحته (وربما : أو يسحفه) ويقشطه .

(٦٤) ٦٩ : ١٤ فافتقد الناس على معاوية ذلك كما افتقدوا . اقرأ فانتقد الناس ... كما انتقدوا . والقصة عن طريد رسول الله الذي ردّه عثمان ، وردت في مصادر متعددة ( انظر مثلاً : الإصابة ٢ : ٢٩ ) ، وقد صحح المحقق ما ورد من أخطاء أخرى في هذا النص ، في جدول التصويبات .

(٦٥) ٧٢ : ٩ يقال له أنجد بن قيس . لعل الصواب : « أبجر » ، ولم أستطع أن أتحقق يقيناً من ذلك .

(٦٦) ٧٢ : ١٢ كانت فتنة عمياء نزا فيها الرضيع . اقرأ : الوضيع .

(٦٧) ٧٥ : ٧ كالداهش . اقرأ [قال] كالداهش

(٦٨) ٧٥ : ١٠ استشعر الإزعاج والإزهاق . اقرأ : والإرهاق

(٦٩) ( القطعـــة : ٩٢ ) سأعتبرها وحـــدة وأدرج الأخطاء التي وردت فيها معاً : ٧٥ : ١٣ ترفقه . اقرأ . ترقّقه ؛ ٧٦ ٤ فما خبرنا بعد عذاركم وما خبركم بعد عذارنا . اقرأ فما خبرنا بعد بواركم وما خبركم بعد بوارنا ؛ ٧٦ : ٦ فلا يؤمن على الشر . اقرأ على السرّ ؛ ٧٦ : ٨ لمغضة . اقرأ : لمعضلة ؛ ٧٦ ١٠ يُسْقَى الحجيج له . اقرأ : تَسقي الحجيجَ له ؛ ٧٦ : ١٢ كل لصاحبه قوب معادله . اقرأ : كلٌ لصاحبه تربٌ يعادله . ١٥.٧٦ علي : ما أغرّ . اقرأ : عليّ [فقال] : ما أغرّ ؛ ٧٦ : ١٦ أجبه وأرد الفصل عن الشعر . اقرأ : أجبه وليردّ الفضل ، أي الفضل بن العباس ) عن الشعر ، وتصحح لفظة « الفصل » في الصفحة التالية ( س : ٦ ) وهي كذلك في النسخة الخطية — أي بالضاد المعجمة — ؛ ٧٧:١ وانتهى إلى الغدر . اقرأ : إلى العذر ؛ وانتهى إلى الشرف . اقرأ : إلى السرف بالسين المهملة ) ؛ ٧٧ : ٨ البيت :

ولأقكم عن طعن في نحوركُمُ تسخى النفوسُ به ......

صوابه :

ولا لكمْ غيرَ طعنٍ في نحورِكمُ تشجى النفوس به

٧٧ : ٩ بالسمهريّ وضربٌ . اقرأ : وضربٍ ؛ نَـلْقى الرقاب وندري . اقرأ : يُلقي الرقاب ويذري؛ ٧٧ : ١١ إن تخفلوا الحرب نغفلها ، اقرأ . إن تعقلوا الحرب نعقلها .

(٧٠) ٧٨ : ١٦ فحطّ رجْلك . اقرأ : فحط رحلك .

(٧١) ٨٠ : ٨ وقد بلغنا كم قول منكم. اقرأ : وقد بلغنا قول منكم.

(٧٢) ٨٣ : ١٥ لما كان نفس معاملته برحمة وانعاما . اقرأ : رحمة .

(٧٣) ٨٦ : ٢ بأن ملك النكاح باقيا . اقرأ : فان [ كان ] ملك النكاح باقياً .

(٧٤) ٨٦ : ١٤ إلا رابطة حشر وغاء . اقرأ : الا رابطة حسّ وغاء

(٧٥) ٨٧ : ١١ وثلثها بأكلها وبها . اقرأ : وثلثها يأكلها ربُّها .

(٧٦) ٨٨ : ٧ اشجره في تنورك . اقرأ : اسجره ( بالسين المهملة ) وكذلك في السطر التالي « وشجر » تقرأ « وسجر ».

(٧٧) ٩٣ : ٢ وهل يثمر الإجماع باتفاق . والصواب : وهل يتمّ الإجماع [إلا] باتفاق .

(٧٨) ١٠٠ : ١ في انتقاء الحقوق . والصواب : في إيفاء الحقوق ، وفي السطر الثالث من الصفحة نفسها ورد : فلانتقائه حقه . والصواب : فلإيفائه حقه .

(٧٩) ١٠٠ : ٨ برى من عهدة بلائه . اقرأ . بريء من عهدة بلائه .

(٨٠) ١٠٠ : ١٢ يقتحم النار بصره . اقرأ : يقتحم النارَ تضره .

(٨١) ١٠٥ : ٨ والمستخف بخير منها ، جوعة تذله وتصرعه . والصواب: والمستخف بحرمتها ، جوعة تذله وتُضْرِعه .

(٨٢) ١٠٥ : ١٢ وأدنى شبق وعشق يبذّلنا بقول العزل . والصواب : وأدنى شبق وعشق يذلّنا بقبول العذل .

(٨٣) ١٠٥ : ١٣ واليتيم والهيان . والصواب : والتتيُّم والهيمان .

(٨٤) ١٠٦ : ٣ يشهد لذلك يوم عمر . والقضايا دأب الصحابة . والصواب المرجح : يشهد لذلك قومٌ عمروا القضاء بآداب الصحابة .

(٨٥) ١٠٦ : ٤ ـ ٥ أقال لكم العام : وحشوه من خمر أو ترنه وترا ،

ونفخة في مزمار ، ويحتلّ الوقار ، وبقلبه خلاعة . والصواب المرجح أقال لكم العام : حسوة من خمر أو ترنم وتر ونفخة في مزمار تحيل الوقار وتقلبه خلاعة ؟ !

(٨٦) ١٠٦ : ٧ — ٨ بمن تحيله الحاجات ... كيف . اقرأ : فمن تحيله .

(٨٧) ١٠٦ : ١٧ فاشتغال الشيء الذي يحتاج إلى اجتماعه . اقرأ : فاشتغال السر .

(٨٨) ١٠٧ : ٣ مشوش الأدوات . اقرأ . مشوّش للأدوات .

(٨٩) ١١٢ : ١ بل يكون مددها . اقرأ : مَرَدُّها .

(٩٠) ١١٣ : ٩ ووصمة الرق يمنع هذا الحكم الذي مسه أنت . اقرأ : ووصمة الرق تمنع هذا الحكم الذي بنيته ( أو : تثبته ) أنت .

(٩١) ١١٣ : ١٣ ولذلك إذا هاما المولى . اقرأ : هاتى ( بمعنى أعطى أو أخذ ) .

(٩٢) ١١٥ : ١ فالكذبة يصلح بها بين الزوجين ويطفىء النائرة بين الجنبين . اقرأ فالكذبة يصلح . . . بين الحيين .

(٩٣) ١١٥ : ٤ ليسلموا البلاية ولا يضجروا . اقـرأ : ليسلّموا لبلائه . . . .

(٩٤) ١١٦ : ٧ لم يخلف . اقرأ لم يحلف .

(٩٥) ١١٧ : ٦ — ٧ وإذ كانت الدعوى لعقد بمائة ، ليس بقي الدعوى لعقد بخمسين . اقرأ وإذ كانت الدعوى . . . ليست هي الدعوى . . . .

(٩٦) ١١٩ : ١٥ — ١٦ ولان الشرع يبيح بالمال ، وظن به في حق الاطفال ومرّ بهم في باب العبادات . وأرجح أن يكون الصواب : ولأن الشرع شح بالمال وضن به في حق الأطفال ، وجدّ بهم في باب العبادات .

( ٩٧ ) ١٢٤ : ٩ إنها تقع لتشفي الغيظ والغضب عن المسيء : اقرأ لتنفي الغيظ .

( ٩٨ ) ١٣٠ : ١٣ فأي عقد بقي مع حقر الذمة . اقرأ : مع خَفْر الذمة ( وهذه القراءة أقرب إلى ما في المخطوطة ) .

( ٩٩ ) ١٣١ : ٦ والتخرش بالإماء . اقرأ : والتحرش ( وهذا ليس خطأ مطبعيا كما قد يتبادر للقارىء ، وفي الأصل : والتحرس ، فغيّره المحقق الى الصورة المثبتة في المتن والحاشية ) ، ومثلها ١٣٨ : ٣ وتخريش الجوارح . والصواب : وتحريش .

( ١٠٠ ) ١٣٣ : ١٥ كسر السفينة لئلا تؤخذ في الصخرة . اقرأ : في السُّخرة ( وهي الصورة الثابتة في المخطوطة ) اذ الحديث عن السفينة التي كانت لمساكين يعملون في البحر ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً .

(١٠١) ١٣٥ : ٧ فهلا خلق البشرة مكشوفة . اقرأ : البُسْرَة ( يعني رأس القضيب ، وتطلق في الأصل على قضيب الكلب ، ولتصحح اللفظة حيث وردت ١٣٦ : ٤ ) .

(١٠٢) ١٣٥ : ١٤ فروى أن النبي ﷺ فلق صدره وأخرج قلبه وغسله . اقرأ : فَلَقَ صدره وأُخرج قلبُه وغُسِلَ ( ولفظة : غسل هي قراءة النسخة الخطية ) .

(١٠٣) ١٣٥ : ١٩ وهذا هو النمش الذي يوجد في بهجة القمر . اقرأ : في جبهة ( أو : صفحة ) القمر .

(١٠٤) ١٣٦ : ٥ ولو كانت مكشوفة منذ خلقت لحشُتْ وخشنت . اقرأ : لجَسَت (بتخفيف السين ، أى أصبحت جاسية ) .

(١٠٥) ١٣٦ : ١٠ الخروج من الام إلى الفساح . اقرأ إلى انفساح

(١٠٦) ١٣٦ : ١٣ فبينما تراه في صورة بهيمة بحرث ، ثم يسني ويسدف قلت : كدت أقول إن الصواب : يسني ويشدف أي يعمل في السانية والشادوف ، ثم استبعدت هذه القراءة لأن ابن عقيل عراقي لا مصري ، وأرى صواب اللفظة الاخيرة : ويسلف . أي يسوّي الأرض للزرع .

(١٠٧) ١٤٠ : ٢ أو يمدح ممدوح يهذبه كرمه . اقرأ أو يمدح ممدوح يهزّ به كرمه .

(١٠٨) ١٤٠ : ٣ وقلم بخط زجرا . اقرأ : وقلم يخط ( وهذا أيضا ليس من قبيل التطبيع ، فالمحقق أثبته في الحاشية ليصحح به الأصل ، والأصل غير منقوط ) .

(١٠٩) ١٤٠ : ٦ فكيف بشرف هذا الحيوان . اقرأ : فكيفَ يَشرُفُ

(١١٠) ١٤٠ : ١٠ –١١ انظر محلّ المعيشة من الزوجة والبكر من البنت . اقرأ : انظر محلّ المعنّسة من الزوجة والبكر من الثيّب ( ترى أيُّ مفهوم فقهي يمكن أن يستنتج من القراءة الاولى ؟ ) .

(١١١) ١٤٠ : ١٢ انظر ما بين الساج والزراع . اقرأ : انظر ما بين المسّاح والزراع .

(١١٢) ١٤٠ : ١٩ ثم حملت حال عطلتها . اقرأ ثم جُمِّلَتْ .

(١١٣) ١٤٢ : ٦ تمم نفسه بطلب العناء . اقرأ : بطلب الغناء ( وقدمر قبلها : فان الغناء تمام وكمال ) ، ولعلها خطأ طباعيّ .

(١١٤) ١٤٢ : ١٧ –١٨ وقد قال الناس في ذلك : إذا ماغضب السوقي فالحبة ترضيه . والعبارة بعد لفظة « ذلك » بيت من الشعر من بحر الهزج ، وهو:

إذا ما غضب السوقـ .. يّ .. فالحبةُ ترضيـه

(١١٥) ١٤٩ : ٣ وأنجز الكلام الى أن ادّعى . اقرأ : وانجرّ الكلام ، وانظر أيضاً ٢٢٩ : ٧ حيث وردت اللفظة مرة أخرى .

(١١٦) ١٤٩ : ٨ فانه قطع لأكوان المسجد . أرجح ان تكون القراءة « لأحواز المسجد » .

(١١٧) ١٥٠ : ٢ لم يضره تكرار الخطأ . اقرأ : لم يضره تكرار الخطي ( وقد جاء في الصفحة السابقة : وتكرار الخطو ... الخ ) .

(١١٨) ١٥١ : ١٢ - ١٣ إن عفوا عنه استلاصهم قتلا. اقرأ: استأصلهم قتلا.

(١١٩) ١٥٢ : ١٤ - ١٥ مفزوع منه في حق النساء. اقرأ: مفروغ منه.

(١٢٠) ١٥٣ : ١٣ إلا إيهام الألفاظ . اقرأ : إبهام .

(١٢١) ١٦٠ : ١١ - ١٢ كالمخذف بسوق منًا عند العقبات. اقرأ: بسوق مِنًى

(١٢٢) ١٦٠ : ١٦ واكشفى عنك القناع ولا تشهتي بالحرائر. اقرأ : ولا تَشَبَّهي بالحرائر .

(١٢٣) ١٦١ : ١٦ ينفون عنه تحريف الغالين ، اقرأ : تحريف الغالين (وهذا حديث مشهور يحمل هذا العلم من كلّ خَلَفٍ عُدُولُه . ولو راجعه المحقق لتجنب الإصرار على الوجه الذي اختاره في القراءة ، إذ رسم المخطوطة أقرب الى الصواب مما اختاره ) .

(١٢٤) ١٦٢ : ١٣ - ١٤ كقطع ذنب بغل القاضي أوزكاته . اقرأ : كقطع ذنب بغلة ( كما هي في الاصل) القاضي او ركوبته، (وفي المخطوطة: ركوبه ، ولا ادري لم تغيرت اللفظة إلى : زكاته ) .

(١٢٥) ١٦٤ : ١١ - ١٢ أقيم منها الطرف الذي بمكان التوجيه مقام الحلق . . . وهذا دأب الزكاة . والحديث عن « الذكاة » أي الذبح ، وقدمرّت اللفظة صحيحة في السطر السابق ، أما « التوجيه » فيجب أن تقرأ « التوحية » وهي الإسراع في التذكية بشفرة حادّة . ويجب ان أقرن إلى هذا ايضاً ما ورد ٣١٥ : ١ ونصه : وقد علم أن الآلات الموجبة . وتقرأ « الموحية » ، والموحية من لغة الفقهاء ، قال المطرزي: وفي لغة الفقهاء : السمّ يقتل إلا أنه لا يوحي، وصوابه لا يحي .

(١٢٦) ١٦٤ : ١٤ - ١٥ فإذا كانت جملة الجنين خافية كامنة وكان مستوراً بكمية من حلقة الأصل . وصوابه : فإذا كانت جملة الجنين خافية كامنة وكان مستوراً ، فكمون خَلْقِهِ الأصلُ .

(١٢٧) ١٦٥ : ١ أمر باستصلاح الجلود الميتة بأخذ ما حول الفأرة الميتة.
وصوابه : أمر باستصلاح جلود الميتة وبأخذ ما حول ... الخ .

(١٢٨) ١٦٥ : ٢ كل ذلك للمال واستصلاحاً . عبارة ناقصة ويمكن أن تقرأ : كل ذلك [ تدبيرا ] للمال واستصلاحا .

(١٢٩) ١٦٦ : ٢ — ٣ لا يخرج عن العدالة . اقرأ : لا يجرح في العدالة .

(١٣٠) ١٦٦ : ٣ بدليل العدل الذي يوجد في الأسر . اقرأ : في الأسير .

(١٣١) ١٦٦ : ٤ ـ ٥ والمبتذل في الحج تكشفا عن المحيط . صوابه : والمتبذّل في الحج تكشفا من المخيط ، وانظر أيضاً السطر : ٨ ، وصوّب لفظة « المحيط » ٢٦٧:١٢ فقد وردت مرة أخرى بالحاء المهملة .

(١٣٢) ١٦٦ : ٨ حيث ظلم أو التزم ، اقرأ : أو ألزم .

(١٣٣) ١٧١ : ١٤ على ماقدّره الله في بذل الدم كما قلنا في الموضحة في الخبر .
قلت : الجملة تشير إلى حكم فقهي ، ومن أوليات الأمور أن يتنبه لها ولأمثالها باحث متخصص في الشريعة الإسلامية . وصوابها : على ما قدّره الله في بدل الدم ، كما قلنا في الموضحة (وهي نوع من أنواع الشجاج ) في الحُرّ .

(١٣٤) ١٧٢ : ١١ والبضع يملك ، ولا يملك الروح بمليكه . قلت : وهذا أيضاً كالذي قبله من حيث هو قاعدة فقهية ، ومثل هذا في هذا الكتاب كثير ، ولن أشير كل مرة إلى ذلك ، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق . وصواب العبارة: « والبضع يملك ، ولا يملك الزوجُ تمليكَه » .

(١٣٥) ١٧٤ : ٦ — ٧ قال قائلهم في الظبية التي اصطيد خشفها : « وترتع أحياناً حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار » . هكذا ورد ، وأظن أننا نحفظ على ابن عقيل دقة اطلاعه حين نقول : إنه كان يدري أن هذا بيت من الشعر ، ولا أظنه أراد أن ينثره ، إلا أن يكون قد خانته ذاكرته ؛ والبيت للخنساء ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ١٦٩ ، وانظره في الخزانة ١ : ٢٠٧ ، ٢٤٠ وصوابه :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادّكرت فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ

فإذا أراد ابن عقيل أن يورده في صيغة نثرية ، فلا بأس أن يشار الى أصله .

(١٣٦) ١٧٥ : ١٠ فإذا [جاء] عنه ﷺ ما قال . ما بين معقفين لا يلائم السياق ، وأقرب الى الصواب منه : فاذا [ صحّ ].

(١٣٧) ١٧٦ : ١٢ كالمسدير وبيوت النمل . اقرأ : كالمشاثر ، وفي التاج : المشار : الخلية يشتار منها ( أي العسل ) وليس فيه مشارة ليصحّ جمعها على « مشاثر » ، وان كانت ممالا يستبعد في الاستعمال .

(١٣٨) ١٧٦ : ١٣ ونفرهن موضع نبات الجنة . اقرأ : ونقرهن (وليست خطأ مطبعيا فنميزه بذلك ) .

(١٣٩) ١٨٠ : ١٠ ليس الصفات بأكثر قصد به من الأعيان . اقرأ : بأكثر قصديةً .

(١٤٠) ١٨٠ : ١٤ صفة الجزاء الفائت بالعيب . اقرأ : صفة الجزء .

(١٤١) ١٨٠:١٨–١٨١:١ فهو كما لو اشترى صبرة على أنها عشرة أقفزة فباتت تسعة . اقرأ : فبانت تسعة (أي تبينت وظهرت) .

(١٤٢) ١٨١ : ١ – ٢ لأن القفيز المقصود كلية الموجود منها . والصواب : لأن القفيز المفقود (من العشرة المذكورة آنفا) كأية ( أو كأيّ ) الموجود منها .

(١٤٣) ١٨١ : ٨ مع الجهالة بالعين لهدم تعيينها . اقرأ : لعدم . ( ولعله تطبيع ) .

(١٤٤) ١٨١ : ١١ – ١٢ لأن الظاهر من بيع المسلم عدم التدليس ونزهه عن التزوير . والصواب : وتنزهه عن التوريس ( وهي أقرب للنسخة الخطية ) وقد قال الفقيه قبل ذلك ، والصفة لباطنها بظهور ظاهرها ورأسها ، فالتوريس وإن لم يرد في المعاجم يعني تدليساً باظهار وجه السلعة صحيحاً وإخفاء العيب تحته .

(١٤٥) ١٨٣ : ١٢ – ١٣ أما تملك الواطىء جزءاً منها . اقرأ : أما يملك .

(١٤٦) ١٨٤ : ١٤ مراده بالآية . اقرأ : مُرادهُ بالآية .

(١٤٧) ١٨٥ : ٤ — ٥ إذا نجس بالملاقاة كان ذلك . قلت : العبارة ناقصة ، وهي تتحدث عن نجاسة الخلّ اذا لافت الخمر ، ولعلّ صوابها : إذا نجس بالملاقاة كان ذلك [ للقلّة ] .

(١٤٨) ١٨٥ : ٦ فكان من قود قولك . اقرأ : فكان متقوّر قولك . ( أو : فكان من مؤدّى قولك ) .

(١٤٩) ١٩٧ : ١ — ٢ فأحدهما للإنشاء والخلق . لعل الصواب : « فأحدهما للابتناء والخلف » والحديث عن الزواج في العبارة .

(١٥٠) ١٩٧ : ٤ والحاجة انتصبته في الشرع . اقرأ : والحاجة اقتضته .

(١٥١) ١٩٨ : ١٢ على ذلك محينا التعذر . اقرأ : تحيّنا التعذر .

(١٥٢) ٢٠٠ : ٣ لاختيار المكلف . اقرأ : لاختبار (بالباء الموحدة) .

(١٥٣) ٢٠٧ : ١١ لو خلع الملاهي وقلع الأوتار . وفي المخطوطة « الملاوي » وهي الصواب ، وفي ملحق المعجمات لدوزى : ملْوَى . وجمعها : ملاوي Cheville وقد شرحنا هنالك شرحا وافيا يغني عن نقله هنا ، وتصحح كذلك ص ٢٠٩ : ١ .

(١٥٤) ٢٠٨ : ١ ان من دبغ جلد الإنسان . اقرأ : ان من دبغ جلداً لإنسان .

(١٥٥) ٢١٢ : ٤ وهذا محمول على الأغنى . اقرأ : الإغناء .

(١٥٦) ٢١٤ : ٩ فان ثالثهم الشيطان . اقرأ : فان ثالثهما .

(١٥٧) ٢٢٢ : ١٠ الأصل بطول يشق القضاء . اقرأ : الأصل يطول [ فهو ] يشق القضاء .

(١٥٨) ٢٢٥ : ٢ كما أن هذا العد السفرة . اقرأ : كما أن هذا أحدّ الشفرة .

(١٥٩) ٢٢٦ : ٨ فالفل أشبه بالفلّ ، الحديث عن أن القتل يسبب قلة العشيرة ، ولوليّ المقتول إذن أن يقلل عشيرة القاتل ، ولذلك كانت القراءة الصحيحة ، « فالقل أشبه بالقل »

(١٦٠) ٢٢٦ : ١٧ وهذا يزيل تحقق إيجاد القتل . اقرأ : ايجاب القتل

(١٦١) ٢٢٨ : ٤ حرمة القرآن حرمتان . والصواب: « القِران » لان السياق يتضمن الحديث عن القران في الحج .

(١٦٢) ٢٢٨ : ٦ فقال الحنبلي : محرمة الحرم والإحرام . . . ، والصواب : فحرمة الحرم والإحرام .

(١٦٣) ٢٢٨ : ٧ حال الاقدار . اقرأ : حال الإقرار

(١٦٤) ٢٢٩ : ٦ تداخلا في باب الإحرام بتسكين . اقرأ : بنُسُكين ( مثنى نُسُك ) .

(١٦٥) ٢٣٠ : ٤ يغير التساوي . . . الى سبب الحقن . اقرأ : يُعزى التساوي . . . الخ .

(١٦٦) ٢٣٣ : ١١ فالمكاثرة بالنابع ظهر فيما عساه بقي . وضّح المحقق في الحاشية أن « ظهر » غير منقوطة في الأصل ، وهو الصواب ، إذ تقرأ « طَهُر » أي إن زيادة النابع على أصل النجاسة ، طهرٌ لما عساه بقي منها .

(١٦٧) ٢٣٣ : ١٢ — ١٣ وقطر عنه يغضّ البلبل . كذلك كانت لفظة « يغض » في الأصل « بعض » وهو الصواب ، وتغييرها خطأ ، ويبدو أن المحقق لم يدرك معنى العبارة ، ولفظة « بعض » خبر إنّ في قوله : « فان الماء الذي نزل وقطر عنه ، بعضُ البلبلِ الذي تخلف في الثوب » .

(١٦٨) ٢٣٥ : ٢ فيسقط القتل أولى . اقرأ : فيسقط القتل ، وبهذا تصبح العبارة على النحو الآتي : فلأن نتعلق نحن بالأصل في وضع الحجر لغير القتل ، فيسقط القتل ، أولى . ( وعلامات الفصل ضرورية لتوضيح المعنى ) .

(١٦٩) ٢٤٤ : ١١ — ١٢ لأن الزوجين تساويا في الانتفاع ، والحلّ بكل منهما حلّ لصاحبه . قلت : هذا مثال على الخطأ الذي يحير القارئ بسبب سوء الترقيم أيضاً ، وإذا قرئ : « لأن الزوجين تساويا في الانتفاع والحلّ ، فكلٌ منهما حلٌ لصاحبه » وضح المعنى ولم يعد فيه لبس .

(١٧٠) ٢٤٥ : ٤ إلا أنّ الذل الداخل ببذله الاستخدام . اقرأ : ببذلة الاستخدام .

(١٧١) ٢٤٦ : ٣ فيكون عقوبة في البالغ ، محنة وابتلاء في الطفل . اقرأ : ومحنة وابتلاء ....

(١٧٢) ٢٤٧ : ١٤ — ١٥ فكيف يذلّ أباه وهو لحظة . اقرأ : فكيف يذلّ أباه ولو لحظةً .

(١٧٣) ٢٤٨ : ١١ فإذا نفى الإيجاب أمراً ندب . اقرأ : نفى ... أمر الندب .

(١٧٤) ٢٤٩ : ٦ — ٧ فما بقي على خلاف . اقرأ : فما بقي عليَّ خلاف .

(١٧٥) ٢٤٩ : ٩ — ١٠ يتربصن بأنفسهن ثلاثة ، فرووا : لم تترجح القروؤ . الصواب : « يتربصن بأنفسهن ثلاثة قُرُوء » أما جملة « لم تترجح » فإنها جواب « لو » في السطر السابق .

(١٧٦) ٢٥١ : ١٣ أوجب جوراً في الطبع . اقرأ : أوجب خَوَرا ... وانظر ص ٢٩١ : ٥ حيث وردت « الجور » وصوابها « الخور » كما في المخطوطة .

(١٧٧) ٢٥٣ : ١١ — ١٢ وتبيّن البخارية فيه بانعكاسه على الأجسام الصقيلة إنداءً ، وما حتى يعود فيقطر . اقرأ : وتَبين البخارية فيه بانعكاسه على الأجسام الصقيلة أنداءً وماءً ، حتى يعود فيقطر .

(١٧٨) ٢٥٣ : ١٤ ينعقد في سقوف الأياوين . والحديث عن الدخان ، وصورة الكلمة في المخطوطة تقرأ : « الأثاتين » ، جمع أتون . وذلك أصح حتماً

(١٧٩) ٢٥٦ : ١٣ — ١٤ فرأى أنه [ أن ] ترك السهم ولم يتلفه بالصبيّ . اقرأ : ولم يتلقّه بالصبيّ ، ويوضح ذلك قوله بعدها « فأخذ الطفل واتقى به السهم » .

(١٨٠) ٢٦٢ : ١٤ ولا يسدّ كوة الحويش برجله . وصواب اللفظة « الحيْرْبيش » وهي الحيّة .

(١٨١) ٢٦٣ : ٩ — ١٠ فقال لي قائل كان طيب : المجالس عندك على الحقيقة .... الخ . والصواب : فقال لي قائل : كأن طيبَ المجالسِ عندك على الحقيقة .... .

(١٨٢) ٢٦٤ : ٧ والاستحالات الجثثية . اقرأ : والاستحالات الخبيثة ( وذلك أيضاً أقرب الى الأصل المخطوط ) .

(١٨٣) ٢٦٥ : ٣ تعويلا على وعد ... السلام . سقطت لفظة في موضع النقط وهي بلا ريب : [ بدار ] ، والإشارة الى القرآن الكريم : والله يدعو إلى دار السلام ، ويؤكد هذا قول المؤلف بعد ذلك : « الجامعة لشمل أهل الإسلام » ، ثم وجدت هذه الصفحة بين النماذج المصورة المرفقة بالكتاب ، واللفظة فيها كذلك .

(١٨٤) ٢٦٥ : ١٠ حتى تركنا كثيراً من نقود العيش . كلمة « نقود » هنا لا معنى لها ، ولعلها أن تقرأ « نضرة » أو « نعومة » .

(١٨٥) ٢٦٦ : ١ — ٢ فلا أزال أطالبك بما أتيني من أدوات حتى تنفذ . اقرأ : بما آتيتني ... حتى تَنْفَدَ .

(١٨٦) ٢٦٧ : ٩ من يحترم لله . اقرأ : من يحترم الله .

(١٨٧) ٢٦٨ : ٦ — ٧ ليخضع العقل له بكونه عبداً حكّمه خالقه وكلفه الاستدلال . كانت حكمه في الأصل « خلقه » ، وهي صحيحة ولا ضرورة تدعو لتغييرها .

(١٨٨) ٢٦٩ : ١ فأما أن تحكم بطهارة ما لا فيها وانفصل ، فكلّا :

واضحٌ من هذا السياق أن لفظة « لا » يجب أن تحذف ليستقيم المعنى .

(١٨٩) ٢٦٩ : ٣ - ٤ بين مستقذرين مستجنبين . اقرأ : مستخبثين ، وهي قراءة أقرب إلى ما في المخطوطة .

(١٩٠) ٢٧٨ : ١٠ إلاّ الزندقة التي أوجبت بغض من اختبر هذا الأمر. يقول المحقق في الحاشية إن « اختبر » تبدو بصورة « أسر » أو « أس » ، فتفضيل « اختبر » يدلّ على أن المحقق لم يتبين المعنى ، والإشارة في السياق الى بغض أبي بكر ، وأن بغضه لا يكون إلا عن زندقة أوجبت بغض من « أسس » هذا الأمر ( وهو الإسلام ) .

(١٩١) ٢٧٨ : ١١ -١٢ يتابع الحديث عن أبي بكر فيقول « ما أثر - والله - بغضه أو تنقصه إلا بغض ما قام به » . وإذا قرأت : « أثار » استقام المعنى .

(١٩٢) ٢٧٨ : ١٢ — ١٣ الحديث مستمرّ عن أبي بكر ومآثره . يقول المؤلف : ولا معيار التدين عندي إلا نُحل ذلك الشيخ الكريم . والصواب : إلا محبّ ذلك الشيخ الكريم .

(١٩٣) ٢٧٨ : ١٥ وأنست إلى معجزات نبي . اقرأ : نبيّي .

(١٩٤) ٢٨٠ : ١١ - ١٢ لأنني كنت بصورة من استقرىء طرق الطلب حتى وجدت وأنحت عن طريق سليم إليك . اقرأ : لأنني كنت بصورة من استقرأ ... وأبحثُ عن طريق ... الخ .

(١٩٥) ٢٨٣ : ٥ عن تبديلها بأمور الدنيا . اقرأ : عن تبذيلها ( يعني : ابتذالها ) .

(١٩٦) ٢٨٦ : ٨ حيث حيّا بها عشب الأرض . اقرأ : حيث حيَّ بها عشب الأرض ( أي حييَ ) وهذه هي قراءة المخطوطة .

(١٩٧) ٢٨٧ : ٨ — ٩ تقاصراً بوجبهم انحطاط رتبهم . اقرأ : بوجبه .

(١٩٨) ٢٨٧ : ٩ — ١٠ فيخرج إلى من يرى نفسه . اقرأ : فيخرج إلى أن يرى نفسه .

(١٩٩) ٢٨٧ : ١٥ وآخر يتميز بنوع حدّه ، وغني بين فقراء . اقرأ : وآخر يتميز بنوع جِدّة ( بتخفيف الدال ) كغني بين فقراء .

(٢٠٠) ٢٩٠ : ٣ — ٤ هل الأفضل تخفره عن الناس واعتزاله . لعلها « تجفّره » عن الناس ، قياساً على : « أجفر » ، بمعنى : انقطع عن الزيارة .

(٢٠١) ٢٩٠ : ٩ لحكيم ناه له عن الجوع . لا علاقة للجوع بالسياق في هذه الصفحة ، إذ المؤلف يتحدث عن التجلد والحزن والبكاء ، فاللفظة الصالحة هنا هي « الجزع » .

(٢٠٢) ٢٩٠ : ١٢ لأنهم يعدون ذلك قلة وفاء وألف وحباسة . اقرأ : وإلف ( بكسر الهمزة ) وجَبَاسة .

(٢٠٣) ٢٩٥ : ٥ وهل خلو الحكمة إلا تجرع مرارة الأدب . اقرأ : وهل خُلُق الحكمة ....

(٢٠٤) ٣٠٠ : ١٥ يتحدث المؤلف هنا في تفسير قول الرسول : « كفى بالمرء فتنة أن يشار إليه بالأصابع » . وينهي هذه الشذرة بقوله : « متى تخربق الإنسان به قلّ أن يخرج من رأسه » ولفظة تخربق من خربق الشيء قطعه ، وخربق العمل : أفسده ، وخربق الغيث الأرض شققها ، وأخذ اللفظة بهذه المعاني في هذه العبارة يمثل وجهاً ضعيفاً ، فلماذا لا تكون اللفظة مصحفه عن « تخلّقَ » ؟

(٢٠٥) ٣٠٤ : ١٠ ان أزال التقليص والبنج . وصورة اللفظة الأخيرة في المخطوطة « والبسنج » والأصح أن تقرأ : « والتشنج » وهو يتمشى مع لفظة « التقليص » .

(٢٠٦) ٣٠٧ : ١١ إن الماء القاطر من الجو مطراً ونداء . اللفظة الأخيرة إما أن تكون « وندى » أو « وأنداء » .

(٢٠٧) ٣١٣ : ١٥ يتحدث المؤلف في الفصل (٢٠٣) عن موسى لما ورد ماء مدين فيقول : « انتقد أهل المسكنة والضعف عن المال » . والصواب : افتقد أهل المسكنة والضعف عن الماء ( أي عن الاستقاء ) .

(٢٠٨) ٣١٤ : ٢ — ٣ إذا شرب أهل السقاية وصدروا عنها رووا .... كذا من ضعف ناصره . وغاب آخر عن بلوغ الأغراض والآداب . والصواب : كذا من ضعف ناصره وغاب ، أخّر عن بلوغ الأغراض والآراب . ( والإشارة إلى ضعف ابنتي شعيب عن مزاحمة الرعاة الأقوياء وغياب من ينصرهما ويعينهما ) .

(٢٠٩) ٣١٤ : ٦ فلما وصفاه . اقرأ : فلما وصفتاه ( أي ابنتا شعيب ) .

(٢١٠) ٣١٤ : ١١ ويتحلّى بأفعاله . اقرأ : ويتجلّى بأفعاله .

(٢١١) ٣١٨ : ١٤ ليظهر جوهر الحيل في شيّرها وعدوها . اقرأ : في سيرها ( كنت أحسبه خطأ مطبعياً حتى وجدت المحقق قد غير الأصل وهو شبرها ، ولكني لا أدري ما معنى : شيّرها ، ولا كيف تلفظ ) .

(٢١٢) ٣١٩ : ١٦ — ١٧ وعمق الأدوية وأسفالها . . . واكفهار البراري وتضوّح قيعانها . اقرأ : وعمق الأودية واستفالها . . . واكفهرار البراري وتصوّح قيعانها .

(٢١٣) ٣٢٠ : ٣ وسماء داره وفساح بلده . اقرأ : وساح بلده .

(٢١٤) ٣٢٠ : ١٢ — ١٣ سائل الأشياء عني وتسمع جوابك بسامع الفكرة تدرك الجواب ، وتسمّع بلسان العبرة . قل للأرض الفسيحة . . . . قلت : واضح أن المرء لا يتسمع بلسان العبرة ، وقد أفسد الترقيم هذه العبارة كثيراً ، وصوابها : سائل الأشياء عني وتسمّعْ جوابها بسامع الفكرة تدرك الجوابَ وتَسَمّعْ . بلسان العبرة قلْ للأرض الفسيحة الأريضة : مَن دحاك ؟ . . . . .

(٢١٥) ٣٢٠ : ١٥ فان تعاظمت عليك فسوّلت لك نفسك بتعاطيها .
اقرأ : فسوّلت لك نفسك بتعاظمها .

(٢١٦) ٣٢١ : ١ وان تجبرت الريح في عيان النفس . . . . في أصل النسخة : « تجرّت » ، وهي مخففة من « تجرأت » وأنسب للمعنى ، ولا تكلف المحقق تغييراً للأصل .

(٢١٧) ٣٢٣ : ١ أن يكون عائداً بمن يستحق أن يعبده العقل . اقرأ : أن تكون عابداً من يستحق . . . .

(٢١٨) ٣٢٣ : ٧ على وجه التربة ماثلا . وكان أديم الأرض صحائف .
اقرأ : على وجه التربة ماثلا ، وكأنَّ أديمَ الأرض صحائف .

(٢١٩) ٣٢٣ : ١٣ إذا أنكلت كل وجود لم أجد فيه سبب إيجادي .
اقرأ إذن ثكلت كل وجود . . . الخ ( واحذف علامة الاستفهام في آخر الجملة ، لأن الجملة ليست استفهامية ) .

(٢٢٠) ٣٢٣ : ١٧ — ١٨ وهذا كلام من درجت له العبرة في النظر ، والخبرة في الخبر ، ودرج الطرق حتى أسرف . في أصل النسخة : « العبر » وهو صواب لا يحتاج تغييراً ، ولفظة « أسرف » تقرأ « أشرف » .

(٢٢١) ٣٢٤ : ١ — ٢ رزقنا الله وإياكم قلباً عارفاًونظراً ثاقبا ! — وأيضاً فأنّى النظر يمنعنا من الوقوف مع هذه الأشكال والصور . قلت : باضطراب هذه العبارة اختل سائر النص ، وعلينا أن نقرأ كما يلي : « رزقنا الله وإياكم قلباً عارفاً ونظراً ثاقباً فاحصاً ، فأيّ النظر يمنعنا من الوقوف . . . الخ » ( واحذف علامة الاستفهام في آخر الجملة فليس لها مكان ) .

(٢٢٢) ٣٢٧ : ١٢ وإذا زاد في مرضه كان الفطر أولى . واضح أن الحديث هنا متصل بالصوم ، ولكنه لم يذكر فيما سبق ، ولذلك كان من الضروري أن تكون العبارة « وإذا زاد [ الصوم ] في مرضه . . . »

(٢٢٣) ٣٢٨ : ١ ورغب عنه بمعنى تركه لا اللغة . اقرأ : في اللغة .

(٢٢٤) ٣٢٨ : ١٥ وأرجو أن أكون أحشاكم لله . اقرأ : أخشاكم ( ظننتها خطأ مطبعياً أولا ، ثم وجدت المحقق قد أثبتها كذلك في فهرست الأحاديث ) .

(٢٢٥) ٣٣٠ : ١ وصلة بني الأقارب . اقرأ : وصلة بين الأقارب .

(٢٢٦) ٣٣٠ : ١٠ والنساء في جبانتهن يضعن . اقرأ : والنساء في حيائهن يضعن .

(٢٢٧) ٣٣٠ : ١٤ — ١٥ ولا تسل إلى ما شرع الله . اقرأ : ولا تصل إلى ما شرع الله ( ليست خطأ طباعياً ) .

(٢٢٨) ٣٣١ : ١٠ كالأكل والشرب والنعوظ . اقرأ : والتغوّط .

(٢٢٩) ٣٣٢ : ٦ - ٧ فهنّ على الضياع بدون تتمة من الرجال وكالة النفقة. من الجليّ أن الحديث عن قيام الرجال بحفظ النساء والانفاق عليهنّ ، وكلمة « تتمة » في الأصل ذات شكل لا يمكن رسمه ، ولكن من البين أنها شكل مضطرب للفظة « قيام » أما « كالة » فإنها : « بجهالة » ، وتكون العبارة : « فهن على الضياع بدون قيام من الرجال وبجهالة النفقة » .

( ٢٣٠ ) ٣٣٤ : ٥ - ٦ فصارت الطاعة في النسل سبب . أقول : الجملة ناقصة وإذا لم تكن كذلك فهي مخالفة للإعراب لأن « سبب » وردت غير منصوبة ، وهي خبر صار ، ولا ريب أن الفرض الأول أقوى ، وصحة العبارة : « فصارت الطاعة في النسل سبب [ بقاء ] » .

( ٢٣١ ) ٣٣٤ : ١٢ - ١٣ أو يقول : نحتمل العزلة . والترهب كان أفضل من العشرة في تلك الشريعة . ونسخ ذلك في شريعتنا .

وهذا كلام مختل كثيراً ، والإشارة الى قصة يحيى وكيف بقي صرورة ، وهل بقاؤه كذلك ثناء عليه يستحق الائتساء ، فالفقيه هنا يدافع عن موقف إسلامي وهو الدعوة إلى عدم العزلة والترهب ، ولهذا يمكن أن نقرأ العبارة : « أو نقول :

يحتمل [ أن ] العزلة والترهب كانا أفضل من العشرة في تلك الشريعة ، ونسخ ذلك في شريعتنا » . والعزلة في النص كله هنا ذات معنيين : عدم تولي الإمارة ، وليس هذا هو المقصود في العبارة التي أوردتها ، وإنما استشهد به الفقيه ليقوي حجته ، والمعنى الثاني: الانقطاع عن المعاشرة ، ولهذا قال بعد ذلك : « وصارت العشرة خيراً من العزلة » .

(٢٣٢) ٣٤١ : ١ حتى يبرىء مما صنعت . اقرأ حتى يبرأ .

(٢٣٣) ٣٤١ : ٢-٣ ولما ارتفع الفساد بضرب هذا الأمر . اقرأ : بصدد هذا الأمر .

(٢٣٤) ٣٤١ : ٥-٦ في باب نشوء اختيارها . اقرأ : في باب سوء اختيارها .

(٢٣٥) ٣٤٣ : ١٧ لمن يقصد التفتيش عليها والتنفير . اقرأ : والتنقير ( بالقاف ، والخطأ هنا مردّه إلى القراءة لا إلى الصفّ الطباعي ، — انظر : الحاشية ) .

(٢٣٦) ٣٤٤ : ٨- ١٠ ومعلوم أن عمر ... قال في الخمر إذا خير بها العشارين . اقرأ : قال في الخمر إذا مُرَّ بها [ على ] العشارين ؛ وانظر الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص : ٥٢) حيث جاء : إذا مُرَّ على العاشر بالخمر...الخ .

(٢٣٧) ٣٤٨ : ١٤ وأما الحمل فإنه لما ورث ، عزِلَ له واستوفي بالمال لأجله . اقرأ : واستؤني بالمال .

(٢٣٨) ٣٤٨ : ١٥ ولا لو كان مرتداً توقف البركة له ليسلم . اقرأ : توقف التركة له ليسلم .

(٢٣٩) ٣٤٨ : ١٦ وإنما وقّعت المال لأجل الحمل . اقرأ : وإنما وقّفت المال .

(٢٤٠) ٣٤٩ : ٤- ٥ ويكون الدوام لايراعى فيه من وجد ولم يوجد . اقرأ : ويكون الدوام . . . من وجد أو لم يوجد .

(٢٤١) ٣٥١ : ٤ – ٥ وجبان يعمل في تأخير القتل أولى . اقرأ : وجب أن يعمل ... الخ .

(٢٤٢) ٣٥٣ : ١٢ حيث وقّعتَ النكاح إلى الرتبة التي لا يستحقها . اقرأ : حيث رفعتَ النكاح ...

(٢٤٣) ٣٥٥ : ١٢ – ١٣ إنما السلطان من أمر و كشف أمره وحرّمه فأطيع . اقرأ : إنما السلطان من أمر ، و كشف أَمْرَهُ وحَزْمَهُ فأُطيع .

(٢٤٤) ٣٥٦ : ٢ بأن النكاح له خطر ، وميّزه على غيره . اقرأ : بأن النكاح له خطر وميزة على غيره .

(٢٤٥) ٣٦٣ : ١٢ – ١٣ والفاسق لا خلاف أنه يزدجره ، فما يقول بها فيا وردت فيه . قلت : يتحدث المؤلف هنا عن شهادة الفاسق وهل يمكن قبولها ؛ والعبارة تجعل المعنى أحجية لا حلّ لها ، وصواب القراءة : « والفاسق لا خلاق له يزدجره ( أو : يزجره ) عما يقول بهتاً في ما وردت ( أي الشهادة ) فيه » .

(٢٤٦) ٣٦٧ : ٣ فلا يتنافى وجوبها . اقرأ : وجوبها ( أي الخراج والعشر ) .

(٢٤٧) ٣٧٠ : ٦ قد أوفى ما ضمن العمل . اقرأ : ما ضمن [من] العمل ، وفي المخطوطة قد وفا ، وصوابه : « قد وفّى » .

(٢٤٨) ٣٧٠ : ٩ أو لنقل الثوب وبياضه . اقرأ : أو لصقل الثوب .

(٢٤٩) ٣٧١ : ١ – ٢ ويتوالى الدق بجهاء الثوب فيحترق . اقرأ : ويتوالي الدقّ يحمى الثوب فيحترق ، ولفظة « يحمى » كانت في المخطوطة « يحما » دون إعجام ، وهذا شكل إملائي وحسب ، لما نكتبه نحن اليوم « يحمى » .

(٢٥٠) ٣٧٣ : ١١ – ١٢ حتى تجبر الشهادة على الابن . اقرأ : حتى تجيز .

(٢٥١) ٣٧٥ : ١ ولا بزنة اجتهادكم وجنائكم ( وفي المخطوطة :

وجنانكم )، وكلتا القراءتين لا وجـه لها ، ولعل الصواب « وإحفائكم » أي إلحاحكم واستقصائكم .

(٢٥٢) ٣٧٧ : ١ وتبيناً للإيمان . اقرأ : وتثبيتاً للإيمان .

(٢٥٣) ٣٨١ : ١٨ ونفّر بالخسف والمسخ والاستئصال . قلت : ونفر في الأصل أقرب إلى صورة « ولقد » وعلى هذا ربما كان الصواب « ولقد [عذب] بالخسف والمسخ ... الخ » .

(٢٥٤) ٣٨٣ : ٧ والتوبة كالإسلام أسقطت ووجبت ما قضى . اقرأ : والتوبة كالإسلام أسقطت وجَبَّت ما مضى ؛ وفي العبارة اشارة الى قول الرسول : الإسلام يجبّ ما قبله .

(٢٥٥) ٣٨٧ : ١٥ ودفعت بالشر الشرين أكبرهما . اقرأ ودفعت بالشر [ من ] الشرين أكبرهما .

(٢٥٦) ٣٩١ : ١٦ وهو أكبر حرم في حق الله . اقرأ : وهو أكبر جرم .

(٢٥٧) ٣٩٤ : ٨ وجوّز البيئات . اقرأ : وجوّز البيات ( أي الأخذ ليلا على غرة ) .

(٢٥٨) ٣٩٥ : ٦ - ٧ لأن المكرِه جعل المكرَه ، بإخفاره . اقرأ : بإجباره .

(٢٥٩) ٣٩٧ : ١١ وغيروا شهراً ، فكان شهر . اقرأ : وغيروا شهراً مكان شهر .

(٢٦٠) ٤٠٠ : ١١ - ١٢ ولا بعد المستقبلات إلا عالم بالثاني والمآل . اقرأ : ولا يُعَدّ المستقبلات إلا عالمٌ بالتالي والمآل .

(١٦٢) ٤٠٢ : ٩ بل نكون آخذين بالجزم . اقرأ : بالحزم .

(٢٦٣) ٤٠٢ : ١٣ ويمثّل ذلك النظر الصحيح نظر في هذه الأعيان . اقرأ : ويمثل ذلك النظر الصحيح نَظَرَ في الأعيان ( والكلام عن العقل ) .

(٢٦٤) ٤٠٤ : ١٠ والصالح المزاج بعضنا . اقرأ : والصالح لمزاج بعضنا .

(٢٦٥) ٤٠٥ : ٧ لنظرنا إليه بعد نهي التسارع . اقرأ : بعد نهي الشارع .

(٢٦٦) ٤٠٦ : ٢ وانما جعل للتأخير وفقا . اقرأ . وانما جعل التأخير رفقا .

(٢٦٧) ٤٠٦ : ١٢ ولإنها ليست آخرته لله . اقرأ : وإنها ليست اخروية لله .

(٢٦٨) ٤٠٧ : ٧ اعترض عليه حنبلي آخر ، للرواية الأولى . اقرأ : اعترض عليه حنبلي آخر [ ناصر ] للرواية الأولى .

(٢٦٩) ٤١٤ : ٦ وإن عرّض بها طالب الحق . اقرأ : وإن عَرَضَ له طالبُ الحقّ .

(٢٧٠) ٤٢٣ : ٩ ويذيع الطاعن في عرضهم والقذف لهم بالقبيح . اقرأ : والقَذَفَة لهم بالقبيح ( كما هي في النسخة الخطية ) .

(٢٧١) ٤٣٦ : ١١ الحديث هنا عن مسألة الزكاة في الحليّ ، فيقول فقيه مالكي لايرى الزكاة فيه : « فلو وجبت فيه الزكاة ، لاقنه » . اقرأ : «لأفنته» — وقد عبّر المحقق في الحاشية عن أنه لم يستطع قراءة اللفظة — ولكن الفقيه يرى أن الحليّ لا ينمو ؛ فاذا وجبت فيه الزكاة فني مع الزمن ، وقال بعد ذلك حنفيّ معترض (السطر : ١٤ — ١٥ ) : والذهب والفضة تنميان بهما أحق بإيجاب الزكاة . والعبارة خطأ ، وصوابها : « والذهب والفضة ينميان ، فهما أحق بإيجاب الزكاة » .

(٢٧٢) ٤٣٧ : ٨ — ٩ الحديث متصل عن فكرة النماء وصلة الزكاة بها ، وثمة معترض يتحدث عن جمال البزازين ، وهي في الواقع العملي منهكة بالعمل فكأنها لا تتعرض للنماء والولادة ، قال : « وإن ولدت فالعمل [ لا ] يورثها من نقصان ذواتها ما لا تقي به ما تمت من نتاجها وأولادها » . وزيادة [ لا ] في العبارة أحالتها عن وجهها الصحيح ، والصواب : « وان ولدت فالعمل يورثها من نقصان ذواتها ما لا يفي به ما تمت من نتاجها وأولادها » .

(٢٧٣) ٤٤٠ : ١٢ – ١٣ أقول : إذا لم يكتمل النصاب الصالح للزكاة أثناء الحول فهو قد « انخرم » ولذلك تصحح لفظة « انحرم » و « ينحرم » وتجعلان بالخاء المعجمة .

(٢٧٤) ٤٤٠ : ١٤ فتمكن في البيوت . اقرأ : فتمكث في البيوت .

(٢٧٥) ٤٤١ : ١ فأما نقصان النصاب فإنه فقير . كلمة : « فقير » كانت في المخطوطة : « فقر » ، وهل من داع لتغييرها ؟ نقصان النصاب فقر ، والفقر لا تجب فيه الزكاة . وإذا مضى حول على نصاب فقير لا يجعله « كالسام » . اقرأ : كالتامّ – أي النصاب التام – ( السطر : ٢ من الصفحة نفسها ) .

(٢٧٦) ٤٤٤ : ٩ مضرّ بضرّه لما لا غنى عنه . اقرأ : لضرّه .

(٢٧٧) ٤٥٠ : ٨ يمنع ولده الحلواء والزهومات تطيباً . اقرأ : تطبباً .

(٢٧٨) ٤٥٠ : ١٥ أهَل أن يتطل منه كل شيء . اقرأ : أهل أن يطلب منه كل شيء ( والحديث عن الله جل وعزّ ) .

(٢٧٩) ٤٥٥ : ٣ – ٤ تعلّق غليك في نفي الملك بخصيصتين أخص من هذا يدلّ على نفي الملك . اقرأ : تعلّق عليك . . . بخصيصة أخص من هذا تدلّ . . . .

(٢٨٠) ٤٦٠ : ٦ – ٧ فكان ذكر مضافرة لعيون الأبرار . قلت : هذا من سيئات الرسم وعدم التنبه إلى القاعدة الإملائية التي يتبعها الناسخ ، وصواب العبارة : « فكان ذكر [ ما ] مضى قرة لعيون الأبرار » .

(٢٨١) ٤٦٠ : ٩ مع كون الباري فصّح بالتعليل . اقرأ : أفصح .

(٢٨٢) ٤٦٣ : ٥ – ٦ ورفع إلى عمر رضي الله عنه نكاح الشهادةِ رجلٌ وامرأة . اقرأ : ورفع إلى عمر . . . نكاح بشهادةِ رجلٍ وامرأة .

(٢٨٣) ٤٦٣ : ١٥ والإفشاء والإساغة تتعقبه . اقرأ : والإشاعة .

(٢٨٤) ٤٦٤ : ٢ وله زيادة خطر ليست بملك المال . اقرأ : ليست لملك المال .

(٢٨٥) ٤٦٨ : ٧ ما ينطلق عليه الاسم ذو عدد معين . اقرأ : دون عدد .

(٢٨٦) ٤٧٠ : ٥ – ٦ أترون هذا الأسمط رضيعاً . اقرأ : الأشمط .

(٢٨٧) ٤٧١ : ٣ – ٤ وهذه تنبني على أصل قد مرّ في الزنا بنشر تحريم المصاهرة . اقرأ : يثبت تحريم المصاهرة .

(٢٨٨) ٤٧٢ : ٨ كان لغلبة الشهوة وفرط السبق . اقرأ : الشبق . وكذلك ٥١٥ : ٨ شديدة السبق . صوابه صوابه « الشبق » .

(٢٨٩) ٤٧٢ : ٨ لأنها ليست تحرث كالرجل . اقرأ : لأنها ليست بحرث للرجل .

(٢٩٠) ٤٧٨ : ٦ ما يؤمّني . اقرأ : ما يؤمنني .

(٢٩١) ٤٧٨ : ١٣ إلى من تجنب ظهره الحرام . اقرأ : إلى من [ لم ] يتجنب ظهره الحرام .

(٢٩٢) ٤٨٣ : ٥ – ٦ لأنه ﷺ نبي على أكمل المباني . اقرأ : بني .

(٢٩٣) ٤٨٣ : ١٣ – ١٤ ومعلوم أن الجواد أهطل وجاد . والأرض إذا أنبتت . . . كانت أفضل . اقرأ : ومعلوم أن الجود إ[ ذا ] هطل وجاد ، والأرض إذا أنبتت كانت أفضل .

(٢٩٤) ٤٨٣ : ١٥ – ١٨ النصّ في هذه الأسطر ناقص ، وخلاصة المعنى: أنّ الذي يعتصم بالسنة ويترك الجماع ويدافع النفس عنه مثاب على ذلك ، أما [ من يأخذ بحظه منه ] فإنه « مثاب على قصد الولد اتباعاً للسنة » ، والعبارة بين معقفين أو ما يشبهها ضرورة لإقامة النصّ وتبيين المعنى .

(٢٩٥) ٤٨٧ : ٢ – ٣ عر على لحد ثبت مع الماء والطين هدمته بأصغر غرض وأقل عرض . اقرأ : أعزز عليّ بجدّ ثبت مع الماء والطين هدمته ... الخ ( يعني حدّ الإنسانية ) .

(٢٩٦) ٤٨٧ : ٥ فيما زاد الحرص رزقا . اقرأ : فما زاد ...

(٢٩٧) ٤٨٧ : ١٢ واستبقاء المنافع بنفسه . اقرأ : واستيفاء ...

(٢٩٨) ٤٨٩ : ٤ على إبقاء الحق . اقرأ : على إيفاء الحق

(٢٩٩) ٤٨٩ : ١٤ كالتشويش والعفن . اقرأ : كالتسويس والعفن

(٣٠٠) ٤٩٠ : ٢ وفعلهـــا مقصر على إيجاب الحد . اقرأ : مقصر عن إيجاب الحد .

(٣٠١) ٥٠٢ : ١١ انطفت ثائرة الحرب . اقرأ : نائرة .

(٣٠٢) ٥٠٣ : ٧ بالخطر والإباحة . اقرأ : بالحظر والإباحة

(٣٠٣) ٥٠٥ : ٤ فقد أعدّ لك بإزائه ألطاف . اقرأ : الألطاف

(٣٠٤) ٥٠٥ : ١٢ — ١٣ وعلم أن في الطبع نوع انحساس من الناس . اقرأ : نوع إيحاس .

(٣٠٥) ٥٠٥ : ١٤ حينئذ اشتطت النفس . اقرأ : نشطت .

(٣٠٦) ٥٠٦ : ٩ أن أنتقل عن الحطه على جذع حنّ إليــه . اللفظة غير المعجمة هي « الخطبة » ، وما كنت أظن المحقق بحاجة إلى مثل هـذا التوقف ، فما أظنه يجهل قصة الجذع الذي كان يخطب عليه الرسول ، وكيف حنّ إليه حين انتقل عنه إلى غيره .

(٣٠٧) ٥٠٦ : ١٢ وإن برّك يده على صدر ضـال اهتدى . لا أدرى ما « برّك » هذه ، فإنهـا تشير إلى مفهوم غريب ، وفي المخطوطة : « ترك » وهي صحيحة سليمة الدلالة ، ولله الحمد .

(٣٠٨) ٥٠٧ : ٤ — ٥ فإن كان قد عرض عليهم أشكال الأشياء وصورها فيكون الامتحان لهم لا شيء يصلح . اقرأ : فيكون الامتحان لهم : لأيّ شيء تصلح ؟

(٣٠٩) ٥١١ : ٣ بخلاف ما ينتهي إليـــه تواني العقول . اقرأ : بخلاف ماتنتهي إليه ثواني العقول ، وأصلح في السطر الخامس لفظة « بتأني » واجعلها : « بثاني » حيث وردت مرتين ، وبداية العقول تستدعي ثانياً : أي : نظراً ثانياً ، وهو اصطلاح مألوف عند أهل الكلام والجدل ، أعني : « ثواني العقول » ، أما ما قبل هذا النّص في السطر الثاني فقد تحاشيته لأني لم أستطع تصويبه ، وهكذا فعلت في مواضع كثيرة قبل هذا .

(٣١٠) ٥٢٣ : ١٤ ــ ١٥ لأنّ فضل النبي ﷺ للإيمان عن الإسلام . اقرأ : لأن فَصَلَ ( بالصاد المهملة ) .

(٣١١) ٥٢٩ : ١٤ ولأنه تشكل بقضاء دينه . اقرأ : ولأنـه تكفل ( قراءة بعيدة عن الشكل الأصلي في النسخة ) .

(٣١٢) ٥٣٠ : ٤ والولاية المذكورة في القرآن نشرها . اقرأ : فسّرها .

(٣١٣) ٥٣٤ : ١٢ حتى تدفع إلى الرقّاء . اقرأ : إلى الرفاء ( بالفـاء ) كما هو في أصل المخطوطة ، ترى هل سأل المحقق نفسه ما معنى « الرقاء » لدى الحديث عن إصلاح ثوب متخرق ؟!!

(٣١٤) ٥٣٦ : ٤ والقرآن يتلى والعبر تتربى . اقرأ : والعبر تترى .

(٣١٥) ٥٤١ : ١ ــ ٢ وماتقرب المتقربون إليّ [ إلا ] بأجل من الخوف والتعظيم لأوامري . يستطيع القارىء أن يدرك أن المحقق زاد [ إلا ] لأنـه لم يستطع أن يقرأ اللفظة التي بعدها قراءة صحيحة ، ولكن هذه الزيادة قد أفسدت العبارة : « وماتقرب المتقربون إلي بأجلّ ( أي أعظم ) ؛ ( هكذا لا بدّ من شرح هذه الأوليات ، ومعذرة للقارىء الحصيف الكريم ) .

(٣١٦) ٥٤١ : ٤ ــ ٥ كلامه ينقسم إلى وعد ووعيد وهو الصادق فيها ، والصواب « فيهما » ــ على التثنية .

(٣١٧) ٥٤١ : ٧ — ٨ حتى إن النحلة في فمها الشهد وفي حتمها السمّ ، والنحلة بين شلاً موجع وجنىً محلى مشبع . اقرأ : وفي حُمَتِها السمُّ ( والحمة : إبرة النحلة ) ، والنحلة بين سُلاّء موجع ( والسلاّء : الشوك ) .

(٣١٨) ٥٤٧ : ٤ رأى قلة البضاعة وصيانة العيش . اقرأ : وصُبابة العيش .

(٣١٩) ٥٤٨ : ٧ من ليس بقوله حجة . اقرأ : من ليس يقوله ( أي يعتقده ) حجة . قلت : والحديث عن الإجماع .

(٣٢٠) ٥٥٠ : ١٢ في الحيوان تابعة لحرمة الحيوانية . الجملة ناقصة كما هو واضح ، ولو قرئت : « في الحيوان [مالية] تابعة لحرمة الحيوانية » لتمّ المعنى .

(٣٢١) ٥٥٨ : ٣ ما نقل من درها يخلفه ظهرها . اقرأ : ما نقص من درّها ... الخ .

(٣٢٢) ٥٦٧ : ١٥ باطل بالسنّ إذا نبتت من الذي لم يتغير . اقرأ : لم يثّغر ( أي لم تنبت أسنانه ) .

(٣٢٣) ٥٦٨ : ٥ هذا المطبوخ من بالغ الثمار . اقرأ : من يانع الثمار .

(٣٢٤) ٥٧٠ ( القطعة رقم : ٥٠٤ ) هي لأبي المندي ، ولكنها لم ترد في ديوانه الذي جمعه الأستاذ الجبوري ، والبيت الأول فيه « يكلوهم » ، وصوابها : « يكلؤهمْ » وفي الثاني : « أحسن من مشي » ، وصوابه : أحسن من يمشي ، وفي الرابع « شبح » ، وصوابها « سبج » .

(٣٢٥) ٥٧٣ : ٥ وسلالة استجابته ، اقرأ : وسلاسة استجابته .

(٣٢٦) ٥٧٥ : ٢ أنشدني أبو نصر ابن أبي عمران بعنى . اقرأ : بمِنى .

(٣٢٧) ٥٧٥ : ١١—١٢ كان اصطناع المعروف عليهم فرض . اقرأ : كأنّ .

(٣٢٨) ٥٧٥ : ١٢ ثم جاء الزمان عن يسر اتخذوا . اقرأ : ثم جاء الزمان بياسير اتخذوا .

(٣٢٩) ٥٧٨ : ١٧ هذا مما يسمح به العبد ويعدو طوره . اقرأ : هـذا مما يشمخ به العبد ...

(٣٣٠) ٥٧٩ : ٣ ما ينبهك على هذا الانتهار والاستنكار . اقرأ : ما ينبهك على هذا الانتهاء وَالاستئمار ( أي الامتثال للنهي والأمر ) .

(٣٣١) ٥٩٤ : ٦ — ٧ صفة دار حسنة : وطن تنبت المكارم فيه بين ماء جار وعود وريق . هذا بيت شعر :

وطن تنبت المكارم فيـه بين ماء جار وعود وريق

(٣٣٢) ٥٩٥ : ١٢ هنا حنبلي يخاطب مجسما ، فيفهمه أنه لا يُعبّد الدجال ، لنقص في خلقته ، أي كأنه يقول له : لو كان الدجال مكتمل الخلقـة لعبده ، يقول : « إنك لا تمتنع من عبادته إلا لعورة » . اقرأ : لِعَوَرِهِ .

(٣٣٣) ٥٩٧ : ١٢ ومثل هذا تلغيه قلوب الشجعان . اقرأ : تلعنه قلوب الشجعان .

(٣٣٤) ٥٩٨ : ١١ روي أن الذي طعن معاوية في السه . قلت : الكلمة التي لم تنقط تقرأ . « إليته » وفي كل المصادر التي أوردت خبر تصميم الخارجي على قتل معاوية أنه طعنه في « إليته » ، وكان سميناً جسيماً فلم تؤثر فيه الطعنة .

(٣٣٥) ٥٩٩ : ٤ وآفة الطرف الصلف. اقرأ : الظرف ( بالظاء المعجمة ).

(٣٣٦) ٥٩٩ : ١٠ أهلك الناس حب الفخر وفوت الفقر . اقرأ : وخوف الفقر .

(٣٣٧) ٦٠١ : ٧ وهو المقاتل . اقرأ : وهو القاتل .

(٣٣٨) ٦٠١ : ١٦ فهذه أرجأ آية. اقرأ : فهذه أرجى آية (من الرجاء) .

(٣٣٩) ٦٠٣ : ١٥ — ١٦ فلما ثبت هذا في حق إبليس ، وجب عليه الائتمار للحق سبحانه ، ترك هذا جميعه ، اقرأ : ووجب عليه .

(٣٤٠)٦٠٤ : ١٢ –١٣ يتحدث المؤلف كيف أن زيدبن ثابت خالف أبا بكر في بعض قضايا الميراث فيقول : « أقدم على خلافة من لم يبلغ رتبته » . اقرأ : على خلافه .

(٣٤١) ٦٠٧ : ١٠ – ١١ وما حسن أن يمر على سنن . اقرأ : وما جسر أن يمر .

(٣٤٢) ٦٠٨ : ١٢ – ١٣ يوجب عليكم أن تنهوا عن الله ، وصفة من صفاته . اقرأ : أن تنفوا عن الله صفةً من صفاته .

(٣٤٢) ٦٠٨: ١٥ وهي الرجل والقدم في النار لزالها ونزولها . اقرأ : تطؤها وتدوسها .

(٣٤٣) ٦٠٩ : ١١ في هذه الصفحة وفي الأسطر ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ غيّر المحقق لفظة: : « الاقتراض » ( بالقاف ) فجعلها : الافتراض ( بالفاء ) وقد جانبه التوفيق في ذلك كله ، إذ النصّ كله معتمد على قوله تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً » ، وهذا الموضع يدلّ دلالة قاطعة على أن المحقق يسوق تحكمه في النص الصحيح ، دون أي تقدير للمعنى .

(٣٤٤) ٦١٠ : ١٤ وهذا كله يرد قول عوام الأصحاب من حد فلان وفلان . العبارة ناقصة ، ويجب أن تقرأ : [ ليس ] من حد فلان وفلان ؛ وذلك هو ما يتطلبه السياق لمن تدبره .

(٣٤٥) ٦١١ : ٩ أورد المؤلف هنا قصيدة نسبها لأبي العتاهية ، وهي غير موجودة في ديوانه ؛ وفي البيت الأول أعيد . وصوابها أَغْيَد ؛ وفي البيت الثالث أمَّارنا . وصوابها : إمّا رَنا ؛ وفي السادس : يُبْلِج . والصواب : يلّج ؛ وفي البيت السابع : « يبقى » . والصواب : « يتّقى » ؛ وفي البيت التاسع : « وخَلْف » . والصواب . « وحيلف » ؛ وفي البيت الرابع عشر « نحون » . ولعل صوابها : « تعزف » ؛ وفيه أيضاً « النشواح » . والصواب: « النّواح » جمع ناحية ؛ والبيت الخامس عشر مكسور العجز ولم أستطع تصويبه .

كما أن صدر البيت الثالث عشر لا يزال بحاجة إلى قراءة صحيحة ؛ والكلمة الناقصة في البيت : ١٦ قد تكون : [ فات ] .

(٣٤٦) ٦١٢ : ١٧ هنا بيت شعر ، ونصّه كما أورده المحقق :

ستبقى بقاء الصبّ من الما أو يعيش بديموم الصريمة حوتها

والشطر الأول شديد الاضطراب ولعلّه : ستبقى بقاء الضبّ في الماء أو [.....] . والشاعر يصور الاستحالة ؛ فالضب لا يعيش في الماء ، والحوت لا يعيش في صحراء .

(٣٤٧) ٦١٣ : ٦١٥ القطعة (٥٦٧) لم أوفق إلى العثور على هذه القصيدة التي تعد من المستبحات . وفي الصفحة : ٦١٥ ورد قوله :

« وبادر كفي قلت وسدّ خلة » . ولعله: « وبادرْ كفاني كلّ ما سدّ خلة » ؛ وفي البيت الثالث على هذه الصفحة « فامسك واستجدى » . والصواب : « واستخذى » ، والبيت الذي يليه ورد هكذا :

فأهملته في ساق كوما نامل سناد حكاها في العلو فنيق

وصوابه :

فأعملته في ساق كوماء تامك سنادٍ حكاها في العلو فنيق

وفي البيت الذي يليه : « فرقّع راعيها » . والصواب « فَرَوَّع » .

(٣٤٨) ٦١٨ : ١١ وتعظيمهم للمسرة بالصبيان . اقرأ : بالضيفان .

(٣٤٩) ٦١٨ : ١٣ الذي ادركته منكم من جناياكم المكتومة . اقرأ : من خباياكم .

(٣٥٠) ٦١٨ : ١٦ نعمهم لسه . اقرأ : ينعتيم لنبيّه .

(٣٥١) ٦١٨ : ١٨ المطلع على جنات القلوب . اقرأ : حبّات ( أو : خبيئات ) القلوب .

(٣٥٢) ٦٢٠ (القطعة : ٦٢٠ ) البيتان مما ينسب لأبي نواس ، وفي الثاني منها : بليت حدتي .... تضوا . اقرأ : بليت جِدّتي .... نِضْوا .

(٣٥٣) ٦٢١ ( القطعة : ٥٤٧ ) قصيدة لحرّاني ( لم أستطع تصحيح اسمه ؛

من إنشادات ابن دريد وهي في الحماسة البصرية ٢ : ٤٢٩ منسوبة لعمرو بن حازة أخي الحارث بن حازة وقد ورد البيت الثاني :

ربما قرّت عيون السجنا ومُرِضٌ سخنت منه العيون

وصوابه :

ربما قرّت عيونٌ بشجىً مرمض [قد] سخنتْ منه العيون

وفي البيت : ٣ تَعيشْ . اقرأ : « تعشْ » ؛ وفي البيت : ٥ ورُحَى . اقرأ : ورَحى ؛ وفي البيت : ٦ : هدىً . اقرأ : هوىً ؛ جبرت . اقرأ : حَيَّرت ؛ وفي البيت : ١١ درجَ الخلق فضولٌ بينهم . وصوابه : دَرَجُ الخلقِ ؛ والبيت ١٣ : اقرأ : ربما يصعب بالدرّ . والبيت : ١٤ الحُصْن . اقرأ : بكسر الحاء .

(٣٥٤) ٦٢٤ : ٢ أحب أن يكون بيني وبين ربي من أفاضل عباده . اقرأ: أحبُّ أن أكون ( كما هي في المخطوطة ) .

(٣٥٥) ٦٣٤ : ١٠ ورد هذا البيت :

دع الشرّ واترك بالنجاة تحرزا إذا أنت لم يصنعك بالشرّ صانع

لعل : « واترك » أن تقرأ : « وانزل » ؛ وصواب الشطر الثاني « إذا أنت لم يصبعك بالشر صابع » ، وفي التاج: ضبع به أراده بشرّ والآخر غافل لا يشعر.

(٣٥٦) ٦٣٤ : ١٣ إن الله تعالى لا يُغلب ولا يجلب. اقرأ: ولا يُخْلَب.

(٣٥٧) ٦٦٢ : ٣ العمائم تيجان العرب والحمى حطان العرب . اقرأ : والحبى حيطان العرب ؛ لأن الحبوة ( وجمعها حبى ) جلسة المتمكّن كالحائط الثابت .

(٣٥٨) ٦٦٢ : ٩ فأقر بها ، فرجما . اقرأ : فأمر بها فرجما .

(٣٥٩) ٦٦٤ : ١٣ ورفّ البيت يرفّ . اقرأ : ورفّ النبت .

(٣٦٠) ٦٦٦ : ٣ ولاحقناك عليه إلا أمنّاه . اقرأ : ولا خفناك عليه إلا أمنّاه .

( والقراءة : « ولا خفناك » ، هي كما في الأصل المخطوط ، والعدول عنها زلل ) .

(٣٦١) ٦٦٦ : ٥ الجار بالريق ، جار جاراً . اقرأ الجائر [ الغصص ] بالريق ، جئتُ جائراً .

(٣٦٢) ٦٦٦ : ٧ والحرض غضيض . اقرأ : والجَرَضُ : الغَصَصُ .

(٣٦٣) ٦٦٦ : ١٤ فليتوقعوا بعد ذلك [ أربع ] خصال : ريحاً وجمراً وخسفاً ومسخاً . وبمعارضة هذا بكتب الحديث يمكن أن تصبح القراءة : ريحاً حمراء ( كما في المخطوطة ) [ وقذفاً ] وخسفاً ومسخاً .

(٣٦٤) ٦٦٧ : ٧ تمت العرانين من هاشم . اقرأ : نمته العرانين . .

(٣٦٥) ٦٦٧ : ٨ إلى بيعة فرعها في السما . اقرأ : إلى نبعة .

(٣٦٦) ٦٦٧ : ١١ — ١٢ ونبذ من حكمه الصحيح ثلاث فعلات . اقرأ : ونفذ .

(٣٦٧) ٦٦٧ : ١٤ ثم ثلاث بالاستطعام . اقرأ : ثم ثلَّثَ بالاستطعام .

(٣٦٨) ٦٦٨ : ٨ وجب عليه نقل تلك القصة إلى هذه الحادثة الموثّرة أمرّ نغصة . اقرأ : وجب علينا .. المورّثة . . الخ .

(٣٦٩) ٦٦٨ : ٩ توجب فساد العافية . اقرأ : العاقبة .

(٣٧٠) ٦٦٩ : ٤ — ٥ فكم قد قصّ عليك من مبادىء أفعال مزعجة للطباع والعقول كان مثالها إلى أمور للطباع والعقول . اقرأ : فكم قد قص . . . . كان مآلها إلى أمور [ مبهجة ] للطباع والعقول .

(٣٧١) ٦٦٩ : ٧ وإسجاد النيران له . اقرأ: وإسجاد النيّرات له (والإشارة إلى يوسف ) .

(٣٧٢) ٦٦٩ : ١٢ والمخافة من الوطن إلى دار غربة . اقرأ : والمجاوزة من الوطن .

(٣٧٣) ٦٦٩ : ١٣ ومنع الهدى . اقرأ : ومَنْعُ الهَدْيِ .

(٣٧٤) ٦٧١ : ١١ قيل لصاحب معاوية كيف حالك ؟ قلت : لا معنى لذكر معاوية هنا ، وإنما الصواب : «صاحب معونة» وهو الرجل الذي يحصل الضرائب .

(٣٧٥) ٦٧٢ : ٥ وبين حازم لا تحتك فيه إلا المصاولة . اقرأ : وبين حارم ( يعني الذي يحرم السائل ) لا تحيك فيه إلا المصاولة .

(٣٧٦) ٦٧٢ : ١٣ وهذا الكريم بجدالدين ظهير الدولة أن أطل مِلمّ واسى . اقرأ : إن أطَلّ مُلِمٌ واسى .

(٣٧٧) ٦٧٣ : ٥ فصدّوني وقام بمؤونة حلقتي . اقرأ : فصدّرني ( وقد استشهد المحقق بهذا النص في المقدمة على محمل خاطىء ، ومعنى صدّرني : جعلني صدراً مقدماً ) .

(٣٧٨) ٦٧٣ : ٧ — ٨ فإنه واسطة بين طرفين كريمين . مهما دعوت إلى الله وأحييت في دين الله . اقرأ : بها دعوت إلى الله وأجبت في دين الله ( مطابقة بين الدعاء والاجابة ) .

(٣٧٩) ٦٧٣ : ١٠ بما أرجو بها . اقرأ : لها .

(٣٨٠) ٦٧٤ : ٢ نحن على شفاء عطب . اقرأ : شفا ( أي حافة ) .

(٣٨١) ٦٧٥ : ١٦ — ١٧ فإن الصبر مطية الغباوة . اقرأ : فإن الصّبا .

(٣٨٢) ٦٧٧ : ٨ لحن صوته الشجيّ بجذر أو بباحة . اقرأ : بجذل أو نياحة .

(٣٨٣) ٦٩٢ : ٤ حيث تردى بردا الغلام . اقرأ : برداء ( لضبط الوزن ) .

(٣٨٤) ٦٩٧ : ٦ الجماني . صوابه : الحمّاني .

(٣٨٥) ٦٦٩ : ٥ صار عاجا سرجته بالعاج . اقرأ : سَرَّحته ( كما في المخطوطة ) .

(٣٨٦) ٧٠٣ : ١ لتشوق طباعهم إلى حصول الغنائم أموالاً وسْباناً .
اقرأ : لتشوف طباعهم ...... أموالاً وسبايا (وهو أقرب إلى ما في المخطوطة).
وفي السطر الرابع أيضاً اقرأ : وإليها تشوفهم ( بالفاء كما في المخطوطة ) .

(٣٨٧) ٧٠٣ : ٣ داخل في الأجزية عن الأعمال لا نعيا ولا نالما . اقرأ : ولا تألما ، ( هذا على التوجيه ) .

(٣٨٨) ٧٢٣ : ١٥ يا رب لا تلجئني إلى زمن ، اقرأ : لا تُلْجِينِي ( كما في المخطوطة ، لكي يظلَّ موزونا ) .

(٣٨٩) ٧٢٤ : ٤ ولا يأكلن من اللحم إلا مننا ، اقرأ : فتيًّا .

(٣٩٠) ٧٢٦ : ١ — ٢ أيحسبي يا رسول الله أن يضرني شبهه ، اقرأ : أتخشى

(٣٩١) ٧٣١ : ١٣ فاما « لا » مريحة واما « نعم » مريّحة . اقرأ : فإما لا مريحة وإمّا نعم مريحة .

(٣٩٢) ٧٣٦ : ١٠ الا تنفروا أو يعذبكم . « أو » هنا زائدة في الآية .

(٣٩٣) ٧٣٦ : ١٢ واست على نعمة زالت . اقرأ : وا أسفا على نعمة زالت .

(٣٩٤) ٧٣٦ : ١٨ والله لا جانب الآمال منه ولوردّنا إلى العدم . اقرأ : والله لا خابت الآمال فيه ... الخ .

(٣٩٥) ٧٣٧ : ٤ — ٥ والله ما يتبذل بك إلا إذا تبذلت . ومعنى : « تبذلت » : خرجت من حكم العبودية ؛ اقرأ : ما يتبدل ... تبدلت ... ومعنى « تبدلت » .

(٣٩٦) ٧٣٨ : ٣ ليس في قواك أن ترخي السحاب . اقرأ : أن تزجي السحاب .

(٣٩٧) ٧٣٨ : ٧ ولولا أنك مسحب صنائعه لأنكرت العبودية . لعل الصواب : « ولولا أنك تشهد صنائعه ... » .

(٣٩٨) ٧٣٨ : ١٠ - ١١ وأنت ترى على عبد من عبيدي تعبده فيطمعك.
اقرأ : وأنت ترد على عبد من عبيدي بطمعك .

(٣٩٩) ٧٥٠ : ١٤ — ١٥ كل امرئ على شيئين : قصده وشاكلته ، تورده وتصدره . اقرأ : كل امرئ على مستبين قصده، فشاكلته تورده وتصدره .

(٤٠٠) ٧٥١ : ١١ — ١٢ فدلني قديم حنينه على حادث وفى به . اقرأ : على حادث وفائه .

(٤٠١) ٧٥٣ : ( القطعة رقم : ٧٤١ ) مقطوعة شعرية : أنشدني الواثق من شعري . اقرأ : من شعره ؛ والبيت ١ : همها السَّحَر . اقرأ : همها شَجَرٌ ؛ وفي البيت ٢ : أفدي الظباء التي . اقرأ : اللواتي ؛ حلتها . اقرأ : حليها ؛ وفي البيت الرابع : تُبَرْقِعُ . صوابها : تَبَرْقَعُ .

(٤٠٢) ٧٥٤ : ١٢ إن بني العباس في لنا . اقرأ : فيْءٌ لنا .

(٤٠٣) ٧٥٤ : ١٣ وحطه الغاوون . اقرأ : وخطة الغاوين .

(٤٠٤) ٧٥٦ : ٨ وبجذرك أفرج منك بنجدتك . اقرأ : « أفْرَحَ » (كما في المخطوطة ) .

(٤٠٥) ٧٥٦ : ١٣ اللهم إن استغفاري إياك مع كثرة ذنوبي لَلَوْم . اقرأ : لَلُؤْم .

(٤٠٦) ٧٥٧ : ٣ — ٥ كتب معاوية إلى مروان لما ورد عليه قتل عثمان: إذا قرأت كتابي هذا فكن لا تعطاد إلا بغيلة ولا تبارز إلا عن حيلة وكالثعلب لا تغلب إلا روغاناً اقرأ : إذا قرأت ..... فكن [ كالذئب ] لا يصطاد إلا بغيلة ولا يبادر إلا عن حيلة ، وكالثعلب لا يفلت ..... الخ .

(٤٠٧) ٧٥٧ : ١٦ ورد هذا البيت :

تضمن خَرْقاً للهلال ولم يكن ... بأول خَرق غيبته المقـــادر

وصوابه : تضمن خيرْقاً كالهلال . . . بأول خيرق .

(٤٠٨) ٧٥٧ : ٩ — ١٠ إن الحسن جزر لأهل البصرة من المد والجزر . اقرأ : إن الحسن خير لأهل البصرة . . . الخ .

(٤٠٩) ٧٥٧ : ١٢ وكان يتزوج نساء رهطه . اقرأ : وكان يزوّج .

(٤١٠) ٧٥٧ : ١٤ وإذ علم الوالي . اقرأ : وإذا . . . .

(٤١١) ٧٥٨ : ٢ ولا استهبته حتى سمعته . اقرأ : ولا استهجنته .

(٤١٢) ٧٥٩ : ١٧ قال حنبلي ، نجز كلامهم . أراد . اقرأ : قال حنبلي يحذ [ق] كلامهم : أراد . . .

(٤١٣) ٧٦٠ : ٢ — ٣ وملازمة الافتقار معناه أن لا يفقد من تاب الطلب. اقرأ : وملازمة . . . . . . أن لا يقعد عن باب الطلب .

(٤١٤) ٧٦٠ : ٣ ومتى لم يكن كذا سلبت مواد الخير . اقرأ : سُلِبَ موادّ الخير .

(٤١٥) ٧٦٠ : ٦ بالله أبلغ ما أبقى وأدرُكُهُ . اقرأ « بالله أبلغ ما أبغي وأدرِكُهُ .

(٤١٦) ٧٦٠ : ٧ إذا يئست يكاد اليأس يقلقني . اقرأ: فكاد اليأس يقتلني.

— ٤ —

ذلك مبلغ الجهد في تصويب ما أدى إليه النظر ، وما أسعف عليه الوقت الغاصّ بالمشاغل الكثيرة ، على حسب ما يوحي به سياق النص ويتطلبه المعنى ، وقد اكتفيت بالقطعي والمحتمل القويّ وأضربت عما عدا ذلك ؛ ويبدو في كثير من المواطن التي ذكرتها أن المحقق إنما جانبه التوفيق لقلة الإعجام في مخطوطته ، وبهذا انبهم السياق في تلك المواضع أمام عينيه ، وهو شيء لا يؤاخذ فيه المحققون، ما داموا يتحلّون بالأمانة والدقة اللتين يتحلّى بهما محقق هذه القطعة من كتاب الفنون ، فإن المخطوطات التي يقلّ فيها الإعجام مزلّة قدم للمبتدئ في التحقيق

والمتمرس به ، على تفاوت يسير . وتبدو مشكلة الإعجام على أتمها لدى المحقق ، لا فيما تقدم تبيانه من القراءات وحسب ، بل من عدم قدرته على التمييز في صور الفعل بين المذكر والمؤنث ، ولست هنا إزاء السؤال النحوي العريق متى يؤنث الفعل وجوباً أو جوازاً ، وإنما لدينا نصوص لا يجوز أن يجيء الفعل فيها إلا على صورة واحدة ، ثم لا ينقضي عجبك حين ترى المحقق قد اختار صورة أخرى ، دون مراعاة أيضاً لعامل الزمن — زمن الفعل — حسبما يقتضيه النصّ ، وهذه أمثلة من ذلك :

(١) ٢١ : ١٥ وقد يضمن الخبر . والصواب : وقد تضمَّنَ الخبر .

(٢) ٢٢ : ٩ — ١٠ ويهدد على تركه . والصواب : وتهدَّدَ على تركه .

(٣) ٣٠ : ١٨ لأن الغرامة لا يجب . والصواب: لأن الغرامة لا تجب .

(٤) ٣١ : ١٤ والقدرة على إرادته لا يخرج الفعل . والصواب : لا تخرج الفعل . .

(٥) ١٠٦ : ١ نطق بالاعتراس ونخرج عن طريق الاستلام . والصواب : تنطق . . . وتخرج .

(٦) ١١٤ : ٦ ان الرجل ليقول لا اله الا الله فيدخله[1] النار . والصواب: فتدخله[1].

(٧) ١١٩ : ٦ — ٧ وسئل حنبليّ عن تصرفات الصبيّ فقال يصح . والصواب : تصحّ .

(٨) ١١٩ : ١١ ولا يصح من الولي عنه . والصواب : تصح ( والضمير عائد للصلاة ) .

(١) إعادة الضمير إلى الله أولى من إعادته إلى كلمة الشهادة .

( البيطار : من لجنة المجلة )

(٩) ١٢٤ : ١٥ – ١٦ وأما الكفارات فقـــد يجب في حق البالغ . والصواب : تجب .

(١٠) ١٣٧ : ١٩ ونحن حيوان لا نؤذي أحداً . والصواب : لا يؤذي (كما في الأصل المخطوط) .

(١١) ١٥١ : ١٥ وهكذا كما يقول في غسل قصاص الشعر. والصواب : كما نقول .

(١٢) ١٦٦ : ١٤ حتى يسيء ظننا فيه . والصواب : حتى نسيء .

(١٣) ٢٣٦ : ١٠ – ١١ رأينا المشقـــة تتفاوت . . . ولا يتقدر . والصواب : تتقدر .

(١٤) ٢٤٥ : ٥ الأهلية منوطة بالإضافة ، كما يمتنع لمعنى . والصواب : تمتنع .

(١٥) ٢٥٣ : ٦ ان الريح الخارجة لا ينفك . والصواب : لا تنفك .

(١٦) ٣٠٣ : ١٤ – ١٦ هذه الأطعمة والأشربة ... لا يعطيك مايشتهيك إلا ويكسبك ما يمرضك . والصواب . لا تعطيك ما يشهيك إلا وتكسبك ما يمرضك .

(١٧) ٣١٦ : ١٧ – ٣١٧ : ١ فمن أشكال الرجال ما يكون مخاصمة عنه ومن أشكالهم مايكون وبالاً عليه . والصواب: تكون... تكون (والضمير عائد إلى المخاصمة) .

(١٨) ٣١٩ : ١ قـد تطلب في أوصاف السلم ما لا نطلب في الرؤية . والصواب : قد نطلب .

(١٩) ٣٤٨ : ١٨ ويجب النفقة له . والصواب : وتجب .

(٢٠) ٣٦١ : ١٦ والحاجة لا يكون إلا ومعها رضا . والصواب : لا تكون .

(٢١) ٣٨١ : ٥ لم يجب كفارة اليمين ، والصواب : لم تجب .

(٢٢) ٣٩١ : ١٧ ودار التكليف دار لايصلح . والصواب : لا تصلح .

(٢٣) ٥٠٥ : ٤ أمدّك بالألطاف ليكمل . والصواب لتكمل .

(٢٤) ٥٠٧ : ٧ — ٨ وإن كان العرض للأسماء فالسؤال لماذا يصلح من الصور . والصواب : لماذا تصلح .

(٢٥) ٥٠٩ : ١ — ٢ فكما لم تعدل عن المال إلى غيره لعلة هي أن لا تأمن تجنب المعالج . والصواب فكما لم نعدل ... نأمن ؛ واقرأ . المصالح ( في موضع المعالج لتصح الجملة ) .

(٢٦) ٥٢٢ : ٩ — ١٠ فإذا قلت أنا « نخرج من الإيمان إلى الإسلام » لم أبق على نفسي رتبة نخرج إليها سوى الكفر . والصواب : يخرج ... يخرج ( والضمير يعود إلى المرتدّ ) .

(٢٧) ٥٤١ : ٩ فما الذي من أفعاله تطمع إلا وفي طيهما يفزع . والصواب : يطمعُ .

(٢٨) ٥٤٥ : ١٨ — ١٩ كذلك في التقطع يقطع بذلك ويخفى علينا مقدار البعض . والصواب : نقطع .

(٢٩) ٦٠٧ : ١ — ٢ فيقال لأحمد أنت تخالف الصديق . . . ويتبع زيد . والصواب · وتتبع زيداً ( وهنا خطأ نحوي سنشير إلى أمثاله فيما يلي ) .

(٣٠) ٦١٢ : ١٦ وفي النفس مني منك ما سمّيتها . والصواب : سميتها .

(٣١) ٦٧٢ : ١٤ وإن ينصف شهر الصيام تصدّق . والصواب : تَنَصَّفَ .

(٣٢) ٦٨٣ : ١٤ ولهذا يصحّ في كل زمان بصحته إيقاع غيرها . والصواب : تصحّ ( والضمير يعود إلى النذور والكفارات ) .

— ٥ —

هذه — عدا ما فاتني التنبه إليه — اثنان وثلاثون موضعاً ، كنا في غنى عن استدراكها ، لأنها ليست من العقبات التي ترتد عنها يد المحقق معيية كليلة مقرّة بالعجز ؛ ويليها في المنزلة ظاهرة أخرى مثيرة لحيرة المراجع والدارس والمتفحص، وتلك هي ما تطوّع المحقق بوضع حركات الإعراب فيه ، وهو في غنى عن ذلك، أقول في غنى ، لأن هذا النوع من الجهد قد أخلّ بالأمانة في نقل المخطوطة ، فلم يدعها كما هي ، وإنما جعلها عرضة لأخطاء جديدة ، وإذا لم يأنس المحقق في نفسه قدرة على الضبط الصحيح في مثل هذا الأمر ، أو لم يجد في وقتـه متسعاً لذلك ، فخير له أن يعتمد على نباهة القارىء ، كما قال المحقق في ختام الجدول الذي خصصه للاستدراكات ؛ على أن هذا النوع من الخطأ العمد مما لا يسامح فيه المحققون ( إلا أن يكون ذلك من عمل المطبعة نفسها ) لأنّ الوسيلة إليه قريبة ، والمعاجم كفيلة — بعد إتقان اللغة — بتذليل كثير من الصعوبات .

(١) وأبرز ما يميز كتاب الفنون من هذه الناحية نثر « الشدات » دون حساب ، والقارىء لا يستطيع أن يجزم أذلك حقاً من عمل المحقق أم من شغف المطبعة بزخارف مضللة ( راجع ص ٢٠ في موضعين : حرّم ، حرّمنا ؛ ص : ٢١ يحرّم ، حرّم ؛ ص ٢٤ : توفّي ؛ ص : ٣٥ : توفّي ؛ ص : ٥٤ حرّم ؛ ص ٦٢: كفّوا ؛ ص : ١٧٣ فتّطهّر ، فيطهّر ، يطهّر ؛ص : ٢٠١ ر كّاب؛ ص : ٢١٠ وودّاه ؛ ص : ٢٢٩ يعزّى ؛ ص:٢٥٧عزّي؛ ص : ٢٦٥ : إلاّ ؛ ص٢٧٣:محّانة؛ص: ٢٨٩وشابّ؛ص:٣٠٥وتحيّل؛ ص٣١٤: قلّب ،وقلّب ؛ ص : ٣٢٧ قوّاما ؛ ص : ٣٣٦ يكرّه ؛ فكرّهت ؛ ص : ٣٥٢ : خلّوا ؛ ص ٣٧٩ : الموحّي ، موحّية ؛ ص: ٣٨١حلّف ،حنّث ؛ ص: ٤٠٤ العقّار ؛ ص : ٤٢٤ يقّوت ؛ ص : ٤٨١ كرّه ، كرّهوه ؛ ص : ٤٨٢ معيّنا ؛ ص : ٤٨٤ : وأشّره ؛ ص : ٥٩٠ ، ٥١٢ ( في موضعين ) : الأضحيّة ؛ ص : ٥١١

يقبّح ؛ ص : ٥٧٠ لأُبيّ ، ص : ٧٣٨ تقلّب . . . . إلى مواضع أخرى كثيرة من هذا القبيل ، فإن حذف « الشدة » يردّ جميع هذه الألفاظ وأمثالها إلى الصواب .

(٢) ١٨ : ١٢ ترى أن مدعياً لو ادُّعي عليه . اقرأ : ادَّعى .

(٣) ٣٩ : ٩ خَفَتْهم . اقرأ : خِفتُهم .

(٤) ٤٥ : ١٣ يذكرني الزبيرُ صهيلَ . اقرأ: يذكرني الزبيرَ صهيلُ .

(٥) ٤٥ : ١٧ فَنَزَعوا . اقرأ : فَنَزِعوا .

(٦) ٤٦ : ١ تَمَرٌ . اقرأ : ثَمَرٌ .

(٧) ٤٨ : ١٤ اكسِ . اقرأ : اكسُ .

(٨) ٤٩ : ٩ الرُّحم . اقرأ : الرَّحم .

(٩) ٥١ : ١٤ غَلَطوا . اقرأ : غَلِطوا .

(١٠) ٦١ : ٨ هَيْنَةُ الخُطْبِ . اقرأ : هيِّنةُ الخَطْبِ .

(١١) ٦٣ : ١٦ بعانةَ والحديثةَ . اقرأ : والحديثةِ .

(١٢) ٧٥ : ١٢ تخيُّل . اقرأ : تخيَّل .

(١٣) ٧٦ : ٨ رُقق . اقرأ : رِقّق .

(١٤) ٧٦ : ١٤ فانظر فداؤك نفسي قبلُ قاصمةٌ . اقرأ : قبلَ قاصمةِ .

(١٥) ١٠٥ : ٩ حتى أوقفتَ . اقرأ : حتى أوقفتِ .

(١٦) ١١٢ : ٨ يعطّى يداً . اقرأ : يعطي يداً .

(١٧) ١٣٣ : ١١ زاكيّةَ . اقرأ : زاكيةَ .

(١٨) ١٣٧ : ١٣ لقد جَمُّعْتَ . اقرأ : لقد جُمِّعَتْ .

(١٩) ١٤٠ : ٥ فتى خُلق . اقرأ : فتى خَلق .

(٢٠) ١٥٣ : ١٥ فألقِهِ . اقرأ : فألقِهْ ( آية قرآنية ) .

(٢١) ٢٢٢ : ٢ أن اقرأ : إن ( آية قرآنية ) .

(٢٢) ٢٦٤ : ٧ الشُرَب . اقرأ : الشُرْب .

(٢٣) ٢٧٤ : ١٤ عَلَّم . اقرأ : عِلْم .

(٢٤) ٢٨٠ : ٦ بضبعيْ . اقرأ : بِضَبْعي .

(٢٥) ٢٨٨ : ١٠ وُيدان . اقرأ : ويَدان .

(٢٦) ٢٨٩ : ٤ حُجَر . اقرأ : حَجْر .

(٢٧) ٢٩١ : ١٤ مُحِلّها . اقرأ : مَحَلّها ( آية قرآنية ) .

(٢٨) ٣٠٦ : ١٦ تَنْقَضْ . اقرأ : يَنْقَضُ .

(٢٩) ٣١٣ : ٩ يا ابن أمُ اقرأ : أمّ ( آية قرآنية ) .

(٣٠) ٣١٧ : ٤ الجَلَد . اقرأ : الجَلْد .

(٣١) ٣٢٠ : ٨ وعِلمه . اقرأ : وَعليمَهُ .

(٣٢) ٣٥٩ : ٧ يُجيدّ . اقرأ : يُجَدْ .

(٣٣) ٣٧٨ : ١٠ والمُجْنَى عليه . اقرأ : والمجنيّ عليه .

(٣٤) ٣٨٦ : ٥ رمياً . اقرأ : رَمَيا .

(٣٥) ٤٠٧ : ٩ القَصَاص . اقرأ القِصاص .

(٣٦) ٤٠٩ : ١ حَقن . اقرأ : حُقن .

(٣٧) ٤٧٤ : ٥ فأُوجب . اقرأ : فأوْجب .

(٣٨) ٥١٨ : ١٥ وفاكهةٌ . اقرأ : وفاكهةَ ( آية قرآنية ) .

(٣٩) ٥٧٢ : ٧ وَجْعُ . اقرأ : وَجَعُ .

(٤٠) ٥٧٢ : ٨ العينُ . اقرأ : العينَ .

(٤١) ٥٩٦ : ٦ فابدِ . اقرأ : فابدأ ( فابدَ ) .

(٤٢) ٥٩٦ : ١٦ بناتَهم . اقرأ : بناتِهم .

(٤٣) ٦١٤ : ١٢ بالفَناء . اقرأ : بالفِناء .

(٤٤) ٦١٤ : ١٥ وتَفيق . اقرأ : وتُفيق .

(٤٥) ٦٥٢ : ١٦ وآثارُهم . اقرأ وآثارَهم (آية قرآنية) .

(٤٦) ٦٩٠ : ٥ المبرَّح . اقرأ : المبرِّح .

(٤٧) ٦٩٧ : ١٣ فِرْقتهم . اقرأ : فُرْقتهم .

(٤٨) ٦٩٧ : ١٣ يفرّق . اقرأ : يفرُق .

(٤٩) ٢٩٧ : ١٣ صرفَهُ . اقرأ : صرفُهُ .

٧٠٢ : ١٠ يعطُوا . اقرأ : يعطَوا (آية قرآنية) .

(٥٠) ٧٢٤ : ١٥ الغَيْب . اقرأ : الغُيَّب .

(٥١) ٧٣٦ : ١٠ ويستبدلُ . اقرأ : ويستبدلْ (آية قرآنية) .

(٥٢) ٧٥٣ : ٦ تُبَرقع . اقرأ : تَبَرْقع .

(٥٣) ٧٥٧ : ١١ جَرَت . اقرأ : جَرْت .

(٥٤) ٧٥٧ : ١٥ أمسي . اقرأ : أمسَى .

(٥٥) ٧٥٩ : ١٤ غيْر . اقرأ : غيَر .

– ٦ –

بعد تبيان هذا كله يجيء أمر على جانب كبير من الأهمية أرجأت الحديث عنه ، ولم أسمح لنفسي بأن أتولاه بالتصويب ، وذلك هو الأخطاء النحوية التي وقعت في الأصل المخطوط ، وأبقاها المحقق على حالها . والعارفون بالتحقيق يرون أن الإبقاء على هذه الأخطاء في بعض الحالات أمر ضروري ، وبخاصة إذا كان لدينا أصل المؤلف نفسه ، أو كانت الأخطاء النحوية تمثل المرحلة الزمنية التي ينتمي إليها المؤلف . ولكن هل هذان الأمران ينطبقان على ابن عقيل ؟ إن المخطوطة التي لدينا ليست بخط المؤلف ولا مما قرئ عليه ، وربما لم تكن لأحد تلامذته ، وعلى هذا فإن قبول الخطأ النحويّ فيها من هذه الناحية لا يعد التزاماً بشيء سوى احترام الناسخ نفسه ، وهو ممن لا يؤمن منه الخطأ . ثم إننا نعالج

مخطوطة لمؤلف رفيع الأسلوب حين يرسل نفسه على سجيتها ويسجل خواطره الذاتية ؛ صحيح ان ابن عقيل ــ كغيره من الفقهاء ــ يتسامح في استعمال الألفاظ التي درجت عند الفقهاء دون أن يتساءل عن مدى التزامها بالدقة اللغوية ، ولكن هل هذا يعني أنه يتسامح في الأخطاء النحوية ؟ أستبعد ذلك ، كما أستبعد التاريخ الذي تحمله المخطوطة ، فقد كتب في ختامها ما يفيد أنها نسخت سنة ٥٣٤ أي بعد واحد وعشرين سنة من وفاة ابن عقيل ، وهي فترة تسمح لنا أن نفترض بأنّ تلامذته أنفسهم لم يكونوا بعيدي العهد بكتاب أستاذهم ؛ إنّ المخطوطة ليست على حالة بالغة من السوء ، ومع ذلك فإني أعتقد أن التاريخ المذكور هو تاريخ المخطوطة الأصلية التي نقلت عنها النسخة الباريسية . وإذا صحّ ذلك فإن قبول الأخطاء النحوية وإلصاقها بمؤلف على تلك الدرجة الرفيعة من القدرة الأسلوبية أمر لا يمكن قبوله بسهولة . هل صحيح أن ابن عقيل هو الذي يقول : (٦٥ : ١٥) أضيفت إليها المكرمتين ؛ أو يقول : ( ٦٨ : ٣ ــ ٤ ) وهم بهذه المقالة مضاهين للنصارى ومربين ... ؛ أو يقول : (٧٢ : ٨) « إن من الكف لأمان » ؟ وترد عنده « جبراً » موضع « جبر » (١٢٤ : ١٢) ؛ و « ان كان هذا تغليظ » (٢٢٢ : ٦) ؛ « إن السببين متساويين » (٢٣١ : ٣) ؛ ويضع « مخرج » موضع « مخرجاً » (٢٩٢: ١٤) ، و « معيناً » موضع « معين » (٣١٧ : ٤) ، و « لأن لها محالاً » ( ٣٧٩ : ١ ) ، و « لما لم يوضع هذين » (٣٧٩ : ٦) ؛ و « المتهيئين » بدل « والمتهيئون » (٣٩٣ : ١١) ، و « خط » بدل « خطأ » (٤٥٦ : ١٣) ، و « مؤمن » بدل « مؤمناً » ( ٥٢٣ : ٣ ) ، و « خالف أبي بكر » ( ؟ : ) (٦٠٦ : ١٢) ، و « من حفارين المقابر » (٦٧٣ : ١٤) ، و « أحداً » بدل « أحدٌ » (٧٥٦ : ١١) ؛ وغير ذلك مما يخرج على أبسط أصول القواعد النحوية ؟ أنا أستبعد ذلك ، وأرى أنه ليس من الإنصاف لابن عقيل هذا « التعبد » الكثير للأصل المخطوط بحيث ينال الناسخ ثقة يحرم منها المؤلف نفسه .

- ٧ -

ولعل القارىء قد لحظ فيما تقدم في الفقرة (٣) من هذا النقد أن المحقق أدرج أحياناً أبيات الشعر في نطاق الكلام المنثور ، وبخاصة حين لم يكن المؤلف يشير إلى أنه يورد بيتاً من الشعر ؛ ومن هذا القبيل أيضاً أن المحقق قد فاته تمييز بعض الآيات القرآنية ، إذ من عادته أن يدل على الآية القرآنية بوضعها بين حاصرتين متميزتين .

١ - فقد وردت ص ٢١٨ : ٦-٧ : « لا تحزن إن الله معنا » . وهي آية قرآنية وإن جاءت في العبارة وكأنها من كلام الرسول (وكذلك وضعها المحقق في فهرست الأحاديث) .

٢ - والآية على الصفحة : ٢٥٢ : ١٢ لا تنتهي حيث وضعت الحاصرة ، وإنما نهايتها لفظة : « قواما » في السطر التالي .

٣ - وجاء على الصفحة ٣٢٠ : ١٠ : ( فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ) ( وهما الآيتان ٣، ٤ من سورة الملك ) .

٤ وعلى الصفحة ٥٩٧ : ٣ تبدأ الآية بلفظة إنّ ، وقد وقعت « إن » خارج الحاصرة ، ونص الآية : ( إن الله لا يهدي كيد الخائنين ) . وقد طبعت اللفظة الأخيرة خطأ « الخانبين » فلتصحح .

٥ - وعلى الصفحة ٦١٨ : ١٧ : ألا يعلم من خلق ( وهي الآية : ١٤ من سورة الملك) .

٦ - وجاء في السطر الثالث من الصفحة ٧٣٩ آيتان ، الأولى : ( وامتازوا اليوم أيها المجرمون ) ( يس : ٥٩ ) . والثانية : فضرب بينهم بسور له باب ) ( الحديد : ١٣ ) .

— ٨ —

بقي أن أشير إلى بعض الأخطاء الطباعية ، وهي أهون ما هنالك، وما كنت لأشير إليها لولا أنها قد تلتبس لدى القراء بأنواع أخرى من الخطأ ، فيظنون أن للمحقق وجهة نظر خاصة في إثباتها على ذلك الوجه :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٩٣ : ٥ | الاستعباد | : | الاستبعاد . |
| ٣١٧ : ٥ | يعمله | : | يعلمه . |
| ٣٤٠ : ١٦ | الوحاقة | : | الوقاحة . |
| ٤٧٨ : ٢ | الفكّار | : | الكفّار . |
| ٤٩٠ : ١٠ | المقعودة | : | المعقودة . |
| ٥٠٢ : ١٤ | بالفعشة | : | بالشفعة . |
| ٥١٠ : ٣ | والمعتز | : | والمعترّ ( آية قرآنية ) . |
| ٥٤٩ : ١٩ | والجحامة | : | والحجامة . |
| ٧٥٧ : ٥ | فسلّطته | : | فسلّطه . |

— ٩ —

وربما كان من أعسر الأمور في هذه المراجعة أن أتعقب الأخطاء التي نجمت عن سوء الترقيم فأحالت المعنى عن وجهه الصحيح ، وقد مر من هذا النوع أمثلة في ما تقدم ، وإليك مثالاً واحداً آخر : وردت على الصفحة ١٣١ : ١١ — ١٢ هذه الجملة : «وجن به ( أي بالعشق ) بجنون بني عامر ، ولم يشاهد . وما سمعنا برجل تاه في القفار ، وبالغ في الأشعار ، لأجل شمّة لرائحة هريس ... الخ » . إن وضع النقطة بعد لفظة « يشاهد » يعني انتهاء المعنى . واستئناف جملة جديدة، مع أنها يجب أن توضع بعد لفظة « عامر » ثم تجيء جملة أخرى ، وتصبح العبارة على النحو التالي : « وجن به بجنون بني عامر » ولم نشاهد وما ( الأفضل : ولا )

سمعنا برجل تاه في القفار وبالغ في الأشجار لأجل شمه لرائحة هريس » . ومن هذا يتضح أن الترقيم وخطأ الإعجام للفعل « نشاهد » قد غير حقيقة المعنى المقصود ، وهذا باب يطول الأخذ فيه ، وليس في طوقي ولا في فسحة الزمن ما يسمح به .

وقد يقول قائل : بعد كل هذه الأخطاء الجديدة التي وردت في هـذه الطبعة ( ذات الظـاهر الأنيق والإخراج البديـع ) كيف سمحت لنفسك أن تقول : إن هذه الطبعة ليست إلا صورة أمينة من مخطوطة مضطربة ؟ أين الأمانة وهذه الأخطاء نفسها لم تكن في النسخة الأصلية ؟ أليس ماعددته منهـا يقف مناقضاً لمـا قلته في وصف هذه الطبعة ؟ والجواب على هذا التساؤل أن لا تناقض هنالك ، فالطبعة التي بين أيدينا صورة للمخطوطة في اضطراب أوراقها ، وقد حاول المحقق أن يقرأها قراءة صحيحة ، فوفق في بعض ما سعى إليه وخانه التوفيق في مواطن مثل التي أشرت إليها ، ولكنه لم يجر في المتن تغييراً إلا وأشار إليه في الحواشي . وربما لم أعدّه مسؤولا عن جـانب غير قليل من الخطأ وهو بعيد الدار عن مكان طبع الكتاب ، ومن العسير أن تحدد المسؤولية كاملة في مثل هذه الأمور ، وقد وقد قلت من قبل: إن مادة الكتاب ليست سهلة ، لأن الأسلوب الفقهي الجـدلي فيها شديد الإيجاز ، سريع قائم على اللمح ، ولغة الجدل الفقهي عالَمٌ مستقل لمـا تتميز به من مصطلحات وتعبيرات خاصة ، وجميـع هذه الصعوبات تجعل من تحقيق أمثال هذا الكتاب شجاعة قد تتجاوز حدودها في بعض الأحيان .

إحسان عبّاس

# الأصمعيات

الدكتور فخر الدين قباوة

## - ١ -

نشأ الأصمعي في مدينة البصرة ، وبرع في اللغة والغريب والأخبار ،ورواية الأرجاز والأشعار ، وتذوق الأدب ونقده . وقد بلغت الرشيد شهرة الأصمعي ونباهة ذكره ، فاستقدمه إلى بغداد ، لينال الحظوة في مجلس الخلافة . وحوالي عام ١٧٥ وكل اليه الرشيد تأديب ابنه الأمين (١) . وكأن الخليفة الرشيد كان معجباً بصنيع المفضل في اختياراته ، فرغب الى الأصمعي ، في تلك السنوات التي قضاها في بغداد ، أن يجمع له من عيون الشعر العربي ما يكون كتاباً يخلد له ذكراً .

ولقد كانت نفس الأصمعي ، بلا شك ، تنازعه إلى مثل هـذا الصنيع ، معارضةً للمفضل الراوية الكوفي ، ومنافسة لأقرانه وأسلافه ولذلك لقيت رغبة الرشيد قبولاً حسناً لدى الأصمعي ، كان نتاجه الاختيارات المنسوبة إليـه التي عرّفها البغدادي بقوله: (٢) « هي قصائد اختارها لهـارون الرشيد ، فاشتهرت بالأصمعيات » .

ومع أن اختيارات الأصمعي ولدت ونشأت مستقلة ، متميزة الكيان ، كما رأينا ، فقد حلا لبعض الباحثين ـ تأثراً بما ذكره القالي والمرزوقي (٣) عن صنيع

---

(١) مجموع أشعار العرب ١ : ٥ من المقدمة .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٣٥ .

(٣) انظر ذيل الأمالي ص ١٣٠ وشرح المفضليات للمرزوقي ورقة ٥

الأصمعي بالمفضليات ـ أن يسودوا صفاء تاريخها ، وينتزعوا عنها الأصالة والتميز ، ليجعلوها ربيبة في أحضان اختيارات المفضل ، ويفرضوا عليها النشأة الطفيلية ، التي تهدر قيمتها ، وتشوه نقاء أصلها ، وتهجن عراقة نسبها .

هذا ما نجده لدى محقق « نخبة من كتاب الاختيارين » الذي يرجح أن الأصمعيات نشأت حين كان الأصمعي يقرىء تلاميذه المفضليات ، ويلحق بها زياداته . فكانت هذه الزيادات المقحمة بذوراً للأصمعيات ، التي لم تفصل في كتاب مفرد إلا بعد الأصمعي ، وبعد أن تركت أجود قصائدها في المفضليات . ولذلك كان تاريخ جمعها وروايتها ـ كما يقول ـ مجهولاً ، لا يعرف عنه شيء (١). وهذا ، كما ترى ، مخالف لما نص عليه البغدادي في الخزانة .

لقد صنع الأصمعي اختياراته في كتاب مفرد ، وأقرأها تلاميذه متميزة من المفضليات . يؤيد هذا ما ذكره ابن خير الاشبيلي . فقد روى ابن خير هذا « كتاب الاختيارين » (٢) مسنداً كما يلي : (٣) « اختيارات المفضل والأصمعي ، حدثني بها شيخنا أبوعبدالله جعفر بن محمد بن مكي ، رحمه الله ، عن الشيخ أبي علي الغساني ، قال : حدثني بها القاضي أبوعمر أحمد بن محمد بن يحيى بن الحذاء . وحدثني بها أيضاً الشيخان : أبومحمد بن عتاب ، وأبوالحسن يونس بن محمد بن مغيث ، رحمهما الله ، قالا : حدثنا القاضي أبو عمر أحمد بن محمد بن الحذاء ، المذكور ، بها عن أبي القاسم عبدالرحمن بن أبي يزيد ، عن أبي العباس أحمد بن إسحاق بن عتبة الرازي ، عن علي بن سليمان الأخفش جامعها ومفسرها ، رحمه الله » . وميز إسناداً آخر للمفضليات ، فقال (٤) : « الأشعار المفضليات ، حدثني بها الشيخ أبوعبدالله جعفر

---

(١) نخبة من كتاب الاختيارين ص ١٨ - ١٩ و ٣٤ من المقدمة . وانظر المفضليات ص ١٤ - ٢٢ .

(٢) وقد حققنا هذا الكتاب ولما ينشر .

(٣) فهرسة ابن خير ص ٣٩٠ .

(٤) » » » ٣٩٠ .

ابن محمدبن مكي ، رحمه الله ،عن الوزير أبي مروان عبدالملك بن سراج، عن الوزير أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن الإفليلي ، عن أبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد ، عن أبي علي البغداذي ، عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش مفسرها رحمه الله » .

ثم أتبع ذلك كله بإسناد ثالث لرواية الأصمعيات ، ينتهي بالأصمعي ، فقال : (١) « وحدثني بالأصمعيات خاصة أبو الحسين عبدالملك بن محمد بن هشام ، رحمه الله ، عن الأستاذ أبي عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي ، عن الفقيه أبي سعيد الوراق، عن أبي ذر عبد بن أحمد الهروي ، عن أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان ، عن أبي محمد السكري ، عن أبي يعلى المنقري ، عن الأصمعي » .

فالأصمعيات إذاً كتاب مستقل ، يرويه التلاميذ عن الشيوخ . هكذا ولد، وهكذا عاش على مر القرون ، وإن كانت بعض قصائده قد يحويها كتاب المفضليات . ولعل هذه الظاهرة — أعني اشتراك الكتابين في بعض القصائد — هي التي شجعت علي بن سليمان الأخفش على جمع الاختيارين في مصنف واحد وشرحهما، دون أن يضيع معالم كل منها . ولذلك رأينا في أسانيد ابن خير هذه وغيرها (٢) ما يميز كلا من الكتابين من الآخر في صنيع الأخفش أو روايته وإسناده .

بيد أننا إذا تتبعنا تاريخ كتاب الأصمعيات بعد ابن خير وجدنا أنفسنا في غموض لاتنيره صوى ولا معالم . فنحن لانسمع لرواية الأصمعيات ونسخها بذكر ، حتى ندرك القرن التاسع ، إذ يعرض السيوطي لشرح الشاهد .

أَنَوْراً ، سَرْعَ ماذا ، يا فَرُوقُ وحَبْلُ الوَصل مُنْتَكِثٌ ، حذيقُ

فيقول عن قصيدته (٣) : « ثم وقفت على القصيدة بتمامها في القصائد الأصمعيات » .

(١) فهرسة ابن خير ص ٣٩١.

(٢) انظر أسانيد أخرى في فهرسة ابن خير ص ٣٩٠ - ٣٩١ .

(٣) شرح شواهد المغني ص ٢٤٣ .

وعندما يؤلف البغدادي كتاب الخزانة ، ويسرد في مقدمته مصادره ، يغفل ذكر الأصمعيات ، مع أنه يحيل عليها في كتابه مرتين. (١) فكأنه لم يكن لديه نسخة منها يعتمدها فيا يعرض له . ولعل مما يرجح هذا القول أن البغدادي حينما تصدى لشرح الشاهد المتقدم الذكر ، قال في معرض شرحه(٢) : «وقال السيوطي: ثم وقفت على القصيدة بتمامها في القصائد الأصمعيات » ، دون أن يعقب على ذلك بما يفيد رجوعه بنفسه إلى نسخة من الأصمعيات ، ليؤكد قول السيوطي أو يدفعه . فلو كان عند البغدادي نسخة منها لما احتاج إلى شهادة السيوطي ، أو لما اكتفى – على أقل تقدير – بما أورده له ، وإنما عزه بشيء من جهوده وتحقيقه .

وهذا العوز الذي عاناه البغدادي نعانيه نحن اليوم ، فما عُرف من الكتب العربية حتى الآن ليس فيه نسخة تامة من الأصمعيات. وما نشر باسم الأصمعيات هو بضع وخمسون قصيدة ، تضم ٧٧٥ بيتاً . فهل هذه هي جميع ما اختاره الأصمعي ؟

لقد ألقى هذا السؤال كثير من الباحثين ، وكان جوابهم النفي بالاجماع . وقد استعان بعضهم على هذا النفي بما ذكره ابن النديم في قوله : (٣) « وعمل الأصمعي قطعة كبيرة من أشعار العرب ، ليست بالمرضية عند العلماء ، لقلة غريبها ، واختصار روايتها » . فقالوا : إن بضع مئات من الأبيات لا يمكن أن تكون قطعة كبيرة من أشعار العرب ، فلا بد أن تكون الأصمعيات أكثر من ذلك (٤) .

وإذا كنا نحن نوافقهم في هذه النتيجة التي وصلوا إليها ، فاننا لا نوافقهم في المقدمة التي استعانوا بها . وإلا فمن يثبت لنا أن القطعة الكبيرة من أشعار العرب

(١) الخزانة ٤ : ٢٣٥ و ٥٠٢ - ٥٠٤ .
(٢) شرح شواهد المغني للبغدادي ٢ : ٢٧٥ - ٢٧٦ .
(٣) الفهرست ص ٥٦ وانباه الرواة ٢ : ٢٠٣ .
(٤) نخبة من كتاب الاختيارين ص ١٢ من المقدمة .

قد عنى ابن النديم بها الأصمعيات وحدها ؟ ولم لا يكون قد أراد بها أيضاً الدواوين التي صنعها الأصمعي ؟

إن ابن النديم يستخدم (١) أحياناً كلمة « القطعة » من الأشعار ، وهو يقصد بها دواوين الشعر . ومن ذلك أنه قال عن السكري : إنه عمل (٢) « قطعة من القبائل » . ثم إذا نحن قارنا الأصمعيات بالدواوين التي صنعها الأصمعي ، تبين لنا أن تلك الدواوين هي قطعة كبيرة حقاً على حين أن الأصمعيات وحدها ، مهما كان قدرها ، لا تحتمل أن توصف بأنها « قطعة كبيرة من أشعار العرب ».

لقد صنع الأصمعي دواوين شعراء كثر ، منهم : النابغة الذبياني ، والحطيئة ، والنابغة الجعدي ، ولبيد ، وتميم بن أبي ، ودريد بن الصمة ، والأعشى الكبير ، ومهلهل ، ومتمم بن نويرة ، وأعشى باهلة ، وبشر بن أبي خازم ، والمتلمس ، وحميد بن ثور ، وسحيم بن وثيل ، وعروة بن الورد ، وحميد الأرقط ، وعمرو بن شأس ، والنمر بن تولب ، وأبو الأسود الدؤلي ، ومضرس ابن ربعي ، وأبو حية النميري ، والكميت ، ورؤبة ، والعجاج ، وجرير . كما صنع الأراجيز (٣) ، وأشعار هذيل (٤) . وهذه حقاً « قطعة كبيرة من أشعار العرب » . فكأن ابن النديم استغنى بهذه العبارة في ترجمة الأصمعي عن تكرار تعداد تلك الدواوين .

ونحن إذا كنا قد أعرضنا عن اعتماد ما اعتمده أولئك ، في إثبات نقص الأصمعيات ، فإن لدينا ، من الأدلة على إثبات ذلك النقص ، ما لا يحتاج إلى

(١) مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٨٠ - ٥٨٢ .

(٢) الفهرست ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٣) الفهرست ص ٥٥ و ١٥٧ - ١٥٨ .

(٤) فهرسة ابن خير ص ٣٨٩ .

جدال أو احتراس . وهو أن في المصادر العربية نصوصاً كثيرة صريحة ، تذكر أصمعيات لا يضمها الكتاب المعروف بالأصمعيات .

١ ــ قال ابن قتيبة (١) : « وقـــد يحفظ [ الشعر ] ، ويختار ، على خفة الروي ، كقول الشاعر :

يا تَمْلِكُ ، يا تَمْلِ صِلِيني ، وذَرِي عَذْلِي
ذَرِيني ، وسلاحي ، ثـــمَّ شُدّي الكفَّ بالغَزْلِ
ونَبْلِي ، وفُقاهـــا كَـــعَراقيب قطاً ، طُحْلِ
ومِنّي نَظْرةٌ بَعْدي ومِنّي نَظْرةٌ قَبْلي
وثوباي جَديدانِ وأرْخي شِرَاكَ النَّعْلِ
وإمّا مُتُّ ، يا تَمْلِ ، فكوني حُرَّةً ، مِثْلي

وهذا الشعر مما اختاره الأصمعي » .

٢ ــ وقال المبرد(٢) « فأما ما وضعه الأصمعي في كتاب الاختيار فعلى غلطٍ وضْعٍ ــ وذكر الأصمعي أن الشعر لإسحاق بن سويد الفقيه ، وهو لأعرابي ، لا يعرف المقالات التي يميل إليها أهل الأهواء ــ أنشد الأصمعي :

برئتُ من الخوارج، لستُ منهم مِنَ الغزّالُ ، منهم ، وابنُ باب
ومن قوم ، إذا ذكروا علياً يردون السلام على السحاب
ولكني أحبُّ بكـــل قلبي ــ وأعلم أن ذاك من الصواب ــ
رسولَ الله ، والصديقَ ، حباً به أرجو غداً حسنَ الثواب » .

٣ ــ وقال أبو عبد الله اليزيدي عن عمه الفضل(٣) : « أنشدنا ابن حبيب للشمردل بن شريك ، يرثي أخاه وائلاً ــ مختارة من الأصمعيات ــ :

«١» الشعر والشعراء ص ٣١ ــ ٣٢ .
«٢» الكامل ص ٩٢١ .
«٣» أمالي اليزيدي ص ٣١ـ ٣٤ . والقصيدة في ٤٣ بيتاً .

لعَمْري ، لئن غالتْ أخي دار فرقة وآبَ إلينــا سيفُهُ ، وحمائلُهْ
وحلت به أثقالها الأرضُ ، وانتهى بمثواه منها ، وهو عَفٌ مآكلُهْ
لقد ضُمِّنَتْ جلدَ القوى، كان يتقّى به جانب الثغر المخوف زلازلُهْ » .

٤ — وقال اليزي أيضاً(١) : « وقال الحادرة — وهي أصمعية — :
أظاعنة ، ولا تودّعُنــا ، هندُ لتحزُنَنا ، عزّةُ التصدفُ والكندُ » .

٥ — وقال ابن منظور(٢) : « يقـال للأحمق : هو يَمْرُثُ الودَعَ ، يُشبَّهُ بالصبيّ . قال الشاعر :
والحِلمُ حِلمُ صبيٍّ ، يَمْرُثُ الودعهْ
قال ابن بري : أنشد الأصمعي هذا البيت في الأصمعيات لرجـل من تميم ، بكماله(٣) :
السنُّ من جَلْفَزيزٍ ، عَوزَمٍ ، خَلَقٍ والعقلُ عقل صبيٍ ، يَمْرُثُ الودعهْ » .

٦ — وقال السيوطي(٤) في قصيدة الشاهد :
أنوراً ، سَرْعَ ماذا ، يافَرُوقُ وحبل الوصل منتكثٌ ، حذيقُ
: « ثم وقفت على القصيدة بتمامها في القصائد الأصمعيات ، وعزاهــا لأبي شقيق الباهلي ، واسمه جزء بن رباح ، قالها في يوم أرمام . وهي نيف وعشرون بيتاً ، وهذا مطلعها ، وبعده :

---

«١» شرح ديوان الحادرة ص ١١ — ١٣ . والقصيدة في ١٥ بيتاً .
«٢» اللسان « ودع » .
«٣» وهو في الجمهرة ٢ : ٢٨٥ منسوب إلى أبي دؤاد الرؤاسي .
ولأبي دؤاد أبيات ثلاثة في اللسان « علط » من هذا الروي وهذا العروض .
«٤» شرح شواهد المغني ص ٢٤٣ . وانظر شرح شواهد المغني للبغدادي ٢ : ٣٧٥ — ٣٧٦ .

ألا زعمتْ علاقة أن سيفي يفلّلُ غربهُ الرأسُ الحليقُ
ولو شهدَتْ غداةَ الكوم قالت : هو العَضْبُ ، المهذْرَمةُ، العتيق ».

٧ — وقال عبد القادر البغدادي[١] : « الشاهد الحادي والعشرون بعد الثلاثمائة :

وقلن : على الفردوس أولُ مشربٍ أجل، جَيَرِ ، إن كانت أبيحتْ دعاثِرُهْ

والبيت أورده أبو محمد بن أحمد بن الخشاب مع بيت قبله ، وهو :

تحمّلَ من ذات التنانير أهلهـا وقلّصَ عن نهي الدفينـة حاضرهْ

وهما من قصيدة لمضرس الأسدي ، أوردها الأصمعي في الأصمعيات . وهي قصائد اختارها لهارون الرشيد ، فاشتهرت بالأصمعيات . ولم أره كذا في شعر مضرس، على ما رواه الأصمعي ، وإنما الرواية كذا :

وقلنَ : ألا الفردوسُ أولُ محضرٍ من الحي ، إن كانت أبيرتْ دَعاثِرُهْ

وهذا ليس فيه : أجل جير ، والذي فيه الشاهد إنما هو شعر طفيل الغنوي » .

٨ — وقال البغدادي أيضاً[٢] : « الشاهد الثاني والعشرون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س[٣] :

قد أترُكُ القِرنَ مصفراً أناملُهُ كأن أثوابَهُ مجّتْ بفرصـادِ

والبيت من قصيدة لعبيد بن الأبرص الأسدي ، أوردها الأصمعي في الأصمعيات . وهذا مطلعها :

طاف الخيال علينـا ليلة الوادي من آل أسماء ، لم يُلْمِمْ بميعادِ » .

فهذه الأشعار الثمانية يذكر العلماء أنها من اختيارات الأصمعي ، ولكننا لا نراها في القصائد الأصمعيات المطبوعة .

«١» الخزانة ٤ : ٢٣٥ .
«٢» ٤ : ٥٠٢ — ٥٠٤ .
«٣» أي : من شواهد سيبويه .

وهذه نسخة مخطوطة قديمة (١) ، عنوانها « ما اختير من الأصمعيات » ، وعليها إسناد ينتهي بالأصمعي ، وهي مخرومة من وسطها ، وفيها ما يلي :

قصيدة الأسود بن يعفر :

نامَ الخَلِيُّ ، وما أحسُّ رُقادي والهمُّ مُحتضِرٌ لديَّ ، وِسادي

ثم قصيدة الأسعر الجعفي :

قد بانَ قلبُكَ من سُلَيمَى ، فاشتفَى ولقدتَهُمُّ بذكرها بعدالكرى

ثم قصيدة جبيهاء الأشجعي :

أمَولَى بني تيمٍ ، ألستَ مُؤدِّياً مَنيحتَنا ، فيما تؤدَّى المنائحُ

ثم قصيدتا ذي الإصبع :

إنكما ، صاحبيَّ ، لن تدعا لومي ، ومهما أُضِعْ فلن تسعا

و :

ليَ ابن عمٍّ ، على ما كان من خلُقٍ ، مختلفان ، فأقليه ، ويَقليني

ثم قصيدة عبد يغوث بن وقاص :

ألا ، لاتلوماني ، كفى اللومَ مابيا وما لكما في اللوم خيرٌ ، ولا ليا

وهي مخرومة كلها . ثم بعض أبيات من قصيدة لقيط بن يعمر :

يادار عبلة من مُحتلّها الجَرَعا هاجت لي الهمَّ ، والأحزان ، والوجعا

ثم قصيدة عباس بن مرداس :

لأسماءَ رسم ، أصبح اليوم دارسا وأقفرَ ، إلا رحرَحانَ ، فَراكِسا

ثم قصيدة عمرو بن معد يكرب :

لمن طلل بالعَمّق ، أصبح دارسا تبدَّل آراماً ، وعيناً ، كَوانسا

وقد جاء من هذه القصائد التسع اثنتان في مطبوعة الأصمعيات هما قصيدة الأسعر ، وقصيدة عباس بن مرداس . أما السبع الباقية فمنها خمس جاءت في

(١) وهي محفوظة في مكتبة الامبروزيانا ، بمدينة ميلانو ، بإيطالية .

المفضليات ، وهي قصائد : الأسود بن يعفر ، وجبيهاء الأشجعي . وذي الإصبع ، وعبد يغوث . ولكنها لم ترد هي والقصيدتان الأخريان – قصيدتا لقيط وعمرو – فيما نشر من الأصمعيات .

فهذه قصائد سبع في تلك النسخة المخطوطة ، ولعل فيها قصائد أخرى ذهب بها الخرم الذي أشرنا إليه . وهي كلها في كتاب ليس هو الأصمعيات ، بل « ما اختير من الأصمعيات » !

أضف إلى هذا كله أن المصادر العربية المتداولة تنقل إلينا أن ثمة قصائد هي من اختيار المفضل واختيار الأصمعي معاً :

١ – ففي ديوان الحادرة عن أبي عبد الله اليزيدي (١) : « قال عبد الرحمن : قال أبو سعيد (٢) عمّي : سمعت شيخاً من بني كنانة ، من أهل المدينة ، قال : كان حسّان بن ثابت إذا تنوشد الشعر قال : هل أنشدت كلمة الحويدرة . قال أبو سعيد : يعني هذه – وهي اختيار المفضل والأصمعي (٣) – :

بكرت سميّةُ غُدوةً فتمتّعِ وغدت غُدُوَّ مُفارِقٍ لم يَرجع » .

والقصيدة هذه هي المفضلية ٨ ، وليست في مطبوعة الأصمعيات .

٢ – وجعل ابن قتيبة الشعر على أضرب : « ضرب منه تأخّر معناه ، وتأخّر لفظه » وقال فيه (٤) : « ومن هذا الضرب قول المرقش :

هل بالديار ، أن تُجيبَ ، صَمَمْ لو أن حيّاً ناطقاً كَلَّمْ

يأتي الشبابُ الأقورينَ ، ولا تَغْبِطْ أخاك أن يقال : حَكَمْ

(١) شرح ديوان الحادرة ص .

(٢) أبو سعيد هو الأصمعي .

(٣) وقال أبو عبيدة : هي من مختار الشعر ، أصمعية مفضلية . الأغاني ٣ : ٨٠ .

(٤) الشعر والشعراء ص ١٣ – ١٨ .

والعجب عندي من الأصمعي إذ أدخله في متخيَّره ، وهو شعر ليس بصحيح الوزن ، ولا حسن الروي ، ولا متخيّر اللفظ ، ولا لطيف المعنى . ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن إلا قوله :

النشرُ مِسْكٌ ، والوجوه دنا نيرٌ ، وأطراف الأكفّ عَنَمْ

ويستجاد منه قوله :

ليس على طول الحياة ندمْ ومِن وراء المرء ما يَعلمْ » .

والأبيات هذه من قصيدة للمرقش الأكبر ، وهي المفضلية ٥٤ ، ولم ترد في مطبوعة الأصمعيات .

٣ ــ وقال البطليوسي في باب معرفةٍ في الخيل وما يستحبّ من خلقها[1] :

« وأنشد ابن قتيبة في هذا الباب :

مُتقاربِ الثَّفِنات ، ضَيِّقٍ زَورُهُ رَحْبِ اللَّبانِ ، شديدِ طَيِّ ضَرِيسِ

الشعر لعبد الله بن سليمة بن الحارث ، أنشده الأصمعي في اختياراته . وقبله :

ولقد غدوتُ على القَنيص بشَيْظَمٍ كالجِذْعِ ، وسْطَ الجنةِ ، المغروس

قال الأصمعي : يريد أن زوره ضاق ، فتقاربت ثفنات يديه » . والقصيدة هذه هي المفضلية ١٩ ، وليست فيما نشر من الأصمعيات .

٤ ــ وقال ابن منظور[2] : « قال الجرمي : الجَحْل : العظيم من كل شيء . ويقال جاء مقدّحةً عينُهُ ، وجاحلةً عينه ، إذا غارت . قال ثعلبة بن عمرو العبدي :

وأهلكَ مُهرَ أبيك الدوا ءُ ، ليس له ، من طعام ، نَصيب

(١) الاقتضاب ص ٣٢٩ . وللبطليوسي رواية للأصمعيات لها إسناد متصل بالأصمعي . انظر فهرسة ابن خير ص ٣٩١ .

(٢) اللسان ( جحل ) .

فتُصبحُ جاحلةً عينُـهُ ليحنوِ استِهِ ،وصلاهُ ، غُيُوب

قال : والقصيدةفي الجزءالأول من الأصمعيات » . قلت : وهي المفضلية ٦١، وليست في مطبوعة الأصمعيات .

وقال البكري (١) : « وأنشد أبو علي شعراً ، يروون أنه للشعبي ، أوله :

أعينيّ ، مهلًا ، طالما لم أقل مهــلا وما سَرَفاً مالآنَ قلتُ ، ولاجَهْلا

ما أعجب أمر أبي علي ! هذا الشعر أشهر بالنسبة إلى القحيف العقيلي من أن يرتاب به مرتاب ، أو يشك فيه شاك . رواه الأصمعي والمفضل ، وهو ثابت في اختياراتها ، وقد رواه أبو علي هناك ، وفي آخره زيادة ، وهي :

ومن أعجب الدنيا إليّ زجاجةٌ تظل أيادي المنتشين بها فُتْلا

يَصبُّونَ فيها، من كُروم،سلافة يَروحُ الفتىعنها كأن بهخَبْلا»

وليس فيما طبع من المفضليات والأصمعيات ذكر لهذه القصيدة .

ومن جميع ماذكرناه يكون لدينا عشرون (٢) قصيدة هي من الأصمعيات ولا نجدها في اختيارات الأصمعي المطبوعة . ولا شك أن ثمة قصائد أخرى من الأصمعيات تشارك هذه في مصيرها المجهول .

وقد استوقفت هذه الحقيقة كثيراً من الباحثين ، فانطلقوا يحاولون معرفة تلك القصائد ، والمواطن التي استقرت فيها ، بعد أن فقدتها الأصمعيات . وكان أمراً طبيعياً أن يتهموا اختيارات المفضل بأنها أغارت عليها ، وجرّدتها من أجود قصائدها : فمن قائل إنها قد أخذت منها ٢٠ قصيدة ، ومن زاعم أنها قد سلبتها مجموع ما أضيف إلى المفضليات الثمانين التي اختارها المفضل ، ومن مدّع أنها احتجزت من اختيارات الأصمعي أكثر من نصفها بعد أن رغبت عن الباقي لقلة جدواه .

---

(١) سمط اللآلي ص ٧٥١ .

(٢) يضاف اليها أيضاً قصيدة المتلمس الميمية في ديوانه ورقة ١٦ .

ولئن كانت هذه الدعاوى قد تفسر وجود بعض القصائد التي أشرنا إليها في المفضليات من دون الأصمعيات ، على الرغم من كونهـا من اختيارات المفضل والأصمعي ، إنها لتصطدم بتلك القصائد الأخرى وأمثالها ، مما نص العلماء على أنه من الأصمعيات ،ولا وجود له في مطبوعة الأصمعيات . وإلا فلم سميت « بقية الأصمعيات التي أخلت بها المفضليات » ؟

أما أنها تعني القصائد الأصمعية التي اختلطت بالمفضليات وضاعت بينها فمدفوع . وأمّا أنها تعني القصائد الأصمعية التي أغفلتها المفضليات فمشكوكٌ فيه . وأمّا أن يكون المراد بها « القصائد الباقية من الأصمعيات التي أساءت إليها المفضليات » فإنه – على صحته – قد يعترض عليه بأن افتقاد بقية الأصمعيات تلك القصائد الأخرى لا يمكن أن يتفق والعبارة التي اختتمت بها نسخة كبرل : « نجزت جملة المفضليات والأصمعيات » . فالنسخة هذه تضم – كما يدعي صانعها – جميع اختيارات المفضل والأصمعي . فكيف يكون هذا مع وجود أصمعيات – وثمة غيرها أيضاً – لا يضمها هذا الكتاب ؟

الحق أن كلمة « بقية » تحمل في مضمونها ردّ ذلك الاعتراض . فهي تعني أن ما تحتها هو قصائد ، سلمت من الضياع ، وبقيت من دون غيرها ، فجمعها صانع النسخة ، وتوجها بهذا العنوان ، وأن ثمة أصمعيات أخرى فقدت فلم يدركها . أما قوله « جملة المفضليات والأصمعيات » فالراجح أن المراد به هو جملة ما وقف عليه من ذينك الكتابين ، مع الزيادات الملحقة بهما . يدل على صحة ذلك أن في نسخة المتحف البريطاني ٩ قصائد نسبت إلى المفضليات – وهي رائية جبيهاء الأشجعي ، وميمية عوف بن الخرع ، ورائية عتيبة بن مرداس ، وميمية خالد ابن الصقعب ، وبائية المسيب بن علس ، وميمية الحارث بن وعلة ، وقصائد عمرو ابن قميئة : الحائية والدالية والميمية – ولا تضمها نسخة كبرل ، على الرغم من دعوى صاحبها أنها تتضمن جملة المفضليات والأصمعيات .

وما دام الأمر كذلك فإن اعتماد الباحثين على المفضليات – في روايتها الموثّقة – لاكتشاف الأصمعيات المفقودة، سبيل مصطنعة، ليس لها سند، ولا عليها دليل. فلقد روى الأنباري المفضليات في إسناد متصل بالمفضل، وليس من المعقول أن يروي المفضل بعض اختياراته عن الأصمعي. فلندع هذه الرواية المسندة، ولنول وجوهنا قِبل الروايات الأخرى من المفضليات، لعل فيها ضالتنا المنشودة:

أما رواية المرزوقي فقد جاءت في نسخة سقيمة ناقصة لا إسناد لها ولا وضوح. وكذلك حال رواية نسخة دار الكتب المصرية، الأمر الذي يجعلنا في حلّ من الاستفادة منها هنا. وأما رواية التبريزي، وما اشتق منها في نسخ كبرل وفينا وفيض الله وبيل، فإنها قد زادا على رواية الأنباري ٣ قصائد، ليست – فيما يبدو – من الأصمعيات. فقد نص في واحدة منها أنها من رواية ابن حبيب [1]، لا من رواية المفضل. وذكر في الثانية أنها نقلت من بعض نسخ المفضليات. ولو كانت الثالثة من طريق الأصمعي لما أغفل ذلك.

ليس لنا، بعد هذا، سوى مصدرين:

أحدهما هو نسخة المفضليات بالمتحف البريطاني. ففي هذه النسخة ٢٣ قصيدة زيادة على رواية الأنباري، إذا أسقطنا منها القصائد الخمس التي هي في الزيادات من الكتابين، بقي لدينا ١٨ قصيدة، نجد منها ٩ في بقية الأصمعيات، و ٧ في الجزء الثاني من كتاب الاختيارين. فليس بعيداً أن تكون تلك القصائد الثماني عشرة هي من الأصمعيات [2] التي ألحقت ببعض نسخ المفضليات، مادامت مفقودة في الروايات الأخرى للمفضليات.

(١) إن محمد بن حبيب أقرب في الرواية إلى المفضل منه إلى الأصمعي. فقد روى عن ابن الأعرابي، تلميذ المفضل وربيبه، ولم يذكر له تلمذة للأصمعي. وليس بعيداً أن يكون ابن حبيب قد استقى هذه القصيدة من نوادر ابن الأعرابي. انظر الخزانة ٣: ١٠٥.

(٢) مجموع أشعار العرب ١: ٩ – ١٢ من المقدمة ونخبة من كتاب الاختيارين ص ٢٥–٢٦ من المقدمة.

والمصدر الثاني هو كتاب الاختيارين . فقد ثبت في عنوانه أنه يضم اختيارات المفضل واختيارات الأصمعي . ولو أن هذا الكتاب جاءنا كاملا لاستطاع أن يرد إلينا الأصمعيات المفقودة برمتها[١] ، ولكنه — مع الأسف الشديد — لم يعرف منه حتى الآن سوى الجزء الثاني ، الذي يحوي بين أشعاره ٥٨ قصيدة ليست في نسخ المفضليات ، ولا في بقية الأصمعيات ، ولا الزيادات من الكتابين. وقريب جداً أن تكون هذه القصائد هي بعض الأصمعيات المجهولة . فاذا أضفنا إلى هذا أن الجزء الأول من كتاب الاختيارين لا بد أن يضم حوالي ٢٥ أصمعية، على أقل تقدير ، كان لدينا من قصائد الأصمعيات ما يلي[٢] :

٥٦ قصيدة في بقية الأصمعيات .

٥٨ قصيدة في الجزء الثاني من الاختيارين .

٢٥ » » » الاول » »

وبذلك يصبح مجموع اختيارات الأصمعي ١٤٠ قصيدة ، وهو أمر طبيعي معقول .

— ٢ —

نعود ، بعد هذا كله ، إلى عبارة ابن النديم : «وعمل الأصمعي قطعة كبيرة من أشعار العرب ، ليست بالمرضية عند العلماء ، لقلة غريبها ، واختصار روايتها». وإذا كنا قد استبعدنا قصر هذه القطعة الكبيرة على الأصمعيات ، وذهبنا إلى

---

«١» نخبة من كتاب الاختيارين ص ٢١ و ٣٤من المقدمة .

«٢» لم نذكر هنا القصائد الثاني عشرة الموجودة في نسخة المتحف ، ولا القصائد السبع الزائدة في ما أختير من الاصمعيات ، لأن بعضها في الجزء الثاني من الاختيارين ، وبعضها الآخر من الراجح أنه في الجزء الاول .

جعلها[1] عامة لكل ما صنعه الأصمعي من أشعار ، فإننا لا نستطيع أبداً أن ننكر أن قوله « ليست بالمرضية ... » هو حكم يشمل — فيما يشمل — اختيارات الأصمعي . ذلك لأن هذه الاختيارات هي جزء مما عمله الأصمعي من أشعار العرب ، يصيبه من حكم ابن النديم ما أصاب سائر الأجزاء الأخرى . فإذا صح هذا — وهو صحيح — فما هو مراد ابن النديم بقوله « لقلة غريبها ، واختصار روايتها » ؟

لعل المستشرق فلوجل[2] هو أول من عرض لتفسير ذلك إذ قال : « لقد فقدت الأصمعيات تقدير العلماء ، لأنها مقطعات مختارة من قصائد ، ليست غريبة — أي : هي شائعة متداولة — لدى جمهور العلماء والرواة » . والحق أن هذا الزعم بعيد بما رمى إليه ابن النديم ، لأنه أخطأ حين جعلها مقطعات ، ووهم حين بنى حكمه على ما جاء في المطبوعة الأوربية للفهرست : « لقلة غربتها »[3] . وهذا تصحيف واضح ، صوابه : « لقلة غريبها »[4] ، كما أثبتناه نحن . وإذا كان ذلك كذلك فإن رغبة العلماء عن الأصمعيات تعود إلى قلة الغريب ، واختصار الرواية .

أما قلة الغريب فقد قيل : إن ابن النديم عنى بها أن أشعار الأصمعيات ليس فيها كثير من المفردات الغريبة ، ولذلك زهد العلماء فيها . فقد كانوا في تلك الحقبة يصرفون جهودهم إلى دراسة الأشعار وشرحها ، بعد أن تم جمعها في عهد

(١) وهو خلاف ما زعمه بعض المعاصرين . انظر ص ١٠ من مقدمة مجموع أشعار العرب و ٢ : ١٦ من مقدمة ليال للمفضليات و ص ١٢ من مقدمة نخبة من كتاب الاختيارين و ص ٥٨١ من مصادر الشعر الجاهلي .

(٢) ص ٨٠ من كتاب مدارس العرب النحوية الذي طبع عام ١٨٦٢ وانظر مجموع أشعار العرب ١ : ١٠ من المقدمة .

(٣) وكذلك جاءت في مطبوعة الاستقامة ص ٨٩ .

(٤) إنباه الرواة ٢ : ٢٠٣ .

طبقة الأصمعي . فهم يتتبعون الشعر الذي تكثر فيه الألفاظ الغريبة الحوشية ، والعبارات المشكلة ، ليذللوا صعبها ، وييسروا قبولها للناشئين والمستعربين . يضاف إلى هذا أن النشاط اللغوي الذي اتسع ميدانه ، منذ القرن الثاني ، كان همه الأشعار التي يستشهد بها في تثبيت نظرية ، أو ترجيح مذهب ، أو توضيح قاعدة ، أو تفسير كلمة ، أو شرح معنى . ولما لم يجد هذا النشاط له مادة في الأصمعيات ازداد انصراف العلماء عنها .

بيد أننا نرى هذا القول لا يخلو من الوهن . فأشعار الأصمعيات ليست أقل غريباً من المفضليات . أضف إلى هذا أن الدواوين التي صنعها الأصمعي ــ وهي مشمولة بحكم ابن النديم ــ هي ، بلا شك ، كثيرة الغريب ، غزيرة الحوشي . فقد جمع الأصمعي أكثر من ٥٢ ديواناً لشعراء جاهليين ، وإسلاميين ، وأمويين ، منهم : النابغة ، ولبيد ، والأعشى ، وطرفة ، وبشر ، وحميد الأرقط ، ورؤبة ، والعجاج ... ومحال أن تكون أشعار هؤلاء قليلة الغريب . فهل كان ابن النديم يعني بعبارته تلك أن ما عمله الأصمعي من الأشعار اقتصر فيه على جمع الشعر ، فلم يفسر من غريبه إلا القليل ؟

وأما اختصار الرواية فقد قيل: إن المراد به أحد أمرين : إما إسناد الرواية ، وإما أبيات القصائد . وقد فسر الأمر الأول بأن الأصمعيات قد انقطعت روايتها بعد الأصمعي ، فكان إسنادها غير مكتمل الحلقات (١) . أو أن الأصمعي لم يسند روايته فيها إلى من أخذ عنهم من العلماء والرواة ، فانقطع إسنادها عنده . والحق أن إسناد الأصمعيات لم ينقطع ــ كما أثبتنا قبل ــ بعد الأصمعي . وليس توقف الأصمعي بالرواية عند نفسه مما ينتقص صنيعه ، أو يعيبه ، أو يزهد فيه . فقد كان أكثر أقرانه منتهى الإسناد ، وقلما كانوا يسندون إلى من قبلهم (٢) .

(١) المفضليات للأنباري ٢ : ١٦ من المقدمة .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٨٢ .

والتفسير الثاني لاختصار الرواية باختصار رواية أبيات القصائد ، يعني أن الأصمعي كان يختار من القصائد مقطعات أو أبياتاً ، ويغفل ذكر مادونها . والاعتراض على هذا أن حماسة أبي تمام كان لها — على الرغم من كونها مقطعات وأبياتاً — مكانة مرموقة بين العلماء ، من ميلادها إلى عصرنا الحاضر . فلمَ تُقابَلُ الأصمعياتُ بالإعراض ، والحماسة بالاهتمام ، مع اشتراكهما في هذه السمة ؟

بل إن اشتراكهما هذا ليس مطلقاً ، لأن الأصمعيات هي في الأصل من اختيارات القصائد ، والحماسة هي من اختيارات المقطعات .

نقول هذا كله ، ونحن ما نزال قاصرين اختصار الرواية على الأصمعيات . فإذا وسعنا دائرتها ، ووضعناها في موضعها الذي أراده لها ابن النديم ، وهو جميع ماصنع الأصمعي من أشعار ، بدا تهافت مافسرت به . فالدواوين التي عملها الأصمعي لم ينقطع إسنادها بعده ، ولم تكن أيضاً مقطعات وأبياتاً .

لقد قرأها عليه تلاميذه ، ورووها لمن بعدهم دون انقطاع . ووصلنا منها جزء ذو أهمية ، وحسبنا مثلاً منه هنا دواوين الشعراء الستة . فقد رواها ابن خير الإشبيلي [١] بإسناد متصل بالأصمعي : « حدثني بها قراءة مني عليه الوزيرُ أبو بكر محمد بن عبد الغني بن عمر بن فندلة ، رحمه الله ، عن الأستاذ أبي الحجاج الأعلم ، عن الوزير أبي سهل بن يونس بن أحمد الحراني ، عن شيوخه : أبي مروان عبيد الله بن فرج الطوطالقي ، وأبي الحجاج بن يوسف بن فضالة ، وأبي عمر بن أبي الحباب ، كلهم يرويها عن أبي علي البغداذي عن أبي بكر بن دريد ، عن أبي حاتم عن الأصمعي ، رحمه الله » .

إذاً فما هو المراد باختصار الرواية ؟

---

(١) فهرسة ابن خير ص ٣٨٨ — ٣٨٩ . وانظر منه ص ٣٩٢ — ٣٩٤ حيث يورد أسانيد لاراجيز رؤبة والعجاج ، ولشعر عمرو بن أحمر عن الأصمعي . وفي إرشاد الاريب ١ : ٦٠ أن أبا نصر الباهلي نقل إلى أصبهان مصنفات الأصمعي وأشعار الجاهلية والإسلام مقروءة عليه .

لنعد إلى الأشعار التي عملها الأصمعي ، فلعل فيها الجواب الفصل . يقول ابن النديم ، في معرض حديثه عن شعر الكميت (١) : « عمله الأصمعي ، وزاد فيه ابن السكيت ... ورواه ابن السكيت عن نصران أستاذه . قال نصران : قرأت شعر الكميت على أبي حفص عن عمر بن بكير » . وقال أيضاً (٢) : « نقائض جرير والفرزدق ، عملها أبو عبيدة معمر بن المثنى . ورواها الأصمعي دون تلك الرواية » .

ومن هذين النصين نرى أن شعر الكميت ، في رواية الأصمعي ، أقل منه في رواية نصران عن أبي حفص عن عمر بن بكير ؛ ونقائض جرير والفرزدق ، في رواية الأصمعي أيضاً ، أقل منها في رواية أبي عبيدة . وعندي أن هـذا هو معنى اختصار الرواية في عمل الأصمعي ؛ وقد فسر ابن النديم بقوله هنا عبارته تلك .

لقد كان أبو سعيد الأصمعي شديد التأله ، صدوقاً في كل شيء(٣) . وقد جعله هذا يتشدد في نقد الروايات ، ليطرح زائفها ، وينقل الموثوق منها . ولذلك جاءت روايته الديوان الذي يجمعه أقل من رواية غيره . وأقرب دليل على هذا ما نجده في ديوان امرىء القيس . فقد قدّم له الأعلم الشنتمري ، ولدواوين الشعراء الخمسة الآخرين ، بقوله (٤) : « واعتمدتُ ، فيما جلبته من هذه الأشعار ، على أصح رواياتها ، وأوضح طرقاتها . وهي رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي ... وأتبعتُ ما صح من رواياته قصائد متخيرة من رواية غيره » . فكان أن روى لامرىء القيس

(١) الفهرست ص ١٥٨ .

(٢) الفهرست ص ١٥٨ .

(٣) المزهر ٢ : ٤٠٤ .

(٤) ديوان امرىء القيس ص ٤ .

٢٧ قصيدة (١) ، جعل خاتمتها مايلي (٢) : « قال أبو حاتم : هذا آخر ماصح للأصمعي من شعر امرىء القيس . والناس يحملون عليه شعراً كثيراً ، وليس له ، إنما هو لصعاليك ، كانوا معه . كملت رواية أبي حاتم عن الأصمعي » . ثم أتبع ذلك ٦ قصائد من رواية الكوفيين ، بعد أن قدّم لها بقوله : « ونذكر قصائد متخيرات مما لم يروه أبو حاتم » .

وإذا رجعنا إلى شعر امرىء القيس ، في رواياته الأخرى ، رأيناه يبلغ المائة من القصائد ، ويربو عليها . فهذه الروايات تزيد على رواية الأصمعي سبعين قصيدة ونيفاً ، روي كثير منها عن المفضل ، وأبي عبيدة ، وابن الأعرابي ، وأبي عمرو الشيباني . بل إن رواية المفضل – وهو أوثق الكوفيين – بلغت ٤١ قصيدة (٣) ، بزيادة ١٤ قصيدة على رواية الأصمعي ، من حيث العدد .

ولا يعني هذا أن الأصمعي لم يعرف سوى ماروى من شعر امرىء القيس . ذلك لأنه قد تناول بعض مارواه غيره بالنقد . فقد روى الطوسي عن ابن الأعرابي ، عن المفضل ، لامرىء القيس ، القصيدة التي مطلعها :

أحارِ بنَ عمرٍو ، كأنّي خَمِرْ ويَعدُو على المرءِ مايأتَمِرْ

معلقاً عليها بقوله : (٤) « روى هذه القصيدة أبو عمرو والمفضل وغيرهما . وقال

---

(١) استثنينا منها قصيدة واحدة وهي رقم ٢٢ لأن الأعلم قال في شرحها : « كان الأصمعي يقول : امرؤ القيس ملك ، ولا أراه يقول هذا . فكأن الأصمعي أنكرها » . ديوان امرىء القيس ص ١٣٧ . وانظر ص ٥٠٥ من مصادر الشعر الجاهلي .

(٢) ديوان امرىء القيس ص ١٤٩ . والعبارة مختلة هناك .

(٣) هي في شرح الطوسي ٤٢ قصيدة . وقد استثنينا منها رقم ٢٠ لان الطوسي نفسه قال فيها : « وليست في رواية المفضل . وزعم ابن الكلبي أنها لرجل يلقب بالذائد » . ديوان امرىء القيس ص ٤٤٤ .

(٤) ديوان امرىء القيس ص ٤٢٣ – ٤٢٤ .

الأصمعي : أنشد هذه القصيدة أبو عمرو بن العلاء لرجل من النمر بن قاسط ، يقال له : ربيعة بن جشم » .

وروى ابن النحاس لامرىء القيس قصيدة مطلعها :

تنكَّرَتْ ليلى عن الوَصْلِ ونأتْ ، ورَثَّ مَعاقِدُ الحَبْلِ

وأتبعها بالعبارة التالية (١) : « قال ابن دريد : دفعها الأصمعي ، ورواها قوم لابن أحمر . وهي في أصل اليزيدي » .

على أن اختصار رواية الأصمعي لا ينتهي عند هذا الحد ، وإذا كنا قد رأيناه متمثلاً في قصائد امرىء القيس ، من حيث العدد ، فان له وجهاً آخر ، تمثله لنا رواية القصيدة الواحدة ، في تعداد أبياتها . فالقصيدة الأولى من ديوان امرىء القيس مثلاً — وهي المعلقة — رواها الأصمعي في ٧٧ بيتاً . ورواها أبو سعيد الضرير ، والسكري ، وابن الأنباري ، والزوزني ، وأبو سهل ، والتبريزي ، بزيادة ٥ أبيات . ورواها الطوسي بزيادة ٦ أبيات . أما أبو زيد القرشي فزاد فيها ١٣ بيتاً لم يروها الأصمعي (٢) . والمثال الآخر هو القصيدة الثالثة من هذا الديوان : رواها الأصمعي في ٥٥ بيتاً ، فزاد فيها أبو سهل ١٢ بيتاً ، والسكري والطوسي ١٦ بيتاً ، وابن النحاس ١٧ بيتاً (٣) .

تلك هي صورة اختصار الرواية ، فيما صنع الأصمعي من الأشعار . فهي — في وجهيها — تمثل النقص الكبير الذي تتصف به رواية الأصمعي ، بالنسبة إلى غيره من الرواة . والأصمعيات — وهي جزء مما صنع الأصمعي — لا تخلو من أن

(١) ديوان امرىء القيس ص ٤٣٣ .

(٢) ديوان امرىء القيس ص ٣٦٧ — ٣٦٨ وجمهرة أشعار العرب ص ٨٧ — ١٠٥ من المطبوعة الخيرية .

(٣) ديوان امرىء القيس ص ٣٨١ — ٣٨٩ .

تحمل آثار السمات المميزة لرواية صانعها. ولما كانت هذه الاختيارات لا تضم ديواناً كاملاً لشاعر، أو قبيلة، فإننا سنقتصر فيها على بيان الوجه الثاني من اختصار الرواية، أعني: اختصار الرواية في القصيدة الواحدة. وهذا تلمسه واضحاً فيما بقي لدينا من الأصمعيات. وها نحن أولاء نعرض بعض ذلك فيما يلي:

القصيدة ١ رواها الأصمعي في ١١ بيتاً، وزيد فيها بيتان في كل من شرح شواهد المغني ص ١٦٧ والخزانة ١ : ١٢٦.

القصيدة ١٠ رواها الأصمعي في ٢٧ بيتاً، وهي في منتهى الطلب ١ : ٢٤٦ بزيادة بيتين.

القصيدة ١٢ رواها الأصمعي في ٣٤ بيتاً، وقد أورد البغدادي زيادة ٨ أبيات في الخزانة ٤ : ١٢٣ — ١٢٥.

القصيدة ١٤ رواها الأصمعي في ٢٤ بيتاً، وهي في الاغاني ١٨ : ١٥٥—١٥٦ بزيادة ٧ أبيات.

المقطوعة ١٧ رواها الأصمعي في ٣ أبيات، وهي في كتاب بكر وتغلب ص ٦١ في ١٠٠ بيت.

المقطوعة ١٨ رواها الأصمعي في ٥ أبيات، وهي بزيادة ٥ أبيات أخرى في الأغاني ٣ : ٤ و ١٠ والعيني ٤ : ٣٦٤.

القصيدة ٢٤ رواها الأصمعي في ٣٣ بيتاً، وهي في الخزانة ١ : ٩٢ — ٩٧ بزيادة بيت واحـــد، وفي جمهرة أشعار العرب ص ٢٧٠ — ٢٧٣ بزيادة ثلاثة أبيات.

القصيدة ٢٥ - ٢٦ رواها الأصمعي في ٤٥ بيتاً، وفي الأمالي ٢ : ١٤٨ — ١٥١ زيادة ٦ أبيات. وفي منتهى الطلب ٢ : ٢٠٢ — ٢٠٥ زيادة ٧ أبيات.

القصيدة ٢٨ رواها الأصمعي في ٢٦ بيتاً، وفي الاغاني ٩ : ٤ — ٥ زيادة ٣ أبيات. وفي شرح الحماسة للتبريزي ٢ : ٣٠٤ — ٣٠٩ زيادة بيتين.

القصيدة ٢٩ رواها الأصمعي في ١٦ بيتاً ، وهي بزيادة بيتين في أمالي ابن الشجري ص ١٣ والخزانة ٣ : ١٦٦ .

المقطوعة ٣٦ رواها الأصمعي في ٤ أبيات وزاد فيها بيتين كل من المؤتلف ص ١٥٦ والخزانة ١ : ٢٠ والتاج ( خرق ) .

المقطوعة ٤٩ رواها الأصمعي في ٤ أبيات ، وهي في ديوان طرفة ص ١٠٤ — ١١١ في ٢١ بيتاً .

المقطوعة ٥١ رواها الأصمعي في ٦ أبيات ، وزاد فيها ٣ أبيات ، كل من معجم الشعراء ص ٨٦ ، وشرح شواهد المغني ص ١٣٨ ، والخزانة ٤ :١٨٧ .

القصيدة ٥٣ رواها الأصمعي في ٩ أبيات ، وهي في الأمالي ٢ : ١٢٩ — ١٣٤ في ٢١ بيتاً .

هذه النماذج الأربعة عشر — ولا سيما ١٢ و ١٤ و ١٧ و ١٨ و ٢٥ و ٤٩ و ٥٣ — تؤكد أن ماجمعه الأصمعي في كتابه أقل منه في رواية غيره . إنها تجلي لنا اختصار الرواية ، بما لايدع مجالاً للنقاش واللجاج .

ولكن هذه الظاهرة إذا كانت تُرَدّ هنا بعض جوانبها إلى تشدد الأصمعي ، في نقد الروايات ، فإن لها جوانب أخرى لايمكن أن تفسر بذلك . فالمقطوعة ٤٠ رواها الأصمعي في ٤ أبيات ، وهي نفسها تجدها في روايته لديوان امرىء القيس في ١٠ أبيات (١) . ولو كان نقد الرواية هو العامل الوحيد الذي يتحكم في صنيع الأصمعيات لكانت هذه المقطوعة ١٠ أبيات فيها ، لانه لم يروها كذلك في الديوان إلا بعد أن وصلته بأسانيد ، يرتضيها ميزانه النقدي . وما دامت قد جاءت في الأصمعيات أقل من نصفها في الديوان فلا بد من وجود عوامل أخرى كانت سبب اختصار روايتها .

---

(١) ديوان امرىء القيس ص ١١٩ — ١٢٢

ولعلنا لانبعد عن الحقيقة إذا حاولنا أن نجد هذه العوامل الأخرى في طبيعة كتاب الأصمعيات . إنه — قبل كل شيء — كتاب اختيارات . والاختيارات، خلافاً للدواوين ، يتحكم في جمع أشعارها — بالإضافة إلى توثيق الرواية — مؤثرات نقدية : معنوية ، أو فنية ، أو نفسية ، أو سياسية ، أو اجتماعية ، تنتقي ما يلائمها، وتسقط مادونه .

وهكذا يكون عامل اختصار الرواية في الأصمعيات مجموعة من المقاييس التقويمية المعقدة ، يمكننا أن نلخصها تحت اسم النقد ، وهو ذو شقين : نقد للإسناد يختار به أوثق الروايات وأصحها ، ونقد للمتن يختار به أجود الأشعار ، وأقربها إلى نفسه ومعاييره . ولذلك رأينا كثيراً من أشعار الأصمعيات مختصر الرواية ، حتى كانت المقطعات فيها أكثر عدداً من القصائد ، على الرغم من أن كتابها هو من اختيار القصائد ، لا من اختيار المقطعات .

إن في بقية الأصمعيات ٢٩ مقطوعة [١] ، لا يبلغ عدد أبيات كل منها العشرة، ومنها ما لا يتجاوز الخمسة . فالمقطعات : ٥ و ٤٥ و ٤٦ كل واحدة منها بيتان فقط . والمقطعتان ١٧ و ٤١ كل منها ثلاثة أبيات . ولكن هذا لا يجيز لاحد الادعاء أن الأصمعيات كلها هي مقطعات اختارها الأصمعي من قصائد[٢] ، ذلك لأن ثمة عدداً كبيراً من أشعارها إنما هو قصائد ، لم يسقط منها الأصمعي شيئاً . ومثالنا في هذا ذوات الارقام : ٢ و ٣ و ٧ و ٨ و ١١ و ١٥ و ١٩ و ٢١ و ٢٣ و ٤٢ و ٤٤ و ٥٠ و ٥٥ و ٥٦ ، من بقية الأصمعيات . وهذه القصائد ليست

---

(١) وهي ذوات الارقام : ٤ و ٥ و ٦ و ١٣ و ١٧ و ١٨ و ٢٠ و ٢٢ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٣ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ . مع العلم أن عدد القصائد والمقطعات كله هو ٥٦ .

(٢) وهو ما زعمه فاوجل ومعظم حسين .

كاملة فحسب ، وإنما قد نجد أيضاً في رواية الأصمعي لها ما ليس في روايات غيره

تلك هي قصة ما أشار إليه ابن النديم ، من أثر قلة الغريب ، واختصار الرواية ، في قيمة الأصمعيات ، والأشعار التي جمعها الأصمعي . وإذا فصلنا الأصمعيات عن سائر ما صنع الأصمعي كان لدينا أسباب أخرى ، ظاهرت قلة تفسير الغريب ، واختصار الرواية ، على إضعاف مكانة الأصمعيات لدى العلماء . ومن ذلك أن قسماً ظاهراً من أشعارها لا يعرف شيء عن أصحابه ، ففي بقية الأصمعيات ٩ قصائد[1] ، لا نعرف عن أصحابها سوى الاسم ، أو الكنية ، أو النسبة . وهذا — بلا شك — يجعل العمل في شرح الشعر وتفسيره ، وفهم مدلولاته ، عسير المسلك ، قليل الجدوى .

ولا ننس ههنا سبباً آخر ، كان له أكبر الأثر في رغبة العلماء عن الأصمعيات ؛ إنه المفضليات ، فقد كانت اختيارات المفضل قد نالت — قبل أن يجمع الأصمعي اختياراته — إعجاب الرواة والعلماء والادباء والاشراف ، حتى قرنت على الأصمعي نفسه . وعندما ظهرت الأصمعيات — بخصائصها التي أسلفنا ذكرها — لم تستطع أن تقف أمام مجموعة المفضل ، أو تنافسها . وهكذا كسفت المفضليات الأصمعيات ، وأخلت بها ، حتى أجمع الناس أنه ليس فيما اختير من المقصدات أجود مما اختار المفضل[2] .

وإذا استطعنا أن نتقبل هذا الاجماع ، فهمنا بحق العبارة « بقية الأصمعيات التي أخلت بها المفضليات » التي هي عنوان الموجود من الأصمعيات في نسختي كابول وتينا . ولعلنا لا نجد عسراً في تقبل هذه الحقيقة ، إذا استحضرنا ما فعلته

(١) وهي ذوات الارقام : ٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٦ و ٢٧ و ٣٠ و ٤٦ و ٤٨ و ٥٠ .

(٢) شرح شواهد الشافية ص ٨ وشرح الحماسة للمرزوقي ص ٣ و للتبريزي ١ : ٤ وشرح المفضليات للتبريزي ورقة ١ .

حماسة أبي تمام في سميّاتها . فلدينا في تاريخ الأدب حماسات كثيرة : للبحتري ، والخالديين ، وأحمد بن فارس ، وأبي هلال العسكري ، والاعلم الشنتمري ، وابن الشجري ، وأحمد بن عبد السلام الجراوي ، ويوسف بن محمد البياسي ، وعلي بن أبي الفرج البصري ... ولكن هذه الاختيارات كلها لم تستطع أن تنافس حماسة أبي تمام . ولذلك قيل : ليس في المقطعات أحسن من اختيار أبي تمام(١) .

وقد تضافرت هذه الأسباب التي بسطناها ، وتعاونت على إضعاف شأن اختيارات الأصمعي ، فقلّت — مع مضي الزمن — نسخها ، وأُلحق ماوجد منها بذيل المفضليات ، ولم يصنع عليها من الشروح مافيه غناء . فكل مانعرفه عن شرحها أن علي بن سليمان الأخفش قد جمع بين المفضليات والأصمعيات في كتاب « اختيارات المفضل والأصمعي » ، وضمنه شرحاً لأشعارهما . وإذا صح زعم بعض المعاصرين بأن كتاب « الاختيارين » الذي وصلنا منه الجزء الثاني فقط ، وحققناه ولما ينشر ، ليس من صنعة الأخفش هذا ، فإن ثمة عالماً آخر ، صنع للأصمعيات مع المفضليات شرحاً ثانياً ، لم يعرف ، وظُنّ أنه ابن السكيت (٢) . أما أن يكون للأصمعيات وحدها شرح مستقل فهذا ما لا علم لنا به .

ومما يذكر هينا أن بعض الدارسين المحدثين أوردوا أسباباً أخرى ، ردوا إليها إعراض العلماء عن الأصمعيات . وتتلخص تلك الأسباب فيما يلي :

١ — احتجاز المفضليات أجود قصائد الأصمعيات .

٢ — ان الأصمعي دون المفضل علماً ، وقدرة على اختيار قصائد ممتازة لشعراء عظام .

---

(١) شرح شواهد الشافية ص ٨ وشرح الحماسة للمرزوقي ص ٣ وللتبريزي ١ : ٤ وشرح المفضليات للتبريزي ورقة ١

(٢) نخبة من كتاب الاختيارين ص ٢٩ — ٣٤ من المقدمة .

٣ ـ ان الأصمعيات رويت مفككة مخلخلة ، ليس لأكثرها مناسبات معروفة .

٤ ـ ظهور شعراء مجددين في القرن الثالث ، أبـدعوا ماشغل الجمهور عن الشعر القديم .

ولننظر في هذه النقاط الأربع ، لنرى ماتحمله من آثار الصواب .

أما النقطة الأولى (١) فإنها ـ إن صحت أصلاً ـ تعالج إعراض العلماء عن الأصمعيات، بعد أن ضمت إلى المفضليات ، ثم فصلت عنها تاركة فيها أجود أشعارها ، أي بعد عصر جامعها الأصمعي بقرن أو أكثر . فلم إذاً أعرض العلماء عنها قبل أن ينالها النقص ، وتفقد أكثر أشعارها ؟

الحق أن هذا الرأي مبني على أن الأصمعيات عاشت ، منذ نشوئها ، في كنف المفضليات ، ولم تنفصل عنها إلا ناقصة سليباً . فهو نتيجة لاعتقاد بيّنّا من قبل فساده وبطلانه . ولذا يبدو فيه ماذكرنا من ضعف وقصور . إنه وليد نظرية أصمعيةِ المفضليات ، وهي ماتزال مفتقرة إلى البرهان والدليل .

وأما النقطة الثانية (٢) فإننا لانظن أن أحداً ذا علم يقرّ صاحبها عليها . فالأصمعي في كثرة الرواية لم يعرف له مثيل (٣) . وفي الذوق الأدبي حسبه أن الرشيد كان يـدعوه شيطان الشعر (٤) . وهاهي ذي أحكامه النقدية منثورة في الشروح الأدبية ، صغيرها وكبيرها ، حتى إن شروح المفضليات لم تستطع أن تخلو منها . إن الأصمعي أعظم من أن توجه إليه هذه الاتهامات . وهو ـ إن لم يفق المفضل علماً وخبرة وذوقاً ـ نِدٌّ له وقرين .

(١) نخبة من كتاب الاختيارين ص ١٨ ـ ٢٠ من المقدمة .

(٢) « « « ص ١٨ ـ ٢٠ «

(٣) تاريخ بغداد ١٠ : ٤١٤ وإنباه الرواة ٢ : ٢٠١ .

(٤) تاريخ بغداد ١٠ : ٤١٧ وشرح ديوان أبي تمام ١ : ٩ من المقدمة .

وأما النقطة الثالثة (١) فهي أحكام معممة ، لاسند لها . فالتفكك الذي اتهمت به أشعار الأصمعيات ليس له وجود ، إلا في مواطن قليلة لاتذكر ، وهو في المفضليات وحماسة أبي تمام لا يقلّ نسبة عنه في الأصمعيات .

وكذلك حال مانسب إلى الأصمعيات ، من افتقار إلى مايوضحها من الاخبار التاريخية والمناسبات . فإذا رجعنا إلى بقية الأصمعيات رأينا فيها الدليل الواضح على بطلان ذلك الادعاء . فلقد ذكر الأصمعي نفسه مناسبات القصائد : ١ و ٥ و ٨ و ٩ و ١٣ و ٢١ و ٢٧ و ٢٨ و ٣١ و ٣٥ و ٤٣ و ٤٥ و ٤٧ و ٥٥ . أما سائر الاشعار فإنها قلما يرد فيها من الإشارات التاريخية ما لايعرف في كتب التاريخ والادب .

وأما النقطة الرابعة (٢) فإنها إن صحت سبباً وجب أن تصيب المفضليات ــ كما أصابت الأصمعيات ــ بآثارها ونتائجها . ثم ان الذي رغب عن الاصمعيات هو ــ كما نص ابن النديم ــ العلماء ، لا العامة فحسب . وما كان العلماء في القرنين ، الثالث والرابع ، ليشغلوا بأشعار المحدثين عن أشعار القدماء ، لمثل هذه الاسباب السطحية التي ذكرت . فلقد لبث اللغويون ، والادباء ، والنحاة ، والنقاد ، يصرون على احترام الشعر القديم ، والاهتمام به ، ولم يشذ عليهم الا أفراد معدودن . يشهد على ذلك من أثار هذه النقطة نفسه وهو المستشرق آلورد (٣) .

فخر الدين قباوة

(١) مجموع أشعار العرب ١ : ١٠ من المقدمة .

(٢) مجموع أشعار العرب ١ : ١٢ من المقدمة .

(٣) مجموع أشعار العرب ١ : ١٢ من المقدمة .

# أمهات الخلفاء من جواري الأتراك

للدكتور زكريا الكتابجي ( * )

إن الممالك الإسلامية بعدما اتسعت حدودها بالفتوح على يد العرب في الشرق والغرب ضمت عناصر غير عربية من الامم المغلوبة التي فقدت سطوتها وزالت دولتها من الفرس والأتراك .

ولما آلت الخلافة إلى العباسيين كثر عدد هؤلاء الموالي والغلمان والجواري والحظايا في قصور الخلفاء وبيوت الامراء في المراكز الإسلامية . وقد خالطت أنساب العرب وأحسابهم الجواري اللاتي جلبن من البلاد المفتوحة ، فاستسرّهن الخلفاء والوزراء وغيرهم من كبار الدولة . ولذلك لانبالغ إذا قلنا إن أمهات الخلفاء العباسيين اكثرهنّ إماء إلا السفّاح أمه ريطة بنت الحارث بن كعب ، والمهدي أمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله ، والامين أمه زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر (١) .

أما سائر الخلفاء العباسيين فهم من أولاد الإماء ولا سيما الجواري الأتراك . ونحن نذكر هنا الخلفاء العباسيين الذين كانوا من بطون الإماء ومنهم :

---

( * ) فصل من الأطروحة التي نال بها الكاتب درجة الدكتوراه من القسم العربي بجامعة كراتشي ( بالباكستان ) بإشراف رئيس القسم الدكتور السيد محمد يوسف وعنوان الاطروحة « الترك في مؤلفات الجاحظ ومكانتهم في التاريخ الإسلامي الى أواسط القرن الثالث الهجري » .

(١) راجع : تاريخ الخلفاء ذكره السيوطي بالاختصار . وأيضاً لطائف المعارف ١٢٩

المنصور : أول من اتخذ الأتراك من الخلفاء ، أمه أمة تسمى «سلامة». وموسى ، وهارون : أمهما أمة تسمى « الخيزران » والمأمون : أمه أمة تسمى « مراجل » والمعتصم أمه أمة تسمى «ماردة» والواثق : أمه أمة تسمى «حبشية». والمعتز بالله أمه أمة تسمى « قراطيس » والمتوكل : أمه أمة تسمى « شجاع » والمنتصر : أمه أمة تسمى « حبشية » والمستعين : أمه أمة تسمى « مخارق» وابن المعتز : أمه أمة تسمى « قبيحة » والمهتدي : أمه أمة تسمى « فردة » والمعتمد : أمه أمة تسمى « قينان » والمعتضد : أمه أمة تسمى «ضرار» والمكتفي : أمه أمة تسمى « جيجك خاتون » والمقتدر : أمه أمة تسمى « السيدة شُغب » والقاهر : أمه أمة تسمى « زهرة » والمستكفي : أمه أمة تسمى « أملح الناس » والمطيع : أمه أمة تسمى « مشغلة » . والطائع : أمه أمة تسمى « هزار » . والقادر : أمه أمة تسمى « دمنة » .

وفي الحقيقة لما توطدت أقدام العرب فيما وراء النهر بدأ العمال والولاة يرسلون من أبناء ملوك الأتراك وجواريهم إلى الخلفاء العباسيين ، وبغض النظر عن الأتراك الذين نزحوا طوعاً إلى المدن الإسلامية فإن كثيراً من الجواري الأتراك قد أرسلن إلى الخلفاء والوزراء والأمراء من جملة الهدايا القيمة . وقد ثبت في المصادر التاريخية أن الخلفاء العباسيين كانوا يميلون ميلاً عظيماً الى جواري الأتراك ويعطون لهن مكانة خاصة بين سائر الإماء ويرغبون فيهن وينكحونهن لما عرفن به من جمال ونظافة « وقد جمعن الحسن والبياض ووجوههن مائلة إلى الجهامة ، وعيونهن مع صغرها ذات حلاوة ، وقد يوجد فيهن السمراء الأسيلة ، وقدودهن ما بين الربع والقصير والطول فيهن قليل . ومليحتهن غاية وقبيحتهن آية ، وهن كنوز الأولاد ومعادن النسل ، قل ما يتفق في أولادهن وحش ولا رديء التركيب ولا جان . وفيهن نظافة ولباقة ، قدورهم معدهم يعوّلون عليها في الطبخ والنضج والهضم

لايكاد يوجد فيين نكهة متغيرة ، ولا من له عجيزة عظيمة (١) ». فلا غرو إذاً أن يكون كثير من أمهات الخلفاء العباسيين من جواري الأتراك .

وبمرور الاعوام زاد الإقبال عليهن واشتهرن في قصور الخلفاء وبيوت الوزراء ودور الأمراء بخلقهن وحسنهن وجمالهن، كما قال ابن بطلان ، لان التركية «بيضاء البشرة على حظ عظيم من جمال وحياة ولها عينان صغيرتان جذابتان ، وهي في الغالب بدينة أميل إلى القصر ، ولود ، كريمة نظيفة تجيد الطهي ولكن لايوثق بها ولا يعتمد عليها ! (٢) ». ولذلك كانت الجواري التركيات من أحظى النساء عند الخلفاء . ومن جملتهن « ماردة » زوجة الرشيد ، وأم المعتصم . وشجاع جارية المعتصم أم المتوكل ، وقطر الندى بنت خمارويه وزوجة المعتضد بالله الخليفة العباسي ، اللاتي تميزن بجمالهن وحسن آدابهن حتى صار كلامهن مضرب المثل في كتب المؤلفين . ويذكر الأدباء حينما أرادوا ان يضربوا مثلاً لادب الزوجة عند زوجها قول قطر الندى للمعتضدبالله « إني لا أجلس مع النيام ولا أنام مع الجلوس » وبعضهن رفعن شأنهن في أمور الدولة واشتركن في تدبيرها مع الخليفة والوزراء والأمراء ، وخدمن خدمة كبيرة لا ينكر قدرها في التاريخ . ومنهن « السيدة شغب » أم المقتدر من أكبر أمهات الأولاد من الأتراك التي أصبحت ذات قدرة وسطوة ، واشتركت مع ابنها في تصريف أمور الدولة كلها . ونحن نذكر منهن بعض ماوجدنا في المصادر الموثوق بها .

---

(١) شرى الرقيق وتقليب العبيد ( من نوادر المخطوطات) ٤ /٣٧٦

(٢) ضحى الإسلام : أحمد أمين ج ١ : ص ٨٦

## مراجل

لا يخفى علينا ان هرون الرشيد قد اشتهر بين الخلفاء العباسيين بكثرة الجواري في قصره ، « وكان في دار هارون الرشيد من الجواري والحظايا وخدمهن وخدم زوجته وأخواته أربعة آلاف جارية [1] » . ولعل معظمهن من الجواري التركيات .

إنما نخص بالذكر بعض من برزت منهن في قصر هارون الرشيد. ومن أبرزهن « مراجل » باذغيسية [2] « خراسانية تركية » [3] التي أنجبت المأمون من أبناء هارون الرشيد ،واشتركت في تربيته منذ حداثة سنه . ويقول ابن قتيبة في المأمون « وأمه أمة تسمى مراجل وكان أبوه حده في جارية من جواريه [4] » وقال الرقاشي يمدح محمدا ويعرض بالمأمون :

لم تلـــده أمـة تعـ رف في السّوق التّجـــارا
لا ولا حـدّ ولا خا نَ ولا في الجـرِي جارا

## ماردة

ومن اللائي اشتهرن في قصر هارون الرشيد من الجواري التركيات «ماردة» كوفية مولدة [5] صغدية — وكان أبوها نشأ بالسواد ، أحسبه بالبندنيجين [6] ،

(١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٢٠

(٢) التنبيه والإشراف للمسعودي ص ٣٠٢

(٣) جوامع السيرة لابن حزم ص ٣٧٠

(٤) المعارف لابن قتيبة ص ١٦٩

(٥) جوامع السيرة لابن حزم ص ٣٧١ .

(٦) الطبري ج ١١ ص ٩ ومعجم البلدان للحموي ٤ / ٤٩٩

ويقول السيوطي عنها : « فكانت أحظى الناس عند الرشيد (١) ، وكان يحبها حباً حتى لايصبر عنها ساعة ، وفي خبر عبد الله بن المعتز (٢) : أن الرشيد هجر جاريته ماردة وكاد يموت من عشقها وتكبر أن يبدأها بالصلح وتكبرت هي ايضاً، فصبرا على ذلك مدة بأمر عيش وكاد الرشيد يتلف. وكان وزيره الفضل بن الربيع فأحضر الفضلُ العباسَ بن الأحنف وعرفه القصة ، وقال : قل في ذلك شيئاً ،فقال:

العاشقان كلاهما متجنبُ ... وكلاهما متعتبٌ متغضبُ

صدّت مهاجرةً وصدّ مهاجراً ... وكلاهما مما يعالج متعبُ

إن التجانب إن تطاول منهما ... دبّ السلوّ له فعزّ المطلبُ

فبعث إليه الفضل بالأبيات فسر بها سروراً ولم يستم الرشيد قراءتها حتى قال العباس ايضاً في ذلك بيتين وهما :

لابد للعاشق من وقفــة ... تكون بين الوصل والصرم

حتى إذا الهجر تمادى به ... راجع من يهوى على الرغم

فاستحسن الرشيد إصابته حالها وقال : والله لاصالحنها كما قال . وعرفت ماردة السبب في الشعر ولم تدر من قائله . فسألت الرشيد فقال : لا أدري من صاحب صاحب الشعر ، ولكن الفضل بن الربيع بعث به . فأرسلت الى الفضل تسأله فأعلمها فأمرت له بألف دينار . وأمر له الرشيد بألفي دينار ، وأمر له الفضل بخمسمائة دينار » (٣)

نعم ! فهذه هي الماردة التي أنجبت « المعتصم » وربته منذ صغر سنه ولذلك كان في طباع المعتصم كثير من آثار أجداده الأتراك . يقول ابن أبي

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي .

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .

(٣) وانظر القصة باختلاف يسير في وفيات الاعيان ج ١ ص ١٤

دؤاد » وكان المعتصم يخرج ساعده اليّ ويقول : يا أبا عبد الله عضّ ساعدي بأكثر قوتك. فأمتنع، فيقول ؛ انه لا يضرّني ، فأروم ذلك فإذا لاتعمل فيه الاسنة فضلاً عن الاسنان . وكان يجعل زند الرجل بين اصبعيه . ويزيد السيوطي أنه — أي المعتصم — كان يتشبه بملوك الأعاجم — أي الأتراك — ويمشي مشيهم (١) .

وكثير من المؤلفين المحدثين علّلوا ميل المعتصم الى الأتراك بتأثير أمّه التي كانت تنتمي الى أصل تركي. وقد ولد للرشيد من ماردة ، ما عدا أبا اسحاق المعتصم ؛ أبو اسماعيل وأم حبيب ، وآخران لم يعرف أسماؤهما (٢) .

أمّا المعتصم فغضّ النظر عن الجواري التركيات اللاتي اجتمعن في قصره ، فإنه كان يرغب في ترويج الأتراك من جنسهم ، ولذلك تقاطرت ألوف من نساء الاتراك الى دار الخلافة وزوجن من جنسهن من الأتراك . وقد تولّى المعتصم نفسه زواج بعضهن ، فمثلاً زوج المعتصم الحسن بن الإفشين بأترجة بنت أشناس . وفي ذلك يقول المسعودي : وتوّج المعتصم الافشين بعد غلبته على بابك بتاج من الذهب مرصع بالجوهر ، وأكليل ليس فيـــه من الجوهر الا الياقوت الاحمر والزمرّد الأخضر قد شبك بالذهب والبس وشاحين ، وزوج الحسن بن الافشين بأترجة بنت اشناس وزفت اليه ، وأقيم لها عرس يجاوز المقدار في البهاء والجمال . وكانت توصف بالجمال والكمال . ولما كان من ليلة الزفاف ماعمّ سروره خواصّ النـــاس وكثيراً من عوامّهم ، قـــال المعتصم أبياتا يصف حسنها وجمالها واجتماعها وهي (٣) :

زُفّت عروس إلى عروسٍ بنتُ رئيس إلى رئيسِ

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٣٢
(٢) الطبري ج ١١ ص ٩
(٣) مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٢٧٥

أيَّهما كان ـ ليت شعري ـ أجلُّ في الصدر والنفوس
أصاحب المُذْهب المحلَّى أم ذو الوشاحَين والشّموس

## السيدة شجاع

ومن اللاتي اشتهرن في قصر المعتصم من جواري الأتراك « شجاع » ـ تركية (١) خالة موسى بن بغا (٢) ، طخارستانية (٣) ـ وكانت من سروات النساء سخاء وكرما (٤) ، وقد تربّت منذ حداثة سنّها في بيت المعتصم . وكان للمعتصم من شجاع أبو الفضل جعفر المتوكل على الله الخليفة العباسي الذي آلت إليه الخلافة بعد موت الواثق .

اشتركت السيدة شجاع في تربية ابنها المتوكل وإعداده لاعتلاء العرش . ولا يبعد أن تكون هي التي غرست في ابنها النفور من الجدل والاقتصار على السنّة كما يقول المسعودي : « إنّ المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدال والترك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق ، وأمر الشيوخ المحدّثين بالتحدث وإظهار السنة والجماعة . وكان لهذا أثر حسن في نفوس المسلمين حتى قالوا : الخلفاء ثلاثة ؛ أبو بكر الصديق في يوم الردة ، وعمر بن عبد العزيز في ردة المظالم ، والمتوكل في إحياء السنة (٥) » .

وكانت للسيدة شجاع مكانة عالية في بلاط الخليفة . وكان الناس يوقرونها . وفي سنة ٢٤٥ هـ غارت « مشاش » ـ عين مكة ـ حتى بلغ ثمن القربة بمكة ثمانين درهماً فبعثت شجاع بمال فأنفق عليها (٦) .

(١) جوامع السيرة لابن حزم ص ٣٧٢
(٢) كتاب المحبر لابن حبيب ص ٤٤
(٣) التنبيه والإشراف للمسعودي ص ٣١٣
(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨٦٠ ص ١٦٦
(٥) مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٣٦٩
(٦) الطبري ج ٣ ص ١٤٤٠ « ط ليدن ـ بريل »

وفي سنة ٢٣٦ هـ حجت السيدة شجاع فشيعها المتوكل إلى النجف(١) . فلما صارت إلى الكوفة أمرت لكل رجل من الطالبين والعباسيين بألف درهم ولأبناء المهاجرين بخمسمائة درهم . وأمرت لكل امرأة من الهاشميات بخمسمائة درهم(٢) .

وكان المتوكل ينفق على أمه شجاع ستمائة ألف دينار(٣) . وفي سنة ٢٤٧ هـ ماتت شجاع بالجعفرية قبل مقتل ابنها بستة أشهر لست خلون من شهر ربيع الآخر فصلى عليها المنتصر ، ودفنت عند المسجد الجامع(٤) . وكانت خيّرة كثيرة الرغبة في الخير . ولا يعرف امرأة رأت ابنها وهو جد وثلاثة أولاد ، ولاة عهود ، إلا هي . وخلفت خمسة آلاف ألف دينار عيناً وورقاً وجوهراً قيمته ألف ألف دينار . وخلفت أيضاً أربع عشرة ضيعة ، مبلغ غلتها في السنة اربعمائة ألف دينار(٥). وقال ابن تغري بردي(٦) : كانت تدعى « السيدة » وكانت صالحة كثيرة الصدقات ولما ماتت قال ابنها المتوكلُ في موتها :

تذكّرتُ لما فرّق الدهرُ بيننا فعزّيت نفسي بالنبيّ محمدِ
فقلت لها إن المنايا سبيلنا فمن لم يَمُتْ في يومه مات في غدِ

## قطر الندى

وكان المعتضد بالله الخليفة العباسي أكثر الخلفاء رغبة في الجواري التركيات ، وفضلاً عن ذلك فإنه اقترن بفتاة جميلة تركية هي « أسماء » الملقبة « بقطر الندى » — ابنة خمارويه التركي والي مصر في عهده(٧) . وقد روي عن زواجها

(١) الطبري ج ٣ ص ١٤٠٧ ( ط ليدن — بريل )
(٢) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ج ٢ ص ٨٥
(٣) كتاب الذخائر والتحف ص ٣٠
(٤) كتاب الذخائر والتحف ص ٢١٩
(٥) كتاب الذخائر والتحف ص ٢٣٥
(٦) النجوم الزاهرة ٢/٣٢٣
(٧) الطبري ٣٤١/١١

أعاجيب تدهش العقول بل ربما تفوق الخيال (١) .

وقد أحبها المعتضد حباً شديداً لجمال صورتها وكثرة أدبها . روي أنه خلا بها في بعض الأيام فوضع رأسه على ركبتها ونام . وكان المعتضد كثير التحرز على نفسه . فلما نام تلطفت به وأزالت رأسه عن ركبتها ووضعتها على وسادة ثم تنحت عن مكانها وجلست بالقرب منه في مكان آخر . فانتبه المعتضد فزعاً ولم يجدها فصاح بها فكلمته بالحال فعتبها على مافعلت من إزالة رأسه عن ركبتها وقال لها : أسلمت نفسي لك فتركتني وحيداً وأنا في النوم لا أدري مايفعل بي . فقالت : يا أمير المؤمنين ! ما جهلت قدر ما أنعمت به علي ولكن فيما أدبني به والدي خمارويه ، أن لا أجلس مع النيام ولا أنام مع الجلوس (٢) فأعجبه ذلك الجواب .

## جيجك خاتون (*)

نعم ! كان قصر المعتضد مليئاً بالجواري والحظايا ، ومن احسنهن وأجملهن مَن كنّ من الأصقاع التركية — قد برزت منهنّ « جيجك خاتون » . ويقال لها أيضاً « خاضع »(٣) . وهي أنجبت المكتفي بالله الذي يُضرب المثل بحسنه وجماله(٤) . وكان في طباع المكتفي كثير من أثر أجداده الأتراك . يقول

(١) كتاب الذخائر والتحف ٣٨٤

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٦ /ص ٨٠

«*» ورد اسمها في المصادر على مايلي « جيجك » الطبري ١١/٤٠٤ و « جيجق » التنبيه والإشراف ٣٢١ و « جيجك » المختصر لأبي الفداء ٢/ ٦٢ ولعل الصواب ما أثبتناه على أنها كلمة تركية تقصد بها « الزهرة » .

(٣) التنبيه والإشراف للمسعودي ٣٢١

(٤) انظر قول الشاعر

قايست بين جمالها وفعالها ... فإذا الملاحة بالخلاعة لا تفي

والله لا كلمتها ولو انها ... كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي

« تاريخ الخلفاء للسيوطي »

الطبري : إنه كان ربعة جميلاً رقيق اللون حسن الشعر وافر الجمة وافر اللحية (١) .

### السيدة شغب

ومن أشهر الجواري التركيات في قصر المعتضد بالله « السيدة شغب »، وقيل إن اسمها « غريب » . قال السيوطي بشأنها : رومية وقيل تركية (٢) . إلا أن المؤرخين أمثال جرجي زيدان (٣) وشارح ابن الرومي الشيخ محمد شريف سليم (٤) يجزمون بأنها تركية . وكانت أولاً جارية أم القاسم بنت محمد بن عبد الله بن طاهر واسمها إذ ذاك « ناعم » (٥) ثم تنقلت إلى قصر المعتضد بالله فأعتقها وتزوجها وكان للمعتضد منها جعفر بن المعتضد الملقب بالمقتدر بالله الذي تولى الخلافة بعد موت أخيه المكتفي بالله في سنة ٢٩٦ هـ وهو في الثالثة عشرة من عمره (٦) .

ولقبت شغب في خلافة ولدها بالسيدة(٧). ولما آلت الخلافة إلى ابنها المقتدر بالله قامت بتوجيهه وتصريف أمور الخلافة باسمه ، بل ربما تصرفت في الأحكام دونه بالاشتراك مع الحجاب والخدم . وقد اتسعت سلطتها في بلاط الخليفة إلى حد أن « أمرت سنة ٣٠٦ هـ ( ثمل ) القهرمانة أن تجلس للمظالم وتنظر في رقاع الناس كل جمعة ، فكانت تجلس وتحضر القضاة والأعيان . وكانت تبرز التواقيع وعليها خطها (٨) »

(١) الطبري ج ١١ ص ٤٠٤

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٦٥

(٣) تاريخ التمدن الاسلامي جرجي زيدان ج ٤ ص ١٨٦

(٤) ديوان ابن الرومي للشيخ محمد شريف سليم ص ٢٨

(٥) كتاب الذخائر والتحف ص ٢٣٨

(٦) الطبري ج ١١ ص ٤٠٤

(٧) البداية والنهاية ج ١١ ص ١٦٩

(٨) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٦٥

وكانت السيدة من خيرة النساء سخاءً وكرماً تنفق على الفقراء وتطعم المساكين وتهدي هدايا سنية . وكان محمد بن عبد الحميد كاتب السيّدة . فعرضت عليه الوزارة فأباها وكان من مشايخ الكتاب الذين يعوّل عليهم في الأمور وفي أحكام الدواوين . فلما توفي في سنة ٣٠٧ هـ استكتبت السيدة أحمد بن عبد الله بن أحمد الخصيب وكان يكتب لشمل قهرمانتها ، فضبط الأمر ضبطاً شديداً وحمد أثره فيه(١) .

ولما ثار عبد الله بن حمدان على المقتدر وخلعه الثوار سنة ٣١٧ هـ استتر هو وأمه . ثم لم تلبث أمه أن عادت إلى تدبير الشؤون بعد قمع الثورة — في السنة نفسها — وظلت إلى أن قتل ابنها سنة ٣٢٠ .

ولما آل الأمر إلى القاهر بالله صادرها وضربها بيده مائة مقرعة على المواضع الغامضة ، وأسرف في عقوبتها . فأقرّت بصناديق فيها صياغات وثياب وفرش وطيب ، وكانت قيمة ذلك مائة وثلاثين ألف دينار . وزادت علة السيدة من ضربات القاهر حتى ماتت من العذاب وذلك في جمادى الآخرة سنة ٣٢١ هـ(٢) ودفنت بتربتها بالرصافة . وذكر ثابت في تاريخه « إن السيدة لم تقصر في الإحسان إلى القاهر والتوسعة عليه ، حتى كانت تخرجه إلى بساتين ابنها في دار السلطان فتفرّجه فيها وتقرّبه من مجالس ابنها اذا شرب ليسمع الغناء ، وتشرف بنفسها على مايطبخ له من الطعام ، وترسل معه جارية تأكل من الطعام قبل أن يأكل . وأهدت جواري يأنس اليهن فكافأها على ذلك بما فعل معها(٣) . قال ابن تغري بردي : كان لها الأمر والنهي في دولة ابنها وكانت صالحة ، وكان متحصلها في السنة ألف ألف دينار فتصدق بها وتخرج من عندها مثلها . ومن آثارها

(١) صلة تاريخ الطبري ص٧٩
(٢) كتاب الذخائر والتحف ص ٢٣٨
(٣) كتاب الذخائر والتحف ص ٢٣٩

« بيمارستان » المستشفى أنشأته ببغداد ، كان طبيبه سنان بن ثابت . وكان مبلغ النفقة فيه في العام سبعة آلاف دينار(١) .

## زمرد ، وجوار أخر

ومنهن « زمرد » تركية الأصل . وهي أنجبت الناصر لدين الله من الخلفاء(٢) . والمستنصر بالله أبو جعفر كانت أمه جارية تركية (٣) ويقول أبو الفداء عنه(٤) « وكان المستنصر من أحسن الناس شكلاً وأبهاهم منظراً » وكان يرغب في عادة الأتراك ويحب طعامهم وكثيراً مايلبس لباس الأتراك» .

وهناك جارية تركية أخرى تسمى « بائي خاتون(٥) » أنجبت المستعين بالله . وأخيراً « كوزل خاتون » من الأسرة الاستقراطية التركية . انجبت المعتضد بالله الخليفة العباسي . ويقول السيوطي(٦) « كان المعتضد من سروات الخلفاء نبيلاً ذكياً فطناً » .

هذا ماوجدنا من المصادر بعد التحقيق في هذا الباب . وهو يعطي لنا فكرة عامة عن نساء الأتراك ومكانتهن في الدولة العباسية . ونحن نقول : إذا جمعت عهود الخلفاء الذين كانت أمهاتهم من الجواري الأتراك فهي تتجاوز ١٥٠ عاماً . وذاك دليل لا دليل بعده على نفوذ الأتراك في الدولة العباسية .

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٦٥
(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ٣١١
(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ٣٢٠
(٤) البداية والنهاية ج ١٣ ص ١١٣
(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٥٥
(٦) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٥٧

## جدول الخلفاء من امهات الاتراك

| أسماء الخلفاء | أسماء أمهاتهم | مدة خلافتهم |
|---|---|---|
| أبو جعفر عبد الله المأمون ابن الرشيد | مراجل | ١٩٨ — ٢١٨ ﻫ |
| أبو إسحق محمد المعتصم بالله ابن الرشيد | ماردة | ٢١٨ — ٢٢٧ ﻫ |
| أبو الفضل جعفر المتوكل على الله ابن المعتصم | شجاع | ٢٣٢ — ٢٤٧ ﻫ |
| أبو محمد علي المكتفي بالله ابن المعتضد | چيچك خاتون | ٢٨٩ — ٢٩٥ ﻫ |
| أبو الفضل جعفر المقتدر بالله ابن المعتضد | السيدة شغب | ٢٩٥ — ٣٢٠ ﻫ |
| أبو العباس الناصر لدين الله ابن المستضيء | زمرد | ٥٧٥ — ٦٢٢ ﻫ |
| أبو جعفر المنصور المستنصر بالله ابن الظاهر | جارية تركية | ٦٢٣ — ٦٤٠ ﻫ |
| أبو الفضل العباس المستعين بالله ابن المتوكل | باي خاتون | ٨٠٨ — ٨١٥ ﻫ |
| أبو الفتح داود المعتضد بالله ابن المتوكل | گوزل — خاتون | ٨١٥ — ٨٢٤ ﻫ |

زكريا الكتابجي
جامعة كراتشي — باكستان

# الآثار القديمة بالحِجر وما جاورها

الدكتور رانا م - ن - إحسان إلهي

منذ عصور ماقبل التاريخ كانت الحجرُ مهداً للحضارة ومركزاً للتجارة ، ولم يبق لنا منها الآن إلاّ نبذٌ من ذكرها في الكتب القديمة وبعضُ آثارها الخالدة المنحوتة في الصخور ما بين وادي القُرى وبخاصّة في المنطقة الواقعة بين العُلا وبئر الغنم . وهي الـتي تُعرف عندنا الآن باسم « مدائن صالح » .

ووصفها جماعةٌ من قدماء اليونان . ومنهم بلينيوس ( المتوفّى في حدود سنة ٨٠ م ) بقوله : إنّ ثموداً (Tamudaei) كانت لهم مساكن في دومة الجندل ( Domatha ) والحجر ( Haegra ) ؛ وإن الحجر مدينة تكثر فيها أشجار النخيل وهي مشهورةٌ عندنا منذ قرونٍ بأسواق الذهب والفضّة واللبان والعود والمُرّ والبخور ، ويمرّ بها طريق القوافل إلى البلاد العربية السعيدة( Arabia Felix ) [١] .

ومن اليونانيين الـّذين ذكروا ثموداً والحجر أيضاً بَطلَميُوس ( المتوفىٰ سنة ١٥٧ م ) فقد سمّاهم في كتابه العظيم بـ Thamuditae أحياناً وبـ Thamudeni أحياناً أخرى ، وعيّن مساكنهم في تلك المنطقة ذاتها . وقال : إنّ الحجر ( Σγρα ) بلدة صغيرة قديمة مشهورة بالتجارة [٢] .

---

(١) بلينيوس: Natural History ، ٢ : ٤٥٦ — ٤٥٧ .
(٢) Geographia ، ٦/ ٧ : ٤ .

وأمّا دُومة الجندل فهي واحة كبيرة معروفة عند الآشوريين باسم Adamu [(١)] . وقد تعرّف المستشرقون على ثمود ومساكنهم من الكتابات التي وجدوها . فقد وجدوا ذلك الاسم ( أي : Tamudi ) بين النصوص الآشورية القديمة في نصّ من نصوص سرجون الثاني بمناسبة ذكر المعركة العظيمة التي وقعت بين الآشوريين و بين الثموديين في سنة ٧١٥ ق .م وانتصر فيها الآشوريون عليهم [(٢)] . ويظهر من كلّ ذلك أنّ ثموداً كانوا يسكنون منذ عدّة قرون قبل الميلاد في شمال غربيّ بلاد العرب أي في المنطقة التي عيّنتها المصادر العربية القديمة . وكانت لهم حصون بأماكن شتى مثل الحجر والبتراءوبُصرى. وكانت فيها مخازن للأسلحة والأموال [(٣)] وروي أن أهل الحجر كانوا يعترضون الطريق في بعض الأحيان ويقومون بأعمال القرصنة في خليج العقبة . ففي سنة ٣١٢ ق . م أرسل أنتيغونوس ( Antigonus ) اليوناني سريتين من جنوده لمحاربتهم ولكن دون جدوى [(٤)] .

انّا نجد صخور الحجر وخاصة صخور جبل الأثالث التي تقع على خط العرض ٢٦°و٨٥َ شمالا وعلى خط الطول ٣٠° شرقاً [(٥)] . وقد تكوّنت هذه الصخور من الرمال المتراكمة التي مكثت تحت ثقل ماء البحر لمدة طالت إلى ملايين السنين ثم تحجرت ،ويسميها علماء الجيولوجيا بـ lower Paleozoic clastic rocks وحينا كانت تلك الرمال مغمورة تحت الماء غطتها طبقة لطيفة من مادة رقيقة من

---

(١) موزل : Hegaz ٣١١

(٢) رولنسن : Cuneiform Inscriptions ج ١ لوحة ٣٦

(٣) دائرة المعارف ( البريطانية ) ،بذيل مادة Nabataeans ؛ دائرةالمعارف الاسلامية ( ليدن ) ، بذيل مادة Nabataean

(٤) دائرة المعارف ( البريطانية ) ، بذيل مادة Antigonus

(٥) سترينفرد ( خريطة العرب ) .١٩٤٠ م

مركبات الحديد والمغنيسيوم ( magnesium ) فأصبحت وكأنها بعض الكائنات البحرية الثابتة كالإسفنج والمرجان . وقد تحجرت هذه بدورها أيضاً . وحينا كانت الشمس تشرق على هذه الصخور الوردية تنعكس أشعتها بألوان زاهية فكأنها عروس زينت بالأهداب الذهبية الأفقية .وقد زادتها بيئتها الموحشة جمالا وحسنا وروعة . فلا إنس فيها ولا جان يشوه جمالها ، ولا صوت ولا صفير يقطع نظر المتأمل في سحرها الخلاب .

وتبرز من بين هذه الصخور في الجانب الغربي من المنطقة واجهات البيوت الشاهقة المنحوتة في صميم الصخر حيث ترتفع هذه البيوت من الارض بعشرة أقدام أي ثلاثة أمتار . وأمّا « قصر البنت » كما يسمى حتى الآن ، فهو مرتفع من الارض بمائة قدم . وعلى كلّ من جانبي المدخل بلاستران pilasters وهما عمودان ناتئان من الجدار ويعرفهما علماء فن الهندسة المعمارية باسم double templum in antis (١)

وانّ لكلّ عمود قاعدة (base ) وتاجاً مجنّحاً(winged capital ) كما يوجد في سائر الأعمدة المنحوتة بالحجر . وطول العمود بالأكثر عشرون قدماً . وواجهات البيوت كلها مُحلاّة بالقوالب ( mouldings) . وانّ القوالب قد نُقرت بغاية الدقّة والمهارة . فما أروع العبقرية التي كانت وراء ذلك الإزميل الذي نحت هذا البناء من صخرةٍ واحدة بخطوطه الطويلة ـ الأفقية أو العمودية ـ بكلّ عناية وإتقان ، لم ينحرف قط ولم يخطىء وذلك لايمكن الا ّباستخدام الآلات مثل الفادن(plumb line) والشّاقول(*) ( spirit level)

(١) لكلّ المصطلحات المعمارية المستعملة في هذا المقال راجع دائرة المعارف البريطانية بذيل مادة Architecture ودائرة المعارف الأميركانية بذيل مادة Architecture

(*) جرت العادة على تسمية spirit level بميزان التسوية ، أما الشاقول فهو كالفادن خيط في نهايته ثقل. ( لجنة المجلة )

والبركار (compass )، الأمر الذي يدلّ على أنّ هؤلاء القوم قد وصلوا إلى مُستوى رفيع من الحضارة والفنّ والنحت .

واجدير بالذكر أنّ هذه المباني يشبه بعضها بعضاً في البناء والهندسة إلى حدّ كبير . وطرازها الطراز الدوري القديم ( Early Doric Order ) الذى لايوجد في العالم إلاّ في القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد . والمعروف انّ الطراز الدوري أقدم وأبسط الطرز المعمارية اليونانية القديمة ، ولايوجد فيه شيء من Echinus أو من Abacus كما لم نجد شيئاً منها في أعمدة الواجهات المنحوتة بالحجر . فنعتقد أنها نحتت في القرن الثامن قبل الميلاد على الأقل .

وإننا لمّا دنونا من بيت من هذه البيوت وقفنا حائرين في روعة البناء وفخامته ، وأعجبنا بدقّة النحت وجماله . وخُيّل إلينا أننا سندخل قصراً منيفاً ثم تقدمنا على أطراف أقدامنا وخطونا بحذر وترقّب إلى أن دخلنا البيت فاذا به غرفة مستطيلة نقرت في داخل الجبل تبلغ مساحتها سبعة أمتار طولاً وستة أمتار عرضاً وثلاثة أمتار ارتفاعاً . ووجدنا أيضاً غرفتين صغيرتين نقرت إحداهما على الجانب الأيمن والأخرى على الجانب الأيسر .

ولسنا من الاوّلين الذين قاموا بزيارة هذه الصخور ، فقد شاهدها قبلنا الكثير من الرحّالة الغربيين ، وهم قد وصفوها لنا وصفاً دقيقاً ولكنهم مع الأسف لم يذكروا عنها في كتبهم إلا ماهو تعبير عن معتقداتهم الخاصة وميولهم الشخصية . والواقع أننا لم نكن في حاجة الى أن نلتفت إلى أقوالهم لولا مُعارضتها لما ورد في القرآن الكريم .

ومن أهمّ ذلك دعواهم بأن المغارات التي نحتت في الصخور بالحجر كانت قبوراً وليست بيوتاً . ويستندون في رأيهم هذا إلى ضيق المكان وذلك أنّ كل مغارة بالحجر — صغيرة كانت أو كبيرة ، وسواءٌ أكانت

متكوّنة من طابقين أو ثلاثة طوابق ـ لها مدخلٌ واحد فقط ، أي باب بدون نوافذ وبدون وسائل للراحة في داخل البناء ، أو خارجه . ولذلك استبعدوا إمكانية المعيشة أو الحياة في هذه المغارات الضيقة بدون نوافذ ـ ويُضاف إلى ذلك ماعثر عليه الرحّالة من عظامٍ بشريةٍ منتشرة في بعض الكهوف ، ثم زعم جماعـــةٌ منهم مثل دوتي ( Doughty ) ورينان (Renan) وبرجر (Berger) وهوبر (Huber) ويوتنج (Euting) وريد (Reed) وغيرهم أنّ العبارات والشعارات الباقية إلى يومنا هذا في هـــذه المنازل تدلّ على أنهـــا مقابر ، لا سيا تمثال طائر هاتل نحت على قمة القوصرة ، ظنّه الغربيون البومة أو الهامة التي تخرج من جانب قبور القتلى ترقو وتصيح مخاطبة أهل الميت تدعوهم للثأر قائلةً : اسقوني اسقوني ! وزعم بعضهم أنها نَسْرٌ ، وقالوا جميعاً إنها كناية عن الموت .

ثم أكثروا من إيراد الحجج لإثبات هذا الرأي ، وقد أسفنا أن نجد الأستاذ أحمد فخري يجاريهم في هذا الرأي حيث يقول : في منطقة مدائن صالح والعلا توجد مقابر كثيرة حلّيت واجهاتها بالرسوم ، وكثيراً مانرى رسم النسر على واجهاتها فوق المدخل أحياناً ، وعلى جانبيها أحياناً أخرى .. ومثله الأديب البارع سليمان نصر الله الذي خلط الحقيقة بالخطأ وحيّر نفسه وحيّر القراء حيث نشر مقاله عن « العلا » في مجلة « قافلة الزيت » الغرّاء وجاء بمباحث كثيرة تدلّ على أنّ البيوت المنحوتة بمدائن صالح هي مقابر ومدافن ، كما أنّ النصوص المنقوشة على واجهات هذه البيوت بالخطّ النبطي الشائع في أوائل القرون الميلادية هي شواهد القبور(١) .

(١) قافلة الزيت ( ارامكو ،الظهران ) ، يونيو ١٩٧١ .

ولقد يسّر لنا الله برهاناً قاطعاً ورداً مانعاً حينما سافرنا مع جماعة من طلاب جامعة الملك عبد العزيز بجدّة في الأسبوع الأخير من شهر ذي القعدة الماضي إلى مدائن صالح . وإنما التوفيق من عند الله ، ولم يعثر على هذه الحقيقة أحد قبلنا . وكان عثورنا عليها بطريق الصدفة ( وربّ صدفة خير من ميعاد ) والفضل يرجع إلى جامعة الملك عبد العزيز التي قدّمت لنا فرصة ذهبية لزيارة منطقة الحِجْر .

وكان أول ما تفحصناه هو أبواب المغارات حيث لاحظنا أن غلق كل الأبواب كان من الداخل وليس من الخارج (اللّهمّ إلا «الديوان» و« بيت الصانع» كما يطلق عليه ) . وهذا دليل ناهض على أن هذه المغارات قد كانت مساكن يسكنها الأحياء من الثموديين وليست قبوراً ، وإلاّ لما كانت وسيلة اغلاقهـا من الداخل .

وذلك أن الناحت قد حفر في داخل كل باب أربع نُقَر مربعة الشكل (بوصتان في بوصتين) اثنتان منها في كتف الباب( jamb )نحو اليمين والنقرتان الأخريان نحو الشمال . وقد لاحظنا أنّ النقرتين في كلّ جانب ليستا عموديتين فالنقرة العليا مائلة إلى خارج المغارة ( أي هي متّصلة بإطار الباب ) وأمّا النقرة السُفلى فمائلة إلى الداخل،وما ذلك إلاّ لإحكام إغلاق الباب من الداخل . ونعتقد أنّ كلّ باب كان مصنوعاً من لوح واحد من الخشب وينتهي كلّ لوح في أعلاه بيروزَيْن نحو الخارج يدخلان في النقرتين العلويتين . وأمّا (النقرتان السفليتان ) عند منتصف الباب فقد كانتا تستعملان لوضع قطعة من الخُشب على شكل عارضة يقال لها السدّ أو الضبّ ( أي مغلاق ) وسمك هذه القطعة الخشبية بوصتان وطولها طبعاً أكبر من عرض اللّوح بثلاث أو أربع بوصات . وبهذه كان يغلق الباب من الداخل .

ولذلك وتوكيداً لكلامنا لم يجد الأستاذ محمدعبدالحميد مرداد أثراً لأي قطعة من الخشب أو الحديد على أبواب هذه المغارات، الأمر الذي حيره وأدهشه كما قال هو نفسه (١) .

سبق أن بينّا أن كل باب من هذه الأبواب قد صنع من لوح واحد من الخشب وسبب هذا الاعتقاد أن لوحات الأبواب لو كانت صنعت من الحجر أو الحديد لأصبحت ثقيلة جداً ، وبالتالي يصعب إغلاق هذه الأبواب . يضاف الى ذلك سهولة كسر الحجر في هذه الحالة ، ولهذا لم ينحتوا مغاليق الأبواب من الحجر ، ولم نشاهد قطعات المغاليق الحجرية منتشرة عند الأبواب أو حولها .

وأما استناد الغربيين إلى ضيق المكان فلا يمكن الاعتماد عليه لان الضغط الجوي(atmospheric pressure ) بمنطقة الحجر هو عالٍ جدّاً ممّا يُساعدعلى دخول الهواء الى كلّ زاوية من زوايا هذه المغارات بسرعةٍ وبسهولة . وحينما دخلنا إلى هذه المغارات لم نشعر بضيقٍ في التّنفّس في أيّ مكانٍ منها . وحينما صعدنا فوق الجبل ووثبنا بسرعةٍ من صخرة إلى صخرة أخرى لم نشعر كذلك بأي تعب أو إرهاق مطلقاً . وثمّة دليلٌ آخر على كثافة الهواء بالحجر هو أنّ أمواج الصوت تجري هناك بسرعة أكبر من السرعة الاعتياديّة . فحينما كنّا نتكلّم أو ندعو زميلاً لنا من بعيد لم نكن نحتاج إلى رفع أصواتنا كما لم نشعر بضيق التنفّس هناك أبداً . ويُطلق علماء الجغرافيا على مثل هذه المناطق : منطقة الضغط الجويّ العالي [ subtropical highs ] . (٢)

وأمّا العظام البشريّة الّتي وُجدت في هذه البيوت فهي قليلة . ومع ذلك فإننا لم نلاحظ وجود أيّ أثرٍ للجماجم أو عظام الحوض . ونحن فحصنا العظام

(١) مرداد : مدائن صالح ، أروع البلدان . القاهرة ١٩٢٠ م ،

(٢) McGraw -Hill' Elements of Geography ، ص ٧١

التي وجدناها فحصاً دقيقاً . . وقد ساعدنا بعضُ الطلاب مثل أنيس شودري على ذلك . فوجدنا العظام كلها جافة وخالية وخفيفة وليست نتنة . وكان أكثرها سالماً كاملاً ولم نجد فيها ثقوباً للديدان أو النمل . وشخصنا من بين هذه العظام زند ذراع بشري [ وهو ulna ] . وقد أثار اهتمامنا خلو العظام من أي أثر للحم أو العضل أو الجلد ، ولم نر شيئاً من ذلك في أجواف العظام أو فجواتها ، فكأنها نظفت بالماء والفرشاة ، فأقمنا على طلب الكعاس والسلاميات أي عظام البراجم والأنامل ( phalanges ) فبحثنا وفتشنا تفتيشاً دقيقاً في كل الزوايا فلم ننجح ولم نجد واحدة منها ، وهذا ما جعلنا نعتقد أن أكثر هذه العظام قد جلبت من الخارج وطرحت في هذه المغارات في فترة حديثة . وربما كان ناقل هذه العظام من المدافن أو المقابر قد نسي أن يلتقط السلاميات معها أيضاً . وكما نظن أن العظام قد غسلتها الأمطار هناك كما أصابتها عوامل التعرية . ولو كانت العظام قد وضعت في المغارات منذ البدء لأمكننا أن نعثر على بعض السلاميات في داخل هذه المغارات .

وعلى هذا فإننا نستبعد الاحتمال أو الافتراض بأن الجثث كانت في المغارة منذ البداية وأن السباع قد أكلتها ومضغت عظامها ولحستها . وذلك لأننا لم نشاهد في هذه العظام أثر المضغ أو اللحس . بل كانت أكثرها سالمة كاملة ، أي لم تمضغها أو تكسرها الكلاب أو السباع ولم تلحسها أيضاً . إذ لو لحستها الكلاب أو السباع لبقيت آثار اللحم والعضل في جوف أو فجوة من هذه العظام السالمة. ولأن لسان السبع لا يقدر على جذب بقايا اللحم من الجوف أو الفجوة دون تكسيرها بأنيابه .

وأما رأي دوتي ( Doughty ) بأن هذه العظام كانت لجثث محنطة فرأي غير مقبول هو الآخر ، لأن دوتى كان قد استند في رأيه هذا إلى عثوره على قطعة

قماش قديم وشقة من إهاب الإبل وشيء من البخور خلفه مادة التحنيط ، وكان دوتي قد أرسل هذه المادة إلى ليونج (Liveing) لإجراء التحليل الكيميائي عليها .

إن قطعة القماش البالية التي عثر عليها دوتي هي شبيهة بقماش الكتان المصري كما جاء في تقرير ليونج نفسه ، ومن المعروف أن قماش الكتان يستعمل للثياب حتى الان . وأما قطعة الجلد المربّطة بها الشقة الجلدية فهي من جلد الإبل ولعلها كانت ( حقيبة ) تستعمل للبخور ، ومن المعروف أن جلد الإبل لايستعمل في التحنيط .

وأما ما عثر عليه دوتي من البخور فإنه ليس من مواد التحنيط وذلك لأن المواد المستعملة في التحنيط هي مواد دهنية لايذوب معظمها بالماء ، ولكنها تذوب في مُذيبات أخرى كالبنزين . وقد أثبتت التجارب التي أجراها «ليونج» على هذه المواد المكتشفة ، أن ٢٧ بالمائة منها قابل للذوبان في الماء ، وأما ما أذابه البنزين منها فهو اثنان بالمائة [١] الأمر الذي يدل على أنها ليست من المواد الدهنية التي تستعمل في التحنيط . يضاف إلى ذلك أن مواد التحنيط لا تشتمل على ألياف نباتية مثل هذه . وأما النموذج الذي أرسله دوتي إلى ليونج فنعتقد أنه عودٌ أو لُبان. ولا نعلم كيف نسي دوتي أن التحنيط لم يكن معروفاً عند العرب وعند الساميين ( سيما اليهود والنصارى ) في تلك العصور ، لأنهم كانوا يدفعون أمواتهم إلى التراب ويدفنونهم تحت الأرض منذ عهد الجاهلية الأولى .

يظهر من ذلك أن العظام الموجودة في المغارات بمدائن صالح هي قليلة جداً وغير محنطة أصلا . والظن الغالب عندنا أن هذه العظام هي عظام للرجال الذين «أخذتهم الصيحة » . وان هذه المغارات لو كانت مقابر للأموات لكانت قد ملئت بأكوام من العظام المتراكمة المزدحمة .

---

(١) دوتي : Travels in Arabia ، لندن ١٩٦٤ م ١ : ١٣٩ وما بعدها

وأما المقابر والمدافن لأموات هذه المدائن فإننا قد وجدناها ليست في داخل هذه المغارات وإنما آثارها توجد في السهل الغربي المجاور لهذه الصخور حيث تقع في مساحة تقدر بثلاثة كيلومترات مربعة وهي متسعة بين جبل الأثالث وبين بيت الصانع . ومن بين تلك القبور المندثرة وجدنا أثر قبر طويل ( نحو ثلاثة أمتار في الطول ) فتعجب أكثر الطلاب الذين كانوا معنا فقلنا لهم : ولعله كان لفارس شجاع دفن هناك مع أسلحته والتي منها الرمح والسيف وأمثاله كثيرة بين أيدينا ،مثلاًقبر (نَوگَزه ) (١) أو قبر « فليبوس » (٢) فرس الاسكندر المقدوني

وأما تمثال الطائر المنحوت على معظم المداخل فإنه ليس تمثالاًللبومة أوالنسر، ولو فرضنا أن تمثال الطائر هذا يشير فعلاً الى البومة أو الهامة لكان هذا يعني أن جميع الناس الذين دفنوا هناك قد قتلوا غدراً ولا بد من الثأر لهم ، وهذا أمر غير معقول . اننا نعتقد أنذلك الطائرهوقَـقَنّس ( phoenix ) ويقال له سمندل أو سبندل أيضاً (٣) وإن الفقنس هو طائر خرافي . ومن الروايات التي تروى عن هذا الطائر أنه إذا انقطع نسله أو هرم ألقى بنفسه في النار ليعود له شبابه ، فعلى هذا هو رمز إلى الخلود والبقاء نحته الثموديون على مداخل بيوتهم وزعموا أنهم يعيشون آمنين فرحين دائمين خالدين فيها . وقد ورد في العهد القديم : « ومثل السمندل ( وبالعبرية : وكالحول ) أكثر أياماً » (٤) .

وأما ما يعتقد بأنه رسم للحيّة ، والموجود على كل من جانبي رأس الانسان في القوصرة ( pediment ) فوق بعض المداخل فإنه ليس رسماً للحيّة لأننا

(١) Imperial Gazetteer of India ، كورة « لاهور » ( بامدادالاشارية .

(٢) أيضاً ، كورة « كجرات » ( بامداد الاشارية ) .

(٣) تاج العروس بذيل مادة سمندل

(٤) العهد القديم ، أيوب ، ٢٩ : ١٨

تأملناه فوجدناه قرناً من قرون الشعر أي ضفائر مرسلة . ومن المعروف ان النعمان بن المنذر سمي بذي القرنين لضفيرتين كانتا في قرني رأسه كان يرسلها، كاأن القرون مقبولة عند بني شقير إلى الآن (١). وعلى ذلك يذكرنا هذا الرسم بقناع الغرغونة ( Gorgon ) (٢) وكانت الغرغونة إحدى أخوات ثلاث في الميتولوجيا اليونانية ، مكسوات الرؤوس بالأفاعي بدلا من الشعر ، وكان كل من ينظر إليهن يتحول إلى حجر . فقد يُرسَم رأسها على واجهات القصور للحفظ من أضرار العين ، ولأجل ذلك كان هذا الرأس لا يرسم على القبور أبداً .

وعلى كل من جانبي القوصرة قد نحتت زهرية. وزعم بعض المستشرقين أنها (urn ) أي الجرة التي تستعمل لحفظ رماد الموتى . ولكن كيف ذلك ؟ فإن احراق جثث الموتى لم يكن معروفاً عند العرب وأيضاً عند الساميين .

وأما الحفر والرفوف المنقورة في داخل أكثر البيوت فهي ليست لدفن الأموات لأن بعضها أقصر من طول الإنسان (مثلا كانت متراً ونصفاً )فكيف تكون هذه مقبرة ؟ وأما الرفوف فكلها غير عميقة لأن عمقها لايزيد شبراً ولا يتسع لجثة ميت أبداً . وقد اعترف بهذا «دوتي» أيضاً وقال: إنها ليست بمدافن للجثث . ولذلك فإننا نعتقد أنها خزائن الأموال والملابس والأشياء التي مثلها وما الحفر هذه إلا مخازن للأموال والثمار والبخور .

ويبدو لنا أن سكان هذه البيوت كانوا من الأشراف أو الملوك ، وأما أهل الحرفة وعامة الناس فكانوا يسكنون في بيوت في السهل أو في الوادي الممتد حول هذه الجبال وهي مغمورة ومطمورة تحت الرمال .

---

(١) دكسن The Arab of the Desert ، لندن ١٩٤٩ م .

(٢) هيستنجز : دائرة المعارف للأديان والأخلاق ، بذيل مادة Gorgon

وأما متراس البناء فله طلعة غريبة لامثيل لها في أيّ فن من فنون العمارة في العالم، قد نقر على شكل خمس درجات إلى اليمين ومثلها إلى اليسار . فقد زعم ريد ( Reed ) (١) المستشرق أنه عبارة عن معراج لتيسير أن ترقى نفس الميت إلى السماء ، فغايته أن هذه المغارات مقابر لا مساكن . وهو رأي مردود لأن اليهود والساميين في تلك العصور كانوا يعتقدون أن نفس الميت تغوص وتهبط تحت الأرض في ظلام يقال له شئول (שאול) ولاتتجه نحو السماء (٢). وإن عقيدة صعود النفس إلى السماء حديثة العصر ( أي قد ظهرت في القرن الرابع بعد الميلاد) (٣) ونحن نعتقد أن هذا المتراس عبارة عن الراية واللواء ، أو عن إكليل الملك القرنثي .

وقد بذلنا جهدنا أن نحصل على صور لهذه النصوص المنقوشة فوق مداخل بعض البيوت بالحجر ولم ننجح، إلى أن زارتنا الدكتورة روت آلتيم شتيل Stiehl من ألمانيا، ولها شغف خاص بمدائن صالح وآثارها منذ خمس سنوات، وكان عندها كما أخبرتنا كثير من صور النصوص من مدائن صالح. فناقشت الدكتورة معنا موضوع المغارات بالحجر هل هي قبور أو بيوت . فأثبتنا لها بحجج دامغة أن هذه المغارات قصور وليست قبوراً . فقالت أخيراً : فماذا ترى في النصوص التي قرئت مراراً وحللت وفسرت وترجمت إلى اللغة الفرنسية ؟ فقلنا لها : أما النصوص فصور منها غير موجودة بين أيدينا فكيف نقول شيئاً عنها ؟ بل إننا نظن أن الغربيين قد أخطؤوا في القراءة خاصة في كلمة « قصر » فقرؤها « قبراً » لأن الفرق بين شكل الصاد وشكل الباء في الخط الثمودي كان ضئيلاً جداً وقد من الله علينا بمعرفة قراءة هذه النصوص القديمة ( الحميرية أو النجدية أو الحجرية أو السبئية

(١) ونشت وريد Ancient Records ، تورنتو ١٩٧٠
(٢) هيستنجز ، يذيل مادة Disposal of Dead (Jews)
(٣) أيضاً ، مادة Ascension ( Soul )

أو الآرامية أو العبرية ) ـ كما وفقنا بالعثور على زلات المستشرقين مثل ساويناك ( Savignac ) وبيستن ( Beeston ) وجام ( Jamme ) فوعدتنا الدكتورة أن ترسل إلينا بعض الصور من النصوص في مدى أسبوعين . ثم ذهبت وهي مقتنعة برأينا ، والآن قد مضى عليها الشهر الخامس ولم يصلنا شيء من صور النصوص إلا ترجمة بعض النصوص بالفرنسية .

وفي غضون ذلك وقعنا على كتاب حديث الطبع . فوجدنا فيه مصادفة صورة نص من نصوص مدائن صالح فتأملنا فيها وتعمقنا في استيعابها فاذا بها كلمة « قصر » دون أي ريب وشك .

فيتضح لنا من العرض السابق أن المغارات المنحوتة في الصخور بالحجر إنما هي بيوت وقصور وليست بقبور ، فسبحان الذي أنزل في محكم التنزيل :

﴿ ولقد كذّب أصحاب الحجر المرسلين * وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين * وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين * فأخذتهم الصيحة مصبحين * فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * ﴾ صدق الله العظيم

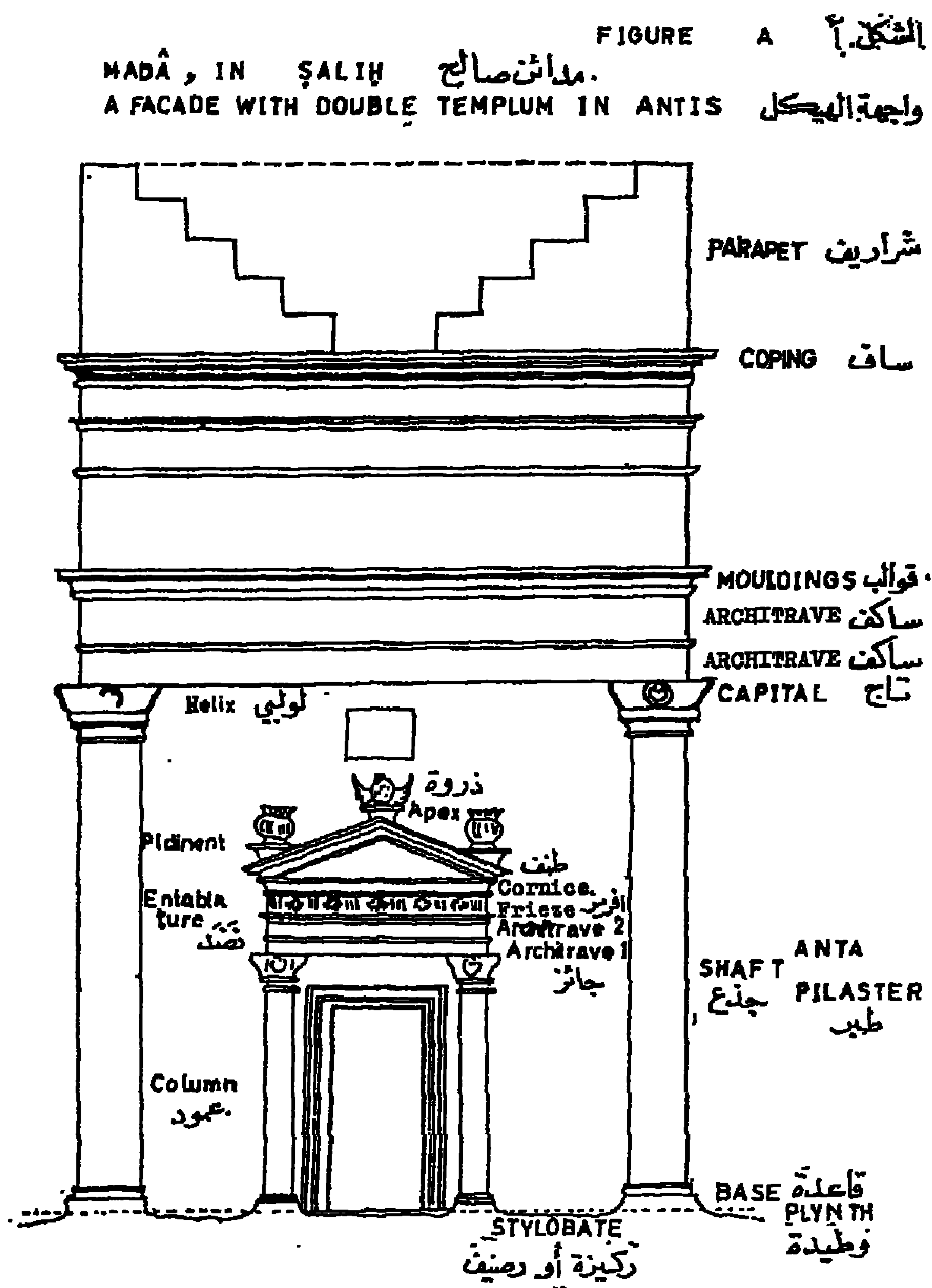
# المصادر

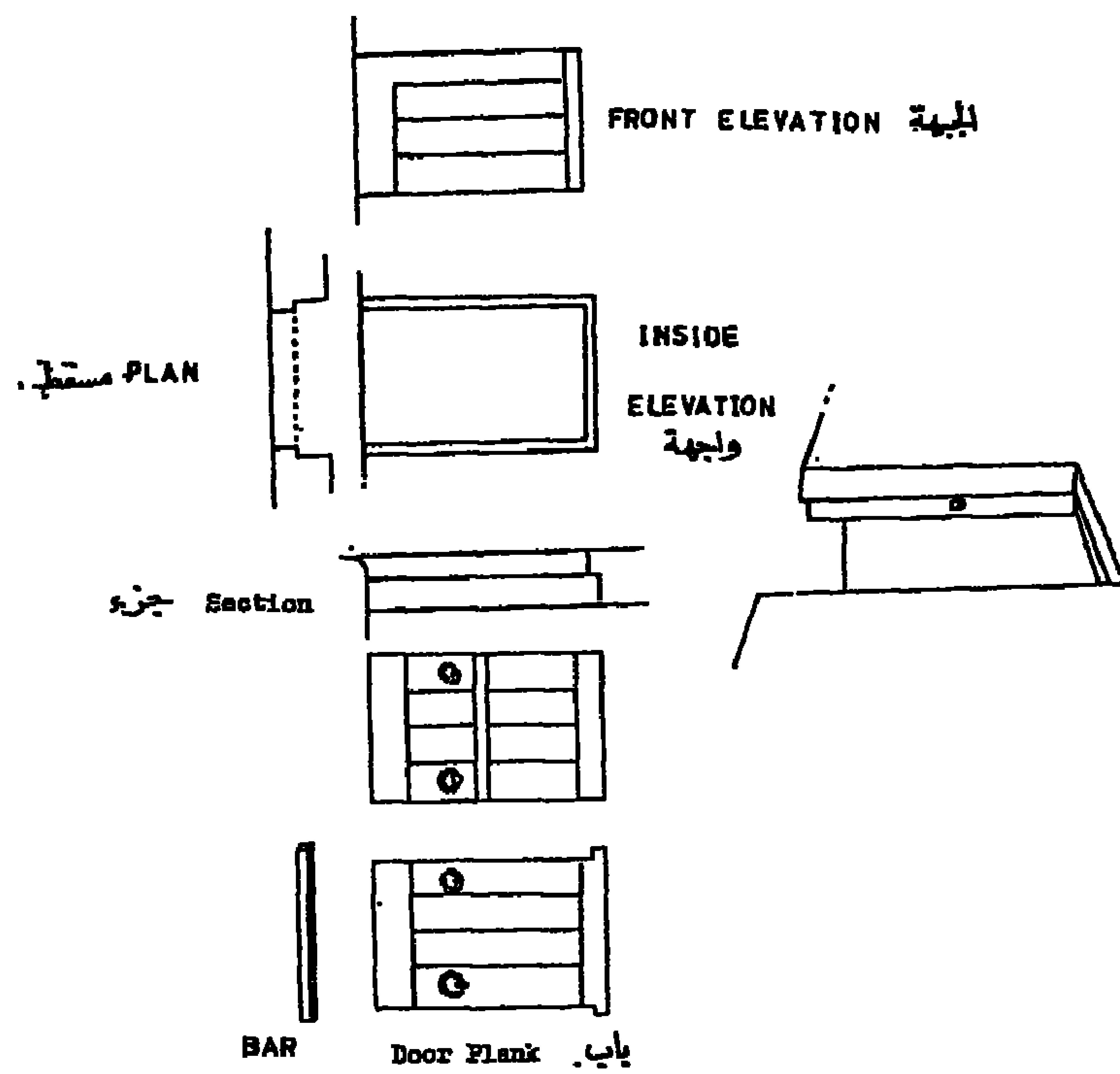
## مضافة إلى المراجع المشار إليها في المقال :

ـ ابن هشام : السيرة ، تحقيق وستنفلد ، الجزء الأول ص ٨٩٨ ـ ٨٩٩
ـ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، تحقيق موللر ص ١٣١ .
ـ الطبري : تاريخ الطبري ، تحقيق دي جويا ، الجزء الأول : ص ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٤٤ ، ٢٥١ ، ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ، ٣٥٢ .
ـ المسعودي : مروج الذهب ، طبعة باريس . الجزء الثالث ص ٨٤ ـ ٩٠
ـ الشهرستاني : الملل والنحل . القاهرة ١٩٥٠ .

- ياقوت الحموي: معجم البلدان : نشره وستنفلد .
- ابن منظور : لسان العرب : طبعة بيروت.
- الزبيدي : تاج العروس : طبعة القاهرة .
- جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام . بغداد ١٩٥٠ .
- سليمان موسى : آثار الأردن : ١٩٦٥ .
- أحمد فخري : بين آثار العالم العربي . القاهرة ١٩٥٨ .
- عبد القدوس الأنصاري . بين التاريخ والآثار : ١٣٨٩ / ١٩٦٩.
- م . عبد الحميد مرداد : مدائن صالح . أروع البلدان . القاهرة ١٩٧٠ .
- برنامج رحلة مدائن صالح (١٣٩٠/١١/٢٥ — ١٣٩٠/١١/٢٩ ) أو (١٩٧١/١/٢٣ — ١٩٧١/١/٢٧) نشرته جامعة الملك عبد العزيز بجدة.
- ش . م . دوتي — رحلات في الصحراء العربية . لندن : ١٩٦٤ .
- ج « يوتنج : كتاب اليوم ( تاج بوك) الجزء الثاني: ص ٢١٥ ومابعدها.
- شبرنجر : جغرافية بلاد العرب القديمة .
- ج . ﻫ . دالمان : معجم آرامي . جوتنجن ١٩٣٨ .
- دائرة المعارف البريطانية . طبعة ١٩٦١ .
- دائرة المعارف الأمريكية . طبعة ١٩٦٩.
- دائرة معارف الدين والأخلاق . طبعة هيستنجز .
- دائرة معارف الإسلام . طبعة ليدن . وبخاصة المقالات التالية : هَجَر — الأنباط — صالح — ثمود .
- ديكسون : عرب الصحراء — لندن ١٩٤٩ .
- ونّت وريد : مكتوبات قديمة . من شمالي الجزيرة العربية . تورنتو ١٩٧٠
- إ. إلهي : الحِجْر ،. . الخ . . في المنهل ، جـدة ، صفر وربيع الأول ١٣٩١


لاهور رانا م ـن ـ إحسان إلهي


FIGURE A الشكل أ
MADÂ, IN ṢALIḤ مداش صالح.
A FACADE WITH DOUBLE TEMPLUM IN ANTIS واجهة الهيكل
PARAPET شراريف
COPING ساف
MOULDINGS قوالب
ARCHITRAVE ساكف
ARCHITRAVE ساكف
CAPITAL تاج
Helix لولبي
ذروة
Apex
Pidiment
طنف
Cornice
Frieze إفريز
Architrave 2
Architrave 1
Entablature
جائز
SHAFT جذع
ANTA
PILASTER
Column
عمود
BASE قاعدة
PLYNTH
وطيدة
STYLOBATE
ركيزة أو رصيف


FIGUR_ B الشكل ب
FRONT ELEVATION الجبهة
INSIDE
ELEVATION
واجهة
PLAN مسقط.
Section جزء
BAR
Door Plank باب.

# ثغور على الخريطة اللغوية العربية

الدكتور شكري فيصل

البحث في حاضر اللغة العربية أو في ماضيها أو في مستقبلها بحث متكامل الجوانب :

إن اهتمامنا بالماضي منها هو نوع من المعرفة ومن الإحياء ومن رعاية الجذور والاهتمام بها حتى تظل طريقاً إلى النمو ، ومن تتبع السيرة ومن مراقبة التطور .

وان اهتمامنا بحاضرها هو اهتمام بالواقع الذي نحيا فيه ، ومعاناة كاملة لأشيائه ، وتمرّس بالاسماء والمسميات ، ونهوض بالأمانة الصعبة التي ألقت بها الأقدار على هذا الجيل منذ دفعت به إلى صميم الحضارة المعاصرة دون مشاركة منه فيها .

وإن اهتمامنا بمستقبلها هو استكمال لهذا الاهتمام بالماضي والحاضر ، لأن ايماننا بمستقبلها هو جزء من عقيدتنا ، ولعله أن يكون آصل الاجزاء ، فلغتنا يجب أن تستوعب هذين الجانبين الرئيسيين من حياتنا : حياتنا الاجتماعية من طرف ، وافكارنا ومثلنا وتطلعاتنا وتنظيم هذه الأفكار وصياغة هذه التطلعات وتحقيق هذه المثل من طرف آخر .

ولهذا يبدو الحديث عن جانب ما من ماضي هذه اللغة أو حاضرها أو مستقبلها حديثاً متكاملاً يقود بعضه إلى بعض ، بل لعلّه يقود الى شيء كثير من تداخل . ان الجذر الضارب في أعماق الأرض ليس بعيداً عن الثمرة التي تتدلى من الغصن ، والفرع المنبثق عن الساق هو ساق أخرى ، وبين ماضي اللغة وحاضرها ومستقبلها مثل مابين الجذر وبين الثمرة من صلات القربى والنسب .

* * *

كنت أتمثل هذا كله وأنا أفكر في خريطة اللغة العربية المعاصرة ... في

امتدادها وفي عوائق هذا الامتداد ، في مكانها من الألسنة وفي مكانها من الاقلام ، في انتشارها لغةأداء يومي أوأداة تواصل فكري .. في وجودها في بعض الاقطار لغة وفي أقطار أخرى حروف كتابة .. في مستقبلها مزدهراً وفي مستقبلها مهدداً ، في الآفاق التي كانت لها وفي الآفاق التي يراد أن تحبس فيها وفي الآفاق التي تتطلع اليها .

ومن الواضح أن هنالك في الاصل هذا التوازي ــ أو مايشبه أن يكون توازياً ــ بين انتشار الاسلام وبين انتشار اللغة العربية ، فقد ارتبط مابينهما منذ أراد الله تعالى أن تكون العربية هي لغة هذا الكتاب الكريم المنزل وهذه الدعوة النقية الجديدة .

غير أن هذا الأصل لم يتحقق دائماً على النحو الأمثل : فقد انتشر الإسلام وانتشرت العربية في مناطق ، وانتشر الإسلام ولم تنتشر اللغة وانما انتشر الحرف العربي في مناطق اخرى ، وانتشر الإسلام وانتشرت ثقافته في مناطق ثالثة من غير أن يصاحب ذلك وجود اللغة العربية على الألسنة أو وجود الحرف العربي على الأقلام .. هذا على شيء من تداخل في هذا التقسيم : بعضه تداخل زماني وبعضه تداخل مكاني ، لابد معه من تسامح .

ومن هنا لاتتخذ الخريطة العربية اللغوية لوناً واحداً .. انه لون واضح فاقع في البلاد التي تعتبر اللغة العربية لغة رسمية ، وهو لون دون ذلك وضوحاً في البلاد الاسلامية التي احتفظت بلغتها القومية غير أنها كتبتها بالحرف العربي .. ثم هو لون متقطع ، أشبه مايكون بعروق الذهب الضاربة في طبقات الأرض ، في البلاد التي انتشر فيها الاسلام وكوّن المسلمون فيها هذه الكثرة أو هذه القلة دون أن يكون هنالك التزام باللغة العربية المكتوبة أو المنطوقة . ان اللغة العربية في مثل هذه الاقطار ، في بعض أقطار افريقية أو آسيوية ، تستحيل الى أحدشيئين ــ أو

اليها معاً : إما أن تستحيل ثقافة اسلامية فيها من العربية رموزها ومصطلحاتها وأطراف من الفاظها وتعابيرها وصيغها ، وإما أن تستحيل لغة متداخلة مع اللغة المحلية متفشية في كثير من الفاظها كما في السواحلية ،ولكنه نوع من التفشي الذي يأتي أثراً آثار التفاعل لامن آثار الغلبة .

وفي هذا البحث القصير لا أنوي أن أتحدث عن هذه كلها ، وإنما أحب أن أتحدث عن الخريطة اللغوية فيما نصطلح على تسميته الآن بالوطن العربي ؛ وإنْ يكن الوطن العربي ــ والعروبة نسب فكري ولحمة ذهنية وولاء نفسي ــ أبعد آماداً من هذه الحدود التي يحاط بها .

* * *

في هذا الوطن العربي نواجه دائماً هذا النص الدستوري النظري على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية . غير أننا نواجه كذلك غالباً هذا القصور عن تحقيق هذا النص . وهو قصور ينتثر على درجات متتالية تبدأ من غياب اللغة العربية في الدوائر الرسمية غياباً واضحاً ــ باستثناء بعض الأوراق أو الشعارات ــ وتتدرج حتى تنتهي بمزاحمة اللغة الأجنبية لها في بعض حلقات التدريس أو في بعض فروعه .

وليس من شك في أن الحقبة الاستعمارية تركت ظلالاً كثيفة على سيادة اللغة العربية ، فابتعدت بها عن الحياة الادارية والحياة العلمية على السواء ، وتركت لها ــ مكرهةً ــ هذا الحيّز الضيق على الألسنة في أمور الحياة اليومية التي لاتثير فكراً ولا تبعث على تأمل . فلما جاءت عهود الاستقلال كان لا بد للأصالة اللغوية من أن تجد سبيلها الى أن تكون لها الغلبة على كل الاعتبارات الأخرى .

* * *

إن الخريطة اللغوية التي تمتد بين الخليج والمحيط لا تبدو نقية دائماً . إن جملة من الثغرات ترتسم على خطوطها هنا وهناك ،وتتيح للرياح الجليدية الباردة أن تغطي الأفق اللغوي .

ومن الممكن أن نلاحظ أن هذه الثغرات تتشعب في نوعين كبيرين :
ثغرات ترتد الى الماضي ، والمسؤولية فيها مسؤولية عهود الاستعمار الظالمة .
وثغرات ترتد الى الحاضر ، والمسؤولية فيها تعود الى الانحراف الذي يصيبنا ، أفراداً أحياناً ، وجماعات حيناً آخر .

* * *

النوع الأول من هذه الثغرات يتلامح في الأقطار التي كانت تعاني أهوال الاحتلال الفرنسي في أقطار شمالي إفريقية : المغرب والجزائر وتونس ؛ على الخلاف الكبير بين هذه الأقطار في النظر الى المشكلة اللغوية :

فعلى حين تغيم الأصوات العربية الصافية في المغرب وتقوم الدعوة الى الثنائية اللغوية مؤيدة بطائفة من القوى ، يبدو الوضع في الجزائر أشد ما يكون إشراقاً وأملاً ، وتؤذن الخطوات الواقعية المدروسة بتغيّر كبير في الميزان اللغوي ، بينما يبدو الأمر في تونس متأرجحاً : الكثرة الكاثرة التي كابدت الاستعمار استعصمت بلسانها بفضل خريجي الزيتونة والصادقية ؛ ولكن جيلاً جديداً ثنائي اللغة ، في نطاق المعاهد والجامعات ، يوشك أن يمدّ سلطانه على الإدارات والمؤسسات .

ومن هنا تأخذ التجربة الجزائرية في تأصيل العربية قيمتها : إنها ليست استعادة للوجود السليم ، وليست نقضاً لما أقامه الاستعمار والتبشير خلال قرن وربع القرن ، وليست مقاومة متزنة وعنيدة لضغوط من كل جانب .. ليست هذا كله فحسب ، وإنما هي التجربة الرائدة التي سيكون من آثارهـا أن تصحح الموقف اللغوي في في القطرين الشقيقين المتجاورين : الموقف الذي يدعو الى الثنائية ويؤيدها في المغرب ، والموقف المتأرجح الصامت في تونس . إن نجاح التجربة في الجزائر يطرد الشكوك التي تساور بعض النفوس ، ويسد الثغرات المفتوحة على العربية ، ويشق أمامها الطريق لتكون اللغة اليومية والعلمية والتعليمية والإدارية على طول الشمال الإفريقي .

ولكن ماذا عن موقفنا من هذه التجربة ؟ هل نقف ننظر فيها وننتظر نتائجها ، وانعكاس هذه النتائج على ما حولها من يمين ويسار وعلى ما وراءها من هذه الأقطار التي تؤلف الصحراء حوضها المشترك ؟

تلك قضية أخرى ليس هذا مكانها ولكننا مع ذلك لا نملك أن نغضي عن أمر أساسي نخشى عدواه من المغرب الى المشرق ، وبخاصة حين نرى هؤلاء الذين يبشرون لهذه العدوى وييسرون سبيلها .

ذلك أن المنطلق النظري للواقع اللغوي الذي يعانيه المغرب يبدأ من هذه الدعوة الى الثنائية ، وهي دعوة تريد تزويد الإنسان في الشمال الإفريقي باللغتين معاً .

والحق أنه ما من كلمة أخرى كهذه الكلمة يتداخل فيها الحق والباطل ، فالمسلمات النفسية والتربوية والاجتماعية كلها تقف نقيضاً لهذه الدعوى ودليلاً على استحالتها . وإذا كان هنالك نماذج فردية نادرة استطاعت أو تستطيع أن تحقق هذا الميزّ في ظروف معينة لا تتكرر أو يصعب تكرارها ، فإن إقامة كيان اجتماعي وسياسي ، وفيّ لواقعه ، حريص على ضمان مستقبله الذاتي ، لا يتأتى بحال مع هذه الثنائية النظرية ولا يمكن أن يكون جزءاً منها ولا عوناً عليها .

وفي مثل الظروف الاجتماعية لأقطار من أقطار المغرب العربي — وأنا أتحدث بعد معاناة لهذه الظروف وعيش فيها واستبطان لأعماقها وإدراك لطبيعتها التاريخية — يبدو أنه ليس هنالك إلا اختيار واحد : إما الوجود الأصيل ، وإما الثنائية اللغوية .. انهما خطان لا يتوازيان ، بل إنهما قضيتان متعارضتان .

ذلك أن ثنائية اللغة في الظروف الراهنة التي يسترد فيها الشمال الإفريقي شخصيته لا تعني شيئاً آخر إلا غياب اللغة العربية مرة أخرى . ولكن غيابها في هذه المرة يأتي عن طواعية منا لا عن إكراه من غيرنا . وإلا فماذا يبقى للعربية — مهما يكن من عراقتها الحضارية — حين نضعها في سباق مع لغة أخرى في تيار

الحياة الحاضرة بعلومها وتقنياتها ؟ وكيف نتصور هذه الثنائية التي لا تكافؤ فيها بين اللغة العربية وهي تستأنف طريقها ، وبين لغة ذات سلطان وقواعد وطرق متفتحات.

إن الخطر الذي يتهدد العربية في الشمال الإفريقي لا يأتي من بطء حركة التعريب ، ولا من وطأة آثار الاستعمار القديم ، ولكنه يأتي من هذه الدعوة الى ثنائية اللغة . وان استمرار الحاجة الى اللغة الأجنبية في مرحلة انتقالية ، مهما يكن من طولها ، لا ينهض مسوّغاً لهذه الدعوة ، فهذه الدعوة شيء والصلة المتصلة باللغات الأجنبية شيء آخر .

إن حركة التطور الطبيعي السليم تمضي مع العربية ولمصلحتها . ولذلك فنحن لا نخشى بطء هذا التطور: غير أن الذي نخشاه أن يدخل هذا التطور الطبيعي قوى أخرى – لعلها أن تكون القوى القديمة – وأفكار عتيقة في ثوب جديد ، من مثل الاحتماء بالحرص على مواكبة الحضارة ، أو غنى الثنائية ، أو الانقياد لضرورات الموقع الجغرافي ، أو ما الى ذلك مما هو أقرب الى أن يكون تعلةً منه الى أن يكون حجة .

* * *

إذا تجاوزنا هذا النوع الأول من الثغرات الى النوع الثاني فإننا نتجاوز مغرب الوطن العربي الى مشرقه .

وما من شك في ان العربية في المشرق تبدو أكثر وضوحاً ، وأوسع انتشاراً ، وأعمق حضوراً . ولست في حاجة الى شيء من حديث عن العبء الكبير الذي تنهض به القاهرة وبغداد ودمشق ، ولكننا في حاجة الى التأكيد على هذا الحرص الرائع في ليبيا على أن يشمل التعريب كل شيء وعلى أن يكون أصيلا عميقاً .. ولن أنسى النشوة التي ملأت كياني كله حين ركبت خطاً من خطوط شركة الطيران الليبي فقد راعني أني لم أجد كلمة واحدة غير عربية ، وقرأت نشرة الشركة

عن حركتها ومواعيدها وشروطها فاذا لغة عربية صافية تشغل كل حيز ، وتفي بكل حاجة ، وتقابل كل رمز .

غير ان هذا الذي في المشرق ، لايحملنا على القناعة ولا يحجب عنا هذه الثغرات التي تتلامح بوضوح على طريق الحركة اللغوية .

ولن أتحدث هنا عن غياب المصطلحات ولا عن حركة التعليم العالي ولكني، في حدود الحياة الثقافية ، أحب أن ألاحظ أن هناك خطراً من نوع جديد يستتر في أثواب من «التيسير» و « والتبسيط » ومراعاة الجماهير» ويوشك أن ينال من سلامة الحركة اللغوية .. إنــه خطر لايواجه بالخصومة ولكنه الخطر الذي يأتيك في مسوح الصديق .

سأتجاوز الوقوف عند بعض الدعوات السافرة كهذه الدعوة في لبنان التي تريد دفن الحرف العربي ، لأتمهل عند الدعوات الأخر التي تبدو مغلفة بالنوايا الحسنة .

ان هذه الدعوات تتبدّى في مثل الغاء الإعراب ، وفي مثل الدعوة الى اللغة الثالثة بين الفصحى والعامية ، وفي مثل اقحام العامية مفردات وتراكيب .

وقــد وصلت هذه الدعوات الى حد أنها سخرت لها أقوى وسائل الإعلام وداخلت أذهان أكبر عدد من الجمهور ، فإذا الإذاعة المسموعة والاذاعة المرئية والمسرح والصحافة بعض وسائلها التي تنفذ منها وتنتشر عن طريقها .

وقد كان الأمر في بدايته كما تكون الافكار كلها : شرراً متقطعاً . ولكنه مالبث أن أخذ يتكاثف ويتجمع حتى أوشك أن يكون هذا الخطر المنذر .

وتفصيل ذلك أننا في المراحل التعليمية الثلاث : المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية نرعى تعلم العربية ونتعهدها ونسهر عليها ونجهد في أن نطابق بينها وبين الألسنة .

ولكن جهود وزارات التربية كلها وملايين المعلمين والمدرسين والأساتذة تنقض

نقضاً في المؤسسات الأخرى مثل الصحافة حيناً والإذاعات المرئية المسموعة حيناً آخر ، وهي هذه الوسائل القوية الملحة الدؤوب التي تهاجمك ليل نهار حتى تسكن اذنيك وحتى تحملك على الإنصات إليها ان كان هناك سبيل الى أن يكون الإنصات أمراً ندفع اليه ونحمل عليه .

هذه الوسائل تحللت من كثير من ضوابط العربية . انها تناقض عمل التعليم وتنقضه . ويبدو دائما هذا المشهد المبكي : وزارات التربية تملأ القربة من فوق. ومؤسسات أخرى تحدث في هذه القربة ما استطاعت من ثقوب . أولئك يبنون السفينة أو يحاولون بناءها وهؤلاء يخرقون أطرافاً منها دون أن يجدوا من يأخذ على أيديهم .. ويعود الجهد العربي الضائع – على نحو ما يبدو في كثير من الساحات الأخرى – حقيقية ماثلة، ويوشك أن ينتهي المرء الى أن كثيراً مما تقوله الصحافة وكثيراً جداً مما تذيعه الإذاعة وكثرة فاحشة مما يقوله المسرح انما هو نقيض للذي تقيمه المدرسة .

ترى هل أضحت اللغة ، وهي محور الفكر العربي ، من هذه الاشياء الهينة التي نتصرف بها على هوانا ؟ هل هي رغبات طارئة ، ومزاج متقلب ، ومالك شخصي ؟

* * *

آية هذا كله أننا نواجه على الخريطة اللغوية جملة من الثغور التي تتهدد الكيان اللغوي . بعض هذه الثغور على تخوم الحياة اللغوية ، وبعضها ثغرات في داخل الكيان اللغوي تحاول أن تفتته وأن توهيه .

والحياة اللغوية ، شأن كل ألوان الحيوات الأخرى ، لا تستطيع أن تنام وهي تواجه الخطر .. انه لا بد لها من دراسة مكامن الخطر هذه ومن محاولة تطويقها مخافة عدواها .

إن الدعوة إلى الثنائية اللغوية – وهي شيء آخر غير الانفتاح على اللغات الأجنبية وممارستها – هي أخطر هذه الدعوات من خارج . وإن الإلحاح على ترداد عبارات « التيسير » و « التبسيط » في غير ما ضرورة أو حاجة ، يخلق عند الإنسان العربي هذا الجو السلبي نحو لغته ، ويكوّن مجموعة من الضربات في الجدار اللغوي تريد توهينه . ولا بد في تخطيط لغوي سليم – ينطلق من الإيمان بان اللغة وكتابها وتراثها معتصم أمين ودافع مكين وقوة مستمرة متجددة مبدعة – من دراسة هذه الثغور على الخريطة العربية والإعداد لها .

إغناء العربية ومسايرتها للتطور العلمي ، ذلك هدف جليل . ولكن يواكبه ويتقدم عليه حماية العربية . إن العربية – على النصوص الدستورية – توشك أن تكون من غير حماية بل توشك أن تكون هدفاً مباحاً . ونحن في هذا لا ننظر إلى اليوم وإنما نحاول أن نجتلي المستقبل . إن الثغرات الصغيرة في وضع سليم لا تبعث على كثير من خوف ، ولكنها في وضع مهدد لا حماية له من سلطات الدولة ومؤيدات القانون – في وقت أصبح المجتمع هو كل شيء ، هو الكيان ، وأصبح الفرد شيئاً تالياً له ليس له كيان مستقل – في مثل هذا الوضع يكون لهذه الضربات إيجاعها اليوم وأثرها غداً .

**شكري فيصل**

# التعريف والنقد

## حكاية البيت الشامي الكبير

للدكتور كاظم الداغستاني

٢٠٦ صفحات من القطع المتوسط ـ مطبعة ألف باء ـ الأديب
دمشق ــ الطبعة الأولى ١٩٧٢

بقلم الأستاذ شفيق جبري

أذكر أني لمّا أشرت في هذه المجلة إلى كتاب الدكتور كاظم الداغستاني « عاشها كلها » قلت في جملة ماقلت : لقد وصف نواحي كثيرة من حياة المجتمع في دمشق ، لقد أثبت أنه من دمشق ...

ولقد جاء في كتابه الجديد : « حكاية البيت الشامي الكبير » ، ببرهان آخر على شدّة صلته بمدينته دمشق وعلى حبه لها وأيّ دليل على مثل هذا الحب أنطق من إحياء الماضي الذي تقلّبت فيه دمشق في سنيها غير البعيدة ، وأعني بهذا الماضي جملة من تقاليدها وعاداتها وأوضاعها التي أوشك بعضها أن يذهب أثره . لقد رسم المؤلف في كتابه الطريف صوراً شامية قديمة ، يشعر بطرافتها الرجل الذي شهد هذه الصور في حياته ، ولاسيّما صورة المرأة ، لأن المرأة في رأي المؤلف عماد الأسرة ومرآة البيت ، ولا أبالغ إذا قلت : إن المؤلف توخّى في تصويره الدقّة والصدق والأمانة والإخلاص على قدر ماساعد عليه الإمكان وبلغ إليه الجهد .

يشتمل الكتاب على خمسة عشر فصلاً ، وإذا كان من الظلم أن أخصّ هذه

الفصول فأضيع بهذا التلخيص رونقها ، فمن الإنصاف أن أشير إلى بعضها حتى يشعر القارىء بحلاوة الموضوع الذي عالجه المؤلف . فمن التقاليد مثلاً أن الرجل كان لايحقّ له أن يرى خطيبته إلاّ يوم الزفاف ، ومن هذه التقاليد أن الوجهاء والأغنياء وأرباب البيوت القـــديمة كانوا يزهدون في تزويج بناتهم حتى لا تنتقل ثروتهم إلى الأصهار .

إلاّ أن هذا كله ليس بجوهر الكتاب ، فلابدّ للقارئ من أن يتمهل في في قراءة مايتصل بعرض الجهاز ، أي جهاز العروس ، في بعض مدينة دمشق ، ولقد شهدنا هذا العرض من سنين بعيدة حتى بطلت هذه العادة يومنا هذا ، فقد تجلت قدرة المؤلف على وصف الدقائق في هذا العرض كما تجلّت قدرته في التنبيه على التقاليد المتبعة في التفريق بين الرجـال والنساء في عرض الجهاز وفي وصف ملابس الرجال والنساء ووصف محتويات الجهاز المعروض ، فكأن القارىء يشهد العرض بنفسه ويرى المحتويات بعينه . لقـد أحيا المؤلف مدينة دمشق ببراعته ، أحيا تقاليدها وعاداتها وأوضاعها حتى أصبحت صورها ناطقة بحيث إذا وقعت عليها عين القارىء ظنّ أنه يعيش في أيامها .

ولم يغفل المؤلف في هذا كله عن ذكر طائفة من ألفاظ كانت شائعة على الألسن في ذلك العصر ، ولاسيّما الألفاظ المعبّرة عن الملابس والمآكل وغيرها مثل ألفاظ البقجة والصارمة والشال والبابوج والقبقاب الشبراوي والآلاجا والكمر وغيرها مما يطول ذكره .

لم يقتصر الدكتور كاظم الداغستاني في كتابه على تصوير ماتقدمت الإشارة إليه ، ولكنه تخطى هذا كله فصور بعض أوضاع الحكم في تلك السنين المظلمة وأشار إلى المصادرات التي كانت تهدم فيها الدور للتفتيش عن مخابىء الذهب والفضة والجواهر والتحف ، وقد جرّه وصف هذا الحكم الى تخصيص فصول

بجدافيرها الكلام على والي الشام وأمير الحج أسعد باشا ، وعلى عزة باشا المشهور في أيام السلطان عبد الحميد فكأنه دخل على البيوت الكبيرة وشهد فيها الملابس والمآكل كما شهد الدسائس بين النساء .

وفي كلامه على عزة باشا لم يجد مندوحة عن الكلام على حيّ الميدان العظيم الذي ولد فيه عزة باشا وعلى منزلة هذا الحي في القديم ومن كان يعلم هذه المنزلة من سنين ويرى ماصار إليه هذا الحي ملأت الكآبة قلبه .

والخلاصة إذا كان ابن دمشق يطوب إلى ذكر نهر يزيد في كتاب الدكتور كاظم الداغستاني وذكر جبل قاسيون والصالحية والميدان أو إذا كان يطوب إلى رؤية صور البيوت القديمة وما كانت تحتويه من بحرة في صحن الدار ، واسم هذا الصحن في اللغة العامة : الديار ، أو من إيوان واسمه : الليوان، أو من مخادع وقاعات وغيرها، فانه يأسف على فقدان هذه الصور الدمشقية في عمراننا الحديث .

لم أقل كل ما ينبغي لي أن أقوله في ذكر الطرائف التي تضمنها كتاب حكاية البيت الشامي الكبير وحسبي في هذه الخاتمة أن أشير إلى طرافة هذا هذا الموضوع وإلى خفة الظل في معالجته التي تظهر في خلالها خفة ظل الأسلوب المشتمل على أشياء كثيرة من المحاسن .

شفيق جبري

# كتاب

# الإيضاح في تاريخ الحديث وعلم الاصطلاح

تأليف الأستاذ الشيخ سعدي ياسين

دار العربية — بيروت — ١٩٧٢

بقلم الأستاذ محمد بهجت البيطار

إن أول مادعا إليه الرسول (ص) جميع الناس، هو الإيمان بما تلا عليهم من آيات الله تعالى ودلائل توحيده، وإلى الاعتقاد بإعادة الناس ليوم لاريب فيه، تحاسب فيه كل نفس بما كسبت، فاستجاب الناس لهذه الدعوة الإلهية بالتدريج، وكل من انضم إلى دينه كان يقتدي به في أخلاقه وأعماله، ثم شرعت الأحكام، وقد بلغوا بتعليمه وإرشاده مبلغاً فاقوا فيه سائر الأمم المجاورة.

وأما السنة النبوية فهي المبينة للذكر الحكيم بتفصيل مجمله، وبيان مبهمه، وتوضيح مشكله، وإظهار مافي أحكامه من الأسرار والمنافع، ولولا هذه التربية العملية لما كان الإرشاد القولي كافياً في انتقال الأمة من طور الشتات والفرقة، إلى دور الائتلاف والاتحاد، فالسنة هي التي أرشدتهم إلى كيفية الاهتداء بالقرآن، ومرنتهم على العدل والاعتدال، في جميع الأجيال والأحوال.

أكتب هذه الكلمة وأمامي هذا الكتاب: (الإيضاح، في تاريخ الحديث، وعلم الاصطلاح) تأليف الأستاذ العالم العامل الشيخ سعدي ياسين، وقد جعله كتاباً مدرسياً، مبنياً على معرفة القواعد الحديثية وإيراد الشواهد الإيضاحية، وهو مشتمل على تاريخ السنة النبوية، ومكانتها من كتاب الله المنزل، ووحيه المعجز، والحرص على جمعها حفظاً وكتابة، وعظيم العناية بفهمها والعمل بها لأنها

المبينة لما نزل على الرسول من ربهم ، وفي أوائل مباحث الكتاب المهمة بيان : كيف نجم علم دراية الحديث وكيف تطور ، ويرى في هـــذا الباب احتياط أصحاب الرسول (ص) في تلقي الأحاديث النبوية رواية ودراية ، ولما أفضت الخلافة إلى الملك العادل عمر بن عبد العزيز الأموي ، أمر بجمع السنة من الثقات العدول : رواتها وحفظتها وراوياتها وحافظاتها ومنهن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة الأنصارية المدنية الفقيهة ، روت عن أمهات المؤمنين عائشة وأم حبيبة وأم سلمة وطائفة ، وروى عنها أبو بكر بن حزم ، وسليمان بن يسار والزهري (ص ٢٠٢ باختصار) ولا يخفى أن العلم الديني في عصر النبوة وما بعده كان عاماً للكبار والصغار ، والذكور والإناث ، فالنساء كن يتدارسن القرآن ويروين الأحاديث ويحافظن على العبادات ، ويصلين صفوفاً في المساجد خلف الرجال ، ويستمعن الخطب والمواعظ ، بل كن أيضاً يشهدن الحروب ، ويهيئن للمجاهدين الطعام ، ويغسلن الثياب ، ويضمدن الجروح ، ويشتركن في الجهاد إذا اقتضت الحال .

وأشهر كتب الحديث في القرن الثاني الموطأ للإمام مالك بن أنس المدني إمام دار الهجرة وذكر طائفة من الكتب التي ألفت في ذلك القرن ، وامتاز موطأ مالك بجمعه أحاديث رسول الله (ص) ومعه فتاوي الصحابة والتابعين مرتبة على أبواب الفقه . وأما في القرن الثالث فقد رويت الأحاديث على طريقة المسانيد ، وهي أن يذكر المؤلفون أصحاب رسول الله (ص) مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم ، ثم يذكروا في ترجمة كل صحابي الأحاديث التي يروونها من طريقه .

ومن أكملها وأجلهـــا مسند الإمام أحمد بن حنبل . ثم تطور علم الحديث تطوراً نافعاً ، فجـاء أئمة أجلاء جردوا الحديث الصحيح وأفردوه وحده ، ولم يمزجوه بفتاوي الصحابة والتابعين .

وأشهر كتب الحديث الكتب الستة : صحيحا البخـاري ومسلم ، وجامع

الترمذي ، وكتب السنن الثلاثة لأبي داود والنسائي وابن ماجه . وفي(ص٦٣) لمحة سريعة في تاريخ علوم الحديث ، فذكر نقلاً عن المصادر الموثوقة أول من صنف في تاريخها وفي علم الرواية وآدابها ، وآداب الشيخ والسامع ، وأشهر ما اشتهر في هذا العلم من كتب مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث . وذكر المؤلف طائفة من مختصراتها ومن النكت عليها ، ثم جاء الحافظ العراقي شيخ ابن حجر ، فألف ألفيته في علوم الحديث وسماها : « نظم الدرر ، في علم الأثر » وشرحها شرحين ، أحدهما مختصر ، والآخر مطول . وللقاضي زكريا الأنصاري شرح عليها سماه ( فتح الباقي بشرح ألفية العراقي ) وللجلال السيوطي والعيني شرحان لها . ثم اشتهر من بعد ( مختصر نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ) للحافظ ابن حجر ، وشرحه شرحاً سماه : ( نزهة النظر ) وذكر من عني بهذا المختصر من العلماء ، ثم جاء السيوطي فنظم ألفيته في أصول الحديث ، جمع فيها قواعد العلم ، وضاهى بها ألفية شيخ شيوخه الحافظ العراقي . هذا ومعرفة علل الحديث من أجلّ علوم الحديث وأدقها ، وقد تكلم فيه الراسخون في العلم وألفوا فيه ، وفي علم رجال الحديث وهو علم السند الذي هو نصف العلم ، والنصف الآخر هو متن الحديث ، وبعلم الجرح والتعديل يعلم من يقبل حديثه ومن يرد ، ومعرفة التراجم : وهو أصل علم الجرح والتعديل ، وعلم الأحساب والأنساب والمواليد والوفيات ولقاء الراوي لمن روى عنه وعدمه ، ومن نشر التراجم يعرف الثقات من الضعفاء والمتروكين .

وفي المنشورات توضيح وضبط في التراجم ، وكتب في الوفيات ، وأخر في معرفة الكنى والألقاب والأسماء وبيان المبهمات ، وناسخ الحديث ومنسوخه ، وغريب الحديث .

هذا مجمل ما وعاه هذا الكتاب النفيس الى الصفحة الثمانين ، ثم دخل الأستاذ المحقق

الشيخ سعدي في صلب الفن وامتد ما كتبه في أنواع الأحاديث وأسمائها وتعاريفها ودرجاتها ، ورتبها ، وفي معرفة طبقات الرواة ومواليدهم ووفياتهم وبلدانهم وأحوالهم ، ومعرفة كناهم ، ومن اشتهر بكنيته ، ومن اسمه كنيته ، ومن اختلف في اسمه أو في كنيته ، وغير ذلك مما تراه مجموعاً في هذا الكتاب من فوائد وفرائد ، امتد الى آخر صفحة (١٨٨) وقد كان مسك الختام قوله:

والحمد لله رب العالمين فقد تم هذا الموجز ؛ وقد لخصته من كتب علوم الحديث وألقيته محاضرات على طلاب السنة الخامسة من الكلية الشرعية في بيروت، فكان دروساً مفيدة ، والله تعالى أسأل ، وبرحمته وتوفيقه اليه أتوسل ، أن ينفع به ، وأن يجعله خالصاً لوجهه ، انه جواد بر رحيم .

ومن مزيد العناية في هذا الكتاب « الإيضاح » أن أورد المؤلف ترجمة لكل من ورد اسمه فيه من الفضلاء ، وقد بلغ عددهم أكثر من مائة ، وقد وضع ( فهرس التراجم ) آخر الكتاب، ذاكراً ما اشتهروا به من الأسماء مرتبة على حروف الهجاء ، وبعده فهرس محتويات الكتاب ، ومما زاد في حسن الكتاب أن جعل في آخر كل درس أسئلة وتمارين تجعل الدروس العلمية مقرونة بالحفظ والفهم.

أما مراجعه التي استمد منها ، فمن أشهرها : تاريخ بغداد ، والحلية ، وتاريخ الحاكم ، ومقدمة ابن الصلاح ، وفتح المغيث للعراقي ، وتدريب الراوي ، وتوضيح الأفكار للصنعاني ، . ويضاف اليها قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لشيخنا الشيخ جمال الدين القاسمي ، وقد صدر بمقدمتين للأمير شكيب أرسلان والسيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ، والكتاب يزيد على أربعمائة صفحة ، وقد وقف على طبعه وعلق عليه هذا الضعيف : ( محمد بهجة البيطار عضو المجمع العلمي العربي ) والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

محمد بهجة البيطار

# الشيخ طاهر الجزائري
## رائد النهضة العلمية في بلاد الشام
### وأعلام من خريجي مدرسته

للدكتور عدنان الخطيب

١٨٣ صفحة – من القطع المتوسط – ط . معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة :
جامعة الدول العربية – نيسان ( ابريل ) سنة ١٩٧١

بقلم الأستاذ عارف النكدي

وضع هذا الكتاب الدكتور عدنان الخطيب : عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، فأحسن كل الإحسان : موضوعاً وأسلوباً .

قدّم لكتابه بكلمة قال فيها :

( أنا أصوّر واقعاً مرت به أكثر الأقطار من بلادنا العزيزة . وكانت تعصف بها خلاله عوامل خفية أورثتنا بعض مانحن فيه اليوم من فرقة واختلاف رأي . وانتهت بنا إلى حال لاتسر إلا الذين يكرهون العرب والإسلام )

كلمة حق ، لايؤخذ فيها على الأستاذ إلا أنه خصص فقال ( أكثر الأقطار ) ولو أنه عمم فاستغنى عن ( أكثر ) لما عدا الصواب . فليس من قطر عربي إلا وواقعه واقع شقيقه القطر العربي الآخر فرقةواختلافاً . وليس الأمر بواقف عند العوامل الخفية بل كان بعضها ظاهراً وفي علانية ووضوح : خيانة مشهورة ، وعلى رؤوس الأشهاد .

مهد المؤلف لحديثه بلمحة عاجلة عن الدولة العثمانية في عهد صعودها ، ثم هبوطها . فكانت — على إيجازها — لمحة قيمة موفقة وصورة صادقة للعهدين، تغني عن كثير من الصفحات . وخلص من ذلك إلى الحديث عن الشيخ طاهر . والحديث عن الشيخ الجزائري حديث فيه لذة ومتعة ، وفيه فوائد تاريخية ، قليل من يعرفها في يومنا هذا . فالرجل له اليد البيضاء في المجالات العلمية على الديار الشامية، ألتي بنور نهضة رأى بوا كيرها في يومه ، ثم استمر مريرها من بعده .

وقد يستكبر هذا القول من لم يعرف الشيخ عن كثب ، ولا عرف ما كان له من عمل علمي في هذه الديار . ولعل عمله الإصلاحي في الشام ، لا يقل عن عمل الشيخ الإمام محمد عبده في مصر ، على ماطار لهذا من الشهرة والصيت البعيد في الأقطار العربية والإسلامية ، وهو شيء لم يرزق الشيخ طاهر مثله . وقد يرد ذلك إلى البيئة والإمكان ، وعامل الفرق يومئذ بين مصر والشام .

أسند إلى الشيخ طاهر في أول الأمر تفتيش بعض المدارس الابتدائية : عمل متواضع لو أسند إلى غيره لوقف عنده . غير أن الشيخ — رحمه الله — كان من حوك آخر غير حوك الموظف ، فهو ما إن باشر عمله حتى جعل يصلح ما كان من المدارس ، ويعمل على ترقيتها ، ويزيد في عددها ، ثم شارك في تأسيس مدرسة ثانوية ، كانت الباب إلى تلك النهضة العلمية الاجتماعية التي وقف نفسه عليها . هذا إلى جانب ما كان يؤلف لهذه المدارس من كتب ، وما كان يلقيه من نصائح وإرشادات لتعليم المعلمين أصول التعليم .

وكان من عمله تلك الاجتماعات التي كانت تضم النخبة المختارة في زمنه من مختلف الأحياء ، وحيناً من مختلف المدن ، يحث فيها على العلم ، وعلى صرف الأبناء إليه وليس يقدر فضل الشيخ إلا من رجع إلى ما قاله الرئيس الكرد علي ونقله عنه المؤلف يصف دمشق في أواخر القرن التاسع عشر :

قال : « أدركت دمشق وليس فيها طبيب قانوني ، ولا صيدلي قانوني ، ولا حقوقي قانوني ، ممن درسوا هذه الفروع على الأصول (١) » .

نقول : ووصف دمشق هذا ، هو وصف لسائر مدن الشام ، بل للمدن العربية بأسرها ومعها الولايات العثمانية عامة .

وإذا كان الأستاذ الخطيب أحسن في ترجمته للشيخ طاهر ، وفي التنويه بفضله ، فقد أحسن بترجمته لبعض المجاهدين المنسيين ، والجنود المجهولين الذين تنكر لهم جيلهم الحاضر ، فنسي اسمهم وذكرهم ، وستجهلهم الأجيال القادمة فلا تعرفهم ولا تسمع بهم .

كان الشيخ طاهر الجزائري علما معروفاً بتلاميذه وبمن كتب عنه وبما ألف فيه أما تلاميذ الشيخ طاهر المخلصون فمن يعرفهم ، أو يعلم شيئاً من أمرهم ؟

هذا محب الدين الخطيب : أستاذ جيله ، ومربي أبنائه ، ومدوب لذاته . عاش في الآستانة دارساً ومدرساً وفي وطنه دمشق : وطنياً ومجاهداً ، وفي مصر عالماً ومؤلفاً . عاش للعرب وللعروبة فمن يعرفه من أبناء الجيل الحاضر ؟

وهذا سعيد الباني : الكاتب المؤلف ، والمجاهد الصابر ، الداعي إلى الإصلاح وفي سبيله عذّب وسجن ونفي . من يعرفه أو من سمع به ؟

وسليم الجزائري : البطل الشهيد رجل السيف ، والركن في الجيش ، والركن في النهضة العربية ، واضع الأناشيد الوطنية التي تناشدها الناس طويلا ، فبعث فيهم الروح العربية الصافية ، من يعرفه من الناس أو يذكره ؟ تناسَوه ، وتناسَوا أناشيده وجهلوا مَن وضعها ومن أنشدها .

(١) ص ١٧ من الكتاب ذاته ، وص ١٠٧ من كتاب ( أقوالنا وأفعالنا ) للأستاذ محمد كرد علي ، ط . القاهرة ١٩٤٦

هنا يكبر فضل الدكتور الخطيب في تأليفه وفي تنويهه ببعض من نوه بهم(١).

---

(١) ومن الوطنيين المخلصين الذين جهلهم قومهم والذين يؤلمني أن لا يذكر اسمهم يوم تذكر الوطنية والعمل الصادق ،عثمان مردم . ونضطر أن نعرفه بأنه شقيق السياسي الكبير جميل مردم . وما أحسب أن في دمشق من يعرف عثمان مردم — رحمه الله — أو سمع به غير بعض ذوي قرابته ، وغير الشاعر الكبير خير الدين الزركلي ، والوطنيين الصادقين سامي العظم ورشدي الحكيم ، وكاتب هذه الكلمة .

وهذه كلمة قالها الأستاذ رشدي الحكيم في عثمان مردم في مناسبة من المناسبات :

« ولا بد من كلمة لإحياء ذكرى صديق عزيز علينا لا تبرح ذكراه من خواطرنا ، اعتبط في ريعان الشباب كما اعتبط صديقه من قبله صلاح الدين القاسمي ، ولكنه مات قرير العين على عهد فيصل ،اذ شاهد قبل وفاته الراية العربية تخفق في سماء الشام ، وهو أول ميت لفّ نعشه بهذه الراية ، وكانت وفاته عام ١٩١٨ .

كان رحمه الله من أركان جمعية النهضة ، فاتحاً داره القوراء في طريق الصالحية لإخوانه وأصدقائه . ففي أي وقت جئت تجد ترحيباً وتأهيلاً ، ووجهاً يتألق بشراً ، كان اكثر اجتماعات الجمعية فيها ، وفيها نتدرب على التمثيل ونسمر ، ونأكل ونشرب ، ومائدته لا تخلو من ضيوف من إخوانه ، وكان كريم النفس ، سمح الأخلاق ، رحب الصدر ، لم تره مرة غضبان ، يحب إخوانه ويحبونه ويجد منّة لهم عليه في زياراته » .

وهذه كلمة الأستاذ خير الدين الزركلي :

عثمان مردم بك : أبو هزار ، من شباب سورية العاملين للعروبة في ايام الحرب العالمية الأولى . مرض ، والجيش العربي على أبواب دمشق، فلما قيل له : خرج الترك ، طلب عَلَماً عربياً كان قد أخفاه ، وقال جلّلوني به .. فجلّلوه ، ففارق الحياة !

عثمان كنت أخاً لكل سجية عربيّة محمودة الآثار
هلّا التفتّ إلى جفون قرّحتْ وإلى قلوب قد كُويتَ بنار
صرخت«هزار»:أبي!أتسمع صوتها ؟ لله ما أشجى صداح هزار
قد كنت تطمع ان ترى عَلَم الهدى في العرب خفّاقاً على الأقطار
حتى إذا انجلت السحائب لم تكن لترى تألق بازغ الأقمار
قلت : اللواء فجلّلوك ، ففارقت دنياك عينك في أحب دثار
غال الزمان فتى لو انّ حياته تشرى لقلت فيه روح الشاري

نقول : وبعد هذا الرعيل الأول من المجاهدين في العهد العثماني ، جاء آخرون في عهد الانتداب ، فكان لهم في خدمة وطنهم ، واستقلاله ، الجهود الجبارة . كانوا الدرع يتقي به العاملون السياسيون ضربات سلطة الانتداب . وكانوا الملجأ الأمين يفزع إليه الهاربون والمضطهدون ، كانوا القوة العاملة الصامتة ، وكان غيرهم الواجهة المتحركة الناطقة .

ويشير المؤلف إلى بعض رسائل الشيخ إلى إخوانه وأصدقائه ، وآخر رسالة إلى المستشرقة الانكليزية ( بل ) أمينة السر لحاكم العراق المحتل . وفيها من الإخلاص لقومه والصداقة الساذجة للإنكليز والمصارحة البريئة الظاهرة مما يدل على

---

= ومن يعرف محيي الدين صادق ، الميداني ، البنباشي ( العقيد ) المتقاعد من الجيش العثماني الذي لم يكن تقاعده ولا كانت سنه ، ولا فقره ـ على عفته ونزاهته ـ بمانعة له عن ان يكون الحركة الدائمة للحركة الوطنية ، ومثله عمر فرحات الجزائري التاجر في سوق الحميدية يبيع اشياء تافهة لا قيمة لها ، ولا ربح له فيها ، ولكنه يعمل لوطنه ما فيه القيمة والربح ، ولا سيا أيام الثورة ، والحاج اديب خير الكتبي في المكتبة العمومية بباب الصالحية ، مجتمع رجال الوطنية المتنقل من مدينة الى مدينة ، ومن قطر الى قطر ، وأبو الهدى اليافي ، ما احتاجت الحركة الوطنية الى سفرة ـ على ما فيها من مخاطر ـ إلا كان لها ، وعشرات من إخوانهم في عشرات من المدن ما قصر واحدهم في خدمة وطنه بكل ما أوتيه من قوة وجهد . ما قصروا في حق وطنهم عليهم ، ولكن نحن قصرنا في حقهم علينا .

هؤلاء الأبرار المخلصون ، هل كانت تقفل الأسواق إلا برأي يصدر عنهم ، او تقوم الإضرابات إلا بإشارة منهم ؟ لا أطمع أن يؤلف في كل منهم كتاب قائم برأسه ، لا ! هذا ما لا أطمع به ، ولكن الذي أريده لمحة عابرة في كلمة صادقة تقال في ما يجب أن يوضع من الكتب لكل مدينة مجاهدة ، يذكر فيه جهاد أبنائها وجهودهم ، يوم كان الجهاد شقاء وحرماناً ونفياً و ( زنزاناً ) لا على ما عاد اليوم نعمة وإثراء وأماناً .

أن العلم الصحيح القائم على الصدق والأخلاق النبيلة ، لايجتمع والسياسة في قراب واحد ، ولاسيما السياستين الإنكليزية ووليدتها الأميركية ، القائمتين على الكذب والنفاق والغش والخداع والدسائس والألاعيب . .

وبعد فالشكر للمؤلف الخطيب على ما ألف ، ومغفرة ورحمة للشيخ الجزائري على ما ظن واستهدف .

عارف النكدي

# نظرات في بدائع البدائه

## لابن ظافر الأزدي

صدر عن مكتبة الأنجلو المصرية في القاهرة ،
في ٢٩٤ صفحة ـ حققه الأستاذ أبوالفضل ابراهيم

بقلم : الدكتور صلاح الدين المنجد

هذا الكتاب هو من عيون الأدب . ألفه جمال الدين علي بن ظافر الأزدي الأديب المؤرّخ ، وزير الملك الأشرف الأيوبي ، المتوفى سنة ٦١٣ هـ ، وهو صاحب كتاب « التشبيهات » و « أخبار الدول المنقطعة » وغيرهما .

وقد جمع في كتابه « بدائع البدائه » «أخبار الشعراء في البدائه والارتجال ، ومحاسن أشعارهم في مضايق الإسراع والإعجال » وهو تأليف لم يسبق في موضوعه إليه . فجاء كالروضة الغناء فيها من كل لون زهرة ، ومن كل عطر نفحة .

وقد اطلع ابن ظافر ، لتأليف كتابه ، على أصول قديمة لأئمة الأدب . لم تصل إلينا ، فنقل منها نقولاً كثيرة ، مثل كتاب « القيان والمغنين» لأبي الفرج ، وكتاب « الأنموذج » لابن رشيق ، وكتاب « نشوار المحاضرة » للقاضي التنوخي ، و « فرحة الأنفس في أخبار أهل الأندلس » للغرناطي ، و « تاريخ بغداد » لعبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر ، و « الحديقة » لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز ، و «التحفة والطرفة » لعبد الرحمن بن نصر الدمشقي ، وغير ذلك . وكلها أصول جياد مفقودة .

وكان هذا الكتاب قد طبع في بولاق سنة ١٢٧٨ هـ . وصححه يومئذ محمد قطة العدوي . ثم أعيد طبعه على هامش « معاهد التنصيص » المطبوع في مطبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ ، حتى تصدى الأستاذ الجليل ، المحقق الفاضل محمد أبو الفضل إبراهيم لإعادة تحقيقه ، في عام ١٩٧٠ .

وقد اعتمد المحقق على مخطوطة محفوظة في مكتبة رامبور بالهند وعلى مطبوعتي الكتاب .

وفي أثناء قراءتي الكتاب صادفت بعض الأمور التي فاتت المحقق الفاضل . فأردت إثباتها ، تصحيحاً للكتاب ، نظراً لشأنه وقيمته .

ويبدو من مطالعة الكتاب أن مخطوطة رامبور لم تكن من الصحة والضبط بحيث يكتفى بها لإخراج المتن صحيحاً . فالأخطاء الكثيرة الواردة في النص المطبوع تدل على ذلك . ومن قواعد تحقيق النصوص أنه لايجوز نشر أي مخطوط بالاعتماد على مخطوطة واحدة ، إلا إذا كانت فريدة في العالم ، أو كانت أصلاً قديماً مصححاً مضبوطاً . وليس الأمر كذلك في مخطوطة رامبور. ففي مكتبة فاتح بإستامبول مخطوطة ثانية من الكتاب رقمها ٣٦٩٣ كان بوسع المحقق الرجوع إليها . ثم إن مخطوطة رامبور ليست قديمة ، كما يبدو ، ولم يذكر المحقق تاريخ نسخها ، أو في أي قرن كتبت على التقريب – وهذا أيضاً من قواعد نشر النصوص ووصف المخطوطات – لنطمئن إلى قدَمها .

وها كم ماوجدته من ملاحظات :

١ – جاء في الخبر ذي الرقم ٥٠ ، ص ٥٨ قوله :

« كان حسان بن عجل الكلبي المعروف بعوقلة ، أعور ... »

قلتُ : اسمه الصحيح « حسان بن نمير الكلبي » ، ولم يذكر أحدٌ ممن ترجم.

له أنّ أباه كان « عجلاً » وهو شاعر معروف مشهور ، توفي سنة ٥٦٧ هـ ، وديوانه مطبوع (١) .

٢ — وجاء في الخبر ذي الرقم ٨٤ ص ٨١ — ٨٢ قوله :

« أنبأني الشيخان تاج الدين أبو اليمن الكندي . وجمال الدين بن الخراساني. إجازة عن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر،سماعاً عليه، أخبرنا أبو بكر المرزوقي ... »

قلت : قوله « الخراساني» خطأ ، وصوابه « الحرستاني »..وهو جمال الدين عبد الصمد بن محمد المعروف بابن الحرستاني . قاضي دمشق ، المتوفى سنة ٦١٤ هـ . ( انظر : قضاة دمشق لابن طولون ، ص ٦٠ ) .

وقوله « أبو بكر المرزوقي » خطأ أيضاً (٢) . وصوابه « المزرفي » وهو أبو بكر محمد بن الحسين بن علي ، الفرضي المَزْرَفي ، نسبة إلى المَزْرَفة بفتح الميم ، قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة ( معجم البلدان ٥٢٠/٤ ) . وهو من شيوخ الحافظ ابن عساكر ( انظر : شيوخ ابن عساكر الذين تلقى عنهم ، في ذيل المجلدة الأولى من تاريخ دمشق . ص ٧٣٤ ) . وقد ضبط اسمه الذهبي في المشتبه ٥٨٧/٢ . وكسر البجاوي محقق المشتبه الميم في اسمه خطأ .

٣ — وجاء في الخبر ذي الرقم ٩٥ ، ص ٨٩ قوله :

« وروى أن عبد العزيز بن عمر عبد العزيز . . خرج وهو أمير المدينة . »

قلت : واضح أن الصحيح « عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز » . وترجمته في « التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة » للسخاوي ، ٢٥٥/٣ .

٤ — وجاء في الخبر ذي الرقم ١٠٧ ، ص ٩٤ :

(١) ظهر في مطبوعات المجمع العلمي بدمشق عام ١٩٧٠

(٢) تكرّر هذا الخطأ أيضاً في الخبر ١٣٨ ص ١١١

« أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد السراج اللغوي وابن بغلان الكبير » .

ثم جاء في ص ١٢٦ « وابن بعلان ( بالعين ) الكبير » .

ثم جاء في ص ٣٤٤ « وابن يعلان الكبير » .

فهذه ثلاثة أشكال لاسم واحد ، لم يستطع المحقق التأكد من واحد منها ، ولم تسعفه مخطوطة رامبور بما هو صحيح .

٥ - وجاء في الخبر ١١٤ ص ٩٨ ما يلي :

« . . عن الشيخ الحافظ .. ابن عساكر ، أخبرنا أبو النجم بدر الدين عبدالله السنجي ، أخبرنا أبو بكر الخُبَيْنْب .... »

قلت : الصحيح « أبو بكر الخطيب » البغدادي . لأن أبا النجم من تلاميذ الخطيب .

٦ - وفي سند الخبر نفسه ورد :

« حدثني عبد العزيز بن أبي بكر المحروف العلاّف الشاعر » .

قلت : كلمة المحروف لا معنى لها . وقد ترجم الخطيب البغدادي للعلاف الشاعر فقال : عبد العزيز بن الحسن بن علي .. ، أبو الحسن بن العلاف الشاعر ». فالأرجح أن يكون « المحروف » محرفة عن « الحسن » فتكون العبارة :

« عبد العزيز بن أبي بكر الحسن العلاّف الشاعر » .

٧ - وجاء في الخبر ذي الرقم ٢١٩ ص ١٩١ ما يلي :

« . . أخبرنا الشيخ الحافظ أبو القاسم بن عساكر سماعاً عليه ، أخبرنا أبو العز ابن باديس . . . » .

قلت : الصواب « أبو العز بن كادش » . وهو أحمد بن عبيد الله بن محمد العكبري ، أبو العز بن كادش . من شيوخ الحافظ ابن عساكر . توفي سنة ٥٢٦هـ . ترجمته في العبر في خبر من غبر للذهبي ٦٨/٤ .

٨ – وجاء في الخبر نفسه :

« أنبأنا دعبل بن ذكوان ، أخبرنا الثوري ، عن الأصمعي .. »

قلت : « الثوري » خطأ . والصواب « التوّزي» . وهو أبو يعلى محمد بن الصلت التوزي المشهور . توفي سنة ٢٢٨ ﻫ . وتوفي الأصمعي سنة ٢١٦ ﻫ .

٩ – وجاء في الخبر ٢٦٢ ص ٢٢٦ :

« أخبرني الشيخ تاج الدين أبو اليُمن زيد بن الحسن الكندي ، قال : أخبرني ابن الدهان القرطبي قال : مضيت أنا وأبو الفضل .. إلى دار هبة الله بن صاعد ابن التلميذ .. »

قلت : قوله « ابن الدهان القرطبي » خطأ . والصواب « ابن الدهان الموصلي . وهو الشاعر الأديب المتوفى سنة ٥٨١ ﻫ . وتوفي ابن التلميذ سنة ٥٦٠ ﻫ .

١٠ – وجاء في الخبر ٢٦٧ ص ٢٣١ مايلي :

« ذكر أبو بكر الصولي أنه وجد بخط ابن خردادبة ... »

قلت : خردادبة بتاء في آخرها خطأ . وصوابها خرداذبه بالهاء غير المنقوطة . قال في لسان الميزان ٤/٩٦ « آخره باء موحدة مضمومة ثم هاء ليست للتأنيث . »

١١ – وجاء في الخبر ٢٧٢ ص ٢٣٤ مايلي :

« وحضر معي الوزير أبو العلاء بن حسّوك ... »

ثم ورد هـــذا الاسم في ص ٢٣٥ هكذا : « أبو العلاء بن حسبوك » ولم يبين المحقق أيها الصواب .

والصحيح أنه أبو العلاء ابن حسّول ، باللام في آخره . وهو محمد بن علي ، الأديب الكاتب . تقلد ديوان الرسائل بالري . وذاع فضله في الدولة السلجوقية . توفي سنة ٤٥٠ ﻫ . ترجمته في فوات الوفيات ٢/٢٣٩ ) .

١٢ ــ وجاء في الخبر ٣٥١ ص ٣١٣ :

« قال علي بن ظافر : دخل أبو خالد بن صغير القيسراني على الأمير تاج الملوك نوري بن أتابك طغتكين صاحب دمشق .. »

قلت : إثباته « نوري » بالنون خطأ . والصحيح « بوري » بالباء . وهو أبو سعيد بوري بن طغتكين المتوفى سنة ٥٢٦ هـ . وكان أحد ولاة السلاجقة بدمشق ( انظر : المنجد ، ولاة دمشق في العهد السلجوقي ، ص ٢١ )

١٣ ــ وجـــاء في الخبر ٣٨٣ ص ٣٣٨ أبيات علي بن الجهم عندما صلب في الشاذياخ :

لم يغصبوا بالشاذياخ عشية الـ إثنين مسبوقاً ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء عيونهم حسناً ، وملء قلوبهم تبجيلا

قلت : قوله « لم يغصبوا » خطأ . والصواب « لم ينصبوا » وهي كذلك في الديوان . وقوله في البيت الثاني « نصبوا ... » دليل على ذلك .

ولم يشر المحقق إلى اختلاف رواية ابن ظافر عن رواية الديوان المطبوع . ففي الديوان ص ١٧١ :

لم ينصبوا بالشاذياخ صبيحة الـ إثنين مغموراً ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء عيونهم شرفاً ، وملء صدورهم تبجيلا

١٤ ــ وجاء في الخبر ٤٠١ ص ٣٤٧ :

« قال القاضي علي التنوخي في كتابه « النشوان » ...

قلت : « النشوان » خطأ . والصحيح « النشوار » أو نشوار المحاضرة » . وهو كتاب شهير جداً .

وسبق هـذا الخطأ في اسم الكتاب في الخبر ٣٢٣ ( ص ٢٩٤ ) ؛ والعجيب أنه ورد صحيحاً في الخبر ١٤١ ( ص ١١٢ ) :

١٥ — وجاء في الخبر ذي الرقم ٤٠٧ ، ص ٣٥٠ :

« .. عن الإمام الحافظ السلفي ، عن أبي غالب شجاع بن فارس الرملي ... »

قلت : « الرملي » خطأ . والصواب « الذهلي » . وأبو غالب هذا حافظ محدث مشهور . نسخ مالا يدخل تحت الحصر من التفسير والحديث والفقه لنفسه وللناس . توفي سنة ٥٠٧ هـ . ( انظر : شذرات الذهب ٤/١٦ — وتذكرة الحفاظ ص ١٢٤٠ ) .

١٦ — وجاء في الخبر ذي الرقم ٤٦١ ص ٣٨٢ :

« وذكره لنا أبو عبد الله المحلي فيمن لقيه من أهل الأدب ... »

قلت : « المحلي » خطأ . والصواب « ابن الجلي » بالجيم المعجمة . وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن الجلي . عالم مشهور . ذكره في المشتبه .

١٧ — وجاء في الخبر ٤٧٢ ، ص ٣٨٨ :

« .. أنشدني ظهير الدين أبو النجيب الحسن بن شهراسوب القاضي أبو بكر الأرجاني ... »

قلت : هذا السند بهذا الشكل غير صحيح . فالقاضي أبو بكر الأرجاني ليس اسمه الحسن بن شهراسوب . بل اسمه : أحمد بن محمد بن الحسين . ( توفي سنة ٥٤٤ هـ . ولعله سقط بعد كلمة شهراسوب كلمة ( أنشدني ) فيستقيم بها المعنى .

أما قوله « شهراسوب » فخطأ . والصحيح « شهراشوب » بالشين المعجمة . وممن سمي بهذا الاسم محمد بن علي بن شهراشوب ، العالم الإمامي ( ترجمته في الذريعة لآغا بزرك ٢/١٢ و ٣/٣٠٦ ) :

١٨ — وجاء في الخبر ٤٧٣ ص ٣٨٨ :

« كنت مع خالي نجم الدين بن أبي الغنائم بن المعلم الهرثي ... »

قلت : « المرني » بالنون خطأ ، والصواب « الهُرْثي » بالثاء المثلثة ، نسبة إلى « الهُرْث » بضم أوله وسكون ثانية وآخره ثاء مثلثة. كذا ضبطه ياقوت وقال : قرية على نهر جعفر من أعمال واسط، منها أبو الغنائم محمد بن علي بن فارس ابن المعلم الشاعر ... » ( معجم البلدان ٤/٩٦٠ ) .

١٩ ــ وجاء في الخبر ذي الرقم ٤٧٧ ص ٣٩٠ ــ ٣٩١ :

« جاء رجل إلى أبي نصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن شمر ( ؟ ) الصخديهي ، وكان قاضي بلد تعرف بخمس القرى ( ؟ ) .

قلت : « الصخديهي » خطأ . والصواب « البنجديهي » نسبة إلى « بنج ديه » بسكون النون . ومعناه بالفارسية خمس القرى . ذكرها ياقوت وقال : قد تُعرّب فيقال « فنج ديه » وينسبون إليها « فنجديهي » . وإليها يُنسب شارح المقامات ( مقامات الحريري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المسعودي البنجديهي ، الذي وقف كتبه على الخانقاه السميساطية بدمشق. وتوفي سنة ٥٢١ هـ. ( انظر معجم البلدان ١/٧٤٣ ) .

٢٠ ــ وجاء في الخبر ذي الرقم ٤٨٢ ، ص ٣٩٢ :

« .. ذو النسبتين أبو الخطاب بن دحية الحصري ... » ، وكان ورد في الخبر ذي الرقم ٤٥٠ ص ٣٧٦ « ذو النسبتين ابن الخطاب ابن دحية .. » .

قلت : في هذا الاسم كما ورد ثلاثة أخطاء :

الأول : قوله « ذو النسبتين » . والصحيح : « ذو النسبَين » . قال الذهبي في « تذكرة الحفاظ » ص ١٤٢٠ : « كان يكتب عن نفسه أي ابن دحية ــ ذو النسبين بين دحية والحسين » .

الثاني : أنه ليس « ابن الخطاب » بل هو « أبو الخطاب » .

الثالث : قوله « الحصري » . فهذا لم تذكره المصادر قط . وإنما هو

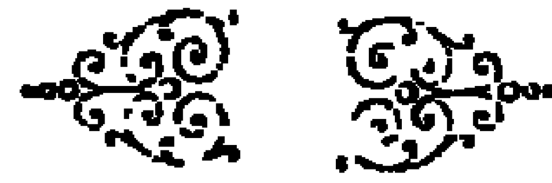
« الكلبي » . ( انظر تذكرة الحفاظ ص ١٤٢٠ - شذرات الذهب ٥/١٦٠ ) .

* * *

فهذا بعض ماتبين لي فيه الخطأ أثناء قراءتي الكتاب . وهناك عشرات من الأسماء وردت في الأسانيد ، أو في متون الأخبار أشك في صحتها ، لم يحققها المحقق ، بل تركها كما هي . مثال ذلك : « علي بن فاضل بن صمدون ؟ » ص ٣٥٠ — و « علقمة بن عبد الرزاق العليمي ؟ » ص ٣٨٤ — و « محمد بن بردامسيا ؟ » ص ٣٨٨ — وغير ذلك ، ولم يتسع وقتي لمعرفة صوابها .

وآمل أن يجد المحقق الجليل فيما ذكرناه مايساعده على تصحيح الكتاب في طبعته الثانية .

( بيروت ) صلاح الدين المنجد



# آراء وأنباء

## تجديد انتخاب الدكتور حسني سبح
### لرئاسة مجمع اللغة العربية بدمشق

جدد مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق انتخاب رئيسه الدكتور حسني سبح في جلسته المنعقدة في الخامس من ربيع الآخر لسنة ١٣٩٢ هـ = الثامن عشر من أيار سنة ١٩٧٢ م بالتصويت السري ، وبالاجماع ، لمدة أربع سنوات ، أخرى تبدأ من تاريخ انتهاء رياسته الحالية ، وذلك تطبيقاً للمادة الثامنة والعشرين من اللائحة الداخلية لمجمع اللغة العربية ، الصادرة بالقرار الجمهوري ذي الرقم ٣١ لسنة ١٩٦١ .

## انتخاب أعضاء مراسلين جدد للمجمع

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته المنعقدة في الثاني والعشرين من صفر سنة ١٣٩٢ هـ = السادس من نيسان سنة ١٩٧٢ م ، أعضاء مراسلين جدداً من الأقطار العربية الشقيقة ، هم السادة :

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي من الجمهورية الجزائرية الديموقراطية والشعبية .

والأستاذ محمد العيد محمد علي خليفة : من الجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية .

والأستاذ حسن كامل الصيرفي : من جمهورية مصر العربية

والأستاذ محمد عبد الغني حسن : من جمهورية مصر العربية

والدكتور فريد الحداد ، من الجمهورية اللبنانية .

والدكتور إحسان عباس ، من فلسطين .

# حول (ألفاظ الحضارة)

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

في نشرة مجمع اللغة العربية بمصر للبحوث والمحاضرات ، في الدورة السادسة والثلاثين ، لمؤتمر المجامع العلمية ( ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ) قرأت بإعجاب وإكبار مادبجته براعة الزميل الأستاذ محمود تيمور ( حول ألفاظ الحضارة — لسنة ١٩٧٠ ) . . . أما أن الأستاذ الفاضل الكاتب اللامع ، هو المجلّي في هذه الحلبة ، فلاجدال فيه . ومقدمته البديعة تشهد له بطول الباع في هذا المضمار ، وحسن الاختبار والاختيار .

في هذه المقدمة الوجيزة البليغة أنصف الأستاذ الكبير ، كلّ الإنصاف ، لجنة ( ألفاظ الحضارة ) بطلبه الرفيق أن يُجعل للّجنة حق البحث والاجتهاد والاقتراح . وهو طلب حقٌ محمود . وإني لأشارك الأستاذ الرأي وأضم صوتي إلى صوته بأن يكون لأعضاء اللجنة ، وجميعهم من فحول اللغة ، حق في إبداء الرأي واقتراح ما يرونه من لفظ عربي أصيل يحلّ محلّ الأعجمي الدخيل . وإلاّ فما الفائدة المرجوة من عمل يقتصر على النظر فقط ، وإثبات كلمة أو شطبها ؟ إن من هو أهل لتمييز الغثّ من السمين ، لهو جدير كذلك بالبيان والتبيين .

أذكر أن لجنة مجلتنا كانت أبدت ملاحظة على بعض من مصطلحاتي العلمية ، المعروضة عليها ، في المجلة ، فتقبلت بسرور بالغ ما أبــدوه وشكرتهم مرتين وأكثر على الملاحظات ، لأنهـا كانت لي حافزا لأمعن في المطالعة والتحقيق ، وأنعم البحث والتدقيق ، فاهتديت إلى ماهو أصح وأصلح . وقد قيل ( من تقادح الأفكار تنطلق بروق الحقيقة ) . .

وليسمح لي الآن الزميل النبيل أن أبدي رأيي - شرحاً وإيضاحا - في بعض من الألفاظ التي قدمها للمؤتمر :

الرقم ٢ - المدينة الفاضلة أو المثالية .Utopea

قلت : المدينة المثلى . فقد تبقى المدينة مثلى ، وحدها ، وليس من المشروط أن ينسج على مثالها .

الرقم ٦ - القطار الطائر Aerotrain

قلت : ما رأي الأستاذ الكريم في ( القطار الجوي ) ؟ نسبة للجو ، كما سيقال ( قطار فضائي ) اذا تيسر لعلماء الفضاء ان يبتدعوا هـذا القطار للانتقال من الأرض إلى الكواكب .

الرقم ١٠ - قناة الإذاعة المرئية . Chain

قلت :لقد أصبحت كلمة ( التلفيزيون ) عالمية الشيوع مثل الراديوم والراديو والبنيسلين الخ . فمن الأصلح أن تستبقى. لقد كنت وضعت كلمة ( إ المِبْصار ) لكني أرى التزام ماشاع عالميا كما يقال ( متر / كيلوغرام / طن .. الخ ) ، من الكلمات العالمية .

الرقم ١١ - التجفية Lyophilisation

قلت :تعريباً ( لَيْفَلَة ) . كنت وضعت لها ( تَذَوْبُج ) من ( تذوّب - إنتباج ) وهو ذوبان مع تهلّم في غير المـــاء . والكلمة الإفرنجية ترادف ( هِدْروفيل) . ثم رأيت التعريب أكثر دلالة على العمل الكيمياوي الذي يلجأ إليه في تجهيز هذه الأدوية أو المواد . ومنها الاشتقاق يسير : ( لَيْفَلَ / مُلَيْفَل / تَلَيْفَلَ / مُتَلَيفِل ) .

الرقم ١٣ - المرساة Ancre

وهي الفصحى والصحيحة . ومثلها ( الهَوْجل / الهَجُول = أنجر السفينة )

قلت: أما الأنجر فهو معرب الكلمة الفارسية (لنگر) بفتح اللام والكاف الفارسية وهو مايوجد في السفن ويُلقى في البحر عند الرسو. ومما ألاحظه في هذا الصدد أن كلمة (أنجر) إذا لفظت بالجيم المصرية وافقت، لفظاً ومعنى، الكلمة الافرنجية.

الرقم ١٤ — قمطة النجار Crampon

قلت: أليست كلمة (مِنْشبة) أكثر ملاءمة، وزان (مِفعلة) على اسم الآلة، كما في الكلمة التالية.

الرقم ١٥ — مِنجلة Etau ·

في سورية تسمى (مَنْكَنة) عن التركية. وإذا لُفظت الجيم في كلمة (منجلة) باللهجة المصرية جاز لي أن أقول إن (ل) فيها أُبدلت بـ (ن) في الكلمة السورية.

الرقم ١٦ — الجفت Forceps

في سورية تستعمل كلمة (ملقط الجنين). والمِنتاش لما يوافق: pince à échardes بالفرنسية، و splinter forceps بالانكليزية.

أمّا الجفت، فهي عن التركية (چيفت) بالجيم الفارسية المثلثة التحتية محرفةً عن الفارسية (جفت) بالجيم العربية، مضمومة. ومعنى چيفت هذه = مضاعف/اثنان. لكون ملقط الجنين ذا قطعتين أصليتين. والأتراك أنفسهم كانوا — إلى عهد قريب — يستعملون كلمة (ملقط الجنين). واليوم يستعملون الكلمة اللاتينية (فورسه بس) كما يستعملون المصلحات الطبية والفنية اللاتينية جميعاً، راغبين عن المصطلحات العربية القديمة. ومن معاني (چيفت: بندقية الصيد المضاعفة السبطانة / والثوران المقرونان بنير المحراث. ويقولون: جفتلك، للمزرعة. الخ..).

الرقم ٢١ — عمل جدول/جدولة mettre à l'ordre du jour : enregistrer

قلت : الجدولة، ملائمة جداً . ولقد كنت اشتققت (ورق مُجَدْوَل papier réglé) من كلمة جدول . ومنها الاشتقاق والتصريف يسير : جَدْوَلَ . يُجدوِل جَدْوَلَة، مُجَدْوَل . مثلما وضعت (ورق مُشَطْرَج papier quadrillé) من رقعة الشطرنج المعروفة . ومنها : شَطْرَجَ ، يُشطرج ، شطرجة ، مشطرَج الخ . )

الرقم ٢٢ — لغز الكلمات المتقاطعة mots - croisés

ما رأي الأستاذ في كلمة ( ألْغُوزة متقاطعة أو متصالبة ) . ألغوزة بوزن ( أفْعُولة ) الذي كنتُ تقدمت الى مجمعنا بدمشق للقياس عليه ( انظر العدد ٣ المجلد ٤٦ ص ٦٠٥ من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ) ففيها التخصيص لشيء بعينه ، قائم بذاته .

الرقم ٢٣ — الغَسول الشعري Lotion

قلت : ( الغَسول ) فقط ومثله ( الغِسْلة Champooing ) دون إضافة ( الشعر ) لأن كلًا منهما خاص لغسل الشعر تضميخاً وتجميلًا وعلاجا .

الرقم ٢٤ — الكشاف Index

قلت : كلمة الكشاف ، تطلق على كثير من الأشياء ، مثل الكلمة الإفرنجية تماماً إلا إذا أضيف إليها ما يميزها بحسب الغرض . فلا عدول عن كلمة (فهرس) وهي أشهر من نار على علم ، وللتمييز يقال : ( فهرس إجمالي / فهرس تفصيلي ) وبهذا ينتقل — للحال — المعنى الخاص إلى ذهن السامع .

الرقم ٢٥ — النوتة الموسيقية ، القطعة الموسيقية notes musicales, morceau de musique.

لا أرى مانعاً من استبقاء ( النوتة ) العالمية الشيوع . أما ( المصنِّف ) فقد وضع لما يقابل classeur . فهل نقول أيضاً : ( المصنف الموسيقي ) ؟

الرقم ٣٦ – المفزعة Grand guignol (١)

ما رأي الأستاذ في كلمة ( أُفْزُوعة ) وزان أفْعولة ؟ انظر الرقم ٢٢ .

الرقم ٢٨ – المطل ... الخ . Terrasse

ما قول الأستاذ في كلمة (سُطَيِّح ، على التصغير ، لما يقابل الكلمة الإفرنجية؟ وفي العراق الشقيق تستعمل كلمة (طارْمة) من الفارسية (طارُم) بضم الراء لسطح الدار.

الرقم ٣٢ – تبشير الشجر Bourgeonner

قلت : قد يكون التبشير بالزهر ، وانعقاد البراعم ، والنمو الخ . فما رأي الأستاذ بكلمة ( بَرْعَمَ / تَبَرْعَمَ ) الفصحى ؟ ...

هذا وأقدر جهود الأستاذ الكبير التي يبذلها في إيجاد الكلمات الملائمة لألفاظ الحضارة الحديثة الآخذة بالازدياد بسرعة صاروخية .

دمشق ١٥/٩/١٩٧١ الكواكبي

(١) لم نعثر في المعاجم على أي ذكر لهذا التعبير سوى Guignol الذي هو مسرح شبيه بما نسميه قره‌كوز . والذي نعلمه شخصياً هو أن Grand guignol هو اسم لمسرح في باريس تمثل فيه المسرحيات الإجرامية المفزعة. (لجنة المجلة)

تحقيقات لغوية

## الحَمْشَة(١)

### الدكتور ميشيل الخوري

يستعمل الجرّاحون لخياطة الجروح خيوطاً تستحضر من أمعاء الحيوانات وبخاصة من أمعاء الغنم ، وتسمى catgut .وجاء في المعاجم الأجنبية من طبية وسواها أن هذه اللفظة انكليزية ولكنها تستعمل في الفرنسية، وأنها مركبة من cat أي هر، و gut أي معى ، فيكون أصل معناها معى الهرّ.وهي تعني في الاصطلاح الوتر الدقيق المستعمل في الجراحة لخياطة الجروح ، ومزيته أنه يترك في مكانه فيمتصّه الجسم بعد اندمال الجرح . ومع أن هـــذا الخيط الجراحي يستحضر من أمعاء الغنم عادة فيصنّع ويعقم لاستعماله في الجراحة ، فلا تزال تطلق عليه اللفظة الانكليزية التي تعني معى الهرّ ، فكأنه كان يستحضر في أول عهده من أمعاء الهررة .

على أن دائرة المعارف البريطانية تنكر استحضار هذا الخيط من أمعاء الهررة وتذكر أنه يستحضر من أمعاء الغنم ،وفي بعض الأحيـــان من أمعاء الحصان أو البغل أو الحمار .وهي ترى أن الكلمة catgut تحريف للكلمة الانكليزيةkitgut على اعتبار أن الجزء الأول من هذه الكلمة الأخيرة وهو kit يعني فيما يعنيه الآلة الموسيقية المعروفة بالكمنجة أو الصغير منها ، فيكون معنى الكلمـــة المعى

(١) ألقي هذا البحث في الجلسة التي عقدها مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في ١١ ربيع الاول ١٣٩١ هـ = ٦ أيار ١٩٧١ م.

المصنوع وتراً للكمنجة . أو أن الكلمة kit تعني الهرة الصغيرة ، أو تكون الكلمة catgut محرفة عن الكلمة العامية الانكليزية kit-cat أي الهرة الصغيرة ، والرأي الأول هو الصواب على ما يبدو .

وجاء في قاموس المورد لمنير البعلبكي ، وهو معجم إنكليزي عربي ، أن الكلمة تقابلها بالعربية كلمة وتر . وجاء في قاموس حتي الطبي ، وهو معجم انكليزي عربي ، أن الكلمة catgut تقابلها الكلمتان حَمشة ووتر . وجاء في معجم المصطلحات الطبية للأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي ، وهو الترجمة العربية لمعجم كلارفيل الكثير اللغات ، أن هذه الكلمة تقابلها بالعربية كلمة حمشة ، وهي الكلمة الشائعة الاستعمال الآن في كلية الطب بجامعة دمشق ، ولكنها غير مستعملة في القطر المصري وسواه من الأقطار العربية حيث يعربون الكلمة الانكليزية فيقولون كاتغوت بالعربية .

أما لفظة الحَمْشَة المنصوص عليها في المعجمين المذكورين والمستعملة لمقابلة كلمة catgut فقد جاء عنها في معاجم اللغة العربية أنها صفة مؤنثة وتعني الدقيقة أي ضد الثخينة . ويوصف بها المفرد المؤنث فيقال ساق حمشة وذراع حمشة ، ويوصف بها جمع التكسير فيقال قوائم حمشة وأوتار حمشة ، ومذكرها حَمْش أي دقيق . وجاء في لسان العرب ما يلي : هو حمش الساقين والذراعين وأحمشها أي دقيقها ، وذراع حمشة وحمشاء وكذلك الساق والقوائم ، ووتر حَمْش وحَمِش أي دقيق . وجاء في القاموس وتر حَمِش وحَمْش أي دقيق وأوتار حَمِشة وحَمْشة أي دقيقة . وجاء في محيط المحيط الحَمِش من الأوتار الدقيق وأوتار حَمِشة دقيقة ، والحَمْشة من الأوتار الدقيقة . وذكروا بشأن اشتقاق هذه الألفاظ ما يلي : حَمَشت الساق والقوائم تحمِش ( من باب ضرب ) وحَمُشت

تحمُش ( من باب فضل ) حموشة وحماشة دقت . وحمِش الرجل يحمَش ( من باب علم ) حَمْشاً وحَمَشا صار دقيق الساقين ، فهـــو أحمش الساقين وحَمْشها .

فيؤخذ من ذلك أن استعمال الكلمة حمشة لمقابلة كلمة catgut هو من قبيل استعمال الصفة المؤنثة بدلاً من الاسم الذي يوصف بها ، وهذا الاسم إمّا أن يكون مفرداً مؤنثاً أو أن يكون جمع تكسير يجري عليه ما يجري على المفرد المؤنث . ومع ذلك فقد استعملت كلمة حمشة الصفة المؤنثة لمقابلة كلمة catgut الإنكليزية المفردة ، والتي هي غير ذات جنس في هذه اللغة ، في حين أنها تعتبر اسماً مذكّراً في الفرنسية . هذا فضلاً عن أن مقابل الكلمة في العربية ، وهو معى الهرّ كما عنت في الأصل ، والوتر كما جاء في قاموس المورد ، هو اسم مذكر . فليست اللفظة حمشة المؤنثة إذن باللفظة الصحيحة أو الصالحة لمقابلة اللفظة الإنكليزية الفرنسية catgut لأنها صفة تتضمن معنى الدقة ، ولا تعني بأي وجه من وجوه التخريج الوتر الجراحي المصنوع من أمعاء الضأن .

أما الوهم الذي وقع فيه من سمّى الخيط الجراحي بالحمشة فربما كان مصدره النصّ الذي ورد في محيط المحيط والذي استشهد به فيما تقدم من هذا البحث ، وهو الحمشة من الأوتار الدقيقة . فقد اعتبر المترجم على ما يبدو كلمة الدقيقة نعتاً للأوتار ، أي جعلها مجرورة فقال الحمشة من الأوتار الدقيقةِ ، وذلك تخريج يفهم منه أن الحمشة وتر دقيق . في حين أن الأولى كان أن يقال الحمشة من الأوتار الدقيقةُ برفع كلمة دقيقة على أنها خبر حمشة ، فيكون معنى العبارة اذ ذاك وأوتار حمشة أي دقيقة أو ما كان دقيقاً من الأوتار فهو حمش بإرجاع الصفة المؤنثة الى صيغتها المذكرة . وإخال لو أن المترجم راجع كلمة الحمشة في أقرب الموارد

للشرتوني لوجد أن النصّ هكذا : والحمشة من الأوتار : الدقيقة ، أي أن النقطتين اللتين تليان كلمة الأوتار تفصلان عنها كلمة الدقيقة فلا تتركان مجالا للشك في أن الدقيقة خبر الحمشة لا نعت الأوتار .

وقد أشير فيما تقدم إلى المعى المصنع خيطاً جراحياً باسم الوتر . وفي لسان العرب والقاموس المحيط الوتر شِرْعة القوس ومعلّقها ج أوتار . وفي اللسان الشِرْعة الوتر الدقيق ج شِرَع وشِرْع . وفي الصحاح الشرعة الوتر وفي محيط المحيط الشَرْعة والشِرْعة الوتر ، وفي أقرب الموارد والوتر شرعة القوس ومعلقها جمعه أوتار .

فيفهم من ذلك أن الوتر كان في الأصل ما يربط بين طرفي القوس أو بين سيتيها ، وأنه يعرف أيضاً بالشِرْعة أو الشَرْعة . على أنه ليس ثمة إفصاح في المعاجم المذكورة عما إذا كان وتر القوس يصنع من المعى أو من الجلد أو غير ذلك .

ولكن من الشواهد الشعرية القديمة ما يدل على أن العرب استعملوا أمعاء الحيوانات لصنع أوتار القسي كما تصنع الآن . وروى تاج العروس لعبد الرحمن ابن حسان هذا البيت :

فتبازت وتبازيت لهـــا    جلسة الأعسر يستنجي الوتر

وجاء في اللسان استنجى الجازرُ وترَ المتن قطعه . وجـاء فيه أن البيت يُروى هكذا :

فتبازت فتبازخت لهـــا    جلسة الجازر يستنجي الوتر

وقال الجوهري استنجى الوتر أي مدّ القوس ، وأصله الذي يتخذ أوتار القسي لأنه يخرج ما في المصارين من النجو . فيكون معنى البيت أن الشاعر رفع عجزه في جلسته فكأنه يجذب وتر قوسه ، أو كأنه الجزار الذي يقطع وتر المتن ، أو الذي ينظف المعى مما فيه . فإذا صح هذا التفسير الأخير وهو الأرجح على مايبدو ،

يكون قوله يستنجي الوتر من باب تسمية الشيء بما يؤول إليه ». ومنه يفهم أن العرب كانوا يتخذون أوتار القسي من أمعاء الحيوانات .

واستعمل الوتر أيضاً منذ القدم لتسمية الخيط الذي يشد الى الآلة الموسيقية ويعزف عليه . قال ابن سهل :

حتى يخيل أني شارب ثمل بين الرياض وبين الكأس والوتر

وقال الشيخ ناصيف اليازجي :

ألذ من نغم الأوتار في غرف بيت من الشعر في بيت من الشَّعَر

وقال ولي الدين يكن في قصيدة كليوباترة :

ولتقم هــذه القيان وتشدو مطربات ضرباً على القيثــار

فعسى نغمــة تروّح روحي إن روحي ترتاح للأوتــار

ولم يشر إلى ذلك صراحة محيط المحيط وأقرب الموارد مع أنهما معجمان حديثان فكررا ما ذكره لسان العرب والقاموس المحيط وغيرهما حين قالا الوتر شِرْعة القوس ومعلّقها ج أوتار . ولكن هذين المعجمين يشيران في مكان آخر إلى الوتر بكونه خيط الآلة الموسيقية فيقولان في تعريف العَتَب : والعَتَب جمع العَتَبة والعيدان المعروضة على وجه العود منها تمدّ الأوتار إلى طرف العود .

ويقول محيط المحيط عن القيثار إنه آلة للطرب ذات أوتار ، ويعرّف الكمنجة بقوله والكمنجة من آلات الطرب ذات الأوتار . غير أنه يقول في تعريف العود ، والعود آلة من المعازف يضرب بها ، ويقول عن الرباب إنه آلة لهو يضرب بها ، فكأنه يريد أن يقول يضرب ما يكون عليها من الأوتار .

وعرّف القاموس المحيط كلمة البمّ الفارسية الأصل ، ونقله البستاني في محيط المحيط ولم يذكره أقرب الموارد ، عرّفها بالوتر الغليظ من أوتار المزهر . فيؤخذ إذن مما جاء في القاموس المحيط وفي محيط المحيط وأقرب الموارد وربما في غيرها من

المعاجم أن الوتر فضلاً عن كونه خيط القوس أو شِرْعتها أو شَرْعتها ، هو السلك يشد على الآلة الموسيقية يضرب عليه حين العزف . غير أن كل ما جاء من تعريف للوتر في المعاجم التي أتينا على ذكرها ، يخلو من تعريفه أيضاً بخيط الآلة الموسيقية ، ولا يشار إليه بهذا المعنى إلا عَرضاً وفي تعريف سواه من الألفاظ .

فترى إذن بعد ما تقدم إيضاحه عن الصفة المؤنثة حَمْشة ومذكرها حَمْش ، وعن اللفظة وتر وجمعها أوتار ، أن لا سبيل الى الاستعمال الصحيح لكلمة حمشة إلا باعتبارها صفة مؤنثة لا اسماً موصوفاً فيقال مثلاً خيط الجرح بالأوتار الحمشة أي الدقيقة ، أو خيط الجرح بوتر حمش أي دقيق ، هذا مع العلم أن من الأوتار التي تخاط بها الجروح ما يكون ثخيناً ، فيجب إذ ذاك وصفه بالثخانة لا بالحماشة .

وقد يقال إن الصفة يكثر استعمالها بدلاً من الاسم الموصوف ، فيجوز أن تستعمل اللفظة حمشة الصفة المؤنثة بدلاً من موصوفها وهو الوتر . والردّ على ذلك أن هذا الجواز يقضي بأن تستعمل أيضاً اللفظة حمش المذكرة حين يكون موصوفها مذكراً . غير أن شيئاً من ذلك لم يقله قائل ، إذ إن اللفظة حمشة كما هو ظاهر جعلت اسم جنس وسمي بها الخيط الجراحي أو الخيوط الجراحية بدون أن يفرق بين المفرد والجمع .

ومن جهة ثانية فإن لاستعمال الصفة بدلاً من الموصوف مواقف خاصة سواء أكان ذلك في الشعر أم في النثر ، والشواهد على ذلك اكثر من أن تحصى . أما الإنشاء العلمي الذي يجب أن يتسم بالصحة والوضوح فلا حاجة في أسلوبه الى مختلف الصور البيانية ، ولا يحتاج فيه إلا إلى تأدية المراد على الوجه الصحيح وباستعمال الألفاظ الصحيحة . ولذلك نرى أن الأفضل الامتناع عن استعمال اللفظة حَمْشة المؤنثة ومذكرها اللفظة حَمْش لا سيا وهما تعدّان من الألفاظ المهجورة التي يستطاع الاعتياض عنها بسواها ، فيلجأ إلى ألفاظ أخرى تقبلها الأذواق ولا تنفر منها الأسماع .

ويلوح لنا أن الكلمة حَمْشة يثقل وقعها على السمع لأن تركيب حروفها يجعلها حين التلفظ بها ذات صوت لا ترتاح إليه الأذن ، لأن حرف الميم فيها يتقدم الشين . ولو كان الأمر على العكس ، أي لو تقدم حرف الشين الميم فتحولت الكلمة إلى حِشْمة التي تعني الانقباض من الحياء ، لقبلها الذوق واستعذبها السمع. وهذا السبب لا سواه في نظرنا ، هو الذي أمات الكلمة حَمْشة وأحيا الكلمة حِشْمة فشاع استعمال هذه الأخيرة في الكتابة والكلام ، كما شاع استعمال أخواتها في الاشتقاق كالفعل احتشم والمصدر احتشام واسم الفاعل محتشم .

قال البهاء زهير :

فليقل ما شاء عني لائمي أنا أهواها ولا أحتشمُ

وقال الحاجري :

آهـــاً من المعرض لا قسوة لكن دلالاً في الهوى واحتشامْ

وقال ابن الفارض :

ناشدتك الله إن جزت العقيق ضحى فاقر السلام عليهم غير محتشم

أما مشتقات الفعل حمش فستبقى ثاوية في بطون المعاجم إلى ماشاء الله ، وهيهات أن تكتب لها العودة إلى الحياة ، خلا الفعل احتمش الذي يستطاع نبشه واستعماله في بعض المواقف كما في وصف قتال الديكة فيقال : احتمش الديكان إذا اقتتلا اقتتالاً شديداً ..

وخلاصة ما تقدم أن الكلمة حَمْشة يفضل الاستغناء عنها ، فتستعمل بدلاً منها، الكلمة وتر وجمعها أوتار ، أو تستعمل الكلمة شِرْعة وجمعها شِرَع ، وهذه عنت في الأصل وتر القوس ، وربما رجحت الكلمة شرعة لأن هـــذه يمكن أن تعود مصطلحاً خاصاً يقصر استعماله على تسمية الخيط الجراحي ، في حين أن الكلمة وتر عامة وشائعة الاستعمال لتسمية السلك أو الخيط الذي يشد إلى الآلة الموسيقية .

**ميشيل الخوري**

عضو مجمع اللغة العربية

# تعقيب على نقد

## كتـاب القوافي

### لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش

بقلم الدكتور عزة حسن

قرأت في الجزء الأول من المجلد السابع والأربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ما كتبه الأستاذ أحمد راتب النفاخ عن تحقيقنا لكتاب القوافي لأبي الحسن الأخفش الذي أخرجناه قبل سنتين خلتا في مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم في وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق . فسررت للوهلة الأولى لقصده إلى الاسهام معي في تصحيح الكتاب ، ولكنني أشفقت مع ذلك الا يكون تصحيح الكتاب هو الغاية التي يسعى إليها الأستاذ أحمد راتب فيما كتب ، لما نعرف من طبعه . ولقد عرفت صدق شعوري هذا حين مضيت في قراءة اقواله المطولة .

وقد كان يغنيه عن ذلك كله سرد ماظن أنه غلط ، وإيراد الصواب الذي يراه إلى جانب ذلك بروح العالم العارف الذي يقصد إلى بيان الحق ، ولا يقصد إلى شيء آخر وراء هذا الحق ، ولكن آفة الرأي الهوى .

ولقد أصاب الاستاذ أحمد راتب في بعض الملاحظات التي ذكرها ، وأخطأ الصواب في بعضها . وبيان ذلك كله يطول هنا ، لأنه يقتضينا كتابة ضعف ما كتبه الأستاذ أحمد راتب ، ولا نريد أن نذهب هذا المذهب في هذا الأمر ، فنكون كمن ينهى عن خلق ويأتي مثله . ونرجىء الأمر لذلك إلى الطبعة الثانية للكتاب التي أخذنا بها نفسنا ، وشرعنا في الاعداد لها منذ اللحظة الأولى التي وقفنا

فيها على طبعة الكتاب ، ورأينا الأغلاط التي وقعت فيه . ونكتفي هنا بإيراد بعض الأمثلة التي أخطأ فيها الاستاذ راتب الصواب .

والسبب في وقوع معظم هذه الأغلاط هو طبع الكتاب في غيبتي عن دمشق بسبب سفري إلى استنبول صيف سنة ١٩٧٠ للاستشفاء والاستجمام. وكان الاتفاق بيني وبين أولي الأمر في وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق أن نبدأ بطبع الكتاب حين عودتي من السفر . ولكن حدث أن تفرغت المطبعة في غيبتي ، فدفعوا بالكتاب إليها وعجلوا بطبعه . فكان عامل المطبعة يغلط في صف الحروف كما هو معروف في هذه الصناعة . وكان المشرف على الطبع يصحح بعض هـــذه الاغلاط ، ويفوته تصحيح بعضها .

وهناك سبب آخر إلى جانب ماذكرت هو أنه من عادتي حين الاشتغال بالكتب التي أخرجها إرجاء وضع الحل النهائي لبعض المشكلات التي تعترضني ، وأظل أعيد فيها النظر إلى اللحظة الأخيرة التي أرسل فيها التجربة الاخيرة من التصحيح إلى المطبعة . والاستاذ أحمد راتب يعرف هـذه الحقيقـة عني بسبب إشرافه على طبع كتاب الأزمنة والانواء لابن الأجدابي الذي أخرجته سنة ١٩٦٤ . وكنت سافرت الى الرياض للتدريس في كلية الآداب بجامعتها في تلك السنة ، فأشرف هو لذلك على طبع الكتاب المذكور ، وله الفضل . وقد كان في كتاب القوافي شيء من قبيل هذه المشكلات . فلما طبع الكتاب في غيبتي عن دمشق كما ذكرت بقيت هذه المشكلات فيه كما تركتها ، ومضت في الطبع كما هي .

ولما رأى الاستاذ أحمد راتب ذلك كله لم يأل ولم يتمهل ، وإنما رآها فرصة ينتهزها ، واختار سبيل التطويل والتهويل ليقول كلاماً كثيراً كانت الاشارة القاصدة إلى الحق تغني عن كثير منه كما قلت . ، ألهمنا الله وإياه الصواب .

* * *

وهذه جملة أمثلة مما أخطأ فيه الاستاذ أحمد راتب الصواب . وقد قصدنا أن تكون هذه الامثلة متشابهة دائرة على قضية واحدة ، هي قضية الاقدام على تغيير ماجاء في الاصل بدعوى وروده في كتب أخرى على وجه آخر .

١ ــ جاء في ص ٢ : « وقالوا لابي حية : ابن لنا قصيدة على القاف .فقال :

كفى بالنأي من أسماء كافِ وليس لحبها إذ طال شافِ

ولم يعرف القاف » .

وذكر الناقد أن هذه الكلمة جاءت في اللسان(قفا) عن أبي الحسن الأخفش كما يلي : « وقالوا لابي حية : أنشدنا قصيدة على القاف » . وقال بأن هذا أولى مما جاء في الأصل ، وأشبه بالصواب .

ونجيب عن هذا بأن الأمر ليس كما قال ، وليس ما جاء في اللسان بحجة له، فما يدرينا أن صاحب اللسان لم يغير كلام الاخفش حين نقله لسبب أو لآخر . والاولى أن نأخذ بما جاء في الاصل ونحافظ عليه ، ولا نغيره الا لسبب معقول . ولا داعي لتغيير الاصل هنا ، لان الذين كلموا أبا حية طلبوا إليه أن يبني لهم قصيدة على القاف ، ولكنه لم يبن لهم قصيدة من عند نفسه بل أنشدهم قصيدة لبشر ابن أبي خازم . وليس في هذا ما يدعونا الى تغيير نص الكلام الاول .

٢ ــ جاء في ص ٣٥ : « أما التعدي فحركة الهاء التي للمضمر المذكر الساكنة في الشعر » .

وقال الناقد إنه قد جاء نحو هذا الكلام في المحكم لابن سيده ٢/٢٢٨ . والظاهر أنه أخذه من كلام أبي الحسن وإن لم يصرح فيه بذلك . ونص ماجاء في حد « التعدي » فيه : « التعدي في القافية حركة الهاء التي للمضمر المذكر الساكنة في الوقف » . وقوله « الساكنة في الوقف »هو الوجه الذي يقوم به معنى الكلام،

والظاهر أنه هو ما قاله أبو الحسن ، وأن إحلال « الشعر » محل « الوقـف » من تخليط الناسخ .

ونجيب عن هذا أيضاً بأن الأمر ليس كما رأى الناقد . فالكلام الذي جـاء في المحكم ليس كلام الأخفش وإنما هو كلام ابن سيده . ويجوز أنه نقله من الأخفش ، وتصرف فيه كما يريد . والمعنى قائم بمـــا جاء في الأصل من قول الأخفش « السا كنة في الشعر » ومستقيم . ولا داعي إلى تغييره وإحلال قول ابن سيده « السا كنة في الوقف » مكانه كما بدا للأستاذ راتب بدعوى أنه الوجه الذي يقوم به وجه الكلام . وهي دعوى باطلة . ولا ينبغي لنا أن نغير ما جاء في الأصل المخطوط إلا لعلة معقولة . وهذه قاعدة معروفة لا تحتاج إلى بيان أو إثبات .

٣ – جاء في ص ٣٧ – ٣٨ في تعريف الإشباع : « وهو حركة الحرف الذي بين التأسيس والروي المطلق نحو قوله :

يزيد يغض الطرف دوني كأنما زوى بين عينيه علي المحاجم

كسرة هذه الجيم هي الإشباع قد لزمتها العرب في كثير من أشعارها ، ولا يحسن أن يجتمع فتح مع كسر ، ولا مع كسر ضم ، لأن ذلك لم يقل إلا قليلاً » .

وقال الناقد: وفيما يلي البيتَ الشاهد من كلام المؤلف سقطٌ يمكن استدراكه من المحكم لابن سيده ٢٣٨/١ ؛ وقد حكى كلام الأخفش هـذا باختلاف يسير في بعض اللفظ . ونص ما جاء في المحكم : « كسرة الجيم هي الإشباع ، وقد التزمتها العرب في كثير من أشعارها . ولا يجوز أن يجمع فتح مع كسر ولا ضم ، ولا مع كسر ضم » .

وجوابنا هنا مثل جوابنا في الفقرة السابقة بأن الكلام الذي جـاء في المحكم ليس كلام الأخفش وإنما هو كلام ابن سيده ، قد أخذه من كلام الأخفش وزاد فيه زيادة وتصرف فيه كما يريد . وكلام المؤلف الذي لايجوز تغييره بحال من

الأحوال كما قلنا هو ما جاء في الأصل ،وهو صحيح كما نرى ، ولا سقط فيه كما سبق إلى وهم الأستاذ أحمد راتب .

٤ — جاء في ص ٣٨ ، ٤٠ :

يا نخـــل ذات السدر والجداول

وقال الناقد : ولفظ « الجداول » تصحيف صوابه « الجراول » بالراء . وذكر أن البيت قد جاء في الموشح ص ١٠ كما قلنا في تعليقنا على البيت ، وأن هذا اللفظ جاء فيه على الصواب كما يرى .

ونجيب هنا بأن هذا ليس تصحيفاً كما قال الناقد ، بل هو الصحيح الراجح . وما في الموشح والمظان الأخرى ليس إلا رواية ثانية للبيت . ومن العجيب الغريب أن يخفى ذلك على الناقد مع أن رواية « الجداول » هنا أجود من « الجراول » وهي الحجارة ، وأليق بالسدر وهو شجر . ونخلة بطن واد ، وبطون الأودية تجري فيها الجداول . فلا داعي إذاً لاتهام الأصل المخطوط وتغيير ما جـــاء فيه صحيحاً بدعوى التصحيف .

* * *

وأمثال هذا كثير في أقوال الناقد . ولكننا نقف هنا ، ونكتفي بهذا القدر الذي ذكرناه خوف الإطالة . وننتهي من إيراد هذه الأمثلة الى نتيجة غريبة حقاً ، هي أن الأستاذ أحمد راتب مولع باتهام ما جاء صحيحاً في الأصل المخطوط بالتصحيف بحجة أنه جاء على وجه آخر في مظان أخرى .

عزة حسن

# الجمع بين الحال والتمييز

الأستاذ محمد عبدالغني حسن

ذكرت في تعليقي على تحقيق الجزء الثالث من « نفحة الريحانة ، ورشحة طلاء الحانة » للمحبي. وبقلم الأديب المحقق المجتهد الأستاذ عبد الفتاح الحلو ، أن ضبط لفظة « نعمة » بالرفع في البيت الآتي :

فيالها نعمة آثار مفخرها ... كانت لدولته الغراء تدخر

خطأ فلا وجه لرفعها ، والصواب نصبها ، ووجهت النصب على الحالية كما قرر النحاة .وهو أحد وجهي النصب في مثل هذا المثال . والوجه الآخر هو النصب على التمييز . وهو وجه لم أذكره اكتفاءً بوجه النصب على الحالية . لأن هدفي من التعليق على تحقيق المحقق الفاضل كان تقويم النص لكتاب « نفحة الريحانة » لاتعداد وجوه الإعراب . ولكن أخي الباحث المحقق الدؤوب الدكتور إبراهيم السامرائي أستاذ اللغة العربية بكلية الآداب في بغداد ، نشر في الجزء الثاني من المجلد السابع والأربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق تعقيباته نفيسة على تعليقاتي على تحقيق النفحة ، وخالفني — حفظه الله — في وجه النصب على الحالية في قول الشاعر : « فيالها نعمة » وذكر أن الوجه هو النصب على التمييز ، ثم أردف كلامه قائلاً : ( والتمييز واضح فيها . وقد جاء هذا التمييز مصرحاً به في كتب النحو بعد التعجب ، كقولهم : لله دره فارساً » .

والذي أؤكده للدكتور إبراهيم السامرائي — وقد يكون فاته الوقوع عليه — أن هذا المثال بالذات : لله دره فارساً قد ذهب فيه العلامة النحوي المحقق الشيخ محمد الأمير في حاشيته الثمينة على « مغني اللبيب » لابن هشام الأنصاري —

إلى الجمع في نصب كلمة « فارساً » بين الحالية والتمييز ، لبيان جهة التعجب . وهو من التفاتات الشيخ الأمير الذكية .

وقد أعجب الدكتور إبراهيم السامرائي — أعزه الله — باستشهادي ببيت الشاعر أحمد شوقي الذي يطابق بيت « نفحة الريحانة » ، وهو قوله في مخاطبة الشمس :

فيالك هرةً أكلت بنيها وما ولدوا وتنتظر الجنينا

ولكنه عاد فذكر أن « هرة » ( منصوبة على التمييز وليست حالا ) . وأؤكد لباحثنا الفاضل — مرة أخرى — أنها منصوبة على التمييز . وعلى الحالية معاً . ولا يمنع من الحالية أن المعنى في بيت النفحة بمعنى : يالها من نعمة ، وأنه في بيت شوقي بمعنى : فيالك من هرة . كما لايمنع منها قول امرىء القيس في معلقته :

فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

فإن الحالية واضحة وضوح التمييز ، على معنى : أعجبْ لها نعمةً ، وأناديها هرة ، وأعجب له ليلا ... لأن النداء هنا ، ولام الجر هنا ، للتعجب غير المصحوب بالقسم كما لايخفى على الدكتور السامرائي . الذي أنتهز هذه النهزة لأثني هنا على فضله وعلمه وأدبه الرفيع في النقد .

محمد عبد الغني حسن

القاهرة

# الوصف « جمّ » يجمعُ جَمْعَ مذكر سالماً

الأستاذ محمد عبدالغني حسن

ذكر الدكتور إبراهيم السامرائي رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب ببغداد ، في معرض تعليقه الجيد على تعقيباتي على تحقيق كتاب « نفحة الريحانة» للمحبي أن كلمة « جم » الصفة للمذكر لا تجمع جمع تصحيح ، أو بمعنى آخر لا تجمع جمع مذكر سالماً ( بل تجمع جمع تكسير ... فجمع « جم » « جمام » كما في كتب اللغة ...) .

هكذا قال الأستاذ السامرائي في الجزء الثاني من المجلد السابع والأربعين من مجلة مجمع اللغةالعربية بدمشق ، تعليقاً على تقويمي لنص بيت شعر في النفحة هكذا :

كذلك للصحب الكرام وآله ذوى عزة قعساء ، جمّي المكارم

بدلاً من وروده في المطبوعة المحققة هكذا :

كذلك للصحب الكرام وآله ذوى عزة قعساء ، جمّ المكارم

بصيغة المفرد في لفظة « جم » ، وهي صفة « للصحب » في الشطر الأول وهي جمع . وأذكر الأستاذ الفاضل الدكتور السامرائي - إن كان ناسياً - أن كلمة « جم » وصفاً للعاقل المذكر تجمع جمعاً صحيحاً سالماً ، فيقال : رجالُ جمّو المكارم في حالة الرفع ، وجمّي المكارم في حالتي النصب والجر . وليس هناك - نحواً ولا لغة - ما يمنع من جمعها هذا الجمع .

ولست بحاجة إلى أن أذكر الدكتور السامرائي بما يقوله النحاة في هذا الصدد ، وأكتفي بما قاله الأشموني في شرحه على ألفية ابن مالك ج ١ ص ٨١ ، وبما قاله

العلامة ابن هشام في « أوضح المسالك ، على ألفية ابن مالك » ج ١ ص ٣٦ . ففيها « مواصفة » دقيقة لما يجمع جمع مذكر سالماً من الأسماء والصفات ... ( فالاسم ما كان كعامر علماً لمذكر عاقل ، خالياً من تاء التأنيث ، ومن التركيب ، ومن الإعراب بحرفين . فلا يجمع هذا الجمع ما كان من الاسماء غير علم ، كرجل ، أو علماً لمؤنث كزينب ، أو لغير عاقـل ، كلاحق ، علم فرس ، أو فيه تاء التأنيث كطلحة ، أو التركيب المزجي كمعد يكرب ، وأجـازه بعضهم ، أو الإسنادي ، كبرق نحره ، بالاتفاق ، أو الإعراب بحرفين ، كالزيدين أو الزيدين علما . والصفة ما كان كمذنب ، صفة لمذكر عاقل ، خالية من تاء التأنيث ، ليست من باب : أفعل فعلاء ، ولا من باب : فعلان فعلى ، ولا مما يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث ، فلا يجمع هذا الجمع ما كان من الصفات لمؤنث ، كحائض ، أو لمذكر غير عاقل ، كسابق ، صفة فرس ، أو فيه تاء التأنيث كعلامة ، ونسابة ، أو كان من باب : أفعل فعلاء ، كأحمر . وشذ قوله :

فمـــا وجدت نساء بني تميم حلائل أسودينا وأحمرينـــا

أو من باب : فعلان فعلى ، كسكران ، فإن مؤنثه : سكرى ، أو يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث ، كصبور وجريح ، فإنه يقـال فيه : رجل صبور وجريح ، وامرأة صبور وجريح ...)

ومن هذا النص النحوي الدقيق نعلم أن كلمة « جم » صفة للعـاقل المذكر لا يمنع مانع من جمعها جمع مذكر سالما ، حتى ولو كان المانع الأستاذ الفاضل الدكتور إبراهيم السامرائي !

ويقول الدكتور الفاضل في تعليقه على تعقيباتي : ( والجمع من المسائل السماعية ولا سيما جمع الصفات ، فكثير من صفات العاقل لا تجمع جمعـاً سالماً ...) هذا حق ، ولكن بشرط أن تكون الصفة للعاقل مما يمتنع جمعه جمع تصحيح ، مما توضحه

شروط النحاة التي لخصها الأشموني أدق تلخيص . فما الذي يمنع أن تجمع ( جم ) الصفة للعاقل المذكر جمع مذكر سالما ؟ وخاصة أن جمع المذكر السالم — أو جمع التصحيح — لا يشترط فيه السماع . ومن هنا لا تنص عليه معاجم اللغة ، فنقول مثلاً : جمع عليّ : عليون ، وجمع مصطفى : مصطفون ... وسيطول انتظار باحثنا الفاضل الدكتور السامرائي لو أنه حسب أن معجماً لغوياً سيقول إن جمع « جم » «جمّون » ... لأنه جمع صحيح ، وجمع تصحيح لاينص عليه في المعـاجم . كما أن المعاجم لاتقول إن جمع « صعب » صفةً لعاقل مذكر : صعبون ، وأن جمع « حسن » صفةً لعاقل مذكر : حَسَنون . مع أنها جموع صحيحة سليمة لاغبار عليها .

وقـد أراحنا العلامة الإمام الزمخشري المفسر واللغوي المشهور في كتابه « المفصل » — صفحة ٩٠ ، طبعة الاسكندرية ١٢٩١ هـ — من مشقة الخلاف أو الاختلاف على هذه القضية بقوله — وهو فيصل الرأي — في الفصل الخاص بأصناف الاسم المجموع : ( والجمع بالواو والنون — يعني جمع المذكر السالم — فيما كان من هذه الصفات للعقلاء الذكور غير ممتنع ، كقولك : صعبون ، وصنعون ، وحسنون ، وجُنُبُون — أي بعيدون ، أو قريبون — وحذرون ، وندُسُون ) ومن الطريف أن نذكر هنا أن الندس — بضم الدال — هو الذي يخالط الناس دون أن يثقل عليهم ، ولا يجمع جمع تكسير مثل : يقظ ، التي يقال فيها : يقظون ، وأيقاظ . وبهذا جمعت بين التكسير والتصحيح .

هذه كلمة أردت أن أصحح بها الرأي الذي ذهب إليه باحثنا الفاضل الدكتور إبراهيم السامرائي ، في مسألة جمع الصفة للمذكر العاقل جمع تصحيح ، وأرجو أن ألتقي مع الأستاذ الكريم دائماً على الحق وعلى الخير وعلى قصد السبيل ...

والله الموفق

القاهرة محمد عبد الغني حسن

# الفقيد الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي



فجع مجمع اللغة العربية بدمشق كما فجعت أوساط العلماء بالزميل الأستاذ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي الذي لبى دعوة ربه في ١٨ ربيع الآخر ١٣٩٢=٣١ أيار ١٩٧٢ فترك فقده أسى في النفوس لا يعين على احتماله إلا الامل في أن يعوض الله الأمة العربية خيراً منه .

ولجنة المجلة تورد في الصفحات التالية أكثر الترجمة التي كان كتبها الفقيد وقدمها الى المجمع في أيار ( مايو ) ١٩٦١ كما تورد قائمة بأسماء آثاره المطبوعة / مقالات وابحاثاً وكتباً ، أعدها ابنه الأستاذ نزيه الكواكبي .

## ١ ـ الترجمة

محمد صلاح الدين الكواكبي ( ابن مسعود أبو السعود الكواكبي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق انتخب سنة ١٩٢٣ وعضو محكمة التمييز من سنة ١٣٤١ هـ لغاية ١٣٤٧ هـ ) حلبي المولد سنة ١٩٠١ م .

درس العلوم الابتدائية في مدرسة تركية ابتدائية في الآستانة ونال شهادتها بدرجة ممتازة ( ١٠ تموز ١٣٢٥ ) والعلوم الرشدية في بشكطاش في المدرسة الرشدية الرسمية في الآستانة ، ومنها انتقل إلى الرشدية الملكية التركية بحلب لتحول وظيفة والده إلى حلب ونال شهادتها بدرجة ممتازة . درس العلوم السلطانية

في المكتب السلطاني التركي بحلب أيضاً حتى الصف الحادي عشر ولما حدث الاحتلال بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تحولت المدرسة السلطانية إلى ( مدرسة التجهيز ) العربية فأكمل تحصيله فيها ونال شهادتها بدرجة ممتازة في ١٥ تموز سنة ١٩٢٠ . ثم دخل المعهد الطبي العربي بدمشق عام ١٩٠١ ودرس فيه ثلاث سنوات العلوم الفيزيائية والكيمياوية والصيدلانية التي تدرس في فرع الصيدلة، وحاز لقب صيدلي ( صنف أول ) بشهادة رسمية مؤرخة في ١ تشرين الاول ١٩٢٤ وأدى الفحص الإجمالي في الصيدلة ونال إجازتها الرسمية ٧ تشرين الثاني ١٩٢٤ . ويحمل مصدقة من المعهد الطبي تاريخها ٤ تشرين الأول سنة ١٩٢٤ تشعر بدوامه سنتين مدرسيتين في مخبر الكيمياء في المعهد المذكور وقيامه بجميع التحليلات والأعمال الواردة للمخبر وبأهليته للقيام بالتحليلات الحيوية والكيمياوية والصيدلانية .

ذهب لإكمال تحصيله العالي إلى باريس وسجل في الصوربون وحضر الدروس النظرية في الفيزياء والكيمياء وقام بالتطبيقات العملية المطلوبة في مخابرها مدة سنتين وحصل على مصدقتين بذلك . وفي خلال ذلك سجل في معهد الصيدلة بباريس وداوم على مخبر السموم في مؤسسة الطب الشرعي وقام بأعمال وتحليلات شتى بطلب من مدير المخبر كوهن ابريست وإشرافه ، وطبع نتيجة أعماله في الختام وقدمها اطروحة باللغه الفرنسية بعنوان ( تحري الآزوتات في الكيمياء الحيوية والسمية ) إلى لجنة فاحصة في المعهد المذكور مؤلفة من الأستاذ ( كربة ) رئيساً وكل الأستاذين ( بوغو ودامييه ن، عضواً . وبعد اجتياز المرافعة بنجاح منحته اللجنة لقب : ( دكتور في الصيدلة ) من جامعة باريس بدرجة ممتازة ، بشهادة رسمية تاريخها ٦ حزيران ١٩٠٠ . وفي أيلول من السنة نفسها قدم الأستاذ ( داورسنفال ) إلى المحفل العلمي الفرنسي خلاصة عمله هذا والطريقة التي وضعها مع الأستاذ كوهن ابريست لتحري الآزوتات في الكيمياء الحيوية فحازت

الاستحسان ونشرت في مجلتها بعد جلستها المنعقدة في ٢٠ ايلول ١٩٢٦ في الصفحة ٥٢٢ ثم ذكرت الطريقة نفسها في كتاب الأستاذ كوهن ابريست الذي يدرس في مؤسسة الطب الشرعي المطبوع ١٩٣٤ في باريس ثم في ١٩٤٨ كما ذكرت في كتاب الطب الشرعي للأستاذ بلطزار . وكان لا كتشافه وجود الآزوتات في اللبن ( لبن المرأة ، لبن البقر ) المجهول إلى ذلك العهد صدى لدى بلدية باريس التي كانت تتحرى الغش في اللبن الوارد من القرى الى باريس بكشف الآزوتات فيه زعماً منها أن القروي يمذق اللبن بماء النهر الذي لايخلو من الآزوتات . مع أن اللبن بالحالة الطبيعية يحتوي على مقدار طبيعي أكبر مما قد يوجد منه في الماء المضاف إلى اللبن بقصد المذق .

رجع من باريس وبيده شهادة اختصاص في الكيمياء الحيوية من معهد الصيدلة بباريس تاريخها ٢٤ حزيران ١٩٢٧ موقعة من الأستاذ الأحيائي ( غريمبير ) أستاذ الكيمياء الحيوية في معهد الصيدلة بباريس ومعاونه ( فلوري ) الذي هو الآن أستاذ شرف للكيمياء الحيوية بعد بلوغه سن التقاعد .

بعد شهور مضت على عودته من باريس دخل المسابقة المعلن عنها في المعهد الطبي بدمشق لمساعد مخبر الكيمياء ونجح فيها بدرجة ممتازة وباشر العمل صبيحة تبليغه نجاحه في ١١ نيسان ١٩٢٨ في دار الجراثيم يعاون الأستاذ الجراثيمي الدكتور حمدي الخياط طوال ثماني سنوات ونصف السنة حتى عام ١٩٣٦ وقام خلالها بجميع الأعمال المخبرية الخاصة بالتدريس وبالفحوص الواردة من المستشفى العام التابع للمعهد الطبي وفي أوراقه مصدقة تشعر بذلك تاريخها ٢٤ تشرين الأول ١٩٣٦ مصادق عليها من رئاسة المعهد الطبي .

وكان من أعماله في تلك السنوات الوصول الى صنع مستحضر صيدلاني من نوع الحبابات الدوائية ( هموجين الكواكبي — بولموكرين الكواكبي — الخ )

أجازت له مديرية الصحة والإسعاف العـام بدمشق صنعه وبيعه وتصويره بوثيقة تاريخها ١٩٣٠ .

وفي عـــام ١٩٣٧ رقي لدرجة رئيس مخبر في المعهد الطبي ولم ينفذ المرسوم الجمهوري لظروف لامجال لذكرها، واذ ذاك استدعته الحكومة العراقية بناء على اقتراح مديرية الصحة التابعة لوزارة الداخلية في الحكومة العراقية ، أستاذاً لتدريس الكيمياء الحيوية والتحليلية في كلية الصيدلة الملكية العراقية ببغداد ، فقام بها خير قيـام بين الأعوام الثلاثة ( ١٩٣٧ - ١٩٤٠ ) ثلاثة اشهر منها في وكالة عمادة الكلية وقد كلفته كلية الطب في بغداد بتدريس الكيمياء الحيوية لطلاب الصف الثاني بدلاً من الأستاذ الانكليزي الذي انتهى عقـده فأحسن القيام بما عهد إليه . وقد وجهت وزارة الداخلية العراقية إليه رسالة شكر وتقدير رسمي لما وجدته منه من الاخلاص في العمل والتضحية ، بكتابها المؤرخ في ١٩٣٧/٧/١٩ (ذي الرقم ١٥٩٣٦ ) مشفوعاً بشكر مديرية الصحةالعامة ببغداد بكتابها ١٩٣٧/٧/٣١ ذي الرقم( ١٦١٠٢ )، وتقديرها.

بعـد انتهاء عقده الرسمي مع الحكومة العراقية آثر الرجوع الى سورية ليتابع خدمة بلاده، ولم يكد يرجع لدمشق حتى أعيد إلى وظيفته في المعهد الطبي إلى رئاسة المخبر عام ١٩٤٠ ، ثم لم يلبث أن تدرج بمراتب التدريس فأصبح ( معلماً مرشحاً ) للصيدلة والكيمياء عام ١٩٤٣، وبلغ المرتبة الثانية عام ١٩٤٣ ، ثم عين أستاذاً ذا كرسي للصيدلة والكيمياء عام ١٩٤٧ من المرتبة الأولى فالمرتبة الممتازة ١٩٥٨/٥/٢١ ولبث فيها حتى ٣١ كانون الاول ١٩٦١ وهو تاريخ بلوغه سن التقاعد .

انتخب لعضوية المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقـدة بتاريخ ٧ كانون الاول ١٩٥٣ .

يجيد اللغتين العربية والتركية تكلماً وكتابة وإنشاء ، ويحسن الفرنسية ويلم بالانكليزية .

كان يقوم في مخبره الخاص المرخص له به بتجهيز حباباته الدوائية التي نالت شهرة فائقة في الأقطار العربية لما يتمتع به من ثقة بين زملائه الأطباء والصيادلة من حيث إتقانه العمل وحرصه على تحضير الجيد النافع من الحبابات، ولقد سد ثغرة كبيرة في خلال الحرب العالمية الثانية ( ١٩٣٧ – ١٩٤٠ يوم فقدت من السوق التجارية بدمشق الحبابات الدوائية لأهم الموادالدوائية ( إمتين ، كينين ،ستوفائين الخ . ) إذ قام بتجهيزها وتقديمها بثمن الكلفة إلى مستشفى المعهد الطبي الذي تخرج منه ، رحمة بالمرضى ، فكان عمله هذا مشكوراً لدى رئاسة الجامعة السورية وعمادة كلية الطب ومديرية المستشفى . وقد عينته رئاسة الجامعة السورية آنذاك لعضوية لجنة اللوازم المستوردة من البلاد الأجنبية لوافر خبرته وقدرت جهوده التي بذلها بالإضافة إلى مشاق وظيفته الأصلية بهذا الشأن ولما كان لصندوق الجامعة السورية من هذه العقود من الربح وذلك بكتابها ٢٢/٩/١٩٤٨ (ذي الرقم ٢٢٠٩/٣٢٠١).

وكلف بقرار من المجلس الأعلى للمصالح المشتركة رقمه ١٩٠ في ١١/١٠/١٩٤٤ – مع الأستاذ توفيق المنجد والسيد جورج عريضة – بترجمة تعريفة المكوس وعدد أوضاعها ( ٩٩١ ) . وبعد عمل متواصل ستة أشهر قدمت إلى رئاسة المجلس المذكور نسخة بخطه طبعت في بيروت ولا يزال يعمل بها في مصلحة المكوس ( الجمارك ) .

من أعماله الفذة كتابه ( مصطلحات علمية ) وهو خير دليل على مبلغ الجهود الكبيرة التي بذلها في الاشتقاق والنحت والتعريب والأوزان التي أدخلها إلى المصطلحات العلمية قياساً ، لبضع مئات من الكلمات العلمية الأجنبية وقد وفق في أكثر مصطلحاته وأصاب بدليل أن أصحاب أكثر المجلات الكيمياوية والعلمية والكليات في الأقطار العربية استعمل مصطلحاته هذه وكان من هذا وسيلة لشيوعها في العالم العربي . وقد ذكرها المستشرق ( فنسان مونتي ) في

كتابه ( دراسات عربية وإسلامية . العربي الحديث ) المطبوع بباريس ١٩٦٠ في أكثر صفحات هذا الكتاب ولا سيما الصفحة ( ١٤٩ ) .

وقد نقل إلى العربية مع زميليه الاستاذين الدكتور مرشد خاطر والدكتور أحمد حمدي الخياط ( هؤلاء الأعضاء الثلاثة لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب ) معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات لواضعه كليرفيل الفرنسي بطلب من الدكتور المؤلف نفسه ، وعدد كلماته ( ١٤٥٣٤ ) ، وقد تم طبعه في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٦ ( عدد صفحاته ٩٦٠ صفحة ) .

ونضيف إلى هذه النبذة أن المرحوم كان ذاميل إلى التصوير والخط وتنميق الكتابة ، وفي ملفه بين محفوظات المجمع نماذج تدل على ذلك .

كما نضيف أيضاً أنه انتخب عضوا في اللجنة الإدارية لدى مجمع اللغة العربية بدمشق في ١٩/١٠/١٩٦٤ ثم جدد انتخابه لها مرة أخرى بعد أربعة أعوام ، وبقي يمارس هذه العضوية الإدارية بنشاطه المعهود حتى لقي وجه ربه ، وكذلك بقي على ماعهـد عنه من غزارة الإنتاج وحيوية الفكر والاسهام في الأبحاث اللغوية والمصطلحات العلمية .

نسأل الله أن يلهم أهله واخوانه وزملاءه المجمعيين والعلماء الصبر والعزاء وأن يجزيه عماقدم للعلم واللغة والتراث خير الجزاء .

## ٢ــ الآثار

### أ ــ المؤلفات

١ ــ الدروس الكيمياوية لتلاميذ المدارس الثانوية ( ٥ أجزاء لخمسة صفوف ١٩٢٨ ــ ١٩٣٠ ) .

٢ ــ موجز في مبحث السموم ( بالاشتراك مع الاستاذ الشامندي ــ ١٩٣٠ )

٣ ــ الحبابات الدوائية ( ١٩٣٢ )

٤ ــ الحموضة والقلوية في نظرية الشوارد ( ١٩٣٢ )
٥ ــ صناعة حمض الليمون ( ١٩٣٤ ) .
٦ ــ السيمياء الحديثة ( ١٩٣٥ ) .
٧ ــ الدوتيريوم أو الهيدروجين الثقيل ( ١٩٣٧ ) .
٨ ــ موجز في الكيمياء الحيوية ، لطب الاسنان ( ١٩٣٧ - ١٩٤٦ - ١٩٥٠ )
٩ ــ الحيوينات ــ الفيتامينات ( ١٩٣٧ )
١٠ ــ موجز في الكيمياء الحيوية الطبية العملية ( ٣ أجزاء ــ ١٩٣٨ وفق برنامج كلية الصيدلة الملكية ببغداد . )
١١ ــ التطبيقات العملية للكيمياء الحيوية ( ١٩٣٩ ــ وفق برنامج كلية الصيدلة الملكية ببغداد ) .
١٢ ــ الحاثات الهورمونات ( ١٩٤١ )
١٣ ــ الكيمياء العضوية ( ١٩٤٧ ) .
١٤ ــ التطبيقات العملية للكيمياء التحليلية ( ١٩٤٨ ــ ١٩٥٥ ــ ١٩٦٠ )
١٥ ــ الكيمياء الحيوية ( ١٩٤٩ ــ ١٩٥٤ ــ ١٩٦٠ ) .
١٦ ــ التطبيقات العملية للكيمياء الحيوية وفق برنامج فرع الصيدلة ــ كلية الطب بدمشق ( ١٩٥٠ ) .
١٧ ــ النظائر في الكيمياء الحيوية ( ١٩٥١ ) .
١٨ ــ موجز في الكيمياء العضوية ، لطب الاسنان ( ١٩٥١ ) .
١٩ ــ علم السموم لفرع الصيدلة ( ١٩٥٣ ــ ١٩٥٦ ) .
٢٠ ــ معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات ــ مع الاستاذين مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط ( ١٩٥٦ ) ــ ١٤٥٣٤ كلمة .
٢١ ــ مصطلحات علمية ــ الطبعة الثامنة ( ١٩٥٩ ) .

٢٢ ـ الهيوليات على ضوء البحث العلمي الحديث ( ١٩٦٠ ) .

٢٣ ـ نظرة عيان وتبيان في مقالة أسماء أعضاء الانسان ( من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ( ١٩٦٧ ) .

٢٤ ـ استدراك النقصان في مقالة أسماء أعضاء الانسان ( من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ( ١٩٧١ ) وهو لايزال يطبع ونشرت أقسام منه في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٤٦ ج ٣ ص ( ٤٧٩ ــ ٤٩٥ ) سنة ١٩٧١ والمجلد ٤٦ ج ٤ ص ( ٦٢٦ ــ ٦٤١ ) سنة ١٩٧١ والمجلد ٤٧ ج ١ ص ( ٣٠ ــ ٤٧ ) سنة ١٩٧٢ .

( معجم المصطلحات الطبية الواردة في نسخة كليرفيل ــ مرتبة على حروف الهجاء العربي ، باللغات الثلاث العربية والفرنسية والانكليزية ــ لايزال مخطوطاً قيد الطبع ) (*) .

ملاحظة : رواية عبد الحميد وشرلوك هولمز في ٤ أجزاء نقلها الى العربية من التركية عام ١٩١٨ وطبعها صاحب مكتبة النهضة العربية ومطبعتها بحلب عام ١٩١٩ ومابعد .

ب ـ أبحاث نشرت في مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق :

أحاديث اليوم عن عجائب الراديوم .

صناعة السكر .

صناعة الورق .

جـ ـ أبحاث نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق :

ـ فند شمع أيضاً ( م ١٧ ـ ص ٢٨٧ ) ١٩٤٢ .

ـ حول القنبلة ( م ٢١ ـ ص ٢٨٧ ) ١٩٤٦ .

(*) وهناك معجم آخر وهو : معجم « مصطلحات أعضاء الإنسان ، وما يطرأ عليها بأحداث الزمان » . وقد قارب الانتهاء ، وهو باللغات الثلاث مرتبة على حروف الهجاء العربي.

ـ كلمتي التي ألقيتها في جلسة استقبالي بعد انتخابي عضوا عاملاً ( م ٢٨ ـ ص ٢٢٩ ) ١٩٥٤ .

ـ ( بَجَل ) أم ( بجل ) ( م ٢٩ ـ ص ٣١٠ ) ١٩٥٤ .

ـ غول أم كحول ( م ٢٩ ـ ص ٤٧٤ ) ١٩٥٤ .

ـ مرخمة أم محضنة ( م ٢٩ ـ ص ٦٢٨ ) ١٩٥٤ .

ـ العلم يدعو للايمان ( م ٣٠ ـ ص ١٣٨ ) ١٩٥٥ .

ـ جوقة أم كورس ( م ٣٠ ـ ص ١٣٠ ) ١٩٥٥ .

دهاليز أم كواليس ( م ٣٠ ـ ص ٣٤٧ ) ١٩٥٥ .

ـ ملاحظات على مصطلحات كيمياوية ( م ٣٠ ـ ص ٥١٩ ـ ٦٨٩ ) ١٩٥٥ و ( م ٣١ ـ ص ١٦٨ ) ١٩٥٦ .

ـ منتخبــات من معجم الكواكبي ( م ٣١ ـ ص ٣٤٦ ـ ٥٣١ ـ ٦٩٣ ) ١٩٥٦ .

الأوزان العربية في المصطلحات العلمية ( م ٣٥ ـ ص ٣٤١ ) ١٩٦٠ . .

( م ٣٦ ـ ص ٥٠ ـ ١٨٧ ـ ٦١٠ ) عام ١٩٦١

( م ٣٧ ـ ص ٤٠١ ) عام ١٩٦٢ .

ـ ملاحظات على ( الجديد من ألفاظ الحضارة ) ( م ٣٨ ـ ص ٧٢١ ) ١٩٦٣

ـ النحت والمصطلحات العلمية ( م ٣٩ ـ ص ٥٠٧ ـ ٦٧٥ ) ١٩٦٤ .

ـ مصطلحات جدد لكلمات افرنجية ( م ٤٠ ـ ص ٥٢٤ ـ ٦١٥ ) ١٩٦٥ .

( م ٤٢ ـ ص ٨٥٣ ) ١٩٦٧ .

ـ ملاحظات على مــاورد في ( ديوان ابن النقيب ) ( م ٤٠ ـ ص ٨٨٥ ) ١٩٦٥ .

ـ القانف والأضخومة ( م ٤١ ـ ص ٥٤٤ ) ١٩٦٦ .

ـ عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ( م ٤٣ ـ ص ٨٧٣ ) ١٩٦٨ .

- المعلم قيريش ( م ٤٤ - ص ٦٠٦ ) ١٩٦٩ .
- نظرة في معجم الطحانة والفرانة والخبازة ( م ٤٤ - ص ٦١٣ )١٩٦٩.
- حول صيغة عصّر ( م ٤٥ - ص ٢١٧ ) ١٩٧٠ .
- كلمتي التي ألقيتها في حفل استقبال الأستاذ الدكتور ميشيل خوري ( م ٤٦ - ص ٥٧٦ ) ١٩٧١ .
- وزن ( فاعول ) - هل هو جدير أن يقاس عليه ( م ٤٦ - ص ٥٩٩ ) ١٩٧١ .
وزن ( أفعولة ) - هل يتخذ ( أمثولة ) للقيـــاس عليه ( م ٤٦ - ص ٦٠٥ ) ١٩٧١ .

د - أبحاث نشرت في مجلة عالم الكيمياء التي صدرت في لبنان عام١٩٦٨

مقال : الحياة وماهي والمصطلحات الكيمياوية ج ١ - ١٩٦٨ .
مقال : السيمياء بين القديم والحديث ج ٣ - ١٩٦٩ .
مقال : جوهر أم ذرة وذرة أم جزيء ؟ ج ٤ - ٥ - ١٩٧٠ .
مقال : النظائر المسوّمة في البحوث الاحيائية ج ٦ - ١٩٧١ .

# الفقيد الدكتور بيارد ضودج

## Dr. BAYARD DODGE

تلقى مجمع اللغـة العربية بدمشق ببالـغ الأسف نعي المرحوم الأستاذ الجليل الدكتور بيارد ضودج ، عضو مجمع اللغة العربية المراسل . وقد أرسل الأستاذ رئيس المجمع الدكتور حسني سبح البرقية التالية إلى رئيس الجامعة الأميركية ببيروت :



رئيس الجامعة الأميركية

بيروت

تلقينا ببالغ الأسف نعي المرحوم الأستاذ الجليل الدكتور بياردضودج ، عضو مجمع اللغة العربية المراسل . إننا أنا وزملائي ، إذ نشاركم الأسى نقدر في الفقيد الجليل مزاياه النادرة ومواقفه المشرفـة في خدمـة الفكر والثقافة العربية .

للفقيد الرحمة ، ولأسرته أصدق العزاء .

رئيس مجمع اللغة العربية ١٩٧١/٦/٥

الدكتور حسني سبح

فتلقى عليها الجواب التالي :

حضرة الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية . دمشق

أشكركم وأعضاء مجمع اللغة العربية في دمشق لتعزيتكم الكريمة بوفاة الراحل الكبير الدكتور بيارد ضودج ، الرئيس الأسبق للجامعة الأميركية في بيروت، وعضو مجمع اللغة العربية في دمشق .

إننا إذ نبتهل الى الله تعالى أن يتغمد الفقيد الكبير بواسع رحمته ، نرجو أن يوفق الجامعـة الأميركية للمضي بحمل المشعل ، والاستمرار بتأدية رسالتهـا في خدمة العلم في العالم العربي .

رئيس الجامعة الأميركية في بيروت
صموئيل كركوود

وفيما يلي لمحة عن الفقيد ، مأخوذة عن الترجمة الموجودة في إضبارته المجمعية :

ولد الدكتور ضودج في مدينة نيويورك في ٥ شباط سنة ١٨٨٨ ، وتلقى علومه في مدرسة براونينك ، ثم في جامعـة برنستون حيث حصل منهـــا على البكالوريوس في الآداب سنة ١٩٠٩ ، وفي سنة ١٩١٣ حصل على البكالوريوس في اللاهوت من جامعة كولومبيا ، وكذلك على الماجستير في الآداب منها ، وحمل من الرتب الفخرية الجامعية رتبة : دكتور في الحقوق من الكلية الشرقية ، ودكتور في الحقوق أيضاً من جامعة يابل ، ودكتور في اللاهوت من جامعـة برنستون .

ـ كان استاذاً وعضواً في عمدة الجامعة الأميركية في بيروت من سنة ١٩٢٣ حتى سنة ١٩٢٨ .

ـ واستاذاً زائراً في جامعة كولومبيا من سنة ١٩٤٩ حتى سنة ١٩٥٤ .

ـ ومحاضراً في جامعة برنستون من سنة ١٩٥١ حتى سنة ١٩٥٦ .

ـ ومستشاراً للشؤون الثقافية في الشرق الأوسط من سنة ١٩٥٥ حتى سنة ١٩٥٦ .

ـ واستاذاً في الجامعة الاميركية في القاهرة من سنة ١٩٥٦حتى سنة١٩٥٩

ومن المناصب الاخرى التي شغلها :

مدير اغاثة الشرق الأدنى لسورية وفلسطين ١٩٢٠ — ١٩٢١

ـ وعضو لجنة عصبة الأمم لإسكان الآشوريين ١٩٣٦ — ١٩٤٠

ـ ومستشار الامم المتحدة لاغاثة لاجئي فلسطين ١٩٤٨ — ١٩٤٩ .

ـ ومدير مؤتمر الثقافة الاسلامية ، جامعة برنستون ١٩٥٢ — ١٩٥٣ .

ونذكر من بين الأوسمة التي نالها من دول عديدة في الشرق والغرب ، أنه نال وسام أمية من الجمهورية العربية السورية سنة ١٩٤٨ .

انتخبه مجمع اللغة العربية في دمشق عضواً مراسلاعن الولايات المتحدة الاميركية في جلسة ١٥ كانون الاول سنة ١٩٥٥ ، وصدر بذلك مرسوم جمهوري يحمل الرقم ٣٤٣ ، والتاريخ ٣٠/١/١٩٥٦، ومن مؤلفاته :

ـ الأزهر طبع سنة ١٩٦١ : ( Al- Azhar; a Millennium of: muslim Learning )

ـ التعليم الاسلامي طبع سنة ١٩٦٢ : « Muslim Education in Medieval Times .»

( a handbook for students of education )

كما ترجم ( الفهرست ) لابن النديم .

ومن مقالاته المنشورة في ( مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ) .

ـ حياة ابن النديم المجلد ٤٥ ج ٣ ص ٥٤٥ — ٥٥٥

ـ كتاب الفهرست لابن النديم المجلد ٤٥ ج ٤ ص ٨١٠ — ٨٢٣

ومجمع اللغة العربية بدمشق يشارك الاوساط الفكرية شعورها بالأسى لفقدان هذه الشخصية الفذة .

## المرحوم الشيخ كاظم الدجيلي

نأسف ونأسى إذ بلغنا أن الشيخ كاظم الدجيلي ، عضو المجمع المراسل من العراق ، كان قد انتقل إلى رحمته تعالى ، ولم نخبر بذلك في حينه .

ونعتذر إذ كنا أدرجنا اسمه بين الأعضاء المراسلين الأحياء في ص ٢٣٧ في الجزء الأول من هذا المجلد /٤٧/ .

اجزل الله للفقيد الرحمة . وعوض العربية من يقوم بأمرها .

## هـــدية ثمينة

أهدت السيدة الموقرة حرم فقيد الأدب المرحوم الدكتور صبحي أبو غنيمة مكتبة زوجها بعد وفاته إلى دار الكتب الظاهرية . وهي تضم /١٤٧٩/ مجلداً من الكتب والمجلات والصحف العربية والأجنبية في مختلف الموضوعات وقد استلمت الظاهرية هذه الهدية الثمينة ، وستضعها بين أيدي القراء والباحثين من روادها . وبهذه المناسبة يشكر مجمع اللغة العربية بدمشق ودار الكتب الظاهرية للسيدة المذكورة هذه اليد البيضاء ، ويدعوان الله أن يرحم الفقيد ويجزل ثوابه ويسكنه فسيح جناته .

# الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

## خلال الربع الثاني من عام ١٩٧٢

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| ١ ــ علماء المسلمين والوهابيون | جمع : حسين حلمي إيشيق بن سعيد إستانبولي | إستانبول ١٩٧٢ |
| ٢ ــ اختلاف الفقهاء | أبوجعفر أحمد بن محمد الطحاوي تح : د. محمد صغير حسن المعصومي | إسلام أباد ١٩٧١ ج(١) |
| ٣ ــ الإسلام والمشكلة العنصرية | د . عبد العزيز عبدالقادر كامل | باريس ١٩٧١ |
| ٤ ــ دراسة مقارنة للكلمة وعلم الصرف في اللغتين العربية والإنكليزية | عبد الباقي الصافي | البصرة ١٩٧١ |
| ٥ ــ المقرّب | ابن عصفور، تح: أحمد عبدالستار الجواري ــ عبد الله الجبوري | بغداد ١٩٧٢ ج(١) |
| ٦ ــ موجز البيان في مباحث القرآن | كمال الدين الطائي | بغداد ١٩٧١ |
| ٧ ــ رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة | " | بغداد ١٩٧٢ |
| ٨ ــ رسالة في التلاوة | " | بغداد ١٩٧١ |
| ٩ ــ رسالة في علوم الحديث وأصوله | " | بغداد ١٩٧١ |
| ١٠ ــ الخلاصة في أصول الحديث | الحسين بن عبد الله الطيبي تح : صبحي السامرائي | بغداد ١٩٧١ |
| ١١ ــ الخوارزمي | د . عمر فروخ | بيروت ١٩٧١ |
| ١٢ ــ دائرة معارف البستاني | فؤاد أفرام البستاني | بيروت ١٠٧١ ج (٩) |
| ١٣ ــ التعلم ونظرياته | د . فاخر عاقل | بيروت ١٩٦٧ |
| ١٤ ــ مدارس علم النفس | " | بيروت ١٩٦٨ |
| ١٥ ــ معالم التربية | " | بيروت ١٩٦٨ |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| ١٦ ـ اعرف نفسك | د . فاخر عاقل | بيروت ١٩٦٨ |
| ١٧ ـ علم النفس ـ دراسة التكيف البشري | « | بيروت ١٩٦٥ ج (١ و ٢) |
| ١٨ ـ رحلة عبر المراهقة | دوريس أودلم<br>ترجمة : د . فاخر عاقل | بيروت ١٩٦٧ |
| ١٩ ـ قول على قول | حسن الكرمي | بيروت ١٩٧١ ج (١، ٢، ٣) |
| ٢٠ ـ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة | المحسن التنوخي<br>تح : عبود الشالجي | بيروت ١٩٧٢ ج (٣) |
| ٢١ ـ الاتجاه الشخصاني عند خليل رامز سركيس في كتاب جعيتا | إميل المعلوف | بيروت ١٩٧٢ |
| ٢٢ ـ التمييز ضد اليهود الشرقيين في إسرائيل . | هلدا شعبان صائغ | بيروت ١٩٧١ |
| ٢٣ ـ الإسلام منهج حياة | د . فيليب حتي<br>ترجمة : د . عمر فروخ | بيروت ١٩٧٢ |
| ٢٤ ـ همزات شيطان | رفيق فاخوري | حمص ١٩٧٢ |
| ٢٥ ـ الأنفورماتيك ( علم المعلومات ) | ترجمة : العقيد المهندس سهل الصوفي<br>تدقيق : المقدم المهندس نذير طياوني | دمشق |
| ٢٦ ـ قوانين الاحتلال الحربي | د . إحسان الهندي | دمشق ١٩٧١ |
| ٢٧ ـ سلوك الطفل | د . فرانسيس إيلغ ـ د. لويس إيمز<br>ترجمة : د . فاخر عاقل | دمشق ١٩٦٩ |
| ٢٨ ـ قضية فلسطين | د . أحمد طربين | دمشق ١٩٦٨ ج (١ و ٢) |
| ٢٩ ـ الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية تشرين الأول ـ ١٩٧١ ـ دمشق | وزارة التعليم العالي | دمشق ١٩٧٢ |
| ٣٠ ـ الأزياء الشعبية وتقاليدها في سورية | د . حسن حمامي | دمشق ١٩٧٢ |
| ٣١ ـ التصفية | نواف أبو الهيجا | دمشق ١٩٧٢ |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| ٣٢ ــ الكحول والأولاد | إرم لوبوتسكاياروسيلس<br>ترجمة : يوسف حلاق | دمشق ١٩٧٢ |
| ٣٣ ــ دروس في الرياضيات العالية | ف سمير نوف<br>ترجمة : وجيه القدسي وزملائه | دمشق١٩٧١ج(٣)القسم٢ |
| ٣٤ ــ حكاية البيت الشامي الكبير | د . كاظم الداغستاني | دمشق ١٩٧٢ |
| ٣٥ ــ النشرة المكتبية بالكتب الصادرة في . ج . ع .س | وزارة الثقافة | دمشق ١٩٧٢ |
| ٣٦ ــ القرآن والمبشرون | محمد عزة دروزة | دمشق ١٩٧٢ |
| ٣٧ ــ شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين | عبد الله بن حامد الحامد | الرياض ١٩٧١ |
| ٣٨ ــ النشرةالبيبليوجرافية للدوريات الموجودة بمكتبات كليات الجامعة | جامعة الرياض | الرياض ١٩٧٢ |
| ٣٩ ــ شهيد التضحيات | عفيفة الحصني | القاهرة ١٩٧٠ |
| ٤٠ ــ وفاء | « | القاهرة ١٩٦٦ |
| ٤١ ــ ولاء | « | القاهرة ١٩٧١ |
| ٤٢ ــ أباطيل وأسمار | محمود محمد شاكر | مصر ١٩٧٢ |
| ٤٣ ــ تبيان الأدلة في إثبات الأهلة ، ويليه الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة | عبد الله بن محمد بن حميد | مكة المكرمة |
| ٤٤ ــ تكملة الرجال | عبد النبي الكاظمي<br>تح : السيد محمد صادق بحر العلوم | النجف ج ( ١و٢ ) |

## استدراك :

يضاف إلى ( جدول الخطأ والصواب ) ، المنشور في الجزء الرابع من المجلد السادس والأربعين مايلي :

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| ٨٣٣ | ٢ | أن | أمد |
| ٨٣٥ | ١ | ٣٧١٩ | ٢٧١٩ |
| ٨٣٥ | ١٤ | جفانه ( بالفاء ) | جغانه ( بالغين ) |
| ٨٣٥ | ٢٣ | مركب | مرك |
| ٨٣٩ | ١١ | تناوى | تنادي |

## تصويب

في جدول : المستدركات (٢) ص ٥١٤ من الجزء الثاني من المجلد السابع والاربعين،سقط السطر التاسع سهواً إلى الهامش ،ويكون الصواب على الشكل التالي :

| ص | س | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| ٧٠ | ١ | لسان الدين ابن الخطيب | لسان الدين بن الخطيب ومثلها العناوين في الصفحات المزدوجة التالية لها. |

# فهرس الجزء الثالث من المجلد السابع والاربعين

الجزء الرابع المجلد السابع والأربعون

# مجلة
# مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تشرين الأول « أكتوبر » سنة ١٩٧٢ م رمضان سنة ١٣٩٢ هـ

## المجاز في لغة العامة

الأستاذ شفيق جبري

إذا كان معنى المجاز في اللغة خلاف الحقيقة فالعامّة قد تلجأ في لغتها إلى هذا المجاز ، ففي دمشق مثلاً كثير من الألفاظ حوّلت العامّة معانيها عن الحقيقة إلى المجاز ،وقد نجد مثل هذا التحويل في كثير من بلاد العرب ، إلاّ أني أقتصر في هذا المقال على طائفة من الألفاظ ، شاعت على ألسن العامّة في دمشق وفيها شيء من المجاز ، غير أن العامّة قد حافظت على أصل المعنى حيناً وانحرفت عن هذا الأصل حيناً آخر ، ولا بدّ من ضرب الأمثال في هذا الباب ، ولكن لا بأس قبل ذلك بالإشارة إلى أن الذين يبحثون عن اللغة وعن انتقالها من طور إلى طور لا ينبغي لهم أن يغفلوا عن البحث عن لغة العامّة ، فإذا اهتموا بهذا البحث اهتدوا إلى قدرة العامّة على تحويل الألفاظ عن معنى حقيقي إلى معنى

مجازي وإلى تصرّف في اللغة لا يقلّ عن تصرّف الخاصّة ، فإذا تغلغلنا في لغتهم وجدنا في هذه اللغة ألفاظاً فصيحة في أصلها إلاّ أنهم حوّلوها عن وجه إلى وجه فازدادت في بعض الأحيان قوّة في التعبير والتصوير .

فلنشرع في ضرب الأمثال :

نجد في اللغة لمادة : مَعَك معاني كثيرة ، من جملتها : معكه في التراب دلكه ، إلاّ أن العامّة لم تقتصر على حقيقة هذا المعنى ، فقد استخرجت من هذه المادّة صورة ثانية ، فمرّة كانت تحافظ على أصل المعنى؛ فمن قولها في غسل الثياب امعكها ، أي اغسلها غسلاً جيداً أو ادلكها دلكاً شديداً ، فالمعك في هذا المقام هو الدلك ، فاللفظة لم تنحرف عن حقيقة معناهـــا ، ومن هذا القبيل مَعْك المشمش ، وهو الدلك أيضاً .

إلاّ أنهم إذا أرادوا أن يقولوا : فلان ضرب فلاناً ضربة شديدة قـالوا : معكه معكة قوية، فالمعك في هذا المقام معناه مجازي ، إلاّ أننّا لا نجد تباعداً بين الحقيقة والمجاز فكما أن التي تغسل الثياب غسلاً جيداً تمعكها أي تدلكها فكذلك الذي يضرب الآخر ضرباً شديداً يمعكه أي يدلكه بالضرب كما يدلك الثوب بالغسل ، وللمعك أيضاً في لغة العامّة معنى مجازي آخر قد يُستغنى عن التصريح به حرصاً على الأدب .

ومن هذا القبيل لفظة : دعك، في اللغة : دعك الثوب باللبس كمنع : ألان خشنته ، والخصمَ : ليّنه ، وفي التراب : مرّغه ، والأديمَ : دلكه .

فالعامّة نقلت معنى هذه المادّة من الحقيقة إلى المجاز، وفي عملها هذا حذق ومهارة، فهي تقول: فلان مدعوك ، أي أحكمته التجارب وصقله الزمن ، فهو يعرف مصادر الأمور ومواردها ، والخلاصة فهو غير مغفّل ، أفلا نجد مهارة في هذا التصرّف ، فكما أن الثوب المدعوك تذهب خشنته باللبس، فكذلك الرجل المدعوك تذهب غباوته بالتجارب .

ولا بأس بالاستمرار في هذا الباب ، إن مادة : بلعه كسمعه معروف معناها ، إلا أن العامة قد تصرفت في هذا المعنى المعروف فنقلته من وجه إلى وجه ، فإذا أهان رجل رجلاً آخر أو أسمعه كلمة قاسية قالوا : فلان بلع الإهانة أو بلع الكلمة القاسية ، فهم يريدون بذلك أنه سكت عنها ومر بها فلم ينبس ، وإني أجد طرافة في هذا التعبير ، فكما أن الرجل يبلع الماء فكذلك يبلع الإهانة أو الكلمة القاسية ، وهو تعبير طريف ، وقد توسعوا في هذا الباب فإذا تكلم أحدهم وأطال وضجر منه من يسمعه قالوا له : ابلع ريقك ، أي اسكت قليلاً ، أو اترك غيرك يتكلم ، وفي اللغة الفصيحة : أبلعني ريقي أي أمهلني مقدار ما أبلعه .

وفي بعض الأحيان تبعد الصلة بعض الشيء بين الحقيقة والمجاز في لغة العامة ، من هذا الشكل مادة : نتع ، نجد في اللغة : نتع الدم نتوعاً ، خرج من الجرح قليلاً قليلاً ، وكذا الماء من العين ، والعرق من البدن ، فهذه المادة معناها في اللغة واضح ، ولكن العامة لم تقف عند هذا المعنى ، فإذا كان لك عند رجل وديعة وجئت تطالبه بها ونفسه لم ترض بتسليمها قال لك : انتعها على رأسك ، أي خذها لا ردها الله ، أو إذا كانت امرأة عند زوجها وحصل بينهما بعض الخلاف وجاء أهلها للمعاتبة قال الرجل لأهلها : انتعوها على رؤوسكم ، فلا شك في أن الصلة في هذه المادة بين الحقيقة والمجاز بعيدة ولست أدري هل نهتدي إلى شيء من التخريج في ذلك .

وإذا بعدت الصلة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في بعض الأوقات فهذه الصلة قد تكون قريبة في أوقات ثانية ؛ لمادة : ( مصع ) معان كثيرة في اللغة الفصيحة ، في جملة هذه المعاني : مصعه ، ضربه بالسيف أو بالسوط ، أو ضرب ضربات قليلة ثلاثاً أو أربعاً ، ولا حاجة بنا إلى التوسع في الإشارة إلى معاني هذه اللفظة .

فالعامة لم تبعد كثيراً عن معنى هذه المادة في لغتها ، فهي تقول : سيف

يصع رقبته ، إذا أرادت أن تدعو على أحد ، إلا أن اللغة الفصحى تستغني عن ذكر السيف ، والعامة لا مندوحة لها عن ذكر السيف .

ومن هذا النحو قول العامّة : قصف الله عمره أو شبابه ، نجد في اللغة : قصفه يقصفه قصفاً كسره، فالعامّة جاوزت هذا المعنى فقالت: قصف الله عمره، وأي فرق بين قصف العود وقصف العمر والشباب .

ومن المواطن التي قد تستحكم فيها الصلة بين الحقيقة والمجاز قولهم : أكل فلان رأسي، ماذا نجد في اللغة ؟ نجد معنى: أكاني رأسي إكالة بالكسر وأكالاً بالضم والفتح : حكّني ، فهذا معنى ظاهر ، إلا أن العامّة تصرّفت في هذا المعنى فإذا قالت : أكل فلان رأسي أرادت بذلك كثرة كلامه أو كثرة إلحاحه على حاجة من الحاجات .

ولننتقل أخيراً إلى مادّة « لفّ » في اللغة : لفّه ضد نشره ، ولهذه المادة معان كثيرة لا نتبسط فيها ، فلننظر إلى تصرّف العامّة في معنى هذه اللفظة فإذا تنازع رجلان وجاؤوا ليصلحوا بينهما قالوا لأحدهما : لفّها ، أي اسكت أو امض لسبيلك ، فكأنهم يقولون له : اطوِ نزاعك وانصرف ، وإذا أرادت حكومة أن تطوي مسألة من المسائل أو قضية من القضايا قالوا : لفّتها ، أي أهملتها أو أماتتها ، فأيّ صلة أقرب من هذه الصلة بين الحقيقة والمجاز ؟

أفرأينا قدرة العامّة على التصرّف في الألفاظ الفصيحة وعلى براعتها في نقل هذه الألفاظ من الحقيقة إلى المجاز ؟

شفيق جبري

# نظرة في
# معجم المصطلحات الطبية
## الكثير اللغات

للدكتور ا.ل. كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر واحمد
حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

الدكتور حسني سبح

---

## استدراك وتعقيب

### — ٢٠ —

٨٥٨٤ نقّى ، نظّف ، قشّر — 8584 Monder
وغَرْبل ونَخَل أيضاً

٨٥٨٥ خليّة فرْد ، مُفْردَة الخلية — 8585 Monère
وأرجح أحادي الخلية .

٨٥٨٦ شبهُ مغوليّ — 8586 Mongoloïde
مغولاني او منغولاني جرياً على ما اقترحه مجمع اللغة العربية في القاهرة .

٨٥٨٧ تعقّد الشّعر ، قصورٌ طوقي الشّكل — 8587 Monilethrix, aplasie
تعجّر الأشعار — moniliforme: nodosités des poils
وأفضل : الشعر الطّوْقي ، تشوه الشعر الطوقي الشّكل ، تعقّد الشعر أو تعجره .

٨٥٩١ التهاب المفصل المُشوّه ( الرضي ) — 8591 Monoarthrite déformante (traumatique )

وأرجح : التهاب المفصل الواحد المشوه ( الرضي ) . وسبق للجنة أن خصصت التهاب المفصل ترجمة لـ ( arthrite ) وترجمها مجمع اللغة العربية في القاهرة بالرثية [١] .

٨٥٩٣ وحيد الأساس — 8593 Monobasique

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة أحادي القاعدة .

٨٥٩٤ وحيد الجذعة، ذو خلية أم واحدة — 8594 Monoblaste(cellule - souche du monocyte)

وأرجح وحيد الأرومة ( الخلية الأم لوحيدة النواة ) وسبقت ملاحظتي على لفظة ( blaste ) [٢]

٨٥٩٧ وحيد الخلية — 8597 Monocytaire

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة أحادي الخلية .

٨٥٩٨ كرية موحدةالنواة، خلية وحيدةُ النواةِ الكبيرة — 8598 Monocyte; grand mononucléaire

وأرجح وحيدة الخلية ، وحيدة النواة الكبيرة

٨٥٩٩ وحيد الغول — 8599 Monol

وجاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي وحيد الجزيء والوحيد الحمض ، وفي الترجمة الألمانية الغول الوحيد التعادل [٣] وأرجح اللفظة الأخيرة في الترجمة .

---

(١) الصفحة ٤٧٧ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٢٤٩ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) einwertiger, monatomic alcohol, monoacid Alkohol

٨٦٠٠ وَحيد النواة 8600 Mononucléaire

والصحيح وَحيدة النواة بالتأنيث ، لأن اللفظة إما أن تلحق بالخلية أو بالكريوة ، وكلتاهما مؤنثة .

٨٦٠١ وحدة الصَّفحة أو الطِراز 8601 Monophasie

والصحيح ترديد الكلام أو نَمَطية الكلام[١] . فقد جاء في معجم ستدمان[٢] في شرح لفظة ( monophasia ) : حالةمَرَضية تمتاز بترديد الكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة ترديداً مستمراً .

٨٦٠٢ شلل طرف واحد 8602 Monoplégie

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : الشللَ الطرَفي ، وسبقت الإشارةالى هذه اللفظة باطلاق الشلل المنفرد عليها[٣] .

٨٦٠٣ وحيد القيمة ، وحيد التعادل ،وحيدالتكافؤ 8603 Monovalent, ente

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة أحادي التكافؤ .

٨٦٠٥ مَسيخ ، أكشم 8605 Monstre

٨٦٠٦ مَسْخ ، كَشَم 8606 Monstrosité

وأرى أن يقتصر على اللفظة الأولى ( مسيخ ومسخ ) ولأن لأكشم وكَشَم معاني غير المقصودة هنا[٤] .

---

( ١ ) الصفحة ٥٩٦ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

( ٢ ) Stedman's Medical dictionary 1966

( ٣ ) الصفحة ١٠٤ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

( ٤ ) في لسان العرب : كشم أنفه دقّه وكشم أنفه يكشمه كشماً جدعه ، والكشم قطع الأنف باستئصال، الى أن قال أيضاً : والكشم نقصان الخَلْق والحسَب والأكشم الناقص الخَلْق، رجل أكشم بيِّن الكَشَم ، وقديكون ذلك النقصان أيضاً في الحسب.

٨٦١٥ مَرَضي ، وَبيل — 8615 Morbide

وأرى أن يقتصر على اللفظة الأولى وحدها[1] .

٨٦١٦ مَرَض ، وَبالة ، اسباب المرض — 8616 Morbidité

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة مَرَضانية وجاء في الشرح : نسبة حدوث المرض في جماعة من الناس . كما أن لهذه اللفظة معنى آخر وهو حالة المرض كما جاء في معجم ستدمان[2] .

٨٦١٧ مُمْرِض ، مُسْقِم — 8617 Morbifique

أفضل الأقتصار على اللفظة الأولى .

٨٦١٩ حَصَبي الشكل — 8619 Morbilliforme

حَصَباني ، كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة .

٨٦٢٠ قِطْعة ، سبيخة ، لُقْمَة — 8620 Morceau, bouchée

وأرجح قطعة و كَسْرة للفظة الأولى ولُقْمة للثانية ، والسبيخة خاصة بالقطن والصوف[3] .

٨٦٢٤ مَعْرِض الموتى ، مَشْرَحة — 8624 Morgue

وأرجح مَعرِض الجُثَث أو مستودعها تاركاً المشرحة ترجمة لـ ( salle de dissection )

٨٦٢٥ مَسٌّ الثَرثَرة ، هَذَر — 8625 Moria

لهذه اللفظة ( كما جاء في معجم ستدمان)[4] معنيان :(١) الحُمول

---

(١) في لسان العرب : الوبيل من المرعى الوخيم ، وَبُل المرتع وَبالة وَوَبالاً وَوَبلاً ، وأرض وبيلة وخيمة المرتع الى أن قال : والوبيل الذي لايستمرأ وماء وَبيل وَوَبي وخيم ، اذا كان غير مَريء وقيل هو الثقيل الغليظ جداً .

(٢) Stedman's Medical Dictionary

(٣) في لسان العرب : والسبيخ من القطن مايسبخ بعد الندف أي يلف لتغزله المرأة ، والقطعة منه سبيخة وكذلك من الصوف والوبر .

(٤) لفظة moria في Stedman's Medical dictionary

والبلادة وفي الفهم خاصة ، (٢) حالة عقلية تمتاز بالطيش وبالميل الى الحركة ، وعدم النظر الى الامور نظرة جدية ، لذا ارجح ترجمة اللفظة بالبَلْدة في المعنى الأول وبالهَذَر بالمعنى الثاني (١) .

٨٦٢٨ نَمَش ، كَلَف مُنقّط ، تصلب الجلد المحدود السطحي أو الرَّقي ، تصلب الجلد اللوئحي — 8628 Morphée en gouttes sclérodermie circonscrite superficielle ou par — cheminée, sclérodermie en plaques

وأفضل قَشْعة (١) على هيئة القَطَرات ، قَشْعة محدودة سطحية ( أو تصلب الجلد المحدود والسطحي ) أو الرقيّ ، والقَشْعة اللوحية أو تصلب الجلد اللوحي . وسبق للجنة أن استعملت لفظة كَلَف ترجمة لـ ( éphélides ) ( اللفظة ٥٠٣٧ ) .

٨٦٣٣ إدمان المُرْفين ، جِنّة المُرْفين — 8633 Morphinomanie

وأفضل هَوَس المُرْفين .

٨٦٣٥ عِلْم التَقْطيع ، عِلْم الأشكال — 8635 Morphologie

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : علم التشكل بين مصطلحات علوم الأحياء ، كما سبق له أن أقر مورفولوجية في مصطلحات الطب والتشريح ، وأرجح الأولى .

٨٦٣٧ أسنان مِنْقاش — 8637 Mors d'une pince

وأرجح ساق مِلْقَط .

٨٦٤١ إصقاع ، مَوْت من البَرْد — 8641 mort par exposition au froid

وأفضل موت بالإصقاع أو بالصَقَع (٤) .

---

(١) في لسان العرب: البَلْدة ضد النفاذ والذكاء والمضاء في الأمور ، الهَذَر الكلام لا يُعبأ به هَذَر كلامه هذراً أكثر في الخطأ والباطل .

(٢) الصفحة ١٠٤ في المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في لسان العرب : والصَقيع الذي يسقط من السماء بالليل شبيه بالثلج وصُقِعَت الأرض وأصقعت فهي مصقوعة ، الى ان قال أصقع الصقيع الشجر والشجر صَقيع ومُصقَع .

٨٦٤٥ خُفُوت بتوقف القلب 8645 mort subite par arrêt du cœur
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الموت الفُجائي ( غير المنتظر )
وسبقت النظرة الى هذه اللفظة[١] .

٨٦٤٦ موت بالغَرَق ، بالغَطْس 8646 mort par submersion
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بالغَمْر[٢] .

٨٦٤٧ موت تُوتي 8647 mort thymique (dans l'asthme thymique)
( في الربو التُوتي )
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة ( thymus ) بتوثة
( بالثاء ) معرفاً اياها بأنها غدة في مقدم الصدر ، وسبق لي أن
اقترحت التعريب بالتيموس[٣]
وعليه تكون ترجمة اللفظة موت توثي أو تيموسي ( في الربو
التوثي ) .

٨٦٤٩ هاوِن ، جُرْن 8649 Mortier
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة هاوون - هون ( هاوون )
وجاء في الشرح :
وعاء مجوّف يصنع من الحديد أو النحاس أو العقيق يدق فيه[٤]

---

( ١ ) الصفحة ١٠٥ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

( ٢ ) في لسان العرب : غَمَره الماء يغمرُه غَمراً واغْتَمَره عَلاه وغطّاه ، الغَطس في الماء الغَمْس فيه غطَسه في الماء يغطِسه غطساً وغطسة في الماء وقَمَسه وَمَقَله غمسه فيه .

الغرق : الرسوب في الماء

( ٣ ) الصفحة ٨٥ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

( ٤ ) في لسان العرب : الهاوَن والهاوُن والهاوون فارسي معرّب ، هذا الذي يدق فيه . الجُرْن حجر منقور يصب فيه الماء فيتوضأ به .

٨٦٥١ تموت اللُّب — 8651 mortification pulpaire

وأفضل تموتُ لُبي .

٨٦٥٩ تحرُّك — 8659 Motilité

ودرجت على ترجمة اللفظة بحَّراك[1] .

٨٦٦٢ خَوْتَع ، ذباب أزرق ، ذباب اللحم . — 8662 mouche bleue, mouche à viande

وأفضل أن يقتصر في ترجمة اللفظة على ذبابة اللحم الزرقاء كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الامير مصطفى الشهابي ، وإن قال في ترجمتها خَوْمَع ( فلعله خطأ مطبعي ) وللخوتع معنى آخر[2] .

٨٦٦٣ ذباب داجن — 8663 mouche domestique

ذبابة أهلية ، ذبابة بيتية في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الامير مصطفى الشهابي[3] .

٨٦٦٨ مُنقَّط مُرقَّط ، مُبَقَّع — 8668 moucheté, ée : tacheté , ée

وأرقط في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي وجاء في الشرح : ذو رُقْطة وهي نكَت شعر أسود مبعثر في ثوب الفرس .

---

( ١ ) في لسان العرب : الحَرَكة ضد السكون ، حَرُك يحرك حَرَكة فتحرك وكذلك يتحرك وتقول : قد اعيا فما به حَرَاك.

( ٢ ) في تاج العروس : والخوتع كجوهر ضرب من الذبب كبار وقيل ذبب الكلب وقال ابو حنيفة ذباب أزرق يكون في العشب ، والخوتع ولد الأرنب . أما الخومع فهو مفرد الخوامع أي الضباع اسم لها لازم لانها تخمع ، وخَمَع في مشيته اذا عرج والخِماع العرج .

( ٣ ) في لسان العرب : دَجَن في المكان يَدجن دُجوناً أقام به وألفه .

٨٦٧١ مَرقَدة ، مَصْهَر ( أسنان ) 8671 moufle cylindre ( dent.)

بَوتقة ج بواتق في معجم مصطلحات تعويض الأسنان للدكتور ميشيل خوري[1] .

٨٦٧٢ بَلُولية ، رطوبية 8672 Mouillabilité

وأفضل الإقتصار على بلولية .

٨٦٧٣ صوغ ، افراغ في القالب 8673 Moulage

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة ( moulding ) بين مصطلحات علم التوليد بالانصياع وأقر ترجمة (excessive moulding) بفرط الانصياع (الشكل). وجاء في الشرح : شدة انضغاط رأس الجنين في أثناء مروره بالحوض .

ولعلّ لفظة قَولبَة تفيد المعنى ويستساغ استعمالها .

٨٦٧٤ قالَب ، طابَع 8674 Moule

وأفضل الاقتصار على قالَب .

٨٦٧٥ نَاعِمَة ، مُتَشَطِرة ( أم الخلول ) 8675 Moule ( mollusque )

وجاء في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الأمير مصطفى الشهابي ( وهو الأفضل ) : ميدية ، بَلَح البحر ( جنس مَحار من فصيلة الميديّات فيه أنواع تربّى لتؤكل ) .

٨٦٧٨ قالَب لصلب البارافين 8678 moule à paraffine

وأرجح قالب بالبارافين .

---

(١) وجاء في الشرح : أ علبة معدنية أو أنبوب معدني يستعملان في أعمال الكسو ويراد بالكسو غمس النماذج الشمعية بالمسحوق الكاسي .

«ب» علبة معدنية مجزأة (sectional) يهيأ فيها قالَب مجزأ من الجِبْس الحجري أو جبس باريس لغرض حشو وضغط وتصنيع الاجهزة السنية وسواها من الأعواض (جمع عِوض) الاتنجية .

٨٦٧٩ مات جوعاً 8679 Mourir de faim

وأرجح تضور جوعاً بالمعنى المجازي ومات صبراً من الجوع .

٨٦٨٠ مات بَرْداً ، هَلَكَ بَرْداً 8680 Mourir de froid, périr de froid

وأفضل مات صَقَعاً ، وهلك أو تَلِف صَقَعاً .

٨٦٨٣ أسودُ البلاتين، اسفنج البلاتين 8683 mousse de platine éponge de platine

وأفضل زَبَد البلاتين في اللفظة الأولى، لأن ما تعنيه اللفظة كتلة من هذا المعدن تحوي في طياتها غازاً .

٨٦٨٤ بَعوض ، قَرْقَس 8684 Moustique, cousin

وأرجح بَعوض، برغَش لأن للفظة قِرقِس ( بالكسر ) معنى آخر[١].

٨٦٨٥ أمّ الخَمِيرة 8685 Moût

والصحيح عصير العِنَب [٢] كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الامير مصطفى الشهابي : عصير ُعصار وعصارة وجاء في الشرح : سائل سكري يستخرج من بعض الثمار كالعنب والتفاح والكمثرى ويُعد للاختمار .

٨٦٨٧ أم الجِعَة 8687 moût de bière

الجِعَة الحديثة الصنع كما جاء في شرح لفظة( beer wort ) الواردة في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي[٣] .

---

(١) في لسان العرب: القِرقِس البعوض وقيل البق والقِرقِس الذي يقال الجِرجِس شبه البق .

(٢) وكما جاء في معجم لاروس : عصير العنب الذي لما يتخمر قطعياً ، وكذلك في معجم ستدمان في لفظة Must : غير المختمر من عصير العنب وغيره من الثمر .

(٣) معجم سعادة (Saadeh's dictionary) .

٨٦٩٤ طِحْن 8694 mouture
والصحيح طَحْن بالفتح(١) .

٨٦٩٦ حركة مشتركة ، حركة اشتراكية 8696 mouvement associé
اشتراك الحركة synergique , associé
ودرجت عن ترجمة اللفظة بالحركة المشاركة ،(٢) وحركة المشاركة واشتراك الحركة .

٨٦٩٧ حركة قبّانية ، حركة القبّان 8697 mouvement de bascule
وأرجح التراوح أو حركة التراوح .

٨٦٩٨ نَغَشان بَرَوْني 8698 mouvement brownien
وأقر المجمع اللغة العربية في القاهرة البَرَوْنية أو البُرُونية .

٨٦٩٩ حَرَكة قَسْرية ، لا إرادية 8699 mouvement forcé involontaire
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الحركة الاضطرارية ترجمة لـ ( mouvement involontaire )

٨٧٠٠ حركة تدوير القسم العلوي من الجسد القسرية اللاارادية 8700 mouvement forcé involontaire, rotation de la partie supérieure du corps
وأفضل أن تكون الترجمة كما يلي : حركة قسرية ، اضطرارية ، إدارة القسم العلوي من الجسد .

٨٧٠١ حركة ترويضية 8701 mouvement de manège
وأفضل حركة الترويض .

---

( ١ ) المقصود هنا فعل الطَحن كما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الاصلي (grinding) ففي لسان العرب: الطّحْن الطحين المطحون والطّحْن الفعل والطِحْن بالكسر الدقيق .

(٢) وهو ماأقره مجمع اللغة العربية في القاهرة أيضاً .

٨٧٠٢ حركة وسواسية 8702 mouvement obsessionnel

وأفضل حركة مُستحوِذة أو حركة مُلزِمة ترجمة للفظة في الانكليزية ( compulsive ) كما جاء في المعجم الأصلي ولا أرى في الوسوسة ما يؤدي المعنى المطلوب(١) .

٨٧٠٣ حركةٌ مُضادّة 8703 mouvement d'opposition

وأرجح حركة المقاومة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢) .

٨٧٠٤ حَركة منْفَعِلة ، تمرين منْفَعِل 8704 Mouvement passif exercice passif

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة الأولى بحركة إنفعالية وأرجح ترجمة اللجنة ( منفعلة ) .

٨٧٠٨ حركة بمقاومة فاعلة 8708 mouvement à resistance active

وأفضل حركة ممانعة ذاتيّة ، وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة ( active movement ) بالحركة الذاتية وبحركة فاعلة .

٨٧١١ وَسَط 8711 Moyen. enne

وَسَط ومتوسط

٨٧١٧ مخاط ـ قيح 8717 Muco - pus

وأرجح قيح مخاطي

٨٧٢١ مُخاطيّة ، مُخاط ، مُغاط 8721 Mucosité, mucus, glaire

وأفضل ترجمة لفظة (glaire) بالآح لا المُغاط(٣) لأن منظر هذه المادة يشبه الآح تماماً

---

(١) في لسان العرب : الوَسْوَسة والوِسْواس حديث النفس يقال وَسْوَست اليه نَفْسه وَسْوَسةً ووِسواساً بكسر الواو ، والوَسواس بالفتح الاسم ـ والوسواس الشيطان.

(٢) defense movement

(٣) في لسان العرب : المَغْط مد الشيء وخص بعضهم به الشيء اللين كالمصران ونحوه مَغَطه مَغْطاً .

٨٧٢٨ متعدد الحَمْل — 8728 Multigeste

والصحيح متعددة الحَبَل ، لأن الحَمْل خاص بالأناث اطلاقاً والحَبَل يرجح استعماله للنساء .

٨٧٣١ ضائنة — 8731 Multipare

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الضائنة — الولود ( الكثيرة الولد ) .

٨٧٣٦ جداري — 8736 Mural, ale

الأفضل حائطي وجداري لا سيما وأن اللفظة الاخيرة ترجمة للفظة ( pariétal ) (اللفظة ٩٨٥٩) .

٨٧٣٨ تُوتٌ بَرّيٌّ — 8738 mûres sauvages ( des ronces )

وهو المعروف بالعلّيق .

٨٧٤٢ جُرْذي اللون — 8742 Murin, ine

والصحيح جرذي اطلاقاً لا للون وحده .

٨٧٤٣ حَفيف حُوَيْصلي ، نفخة حُوَيْصلية — 8743 murmure vésiculaire, souffle vésiculaire.

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة الاولى باللغط الحويصلي .

٨٧٤٤ حَفيف حُوَيْصلي مُرتَج خشن مقنع . — 8744 murmure vésiculaire saccadé, rude, voilé.

والأفضل لغط حويصلي مرتج في اللفظة الأولى .

٨٧٤٦ طِيبٌ ، جَوْزُ الطيب — 8746 muscade, noix muscade

والصحيح جوز الطيب جُوزبَوَّى كما جاء في معجم الالفاظ الزراعية للمرحوم الامير مصطفى الشهابي وليس لطيب وحده أن يدل على النبات المذكور .

٨٧٦٢ عَضَلَةٌ مُنْعِطَةٌ، 8762 muscle érecteur, horipilateur, piloarrecteur

هنا أولاً غلط مطبعي في اللفظة الفرنسية والصحيح ( arrecteur )

تبعه غلط في الترجمة والصحيح عضلةٌ مُقِفَّةٌ[1] أو ناصبة الشَعْر

لا مُنْعِطَة[2] . واقتصرت الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي

على عضلة الشعر[3] .

وقد وردت عضلة منعِّطة ( m. érecteur ) في اللفظة ذات الرقم

( ٨٨٠١ ) .

٨٧٦٣ عَضَلَةٌ ذاتُ رأسَيْن عَضُدِيَة 8763 muscle biceps brachial

٨٧٦٤ عَضَلَة ذاتُ رأسَيْن فخذية 8764 muscle biceps crural

وأرجح العضلة ذاتَ الرأسين العضدية والعضلة ذات الرأسين الفخذية

٨٧٦٥ عَضَلة عَضُدِية أمامية 8765 muscle brachial antérieur

وأرجح العضلة العضدية الأمامية

٨٧٧٥ عَضَلَةٌ عُثْكولة الذَّقَن شبه المخروطية 8775 muscle conoïde de la houppe du menton

والأفضل العضلة الذقنية كما جــاء في الترجمة الانكليزية للمعجم

الأصلي[4] .

٨٧٧٦ عَضَلَةٌ عاصِرة البلعوم 8776 muscle constricteur du pharynx

والأفضل العضلة مُقبِضَةُ البلعوم لتخصيص لفظة عاصرة ترجمة

ل ( sphincter )

٨٧٧٨ عضلة مُقَطِّبة حاجبية 8778 muscle corrugateur

(١) في لسان العرب: والقَفّة الرِعْدة وعليه قَفّة أي رِعْدة وقُشَعْرِيرة، وقفَّ يقِفُّ قُفُوفاً أرعد واقشعرّ وقفّ شعري أي قام من الفزع .

(٢) في لسان العرب : نعِظ الذَّكَرُ يَنْعَظ نَعْظاً ونَعَظاً ونُعوظاً وانعَظَ قام وانتشر، والانعاظ الشَبَق وانعَظت المرأة شَبِقَت واشتهت أن تجامَع .

(٣) (hair muscle)

(٤) (m. mentalis)

وأرجح العضلة مُقَطِّبة الحاجبين كما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي(١) .

٨٧٩٣ عضلةٌ ذات بطنين — 8793 muscle digastrique

وأرجح العضلة ذات البطنين

٨٧٩٨ عضلة مشتركة رافعة أرنبة الأنف والشفة العليا — 8798 muscle élévatur commun l'aile du nez et de la lèvre supérieure

وأفضل العضلة رافعة الأنف والشفة العلوية معاً ، مجاراة للترجمة الانكليزية في المعجم الأصلي(٢) .

٨٧٩٩ عضلة خاصة رافعة الشفة العليا — 8999 muscle élévateur propre de la lèvre supérieure

وكذلك العضلة رافعة الشفة العلوية الخاصة(٣)

٨٨٠٣ عضلة مشتركة باسطة الأصابع — 8803 mucsle extenseur commun des doigts

٨٨٠٤ عضلة مشتركة باسطة اصابع القدم — 8804 muscle extenseur commun des orteils

٨٨٠٥ عضلة خاصة باسطة ابهام القدم — 8805 muscle extenseur propre du gros orteil

٨٨٠٦ عضلة خاصة باسطة السبابة — 8806 muscle extenseur propre de· l' index

٨٨٠٧ عضلة خاصة باسطة الخنصر — 8807 muscle extenseur propre du petit doigt

وأرجح أن تكون الترجمة كما يلي : العضلة باسطة الأصابع المشتركة والعضلة باسطة أصابع القدم المشتركة والعضلة باسطة ابهام

---

(١) (m. corrugator supercilli)

(٢) (m. levator nasi and labis maxilaris)

(٣) ( m.levator labii maxillairis )

القــــدم الخاصة والعضلة باسطة السبابة الخاصة والعضلة باسطة الخنصر الخاصة .

8810 muscle fléchisseur commun des orteils ou tibial fléchisseur ٨٨١٠ عضلة مشتركة قابضة أصابع القدم او ظنبوبية قابضة

8811 muscle fléchisseur commun superficiel des doigts ٨٨١١ عضلة سطحية مشتركة قابضة الاصابع

8812 muscle fléchisseur profond commun des doigts ٨٨١٢ عضلة عميقة مشتركة قابضة الاصابع

8813 muscle fléchisseur propre du gros orteil ou fléchisseur péronier ٨٨١٣ عضلة خاصة قابضة ابهام القدم او قابضة شظوية

وأرجح أن تكون الترجمة كما يلي : العضلة عاطفة أصابع القــدم المشتركة او الظنبوبية العاطفة والعضلة عاطفة الأصابع المشتركة السطحية والعضلة عاطفة الأصابع المشتركة العميقة ، والعضلة عاطفة أبهام القدم الخاصة او العضلة الشظوية العاطفة .

8817 muscle grand complexe ٨٨١٧ عضلة مُلْتفَّة كبيرة

والعضلة نصف الشوكية كما جاء في الترجمــــة الانكليزية من المعجم الاصلي(١) .

8818 muscle grand dentelé ٨٨١٨ عضلة مُسنَّنة كبيرة

والعضلة المسنّنة الجانبية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٢) .

8819 muscle grand dorsal ٨٨١٩ عضلة ظهرية كبيرة

(١) (m. semispinalis)

(٢) (m. seratius lateralis)

والعضلة الظهرية المتسعة كما جاء في الترجمـــة الانكليزية من المعجم الاصلي(١) .

٨٨٢٠ عضلة البطن المستقيمة الكبيرة — 8820 muscle grand droit de l'abdomen

والعضلة المستقيمة البطنية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٢) .

٨٨٢١ عضلة الرأس المستقيمة الكبيرة الأمامية — 8821 muscle grand droit antérieur de la tête

وعضلة الرأس البطنية الكبيرة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٣) .

٨٨٢٣ عضلة الرأس الكبيرة الخلفية — 8822 muscle grand droit postérieur de la tête

وعضلة الرأس الظهرية الكبيرة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٤) .

٨٨٢٤ عضلة البطن المنحرفة الكبيرة — 8824 muscle grand oblique de l'abdomen

وعضلة البطن المنحرفة الوحشية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم لاصلي(٥) .

( للبحث صلة )

(١) (m. latissimus dorsi)

(٢) (m. rectus abdominalis)

(٣) (m . capitalis ventralis major)

(٤) (m . capitalis dorsalis major)

(٥) (m . obliqus externus abdominalis)

# الأصالة والتجديد في المقال الأدبي

الدكتور شكري فيصل

مدخل :

عندما نتحدث عن المقـــال في التراث الأدبي نجد أننا نواجه سؤالين اثنين ينتصبان من أمامنا وكأنما يريدان أن يكون لهما في الدلالة على الطريق نصيب، وفي تحديد جنبات الموضوع أثر .. أحدهمـا هو هذا السؤال الأول : ماذا تعني كلمة « مقال » في التراث العربي القديم ؟ والآخر : ماذا تعني هذه الكلمة عند المعاصرين ؟

ثم يكون السؤال الثـالث تتمة لهما في إطار الموضوع واستكمالا للحديث عنهما ، وهو : ماهي عناصر الأصالة وظواهر التجديد في المقال الأدبي ؟ وما هي العوامل التي قادت اليهـا ، والأحداث التي ساعدت عليها ؟ إن الأسئلة الثلاثة تتضام لتكون بأجوبتها ، وبما يتفرع عنها من قضايا ،وبما تثير من وجهات النظر الصورة الأكمل - فيما يبدو - في معالجة الموضوع .

## القسم الأول : المقال في التراث القديم

١ - في التراث العربي القديم قبل الإسلام ، لم يكن هنالك هـــذا الذي نصطلح على أن نسميه بالمقال أو المقالة .. كانت الكلمة تعني القول .. فإذا ذكر النـابغة في معلقته وهو يعتذر إلى النعمان ويحاول أن يرد التهمـة التي ألصقت به وأن يقذف بها أعداءه :

مقالة أن قد قلت : سوف أناله وذلك من تلقـاء مثلك رائع

فإنما هو يعني القول .. وإذا قال الجاهلي أو العربي في صدر الإسلام : هذه مقالة صدق ، فإنما يريد ماتريده اليوم من تعبيرنا : هذا قول صدق أو حق .

ولا تقع في القرآن الكريم ، ولا في الحديث الشريف ، ولا فيما أبقت لنا هذه الفترة المبكرة الأولى على غير هذا الاستعمال لهذه اللفظة .

المقال ، إذن ـ أو المقالة ـ في صميم هذا الاستعمال العربي لها ـ كلام شفوي.. إنها ترتبط أشد ماترتبط بالنطق .. فإذا ذكرنا المقالة بعد ذلك في العصور التي ازدهرت فيها الثقافة العربية وفي هذه العصور الأخيرة التي نحياها أو نحيا أطرافاً منها ، وأنها تعني الكلام المكتوب ، أدركنا أضخم الفروق التي طرأت على استعمال هذا اللفظ بين القديم والجديد .

وليس في وسعنا ، في مجال ضيق هنا ، أن ننصرف إلى دراسة دقيقة لتطور اللفظة .. ولكننا نجد أنها كانت في حياتنا الثقافية الأولى ، بهذا المفهوم ، جزءاً أصيلًا من هذه الثقافة .. كانت ثقافتنا، في أكثرها ، تعتمد على الرواية،فكانت المقالة كلاماً منطوقاً .. وكانت ثقافتنا في كثرتها المطلقة شعراً ، أو ما يتصل بالشعر من هنا أو هناك ، فلم يكن لدينا إذن إلا أقل النثر ، وهو نثر شفوي على كل حال : خطب أحياناً ، ومنافرات ومفاخرات أحياناً أخرى .

٢ – ومع الإسلام يتغير كل شيء في النفس العربية عقيدة وتطلعاً ورسالة، وفي الحياة العربية التقاءً وتوحداً داخل الجزيرة،وانسياحاً وافتتاحاً في خارجها.. ويتنزل القرآن الكريم ، كتاب الدعوة ، كتاباً معجزاً ، ليس من الشعر وإنما يحمل على الشعراء ، ويتنزل نثراً جديداً ، ويوشك أن يكون جديداً في كل شيء ؛في لغته ومصطلحاته ، وفي تعابيره وتكوين جمله ،وفي أغراضه وأفكاره.. وتقوم الدولة الجديدة فإذا هي في حاجة إلى النثر لأن الدولة لاتقوم على الشعر ، ولأن الشعر بكل ماتراكم فيه من رموز ومعان،بكل أشكاله وروحه،لايمكن

أن يكون كفاء هذه الحياة الجديدة ولا دليلها .

هذا الانصراف عن الشعر إلى النثر كان اتجاهاً نحو ازدهار الخطابة أول الطريق ، وكان ازدهاراً للكتابة بعد ذلك على طول الطريق .

ومن ازدهار النثر كان هذا اللون من الأدب الذي نسميه الرسائل :

هل تكون الرسائل التي وصلتنا شيئاً يشبه المقال ؟ هل تشبه رسالة عمر في العهد الراشدي إلى أبي موسى الأشعري في القضاء أن تكون مقالاً ؟ ورسائل عبد الحميد بن يحيى وابن المقفع في العصر الأموي هل تصلح أن تكون شيئاً يماثل مانصطلح الآن على أنه المقال ؟

٣ – قد لا يكون منتجاً أن نتقرّى وجوه الشبه أو وجوه الخلاف بينهما.. أو أن نتبارى في اقتناص الملاحظات حول وصل مابين الرسالة بهذا المفهوم وبين المقالة في مفهومها المعاصر ، أو قطعه.. إنهما شكلان نثريان يلتقيان ويفترقان.. يحملان أوجهاً من الافتراق والتلاقي قد تتدانى أحياناً وقد تتباعد أحياناً. .رسالة عمر في القضاء ، موضوع معين تطرحه الحيـــاة الجديدة فيكتب به عمر هذه الصفحات ويبعث بها إلى عامله أبي موسى أو إلى عمـاله .. ورسالة عبد الحميد إلى الكتاب موضوع يفرضه تنظيم الحيـاة الجديدة ، فيجمع عليه عبـد الحميد آراءه وملاحظاته ثم يصوغه هذا الصوغ .. ورسالة عبد الحميد في الشطرنج ، إنما يثيرها أن الناس فتنوا بهذا البدع الجديد فتنة أوشكت أن تصرف بهم عن أعمالهم فتضطر الدولة إلى أن تعالج هذا الموضوع وأن تكتب فيه.. ورسائل ابن المقفع في الأدب الصغير والأدب الكبير آراء وملاحظ وأفكار عنّت له من خلال المطالعة أو الترجمة أو ممارسة الحياة فكتب فيهـا .. ولكن رسالة عبد الحميد إلى أهله وهو منهزم مع مروان موقف ذاتي شخصي واجه الرجـل فكتب فيه هذه الرسالة المؤثرة التي تنوس بين الأمل واليأس، أحدهما يصرع صاحبه في كل كلمة أو جملة .

إن هذه الرسائل قريبة من أن تكون مقالات . هي أحياناً مقالات مطولة توشك أن تكون دراسات لأفكار طارئة أو واقع جديد ، وهي أحياناً مقالات موجزة توشك أن تكون معالجة آنية لحدث يومي طارىء .. بعض هذه «الرسائل ـ المقالات » موضوعي ، وبعضها ذاتي .. بعضها يغلب عليه أن تكون الفكرة وحدها هي التي تتحكم فيه ، وبعضها تتعاون فيه مقتضيات الفكرة وطرق الأداء لتصوغه على هذا النحو أو ذاك ...

ولكنها كلها ، أياً كان الحال ، أشياء مكتوبة ، ليست من بنات الشفاه ، يلزمها ما يلزم الأشياء المكتوبة من أن تكون أثراً لشيئين : للتروية وللتحلية .. يتأنى فيها الكاتب : عقله وأداؤه على السواء .. إنها خطوة واسعة جداً على طريق المقالة المعاصرة : فيها الموضوع الذي يشغل الذهن ، أو الحادثة التي تملأ القلب .. وفيها التفكير في هذا الموضوع أو الانفعال بالحادثة بما يقود إليه الانفعال في الحياة الوجدانية والحياة العقلية .. وفيها الخلاص من ذلك إلى التعبير عنه بنوع من الأداء ـ يجمع أو يجب له أن يجمع ـ بين غنى الفكر ومتعة النفس وجمال العرض .. ويطول ذلك أو يقصر تبعاً لكثير من الظروف والمناسبات .

أكانت هذه بداية المقال المكتوب ؟ وهل ولد المقال العربي في أحضان هذه الرسالة ؟ أكان هو إياها ؟.

٤ ـ ومع حركة الثقافة الإسلامية وتقدمها تنمو « الرسالة ـ المقالة » من نحو .. وتنشأ المقالة غصناً جديداً في شجرة النثر من نحو آخر .

أ ـ أما نمو « الرسالة ـ المقالة » فنلاحظه في اتجاهين :

اتجاه « الرسالة ـ الفكرة » سواء كانت هذه الفكرة مجردة أو سياسية أو اجتماعية ، كما في رسائل الجاحظ .. وهي الرسالة التي تتخذ منطلقها وهدفها موضوعاً تعالجه أو فكرة تدرسها .

واتجاه « الرسالة ـ الذات » وهي الرسالة التي تنبع من حياتنا الذاتية ، والتي تكون في النثر العربي مجرى الرسائل الإخوانية .

ب ـ أما الغصن الجديد الذي نشأ يحمل اسم المقالة بوضوح فذلك هو هذه الأشياء التي كان يكتبها أصحاب المذاهب المختلفة ، يعرضون آراءهم ، ويظهرون دعوتهم ، ويتعرضون فيها إلى خصومهم بشيء من النقص أو بشيء من التزييف . إن في ثقافتنا الإسلامية أمثلة كثيرة لهذه « المقالات » : مقالات الأشعريين ، ومقالات المعتزلة و ...

والمقالة هنا ، في هذا الشكل الجديد الذي تتلبسه ، توشك أن تكون قاصرة على الآراء والمذاهب والفرق ، أعني على النطاق الفكري البحت الذي يتصل بالعقائد : عرضها ، والدفاع عنها ، والمحاجة في سبيلها ... ولكنها تدل على شيء جديد آخر ذلك هو الذيوع أو القصد إلى الذيوع ...

من قبلُ ، لم تكن الرسالة الموضوعية أو الذاتية تضع الذيوعَ العريض الذي يتناول الكتلة الكبرى من الناس ويتصل بالجماهير ، هدفاً رئيسياً لها ـ باستثناء رسائل الدولة التي كانت تقصد بها الى عامة الناس ـ ولكن المقالة التي تتصل بالمذهب ، كان من أهدافها هذا الذيوع أو الشيوع .

ومن هنا يرتبط في الحياة العملية ما بين المقالة وبين الذيوع .. وتأخذ المقالة ، مقالة الفرق والمذاهب ، تمد ما بينها وبين بعض صفات المقالة المعاصرة : الوصول إلى الناس أو الى أكثر من تستطيع أن تصل إليهم من الناس .

٥ ـ وإلى هنا ونحن مع عصور الازدهار ، في ساحة المقالة أو ما يشبه المقالة .. ولا تضيف متابعة الطريق الى بداية عصر النهضة شيئاً جديداً على هذا .. ولعل اللفظة تبدو أقل انتشاراً ، ولكن مدلولها لا يخرج عن هذه الأشكال التي أشرت إليها ، دع عنك ما كان أصاب هذا المدلول من ضمور أثراً للضمور الثقافي في جملته .

٦ – ومع العصر الحديث تتلامح آفاق جديدة واسعة .. المطبعة ، هذا الكشف الرائع ، هي التي استنبتت هذه الآفاق ، والصحافة هي التي جلتها . وارتباط ما بين الطباعة والصحافة في الغرب ، وانتقال ذلك إلى الشرق هو الذي أعطى المقال مدلوله الجديد ، ووهبه صفاته الخاصة وحدوده المتميزة .

إن البدايات الأولى للصحافة في الوطن العربي بدايات نشأت في ظلال الحكومات ؛ « الوقائع المصرية » مثلا كانت جريدة رسمية تنشر ما يتصل بالحكومة ، « والمبشر» الجزائرية ، كانت الجريدة التي أنشأتها فرنسا في الجزائر.. ومع ذلك فلم تقتصر الوقائع أو المبشر أو مثيلاتها على القرارات والقوانين ، وإنما جاوزتها إلى أن تنشر بعض المقالات عن العلم أو عن المدارس: « المبشر» ، وبعض القصائد « شوقي في الوقائع » . إن أشياء من ذلك نجدها فيهذه الصحيفة أو تلك ، وكأن المقال العربي بالمعنى المحدث لهذا اللفظ ، كان يبدأ طريقة على صفحات هذه الصحافة الرسمية ليجد مكانه بعد ذلك في الصحافة الحرة .

إن ارتباط ما بين الصحافة والمقال يوشك أن يكون ارتباطاً كاملاً ، عضوياً .. الصحافة قادت إلى المقال ، والمقال هو أحد الجوانب الرئيسية من الصحافة .. إنه أبرز ما فيها في نطاق الرأي ، وفي نطاق الخبر أيضاً ... لأن الخبر التافه تذروه الرياح ، والخبر القيم هو الذي يُنْبط المقالفيقوم عليه .

هل في وسعنا أن نقول إن المقال الأدبي قد ولد ولادة جديدة مع نشأة الصحافة ، وإنه ذاع مع ذيوعها .. وهل نمضي مع هذا الترابط لنقول إنه كذلك تأثر بها وخضع لها وكان لها عليه سلطان كبير ؟..

إننا سنتبين ذلك بعد . ولكننا نريد قبل أن نقف عند هذا الوافد القديم ـ الجديد .. إنه بعض هذه الأشياء التي جاءتنا من الغرب .. فما هو مفهوم المقال في الحياة الغربية ؟..

## القسم الثاني ــ مفهوم المقال

ا ــ في كثير من الإيجاز أحب أن أشير إلى أن لفظ مقال Essaie يدل في الأصل على « التجربة » .. إنه يومىء إلى هذه الممارسة لفكرة ما ، مخالطتها ومناقشتها وعرضها ... أو بتعبير آخر طرحها على الملأ ، على الناس ، في تجربة غايتها أن تصل هذه الفكرة إلى الاكتمال ، بما يتعاقب من حديث حولها أو تجديد لمعالجتها ، نقداً أو قبولاً أو إغناء أو تشذيباً .

إن المقال إذن في أبسط التعابير ، بعيداً عن حدود التعريف ، تعبير عن موقف ، عن فكرة مستوحاة من حدث ، مستخلصة منه أو معالجة له .. تجاوز ذات الكاتب إلى مجتمعه ، إلى جمهوره الذي يقرؤه ، ويراد أن يكون هذا الجمهور طرفاً في هذه الفكرة ، بناً لما عنده ، أو مشاركة له فيها .

ب ــ إننا هنا في الحق أمام عنصرين : الموقف ـ الفكرة .. والقارىء ـ الجماعة أو الجمهور ... ولا نستطيع أن نتمثل مقالاً من غير فكرة يدعو إليها أو موقف يبتعثه ، كما لا نستطيع أن نتمثل مقالاً من غير جمهور أو جماعة يتجه إليها .

ج ــ ولكن هذا المقال لا يمكن أن يساق أو أن يعرض خلواً من بعض شروط الأداء .. إنه لا بد له من لبوس أدبي يكتسيه .. لا بد فيه من الإثارة إلى جانب الفكرة ، ولا بد فيه من المتعة إلى جانب الرأي .. لا بد لهذا الرأي أو لهذه الفكرة من أن تجد مسالكها إلى الناس عن طريق القلب قدر ما تجد ذلك ، ولعلها فوق ما تجد ذلك ، عن طريق العقل ... إن الشكل الأدبي هو اللبوس المميز لهذا المقال وهو إن تخلى عنه تخلى عن سمة أساسية فيه وطبيعة رئيسية من طبائعه .

د ــ إن هذا اللبوس الأدبي يمكن أن يتخذ أشكالا مختلفة .. ليس من الحق في شيء أن يكون هذا اللبوس الكامل ... أن يكون فيه كل عناصر الأدب ،

وأن تغطي هذه العناصر كل جمل المقال ومقاطعه .. أن يكون كله أخيلة وصوراً مزوّقة ، وتراكيب وأساليب مُعْجِبة ، وعواطف وأحاسيس متقدة ، وأن يداخل ذلك كل كلمة منه وكل فقرة فيه .. قد يكون ذلك بعض ما فعله كتاب المقال الأدبي ، أول الأمر ، متأثرين بثقافاتهم الأولى وبالإيحاء الذي خلفته الرسائل القديمة والمقامات .. وقد يكون ذلك ، أو بعضه ، هو الذي غلب على فترة من الفترات التي مر بها المقال الأدبي .. ولكن المؤكد أنه لكي يكتسب المقال هذه الصفة ، لكي يكون مقالا أدبياً ، فإنه يكفي فيه عنصر ما من هذه العناصر التي تكسب الأثر هذه الصفة الأدبية : التناول الجديد ، أو العرض المصقول ، أو العاطفة المشبوبة ، أو التهكم الخفي ، أو التخيل المثير .. بعض ذلك ، أو بعضٌ من كل ذلك ، يجزىء في أن يمنح المقال هذه الصفة .

هـ – وأخيراً هل نحن في حاجة إلى أن نقول إن **المقال الأدبي لا يعني إذن مجال المقالَ الذي يتحدث عن الأدب ، ولكنه يعني المقال الذي يقال في أي شأن من شؤون الحياة** ، في أي غرض من أغراضها ، في أي ميدان من ميادين السياسة أو الاجتماع أو الخلق أو الدين ، مغموساً في الحوض الأدبي ، أو في جانب منه ، متحلياً بشارة من شاراته أو شية من شياته .

إني أقصد قصداً في هذا الذي أقوله عن المقال الأدبي إلى تجاوز التعريف الضيق والحدود الصارمة .. لا لأن ذلك عسير فحسب ، بل لأن المقال الأدبي ، في الغرب حيث نشأ ، وفي البلاد العربية حيث غلب وذاع ؛ لا تضبطه تعاريف محددة .. إن أطرافاً من مفاهيمه تختلف بين الكتاب أنفسهم ، وبين الكتاب الفرنسيين والكتاب الإنجليز .. وتختلف مع بداية نشأته ومع التطور الذي آل إليه .. ويختلف مثل ذلك أو نحو ذلك في الحياة العربية .. وتاريخه هذا الطويل خلال هذين القرنين بكل هذه الظروف التي أحاطت به والتي لا حصر لها ، يجعل من الخير في مثل هذا البحث أن نقتصر على هيكله الأساسي الذي أشرنا إليه :

الموقف ـ الفكرة ، والقارىء ـ الجماعة ، واللبوس الأدبي الذي يكسو معالجة هذا الموقف أو طرح هـذه الفكرة على الجمهور ... إنه أدبي في صيغ أدائـه ، ولكنه سياسي أو اجتماعي أو ديني أو اقتصادي في مضمونه .

## القسم الثالث ـــ عناصر الأصالة ومظاهر التجديد

هذا المقال الأدبي في شكله القديم الذي عرفناه به أو في شكله الجديد منذ بدأ على صفحات الصحافة الرسمية أول الأمر ثم جاوزها بعـد ذلك إلى الصحافة الحرّة ـ قطع رحلة طويلة .. إن مسيرته هذه جديرة بدراسة خاصة ، الحيز المفترض لهذا المقال لايتسع لها بحال .. ولكننا نستطيـع ، تحقيقاً لغاية البحث ، في تتبـع متأنٍ ونظرة فاحصة ، أن نلاحظ عناصر الأصالة فيه ، ومظـاهر التجديد التي طرأت عليه ، متجاوزين التفاصيل متغافلين عن ربط هذه التفاصيل بالخط التاريخي المفصل ، ملتفتين إلى الروح العامة التي تتجلى في هذه العناصر والمظاهر .

### ١ - خط التطور العريض : التنازع والتكامل بين الفكرة والأداء

إذا كان قد استقر عندنا أن المقال الأدبي يقوم على محورين أساسين : الفكرة من نحو واللبوس الأدبي أو الصياغة من نحو آخر .. فإن التطور الذي حكم المقال الأدبي هو التطور الذي حكم هذين المحورين واتجـه بهما هنا وهناك .. إن محصلة الاتجاهات في هذين المحورين هي صورة المقال الأدبي في عناصر أصالته الأولى ومظاهر التطور الجديدة .

وفي وسعنا أن نقول دون أن نتهيب التعميم ، هذا المنزلق الخطر ، إنه كان هنالك دائماً في المقال الأدبي على طول هذا الخط التاريخي الطويل هذا التنازع بين الفكرة وبين اللبوس أو هذا التكامل بينهما .. آثارنا كلها في هذا النحو ، المحدثة والقديمة ، البعيدة الموغلة في البعد ، والحديثة النضرة الحداثة .. كلها تخضع لهذا التنازع أو هذا التكامل .. بعض منشئينا مشدود إلى الفكرة شداً يصرفهم عن

العناية باللبوس الأدبي .. وعند بعض المفكرين المنشئين أو المنشئين المفكرين ضعف في الأداء أو قصور عنه .. وبعض منشئينا مشدود إلى هذا اللبوس حريص عليه مغلب له على ما سواه .... وهناك أولئك الذين استوى لهم أن يمسكوا بالقيادين، وأن يدفعوا بحصاني المركبة ، في توازن ذكي، إلى أبعد الحدود آفاقاً وتجديداً .. إن آثارنا كلها – ولعل آثار سوانا كذلك – مرتبطة على نحو من الارتباط ، بهذين : بالتنازع أو بالتكامل .. أولئك الذين وفقوا إلى هذا التكامل كانوا من أعلام المقال الأدبي – بالمعنى الواسع له – على مدى تاريخنا الفكري .. وأولئك الذين خضعوا لهذا التنازع وقفوا في هذا الصف أو ذاك ، ولأمر ما كانت أولى المشاكل النقدية التي أثارهـا البيان العربي قضية اللفظ والمعنى ، منذ كان النقد انطباعاً مبهماً أو جزئياً إلى أن كان مع الجاحظ وابن قتيبة عرضاً للمشكلة ، إلى أن اتخذت المشكلة بعد ذلك أبعادها كلها .. ولعله ، للأمر نفسه ، كانت بعض أوجه الخصومة الشكلية منذ البدء بين القرآن وبين الشعراء .. بين الموقف – الفكرة التي تطوّع الأداء ثم يسمو بها هذا الأداء إلى حد الإعجاز ، وبين الشعراء الذين يسقطون الفكرة ليتغنوا بالمواقف على نحو من الغنائية التي يخالطها هذا التضخيم والتمجيد والذاتية .

## ٢ – عناصر الأصالة

إذا صح لنا هذا الخط العريض الذي يبدو للمتأمل في سير البيان العربي – والمقال الأدبي شكل من أشكال هذا البيان – فكراً وتسجيلاً ، عرضاً وأداءً ، موقفاً وتعبيراً ، وأغلب الظن أنه صحيح ، فإن عناصر الأصالة في المقال الأدبي الأصالة بمعناها الاصطلاحي الجديد ومعناها اللغوي القديم – يمكن أن تتلخص بأنها تتناول الفكرة والأداء .

### ١ – الفكرة :

بمعنى أن تكون الفكرة ليست شطراً من المقال منضافاً اليه ، بل أن تكون صلبه ، وأن تكون هي منطلقه .. إننا نقول بعد أن نفكر ..

ونكتب بلغتنا هذه بعد أن نكتب مرات هذه الكتابة الداخلية فيما بيننا وبين أنفسنا .. نكتب للناس بعد أن نكون استمعنا إلى هذا الذي نكتبه ، هديراً داخلياً متصلاً ، ونسمعه قبل أن نُسمعه للناس أو أن نحمله حملاً على آذانهم .

ولكن الفكرة يجب أن تكون مصاحبة بشيئين :

أ - أولهما : **الوضوح** : فلا تكون الفكرة فكرة إلا أن تكون واضحة في ذهن صاحبها .. ووضوحها هو الذي يفتح أمامها هذا الطريق ذا الشعبتين :

طريق وضوح التعبير عنها وسلامة هذا التعبير .

طريق وصولها إلى أذهان الآخرين .

إن فقدان الوضوح هو الذي أعطى نتاجنا الفكري في بعض الفترات هذه الألوان المعتمة ، وهذه الصورة التي تتداخل فيها الخطوط والظلال حتى لا تكاد تستبين .. إن ذلك هو الذي يسم قدراً صالحاً من نتاج العصر العباسي في نطاق الثقافة الجديدة التي خالطت الفكر العربي .. قد تكون جدة الثقافة هي السبب في ذلك ، ولكننا لا نناقش ، هنا ، الأسباب قدر ما نفكر في الآثار التي تتخلف عن غياب الوضوح .

ب - والآخر : **الإيمان بالفكرة** : فالفكرة لا تكون فكرة إلا حين تكون إيماناً بهـــا أو في طريق الإيمان بها بكل مايحمله لفظ الإيمان من قناعة داخلية ، واطمئنان نفسي ، ووثوق عقلي . . والأفكار التي لا تكون موضع ايمان ، أو قصد إيمان عن طريق عرضها ومناقشتها ، لا يجوز أن تطرح .. إنها حين ذاك تكون موضع تجارة .. وليس أقسى من تجارة الأفكار .. إنها الفتنة الكبرى التي تخرج بالناس عن محـاور حياتهم إلى حياة من غير محـاور .. إلى حياة تنسخ الحياة في خيوطها الأصيلة لتنسج بديلاً لها خيوطاً موهومة أو كاذبة .. إنها تُخرج الناس إلى ما نصطلح عليه في مصطلحاتنا بالضلال .

**٢ - الأداء :**

الأفكار من غير أداء نقود مختزنة .. والأداء أو التواصل الفكري هو عصب

الحضارة ، سواء في ذلك حضارتنا أو الحضارات الاخرى التي كانت تجعل من طلب العلم فريضة ، ومن الاستجابة إلى هذا الطلب فريضة .. إننا مطالبون بهذا الأداء على كل صوره وأشكاله حين تتوفر لنا الفكرة ووضوحها ، والإيمان بها.

والحديث عن الاداء ينشعب في اتجاهين :

أ ـ أولهما : **صحة الأداء**

ذلك أن الأفكار تؤطرها اللغة وتصوغها .. واللغة جملة من الأدوات والقواعد..وأي استخفاف بها أو تجاوز مقصود لمعاييرها أو انحراف عن خطوطها لاينال اللغة فحسب ، فليست اللغة وحدها شيئاً ـ وإنما ينال الفكرة التي نريد التعبير عنها والتبشير بها .. إنه زعم باطل أن نتصور أن أي أداء هو وسيلة مقبولة.. فلكل شيء طريقه في الحياة المادية والمعنوية على السواء ، في الفكرة التي نتقبلها ، في الجملة التي نسكبها ، في اللفظة التي ننطق بها ، في الصوت الذي يصل بيننا وبين الآخرين ـ أياً كان الاختلاف أو الاتفاق على حدود هذا الطريق تضييقاً أو توسعة .

وفي تاريخ الجماعات كلها توشك أن تكون صحة الأداء هي الأصل .. وإذا كانت الفكرة هي القطب النواة فإن صحة الأداء هي القطب الآخر .. وليس هنالك أفكار من غير أداء ، أريد من غير أداء صحيح .

ب ـ والآخر : **جمال الأداء**

وجمال الأداء هو الذي يهب المقال طعمه الأدبي .. إننا نأخذ الأشياء أو نؤخذ بها ولكننا نحب أن نؤخذ بها أو أن نأخذها في صورة جمالية .. إن الجمال هنا ليس عنصراً إضافياً ولا لصيقاً بالفكرة وأدائها ولكنه جزء من ذلك كله .. إنه الجمال في قبالة الحق الذي هو الفكرة ، وفي قبالة الهدف الذي هو الخير .. إن هذه الثلاثة قطعة نسيج واحد: اللحمة والسدى والأصباغ..ولسنا نستطيع أن نتصور الألوان من غير خيوط ، وقطعة النسيج من غير لحمة وسدى..

إن كل نتاج فكري ترك آثاراً في حياة الجماعة كان متصلاً بهذا الجمال نوع اتصال: براعة العرض جمال، وروعة الابتكار أو الكشف جمال، والنفاذ النافذ إلى الحقيقة جمال.. هذا إلى غير ذلك من العناصر الكثيرة التي تؤلف الجمال الأدبي.

٣ ـ الإيجاز:

وهناك في الثقافة العربية، بالقياس إلى المقال الأدبي عنصر ثالث من عناصر الأصالة غفل عنه تاريخنا الطويل وعدت عليه العوادي حتى كاد ينسى.. ذلك هو الإيجاز.. وأنا أفرد الإشارة اليه على أنه جزء من الأداء لمكانته الأصيلة في تقاليدنا الأدبية.

ويبدو أن الإيجاز يغيب في مطاوي التطور الثقافي.. كأنما هذا الغنى الثقافي يستدعي مجانبة الإيجاز والاندفاع نحو التطويل.. وعند كتابنا، وفي مقالاتنا ورسائلنا على مدى تاريخنا الأدبي، كان الأمر يتراوح بين الإيجاز والتطويل أو الإطناب كما نسميه.. ولكننا حتى في العصور الأولى المزدهرة، تجاوزنا ـ تحت تأثير عوامل كثيرة لا سبيل إلى أن نعددها هنا ـ آصل خصائصنا في التعبير، وفي التعبير النثري بخاصة، وفي التعبير النثري المكتوب على نحو أخص، وذلك حين تجاوزنا الإيجاز إلى هذا الهذر الكثير الذي أصبح جزءاً من كياننا وحياتنا اليومية: كياننا النفسي وكياننا التعبيري.

إن سمة من السمات الأساسية في الحياة العربية الأولى هي الإيجـاز.. وكأنما كان هـذا الإيجاز هو الذي غلّب عندنا، في بداية الحركة الإسلامية، جانب العمل على جانب القول.. كانت تكفي عندنا الجملة الموجزة والتعبير المركز.. ورسالة عمر في القضاء جملة من القوانين، وخطب الخلفاء الأوائل برنامج عمل.. ورسائلهم إلى القواد والولادة والعمال صورة لهذا الإيجـاز الذي تكتمل فيه الفكرة والأداء وضوحاً وجمالاً وبساطة.. ولأمر ما بدأ التطويل مع عبد الحميد في نهاية العصر الأموي وبدايات الاشتباك بالحضارات الأخرى

فقيل عنه إنه أول من طول الرسائل . . ولأمر ما أراد الجاحظ الإمتاع والجمال فأراد الذين جاؤوا بعده التطويل والهذر من غير جمال ولا إمتاع .

إني أوشك أن أجمع بين الإيجاز وبين الخصيصة الأصيلة في المقال الأدبي .

### ٣ ـ مظاهر التجديد

وإذا كانت هذه هي عناصر الأصالة في المقال الأدبي، فما هي إذن العوامل الطارئة عليه سواء أسمينا ذلك عوامل تجديد أو عوامل تبديد ؟

في الحق ان المقال الأدبي حقق منذ النهضة قفزة طيبة فوق عصور الانحطاط .. كان فكر ابن خلدون وأسلوبه المطلق في عصور ما بعد بغداد هما المنارة التي انتشلت هذا المقال الأدبي من وهدته ، على حبالها تعلق ليجاوز ذاته وعصره ، وليلتحم بالعصور المزدهرة السابقة .. واستطاع المقال في الصحافة المصرية وبالتالي في الصحافة العربية أن يوفر القيمتين : الفكرة واللبوس الأدبي على تفاوت في حظوظ أصحابه من هاتين القيمتين، وعلى تفاوت في تناسب مقاديرهما في المقال الواحد .. هناك الذين أغنوا جمالية المقال ، والذين أغنوا فكرته ، والذين أغنوا إبداعه الفني والفكري على السواء .. ولا سبيل هنا إلى الاستشهاد ولا إلى التعداد.

غير أن ذلك لم يستقم بعد ، أو لنقل إن هذا التطور لم يمض مباشرة إلى غايته التي كان يجب أن يمضي إليها . . إنه اتخذ بعض المظاهر الإيجابية وبعض المظاهر السلبية .

### أولاً : المظاهر الايجابية

تتبدى المظاهر الإيجابية في :

١ ـ طواعية اللغة :

فقد اتسعت اللغة للكثير الجديد في نطاق الفكر النظري والتطبيقات العملية ، وطوعتها المقالة الجديدة لا في المفردات فحسب بل في التراكيب وصور الأداء . . لقد قدم النثر في المقال الأدبي ، للغة العربية في هذه الفترة

ساحات خصبة ، واستنبت فيه براعم ووروداً ذات عرف ونباتات ذات نفع .. إنه فجر فيه كلمات وتعابير وأساليب ، وأطلقه في الآفاق التي رادها، في الهواء وفي الفضاء ، على مجاهل الأرض وفي الكواكب . . إننا مدينون لهذا المقال الأدبي في الصحيفة اليومية أو في المجلة الأسبوعية أو الشهرية ، في وصل جماهير الناس بالحضارة ومعطيات العصر : آرائه وأفكاره وأدواته وآلاته ، وتشوقه وتطلعاته . . بل لعله ليس من المبالغة أن يقول الإنسان إنه لا شيء يربطنا بالحضارة إلا هذا المقال الأدبي ، ما دمنا لا ننتجها ولا نشارك في إنتاجها ، ولا نعرف منها إلا جانبها الاستهلاكي . . إن تطلعنا لها ومواكبتنا النظرية، مدينة له ، مدينة لهذا المقال الأدبي الذي استطاع أن يكون ـ عن طريق تطويع اللغة من جهة والاستفادة من خصائصها التعبيرية والاشتقاقية وروحها الغني العتيد وأصالتها الأصيلة ـ هو الخيط الذي يربط الجمهور العربي بالحياة المعاصرة، بانتظار أن يكون هذا الربط عن طريق المشاركة والممارسة .

٢ . يسر الأسلوب وتبسيطه :

فقد غلب على الأساليب التبسيط واليسر . . بعض ذلك عائد إلى طبيعة الأبحاث ، وبعضه عائد إلى طبيعة الكتاب ، وأكثره عائد على كل حال ، إلى هذا الارتباط بين المقال والجمهور . . فلم يعد المقال رسالة للخاصة ، بحكم هذا التطور الاجتماعي والنزعات الحرة، ولكنه أضحى كلاماً يوجه إلى جماهير الناس، يوجه في الجريدة اليومية والمجلة الأسبوعية وفي المجلة الشهرية .. ويكتب ليذاع على كل موجة ويدخل كل مسمع .. وإذن فلا بد له من أن يلجأ إلى اليسر ، وأن يكون اليسر طابعه ، وإلى البساطة وأن يكون التبسط عماده . . ولقد أكسب ذلك المقالَ الأدبي خصائص جديدة عند عديد من الكتاب .

والغريب أن يكون أكثر ذلك عند الذين يعنون بالجانب العلمي .. على حين يغيب كثير من هذا اليسر والبساطة عند الذين يعنون بالجانب النظري ..

وكأن الوضوح الذهني عند ( العلميين ) قاد إلى اليسر ، وكأن الغموض الذهني عند ( النظريين ) قاد إلى شيء من التعقيد والغموض .

### ٣ ـ الاقلاع ، دون ردة ، عن الزخرف اللفظي

فقد كان هناك بقايا من هذه الزخارف اللفظية قبل الحرب العالمية الثانية .. ولكن أساليب مابعد الحرب قضت على ذلك فيا يشبه أن يكون قضاء نهائياً فلم يعد في المقال الأدبي منه إلا بقايا رشيقة على أقلام متميزة ، أو بقايا كابية على أقلام ضعيفة ، ولكنها بقايا على كل حال .

## ثانياً : المظاهر السلبية

إن هذه المظاهر الإيجابية لاتستقيم دائماً ... وإذا كنا نتحدث عن طواعية اللغة ويسر الأسلوب وغياب الزخارف ، فإنه لابد لنا من أن نرى الوجه الآخر لهذا الذي نسميه المقال الأدبي .. لابد لنا أن نلاحظ أن التطور ، بعامة ، في الوطن العربي لم يمض ، في كل ميدان ، الى غايته .. إن كل شيء في هذا التطور ينكسر أو يتقطع أو يتخاذل ، يمتد في نحو ويقصر في نحو آخر ، وهو لذلك لم يستطع أن يعطي ثمرة صحيحة لا في الميادين السياسية ولا في الميادين الاجتماعية ولا في الميادين الفكرية .. ولعل مثل هذا التطور في المقال الأدبي من الأمثلة الحية على فقدان التوازن والتكامل في هذا التطور .. إن المظاهر السلبية شديدة الوضوح ، وهي تتمثل في هذا التعثر في الفكر ، أو هذا التعثر في الأداء ، أو هذا التعثر فيها ، وتوشك أن نغادر كثيراً من مظاهر الأصالة التي أشرت إليها عند عدد من الكتاب في عديد ضخم مما نقرأ من المقال الأدبي دون أن نظفر دائماً بمظاهر التطور الإيجابية . ولا بد من أن أوضح ذلك في النقاط التالية :

أ – في الفكر

من المؤكد أن هنالك ثروة فكرية متدفقة على الذهن العربي تريد أن تغنيه أحيانا وتريد أن تغزوه أحيانا أخرى – وتلك قضية أخرى وإن لم تكن منفصلة وإن للحديث عنها لمجالاً آخر – .. ولكن من المؤكد أن هذا الدفق الفكري لم يرافقه هذان العنصران اللذان لا يكون الفكر فكراً إلا بهما ، عنيت الوضوحَ والإيمان . إن جدة هذه الأفكار من ناحية ومواطنها التي نشأت فيها بعيداً عن مواطن الحياة العربية ، ذلك كله حمّلها قدراً من الغموض لم يستطع كثرة من أصحاب المقال الأدبي أن يغادروه أو أن ينجوا منه ، فإذا هناك هذا التعقيد فيما كتب – وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية – .. وإذا هناك – أثراً لعدم الإيمان بالأفكار ، واستثمار القادرين المتسلطين للذين يستطيعون صوغ الأفكار دون إيمان بها – إذا هناك هذه التجارة الفكرية الخاسرة التي تستخدم كل ما في التجارة من أضواء وإغراء ، ومن استثمار واستغلال .

ب – في الأداء

وأما في الأداء فإن سلسلة من الأسباب التي تبدأ بفشل برامج التعليم أحيانا، وتنتهي بمشاعر الرفض للحدود والقواعد، وأشياء أخرى كثيرة بين ذلك، جنبت الأداء صحته وشوّهت أحياناً جماله ، أو أضفت على هذا الجمال أنواعاً من الغموض ومن التعقيد جعله أقرب إلى أن يكون إحساساً به غير مكتمل ، منه إلى أن يكون تذوقاً كاملاً له ، وتأثراً به واحتمالاً للعدوى الفنية منه .

ج – في الايجاز

وأما الإيجاز – وأنا ، على أنه أسلوب من أساليب الأداء ، أفرده للتأكيد عليه – فقد أضحى عدواً لكثير من ألوان المقال الأدبي ، باستثناء هذا البرعم

الصغير الذي هو شكل جديد للمقال الأدبي: الخاطرة، الذي نصادفه في هذه الزاوية أو تلك من هذه الصحيفة أو هاتيك .. وأضحى التكثر والتطويل، من غير داع أو ضرورة أو مسوغ، سمة .. تلاحظ في عديد من المجلات في بعض الأقطار .. إنه تطويل مقصود أحيانا كأنه إطالة للشباك، أو تطويل يأتي نتيجة للعجز عن الوضوح، أو محاولة لإثبات الذات .

## ثالثاً ـ عوامل وراء هذا التطور

وهكذا يبدو واضحاً أن هذا التطور الذي لا تتوازن خطاه، والذي يتراءى نكسة مرة وقفزة مرة .. ردة حيناً وتطلعاً حيناً، لابد فيه من بعض الضبط .. ومحاولة الضبط التي نهدف إليها تضطرنا إلى معرفة العوامل وراء هذا التطور في وجهيه الإيجابي والسلبي .

إن معرفة هذه العوامل جديرة ببحث مستقل، وكان من الممكن أن نتجاوز الوقفة عندها لولا أننا نريد من هذا البحث، ومن مثله، أن يخرج عن حدود الوصف الى حدود التنهيج او الى حدود الدلالة حتى يعطي ثمرته .. ولذلك سأكتفي هنا في الحديث عنها بما يشبه أن يكون تعداداً لها .

### ١ ـ الترجمة :

الترجمة أضخم مشاكل الثقافة المعاصرة، وأبرز العوامل وراء هذا التطور .. إنها ـ لهذا الظمأ الفكري الذي يستبد بأجيالنا، ولهذا الخصب الثقافي الذي تشارك فيه المجموعة الانسانية كلها ـ مشكلة الفكر العربي الأولى .

إنها ـ من حيث هي أفكار تلقى وأساليب تمارس، وقضايا تطرح ـ تفرض وجودها على كل مثقف . . ولو كان العرب الذين يقودون الحياة العربية على اهتمام بما وراء الأفق القريب، لو كانوا من ذوي النفس الطويل، لكانوا أولوا

الترجمة شيئاً أكثر من عنايتهم بالعديد من المظاهر الفارغة .. إنها نافذتهم على الحضارة إذا نظرنا الى المستقبل ، وإرادة الحفاظ على أصالتهم اللغوية إذا نظرنا الى الماضي ، وطريق سلامتهم الفكرية إذا أرادوا المشاركة من غير تبعية ، والاسهام من غير ذوبان .. وهي اقتصاد رائع لطاقاتهم الذهنية ، وتحويل لها نحو الابداع إذا نظرنا الى صلتها بموضوع دراسة اللغات الأجنبية في المدارس .. إني أكتفي هنا بأن اشير الى التجربة الصينية للذين يريدون فعلاً أن يفكروا في أوطانهم ، وأن يعملوا لها عملاً مفيداً .

والذي يحز في النفس أن الترجمة أضحت باباً لشرين كبيرين : الدعاية والتجارة .. وماذا يبقى من الجماعة حين يستبد بها ، من حيث لا تشعر ، أفكار يراد أن تتلبسها ، وتجارة فكرية لا يخشى كسادها ؟!.

٢ ــ الصحافة ، الجرائد والمجلات :

الصحافة هي الوعاء المادي للمقال الأدبي .. كل حديث عن تأثير هذا المقال وتطوره متصل بالحديث عن الصحافة وتطورها .. إنها إذن الوعاء والغذاء .. ولقد كان لها فضل أي فضل .. إن سلطانها عظيم ولذلك فان الاهتمام بها يجب أن يكون فوق سلطانها .. ولا بد لها من قدر متوازن غير مكتوب ، من الحرية ومن الرقابة .. حرية ورقابة ذاتيتين .. أما كيف يكون هذا التوازن فتلك مسألة اخرى، ولكن أبرز ملامح وجودها أنها يجب أن لا تخرج عن شرائط الأصالة التي تحدثت عنها حتى لا يتبدد أثرها وحتى لا يذهب شرُّها بخيرها .

٣ ـ الاذاعة والتلفزة :

وجهان آخران للصحافة .. والحديث عنها هو الحديث عنها .

٤ ــ الخطب السياسية :

شهد الوطن العربي في الفترات الأخيرة تطوراً في الخطبة السياسية .. كانت

هـذه الخطبة من قبلُ عنـــد كثرة من رجال السياسة الذين يمارسون الخطابة ـ تخضع لكثير من العناية حتى تكتسب سلامتها اللغوية من نحو وجمالهـا الفني من نحو آخر .. وكان العديد الأكبر من الذين يمارسون الخطابة السياسية على حظ كبير من الثقافة اللغوية والأدبية والفكرية .

غير أنه نشأ بعد ذلك في الأمة العربية رجال من الطراز الأول في الحيـاة السياسية ... آثروا تحت تأثير أنبل الدوافع وأصدق المشاعر وأصح الاتجاه أن يتحدثوا إلى الناس وأن يخطبوهم حيناً بعد حين باللغة اليومية .. إن هذه الخطب السياسية التي قُدّر لها ، بحكم حصافة أصحابها وذكاء لبهم وعظيم تأثيرهم وسمو مكانتهم، قدر كبير من الانتشار أباحت للعامية أن تنزل منزلاً جديداً ما كان لها أن تنزله من قبل ، بل لقد سجلت بعض هذه الخطب في الصحف على هـذا النحو ، ونفذت الى الناس ، عقولهم وقلوبهم ، على هذا النحو ... وهو اتجاه قد يكون له ما يغفره في نطاق الأهداف الكبرى والظروف الآنية ، وعلى لسان زعيم موهوب وقائد فذ .. ولكن ليس له ما يغفره إن هو أضحى سنة مبتدعة متبعة .. لأن أثره بعد ذلك على المقال الأدبي ، استشهاداً به او ببعض فقراته واحتذاءاً له في بعض المرات وتيسيراً للطريق أمام العامية ـ لا يغتفر .

وهـذا دون أن ننسى أن هذه الخطب السياسية كان لها من نحو آخر أثر ضخم في تفتيح الأفكار ، وإشاعة بعض المفاهيم وإذاعة بعض التراكيب وتمهيد السبيل أمام بعض صيغ الأداء في مجال الفكر السياسي والاجتماعي مما ساعدهـا على أن تدخل في الاساليب اليومية وأن تضحي جزءاً من الذخيرة الانشائية عند بعض رجال الصحافة والتعليم .. ولذلك ، لا شك ، أثره في لغة المقال الادبي ، قدر ما كان من أثره في الفكر الشائع في هذا المقال .

٥ - نزعات أخرى متماثلة في نطاق لغة المقال الادبي :

هذا الى نزعات اخرى تتماثل فيما بينها وتنطلق هنا وهناك ، تتصل كلها بلغة المقال الادبي .. إن هناك كثيرين اتجهوا إلى العامية يريدون الاستمداد منها .. أما أولئك الذين أحيوا الفصاح منها ، ألفاظاً وتعابير فإن عملهم كان ضوءاً منيراً على طريق الحياة اللغوية .. وأما الذين دعوا إلى استعمالها ، استعمالاً جزئياً او كلياً ، فإن عملهم كان لا بد له أن يترك أثره على أقلام الكتاب وفي نتاجهم ..

ولعل أبرز ذلك أن يستقر في الذهن شيء من هذا التمجيد للعامية وادعاء قدرتها ، أو قدرة بعض ألفاظها ، وهو شيء لا نشك فيه في الأصل ، ولكننا نخشى أن يساء استعماله على نحو من الأنحاء ، بحيث يؤدي ، في لحظة من لحظات الضعف في حياة الجماعة ، إلى أن يسلك بها مسالك تقطع ما بينها وتودي بها ، وحدات صغيرة ، في مهاوي التيه ومضلات الفناء .

هذا دون أن أشير إلى هذه الدعوة التي يزدوج فيها الخطر : العامية واستعمال الحرف اللاتيني ، إن خطر ذلك قدر خطله .. وفوق ما يستطيع المحذرون أن يحذروا .

## رابعاً : أحداث وانعكاسات

تلك جملة من العوامل التي وقفت وراء هذا التطور وساعدت عليه .

وترتبط هذه العوامل بسلسلة من الأحداث تنتج عنها جملة من الانعكاسات :

أ — أما عن الاحداث فمن المؤكد أن الحرب العالمية الثانية كان لها في ذلك أثر كبير .. كان هدف الإعلام الغربي أن يقرب إلى أذهان الناس أشياء وأن يبعدهم عن أشياء .. أن يضعهم في صورة وأن يبعد عنهم صورة أخرى ، وكانت

اللغة بعض سبيله إلى ذلك ، اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة .. وكانت أكداس النشرات والكتب التي تصدر عن هذه الدار أو تلك ، وسلاسل البرامج التي تنبعث من هذا البلد أو ذاك تصل إلى كل عين ، وتدخل كل أذن ، وكانت من الكثرة بحيث يجدها الإنسان حيث سار .. عند الطبيب إذا انتظر الطبيب ، وفي النادي إذا دخل النادي ، وفي الحوانيت المترفة والفقيرة و .. كان يجدها الرجل والطفل والمرأة على السواء .. وما أكثر ما يصادفها في دكان حلاق فيتسلى بها ينتظر دوره .. أو في دكان بقال يشتري من عنده ما يشتري ، فاذا البقال يغلف ذلك بهذه النشرات .

وتجاوز الأمر ذلك إلى صحف ومجلات راقية كانت تصدر حين كان الورق مادة عزيزة نادرة، وتوزع على أوسع نطاق.. على حين كانت المجلات الأصيلة تحتجب أو تضمر ، تضؤل أو تختفي .. وحين يقارن المرء بين ما كان آنذاك من ضمور «الرسالة» و«الثقافة» ،وبين انتشار مجلات أخرى أقرب إلى الدعاية ،فإنه يدرك من ذلك ما قد يخفى عليه .. لقد كانت « المختار » مثلا واحدة من أبرز ما ظهر في هذه الفترة وانتشر وترك أثره أقوى الأثر في بعض المفاهيم بل في تجديد النظرة إلى المقال الأدبي وبنائه هذا البناء ، المغاير على حرص على سلامة اللغة شديد وعناية بالأداء واضحة .

ب - وقد كان هنالك أحداث أخرى نكتفي بالاشارة اليها .. ان ثورات الشعوب واستقلالها على طول الوطن العربي وقيام سلسلة من الانظمة - كل ذلك أدى إلى خلق نوع من الفكر السياسي الجديد وهو فكر كان لا بد له كذلك من أن يسلك إلى الأداء مسالك فيها بعض الجدة ، وأن تكون له لغته وتعابيره وطرائقه وأن يكون له نفاذه إلى الجماهير وأثره في هذه الجماهير .

ج - ووراء الفكر السياسي كان هنالك هذا الفكر الاجتماعي الجديد الذي اقترن به والذي غطى الحياة العربية كلها أو أكثرها .. إن هذا الفكر كان له

كذلك آفاقه ومصطلحاته ، وقضاياه التي طرحها ومعالجاته التي قام بها وكان له من كل ذلك فيض من المقالات التي لاشك في أن لها لغتها وتراكيبها وممارساتها.

د - واقتران مابين الفكر السياسي والاجتماعي يدعونا أن نقف عند الآفاق الثقافية الجديدة التي أتيحت للوطن العربي .. كان هذا الوطن يعرف من الثقافة الغربية أكثر مايعرف الفرنسية والإنجليزية .. وقلائل أولئك الذين كانوا على صلة بالثقافة الالمانية أو الروسية أو الأميركية .. ولكن الحرب أتاحت له أن يعرف أطرافاً من الفكر الأميركي عن طريق بعض المجلات وفي سلاسل من الكتب التي صدرت بعد .. ثم أتاحت له كذلك نتائج هذه الحرب أن يتصل بالثقافة الروسية : أدبها أولاً عن طريق مجموعات أدبية قامت بنشرها بعض دور النشر على أسوأ صورة ترجمةً وطباعة ، ثم فكرها المذهبي وعقيدتها الاشتراكية وعملها السياسي ودعوتها العالمية .. وكان مؤتمر باندونغ منعطفاخطيراً في ذلك ، في صلات مابين الوطن العربي والشعوب السوفيتية .. ثم اتسعت الصلات وامتدت على نحو ما نرى .

هل من شك في أن ذلك كله كان له في المقال الأدبي في مادته بخاصة وفي تنويع هذه المادة وإغنائها ، وفي طريق معالجاته وأساليب أدائه ، وفيما خالطه من رأي ومازجه من اتجاه ، أثرٌ كبير ؟

هـ - وإذا نحن وقفنا عند الحرب العالمية الثانية وعندما كان بعدهامن الفكر السياسي والفكر الاجتماعي، من الفكر الشرقي ومن الفكر الغربي ، فان ذلك لايعفينا من أن نذكر ما كان قبلها في بداية الحركة الفكرية ، في مصر بخاصة ، مصر التي كانت تمثل بؤرة النشاط الثقافي ومركز الإشعاع الفكري .. كانت الحركة الفكرية تتفتح آنذاك في شيء من البطء لأن تفاعلها مع الحياة الغربية أو الشرقية كان تفاعلاً ضعيفاً ، ولكنه كان تفتحاً ذاتياً لا إكراه فيه .

وإن ذلك لايعفينا أيضاً من أن نشير إلى أحداث ما بعـــد الحرب وهذه النكبات التي تركزت في فلسطين . . إن قضية فلسطين وحدهـا خلقت نوعاً من المقال الأدبي ، وخلّفت فيه ، في مادته ونبرته وروحه ، شيئاً لم يكن من قبل .

هذا عن الأحداث،أما عن منعكساتها فمن واجب الباحث أن يرصد حركة الصحافة العربية ، جرائـد ومجلات أسبوعية وشهرية ، وحركة النشر في الكتب والسلاسل والمجاميع.لقد أشرت على سبيل المثال إلى المختار وإلى مجموعات الأدب الروسي . . ولكن لابد من حركة متابعة دقيقة . . إن جريدة المصري مثلاً بعد الأهرام ومعها ، وجريدة أخبار اليوم مع المصري وبعدها ، كانت ، في جملتها، دعوة صارخة إلى جديد في المقال الأدبي ، جديد في أدائه وجديـد في لغته . . والذين عاصروا هذه الفترة يدركون بوضوح أي أثر خلفته هذه الحركة الصحفية في الأساليب وجددته فيها . . وإذا كان هنالك هذا الخط المتصل المتطور في المقال الأدبي ، فإن هنالك هذا الخط المتطور الذي يسبقه أو يدعمه ، متقدماً عليه أو موازياً له ، في النثر الصحفي .

وفي الصحافة ، في أنهرها وحقولها ، يجب أن نلتمس كثيراً من العوامل التي كانت وراء تطور المقال الأدبي في الجوانب التي أشرت إليها .

إن المقتطف والهلال والفتح والزهراء ، ثم الرسالة والثقافة والمجلة والمجلة الجديدة والطليعة والأديب والآداب ، وغير ذلك مما لم أذكر . . . إن هـذه الصحافة الأدبية التي تمثل المقال الأدبي تتواكب في تطورهـا وتلتحم بالأهرام والمؤيد والمقطم والمصري والزمان والمسلمون واخبار اليوم والمساء والجمهورية . . وفي ادارات الصحف نشأت أقلام ونضجت شخصيات وتبدت تأثيرات لاحصر لها . . وهي ، كلها ، جديرة بدراسات متأنية مستقلة .

## الخاتمة

وبعد، فتلك خطوط من مظاهر الأصالة وظواهر التجديد في المقال الأدبي .. إنها كلها تضعنا أمام القضية الكبرى في هذا المقال : كيف نستطيع أن نوفر له هاتين القيمتين الكبريين ، قيمة السلامة اللغوية وقيمة الجمال الفني .

أ ـ إن أي اتجاه في التطور يجب له أن يراعي هاتين ... وليس في وسعنا ، أياً كانت الدعوات والتأثيرات والتجارب الأخرى، أن نتخلى عن السلامة اللغوية .

إن اللغة ، لغتنا العربية المشتركة هذه هي مادة وجودنا وهي التي تختزن جوهر هذا الوجود وتفصح عنه وتتيح له التعبير عن ذاته . . وكل انحراف عن هذه اللغة او ابتعاد عنها ، بالحركة او الحرف او الكلمة، هو انحراف عن خط الحياة السليمة . . وليس لنا كبير عمل ولا طويل يد في هذا الشأن إلا في جانبين :

أما احدهما فذلك هو أمر التبسيط والتيسير في الأدوات . . على أن تبقى اللغة هي اللغة في أصولها وروحها، وخط التواصل الذي يربط بين ماضيها وحاضرها.

وأما الآخر فذلك هو امر التعريب في المصطلحات : التعجيل بها ، والعمل على إقرارها والأخذ بها في كل مدارج التعليم .

إننا لسنا مع اللغة في خيار . . إنها اختيار متأصل . . بدأ مع وجودنا القديم إن كان هناك وجود قديم وجديد . . بل إنها نوع من الجبرية التي لامعدى عنها لأننا نعيش في لغتنا كما نعيش في جلودنا ، وتسري فينا لغتنا كما تسري دماؤنا . . والانحراف عن اللغة يشبه أن يكون انسلاخاً من الجلود، ومن الذي يستطيع ذلك . . والعبث بهذه اللغة نوع من تسميم الدم ، وليس من يرضاه .

من أجل ذلك يجب أن ينقطع ، انقطاعاً كاملاً وإلى الابد ، كل صوت يريد أن يغالب هذه اللغة على وجودها أو يخرج بها عن طريقها ، عن حروفها وحركاتها ، عن أصولها وقواعدها .. إن تلك لا شك هجمة ضارية من هجمات

الأعداء ، فطن لذلك أصحابها أو لم يفطنوا . . وحسبنا هجمات الأعداء التي نوزح تحتها .

ب - والقيمة الأخرى قيمة الجمال الفني لا بد لها من أن تكسو المقال في نوع من الصقل الجمالي لنفوسنا وأرواحنا .. غير أن مجالات هذا الصقل لا تخضع لحدود .. إلا حدود الذوق والموضوعية والعقلانية .. إننا نقبل أي تطور فيها تسيغه الأصول .. بل إننا نسعى وراء هـذا التطور ونتمنى أن ينبثق المقال الأدبي عن رؤى جمالية جديدة ، وأن يسبح في فضاء فني جديد .. ولكننا نحترس في أن يرتبط هذا الجمال بغير القيم الكبرى الخالدة في الحياة الانسانية أو أن يأتي متنافياً مع القيم الأصيلة في حياتنا الثقافية .

جـ – ولا شك أن وراء هاتين القيمتين وحولها ومعها الفكر الذي يحملها.. إن القيمة الفكرية للمقال الادبي هي منطلقه ، وهي كذلك استمرار حياته وإلا لم يكن مع الرحى طحن .. وذلك يعني أننا في حاجة إلى هـذا الفكر : أن ننفتح له ، بل وأن نتفتح عليه – أردت أن يكون ذلك في عمل إرادي – من غير إكراه على لون معين منه او اتجاه محدد فيه ..

إننا في الوطن العربي نملك قدرة فائقة بحكم إرثنا الحضاري على أن ندرك الأشياء ، وأن نتفاعل معها ، وأن نغنى بها وأن نغنيها .. فلنترك لهـذا التفاعل أن يتم حراً طليقاً ،لأن كل تدخل فيه هو حد من قدراتنا الموروثة والمكتسبة، وهو كبت لتطلعاتنا الجادة، وقتل لكل ماخلفت فينا القرون من استعداد وما يخلفه التحدي الحاضر من قدرات .

إن فرق مابين الشعوب العربية وبين عديد من الشعوب الأخرى النامية إنما هو إرثها الروحي والفكري الذي لا يضطرها أن تبدأ الطريق من ملامسة السطح .. وإنما هي قادرة على أن تتجاوزه قفزاً حتى تصل إلى مقدمة الركب إن هي حيل بينها وبين التبديد والانحراف والتضليل .

إن وجود الفكر ،الوجود الصحيح للفكر الصحيح، في المقال الأدبي يطرح قضايا خطيرة في الثقافة والمجتمع : قضايا الحرية ، والفكر العالمي ، والترجمة .. وليس إلى تجاوزها من سبيل .

وإذا استطاع المقال الأدبي أن يضمن الفكرة التي يقوم عليها ، والسلامة التي يقوم بها ، والجمال الذي يتحلى به ، فذلك يعني استواء الطريق إلى أن نضع بين يدي الانسان العربي الغـذاء الذي يجمع بين الصحـة والذوق ، بين النمو والجمال .

* * *

وددت لو أن هناك مجالاً لأتحدث عن نحو آخر .. هو وضع المقال بالقياس إلى وسائل التثقيف الأخرى في الثقـافة العربية المعاصرة ، وبخاصة بالقياس إلى الكتاب .

لقد أعطيت المقال حقه ، ولكني لم أعطه مكانته .. إن قيمة المقال تبقى ، ويجب أن تبقى ، قيمة جزئية في دورتنا التثقيفية .. ولا بدّ من الكتاب أولاً ، ومن الكتاب آخراً .. ومن أن يكون المقال بينها وسيطاً ـ يوجز ويثير ، ويدلّ ويشير . . يستبقي مايبقى من الكتاب القديم ، ويبشر بالكتاب الجديد ويدعو له .

إن طورنا الثقافي الذي نعانيه : طور الاقتبـاس واختطاف الأفكار أحيانا دون وعي ، وفقدان حركة ترجمة منظمة ، واضطراب نظم التعليم بين الازدواجية في اللغة أو الثنائية أو الوحدانية .. وانهيال المعارف الجديدة وتدفقها كما تنهال الثلوج كتلاً متسارعة ، أو كما تتدفق الينـابيـع أنهراً هادرة ـ كل ذلك يجعل المقال ، الآن ، أداة أولى .. ولكنه لايجب أن يكون كذلك ، أو أن يبقى كذلك .

إن المقالات وبخاصة حين تكون غير محكمة ـ إنمـا تعطي جوانب من

الفكرة وزوايا من زواياها .. ولكنها لا تغطي ولا يمكن أن تغطي الموضوع من أطرافه .. ولهذا يحسن أن لايعدو المقال طوره : وساطة وإثارة وتبشيراً .. وأن لا يكون البداية والنهاية .. لأن الكتاب في مجال الهدف البعيد: التثقيف، هو البداية والنهاية .

ترى كيف نستطيع أن نضبط هذه العلاقات بين المقال والكتاب حتى لاتكون كتبنا مقالات وأفكارنا جزئيات ، ومعرفتنا التقاطات ، وثقافتنا زوايا ضيقات متفرقات ؟!

* * *

هل في وسعنا أن نفعل في ذلك كله ، شيئاً ذا بال ؟..

من المؤكد أن الأمور في الوطن العربي لاتجري على سنن واضح ، وليست لها قيادة واحدة .. تلك مشكلتنا الكبرى . ومع ذلك فإن أحداً لا يحول بيننا وبين أن نقول الكلمة الصحيحة .

إن المقال الأدبي - أياً كانت مادته - هو طريق رئيسية من طرائق التثقيف .. والتثقيف هو وسيلتنا إلى مواكبة الحضارة .. وأي جهد يبذل نحو أن يكون هذا المقال أصيلاً ومبدعاً في آن ، هو جهد محمود .

إن رؤانا بعيدة ولكنها لن تثقل أجفاننا كما لن تثقل الهموم كواهلنا .. ولا بد لنا من أن نتيح للحرف العربي أن تكون له مطلاته الواسعة ، السليمة ، الجميلة .. إن هذا الحرف يشبه أن يكون السيف الذي يثقله قرابه ولا بد له من أن يخرج من هذا القراب حراً طليقاً .. إن معركتنا في صميمها ، تبدأ بهذا الحرف وتدور حوله .. أترى كانت بداية بعض السور في القرآن الكريم بهذه الحروف تكريماً لها وبياناً لشأنها ؟!..

وصدق الله العظيم

**شكري فيصل**
أستاذ كرسي الأدب العربي في جامعة دمشق

## مخطط البحث

مدخل

القسم الاول : المقال في التراث القديم

من الجاهلية الى العصر الحاضر

القسم الثاني : المفهوم الجديد للمقال

القسم الثالث : عناصر الأصالة ومظاهر التجديد

١ – خط التطور العريض

٢ – عناصر الأصالة : ١ً) الفكرة ( الوضوح – الايمان )

٢ً) الأداء ( الصحة – الجمال )

٣ً) الإيجاز

٣ – مظاهر التجـــديد

أولاً – المظاهر الإيجابية :

١ – طواعية اللغة

٢ – يسر الأسلوب

٣ – الإقلاع عن الزخرف اللفظي

ثانيـاً – المظاهر السلبية :

أ – في الفكر

ب – في الأداء

جـ – في الإيجاز

ثالثـاً – عوامل وراء هذا التطور :

١ – الترجمة

– ٢ الصحافة

٣ – الإذاعة والتلفزة

٤ – الخطب السياسية

٥ – نزعات أخرى في لغة المقال

رابعاً – أحداث وانعكاسات

خاتمة

# اللغة العربية في كتب المبشرين الأولين

الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي

- ١ -

أصدرت المطبعة الأمريكية رسالة ، بمناسبة مرور مئة سنة على نقلها من مالطة إلى بيروت ، جاء فيها أن المطبعة « تخصّصت بخدمة اللغة العربية » في وقت كانت فيه صناعة الطباعة « مجهولة في البلاد » وأن المطبعة « كانت العامل الأول في اليقظة من ذلك الرقاد الطويل والنهضة الأدبية في الشرق الأدنى »[١]. وكتب أحد رؤساء الجامعة الأمريكية في بيروت أن هذه المطبعة ، مع غيرها من نتائج نشاط المبشرين الأمريكان ، قد عملت على إحياء الثقافة العربية التي كانت على زعمه منسية في الغالب[٢].

تتكرر هذه المزاعم في كثير من الكتب في الشرق والغرب ، مع أنها لا ترتكز على أساس من الحقائق ، كما يظهر لكل من ينقّب في سجلات المبشرين أنفسهم المحفوظة في مكتبة جامعة هارفارد وفي مقر جمعياتهم في مدينة بوسطن ونيويورك . والغريب أنه لم يُنسب شيء من الفضل في إحياء التراث العربي أو خدمة اللغة العربية إلى المبشرين البريطانيين رغماً عن أنهم سبقوا الأمريكان بتأسيس مطبعة خاصة باللغة العربية في مالطة نشرت عدداً غير قليل من الكتب الدينية والمدرسية .

(١) العيد المئوي لنقل المطبعة الاميركانية إلى بيروت ١٩٣٤ ص ٢ ، ١٥ .

(٢) Stephen Penrose, The Story of the American University of Beirut (New York, 1941) p. 5.

بحثنا هذه المسائل في مواضع مختلفة من كتابين نشرناهما باللغة الانكليزية[١]. ثم لخصنا الشواهد في كتاب ثالث أيضاً باللغة الإنكليزية[٢]. وأخيراً عرضنا ما يختص باللغة العربية منها في مقالات نشرت في هذه المجلة أولها « نصوص وحقائق لم تنشر عن أصل النهضة العربية في سورية »[٣] وآخرها « القس إلاي سمث ورسائله في اللغة العربية »[٤]. والغرض من هذه المقالة درس بعض الكتب التي نشرها المبشرون الأولون من البريطانيين والأمريكان في مالطة وفي بيروت في النصف الأول من القرن التاسع عشر، لتعيين قيمتها مادةً ولغةً، وتقدير أثرها في النهضة الأدبية، ثم درس المزاعم نفسها فيما يتعلق بكتب اللغة العربية والأدب العربي.

وتمهيداً لذلك لا بد من تجريح ما قيل: إن الطباعة كانت مجهولة عندما أسس الأمريكان مطبعتهم في بيروت، إذ المشهور أن الطباعة بأحرف عربية قد ظهرت لأول مرة في بلدة فانو في إيطاليا في القرن السادس عشر، ثم انتشرت في بلدان مختلفة في أوروبا. وكانت الغاية منها دينية تكاد تقتصر على نشر الكتاب المقدس. ثم انتقل فن الطباعة إلى عاصمة السلطنة العثمانية وسورية. وأقدم المطابع في هذه كانت في حلب ولبنان، استخدمتها بعض الطوائف النصرانية لأغراض دينية في الغالب.

أما في إستانبول فكانت أول المطابع كذلك في أيدي النصارى واليهود.

---

(١) British Interests in Palestine 1800-1901 ; American Interests in Syria 1800-1901 ( Oxford, 1961-1966)

(٢) A Modern History of Syria Including Lebanon and Palestine (London, 1969)

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية : م ٤٠ ، ج ٤ ( ص ٧٧٥ – ٧٩٣ )

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية : م ٤٦ ، ج ٤ ( ص ٧٥٢ – ٧٦٧ )

ولم يسمح لمسلم بإنشاء مطبعة إلا بعد صدور إرادة سلطانية وفتوى من شيخ الإسلام ، اشترط فيها عدم جواز طبع القرآن أو التفسير أو الحديث أو ما شابه ذلك . ولم يطبع القرآن والتفسير والحديث إلا بعد نظر وتحقيق وصدور إرادة سلطانية جديدة وفتوى أخرى . وكان ذلك كله قبل نهاية القرن الثامن عشر وقبل حملة نابليون على مصر عندما أسست أول مطبعة باللغة العربية في القاهرة زالت بزوال الاحتلال الفرنسي . وأول مطبعة حديثة بعد ذلك أسسها محمد علي باشا في بولاق سنة ١٨٢٠ ، وفيها طبعت كتب كثيرة ، من دينية ولغوية وأدبية وعلمية ، باللغة العربية والتركية وغيرهما .

فإذا استثنينا ما كان متداولاً بين الطوائف النصرانية حتى ابتداء القرن التاسع عشر من الكتب المقدسة وكتب الصلوات المطبوعة في أوروبا أو في أديرة سورية ، فإن معظم الكتب الأخرى باللغة العربية كان صادراً من مطابع إستانبول والقاهرة ، وبعضها من مطابع الآداب الشرقية في أوروبا . وظلت هذه المطابع وحدها تغذي بلدان الشرق الأدنى بالكتب أثناء النصف الأول من القرن التاسع عشر . ولم يصدر من المطبعة الأمريكية ولا من المطبعة اليسوعية في ذلك الوقت شيء من كتب اللغة العربية وآدابها أو من كتب الثقافة العربية أو الدين الإسلامي .

## - ٢ -

بعد هذا الإيضاح ندرس الآن قيمة ما وصلنا من الكتب التي طبعت في مالطة أو بيروت في النصف الأول من القرن التاسع عشر . وهذه الكتب غير موجودة في المكاتب العامة ، وقد عثرنا على بعضها أثناء التنقيب في سجلات المبشرين في إنكلترا وفي أمريكا ، فأخذنا ما عندنا منها بإذن أصحابها وهي :

(١) كتاب تعليم القراءة إلي ( كذا ) الأطفال الصغار ( طبع في مالطة سنة ١٨٢٨ ) .

(٢) مثل الابن الضالّ المهتدي ( طبع في مالطة سنة ١٨٣١ ) .

(٣) كتاب تواريخ مختصر ( طبع في مالطة سنة ١٨٣٣ ) .

(٤) خبرية أسعد الشدياق ( طبع في مالطة سنة ١٨٣٣ ) .

(٥) كتاب تعليم مسيحي ( طبع في بيروت سنة ١٨٤٣ ) .

(٦) كتاب ذخيرة الإيمان ( طبع في بيروت سنة ١٨٤٣ ) .

(٧) كتاب تعليم القراءة (طبع في بيروت سنة ١٨٤٦ ) .

(٨) نبذة المرأة على البير ( لا ذكر لمكان الطبع أو سنته ) .

يتضح من العنوان والمادة أن الكتب : الثاني والخامس والسادس مخصصة لأمور دينية . وأما الكتاب الرابع فهو لبيان كيفية اعتناق أسعد الشدياق مذهب البروتستانت وسبب تركه مذهب أهله . والكتاب الثامن مخصص للقصة المذكورة في الإصحاح الرابع من إنجيل يوحنا . أما الكتاب الأول والسابع فظاهر عنوانها لا يدل على مادتها ، إذ هما في الحقيقة من الكتب التي تستخدم القراءة لأغراض دينية . وكان المنتظر أن يكون الكتاب السابع أقل التزاماً لهذه القاعدة من الكتاب الأول لمرور نحو عشرين سنة ولما كان بين البريطانيين والأمريكان من تعاون أثناءها . لكن الواقع أن الكتاب لا يحتوي بعد الصفحة العاشرة إلا على نخبة من أقوال موسى وسليمان والمسيح ، ونص الصلاة الربانية والوصايا العشر والمزامير .

وهنا يحسن إيضاح المقصود بقولهم: كتاب كذا ، من جهة الحجم فقط ، إذ كل هذه المطبوعات لا ينطبق عليها قولنا : كتاب . أما أصغرها وهو آخرها ،

فعدد صفحاته لايزيد عن ست عشرة ومعدل عدد الكلمات في الصفحة نحو الستين وسنفصل القول الآن عن كتابين فقط :

(١) كتاب تعليم القراءة إلى الأطفال الصغار (سبعون صفحة)

« أيها القاري الأكرم * .

« ان القراة هي أصل المعرفة المفيدة لأنها تجعلنا بأن نعرف كلام الغيرولين
« كانوا بعيدين عنا ونستطيع أن نتعلم كل شي مفيد خاصة الاشيا اللازمة
« لخلاص نفوسنا ، وقد نجد بسبب واحد كثيرا من الناس جهلا اشرارا وذلك
« لعدم استطاعتهم علي ان يقراوا كتب الناس الحكما وكتب الله المقدسة .
« ثم اننا اذا اردنا ان نتعلم القراة فيجب علينا ان نبتدي بتعليم الحركات
« والحروف ثم بالهجا ، واخيرا بتعليم الكلام وتركيبه ، وقد اخترت وضع
« الحركات اولاً لانها اصوات يستطيع علي لفظها الاطفال بسهولة اكثر من
« صوت اخر ، وايضاً لانها اصل صوتنا كلنا . ثم اني اخترت بعد ذلك الحروف
« السهلة للفظ الاطفال ، واذا امكنهم ان يتعلموا هذه فيتعلمون الحروف حسب
« قواعد النحو سريعا ... »

اما مادة الكتاب فهي تعريف الحركات والحروف والفعل والاسم والحرف في نحو عشرين صفحة ، ثم تخصص الصفحات الباقية وهي معظم الكتاب لبعض الأقوال من الكتاب المقدس وبعض الأمثال السائرة ، ثم بعض القصص القصيرة كهذه : « حمار اشتكى بان لا قرون له فاشتكى القرد ايضاً بان لا ذنب له ، فقال لهما الخلد اما تنظراني بلا عينين هذا يعلمنا بانا اذا لم نقنع بحظنا فننظر اوليك الذين لهم أقل منا فنصير قنوعين . »

وفي الكتاب قصص أخرى تدل مادتها وأسماء الأعلام فيها على أنها مترجمة

* يعرض النص كما جاء في الأصل .

عن الانكليزية . وفي الكتاب كله عظات مبثوثة في القصص أو موضوعة عند النهاية. وفيه أيضاً قصص عن موسى وسليمان والمسيح ، وينتهي بشعر هذا نوعه:

هذا الرقيع بعده جنات عدن ظاهره
دار السلام والهنا لكل نفس طاهره
هناك اخلاص الوداد والوجوه الناضره
ثم البنون الافضلون في حيوة فاخره
كذلك الخطاة يثوون جحيماً ساجره

(٢) كتاب تواريخ مختصر ينبي عن ممالك وبلاد عديدة ( مئة وست وثلاثون صفحة )

« المقدّمة

« اعلم ان هذا الكتاب يتضمن أخبار ممالك وبلاد متنوعة عن أزمنة قديمة « وحديثة . وبما ان مقصودنا به ان يكون مختصرا فما أمكننا ان نخبر عن كلما « جرى بتدقيق ، ونوضح عن كل قيل ومقال ، لكننا استقطفنا أزهار ما كتب، « واستنتجنا نفايس ما نسب ، ولما كان ذا ايجاب فدرجناه مابين سوال وجواب « حتي تنتفع منه الفتيان وتتنشط بواسطته الصبيان ... فواجب علي كلمن هو « ملتزم في تعليم الغير وتهذيبهم انه يوضح للذين يرتشدون منه اخبار تواريخ « العالم كل آن في اوانه ، لان هذه التواريخ هي امر عظيم وضروري لتهذيب « الانسان وتعقله ، لاسيما ان ساير العلوم تدور داخل دايرتها ومرتكنة على « اعمدتها وانصبتها ، وخلاها لا يستطيع احد ان يكسب معرفة تامة « عن ادنى علم ... »

يبدأ الكتاب كما تقول المقدمة ، على طريقة السؤال والجواب ، بمملكة بابل ، وينتهي بتاريخ بريطانيا وامريكا . خذ مثلاً على مادّته ومقدار ما فيها من التشويه والغرض الجزء الخامس الخاص بسورية ( ص ١٨ — ١٩ ) ، فالسؤال

الوارد هنا هو « متى رفعوا يدهم الرومانيون من هذه المملكة » وهذا جوابه :
« في سنة ستماية واربعين لما غزوا عليها العرب ، لكنهم ما قدروا على امتلاكها
« من أجل ان نصاري اهل تلك البلاد اشتعلوا حمية وقاموا عليهم وضربوهم
« وخلصوا القرا من اياديهم ، وفي انتها الدهر الثاني عشر اجتهدوا وفكوا
« اورشليم من يدهم . وفي سنة الف وسبعماية وثمان عشر مسيحية انثنوا عليها
« ايضاً العرب بقوة سلاطينهم وفتحوها ، وتسلطوا عليها ، وبعد ذلك تسلط
« عليها آل عثمان ، والآن خاضعة لمملكة مصر . » ( طبع هذا الكتاب في سنة ١٨٣٣ عندما كانت سورية تحت حكم محمد علي باشا والي مصر ) .

والجزء السادس خاص بتاريخ فلسطين (ص ١٩ – ٢٢) . والسؤال الوارد على الصفحة الأخيرة هو هذا « ماذا ذكر في اخبار بلاد فلسطين المتداولة عن خراب اورشليم . » وهذا الجواب عليه : « لما ضعفت قوة الرومانيين واضمحلت
« مملكتهم انطلقوا اليها جيوش آل عثمان وفتحوها . ولاجل انهم جاروا على
« نصاري تلك البلاد وظلموهم ارسلوا ملوك اوروبا جيوشا وافرة صحبة كودفري
« رئيس العساكر الذي اختار فيما بعد وصار ملكا على مدينة اورشليم ،
« وضربوهم واخرجوهم من تلك البلاد بالكلية، وكان خروجهم منها في سنة الف
« وتسع وتسعين مسيحية وفي سنة الف وثمان وستين التفتوا اليها وحاصروها
« وتملكوا عليها والآن هي تحت حكم مملكة مصر . »

والجزء السابع عشر خاص بتاريخ بلاد العرب ( ص ٣٦ – ٤٠ ) . ومن الأسئلة الواردة فيه « ماذا ذكر عن عمر بن الخطاب » والجواب على ذلك هو « انه غزا على برّ الشام وفتحه ، ثم ملك أرض فلسطين كلها وبر مصر ومملكة العجم وجزيرة قبرص، وفي سنة سبعماية وتسع مسيحية قام الوالد ( كذا)الاول وملك افريقية وقسما واسعاً من مملكة صپانيا »

الغريب في هذا « التاريخ » أنه لا ذكر لمحمد أو الإسلام فيه ، إلا في هامش صفحة ٣٩ عند الجواب على هذا السؤال «متى ظهروا الوهابيون » يقول الكاتب إن الأمير الوهابي « غزا على مكا (كذا) وفتحها في اليوم السابع والعشرين من شهر نيسان سنة الف وثمانماية وثلاث مسيحية ... » ففي الهامش يقول الكاتب إن مكة مدينة مشهورة في الحجاز « اليها ينطلقون الحجاج فيحجون ... لاجل انها ارض ميلاد النبي محمد ... » وأما المدينة فيعرفها هامش آخر على الصفحة نفسها بأنها « مدينة صغيرة ... موصوفة لاجل ان النبي محمد مات ودفن فيها . »

- ٣ -

يتضح من هذا كله أن الكتب المذكورة أعدت للاستعمال في مدارس أولية ، وأنه ليس بينها ما يصلح لمستوى أعلى من ذلك . وهذه الكتب كثيرة الأغلاط اللغوية والإملائية ، ولغتها سقيمة عندما تخلو من هذه الأغلاط . أما كتاب التاريخ ففيه أغلاط شنيعة بعضها سببه جهل ، ولكن سبب معظمها تعصب ظاهر في تجاهل الحقائق أو طمسها بتشويش التسلسل التاريخي . لهذا يصح القول : إن ضرر هذا الكتاب كان أكثر من نفعه في المدارس وبين القراء إجمالاً .

لكنه من الإنصاف أن نذكر أن هذا الكتاب وأمثاله استعمل في مدارس طائفة البروتستانت فقط ، وأن معظم الطوائف النصرانية الأخرى أعرضت عن هذه الكتب لما كان بين هذه الطوائف والمبشرين البروتستانت من الخصام ، وخاصة في الوقت الذي صدرت فيه هذه الكتب . أما مدارس المسلمين فمن المؤكد أن هذه الكتب لم تصلها . وعليه فأثرها مهما كان شراً أو خيراً لم يشمل الأكثرية الساحقة من النصارى والمسلمين في البلاد .

ولما كانت الأشياء ، كما قال الشاعر ، تتميز بضدها ( أو نظيرها ) نذكر الآن بعض ما أصدرته مطبعة بولاق من الكتب المطبوعة في اللغة العربية في

المدة نفسها أي منذ تأسيسها حتى أواسط القرن التاسع عشر . فقد وقفنا أثناء بحثنا في السجلات الرسمية المصرية على قوائم من هذه الكتب أرسلت إلى سورية في سنة ١٨٣٩ أثناء الحكم المصري بناء على طلب القراء في عدة مدن منها حلب ودمشق واللاذقية وطرابلس ويافا وغزة . والقوائم مكتوبة بخط غير واضح ، ولا تذكر عنوان الكتاب كاملا ، وقلما تذكر اسم مؤلفه أو مترجمه . ولكنها تذكر اسم كل من طلب عدداً من هذه الكتب ومهنته ، فيسهل أن نرى أن من طلبوا الكتب كانوا من المسلمين والنصارى على السواء ، وكان بينهم أعضاء المجالس الاستشارية وموظفو الحكومة وضباط الجيش ورجال الدين والأطباء والصيادلة والمعلمون والوجهاء . وفيما يلي أمثلة من عناوين الكتب مبوبة بعض التبويب :

كتاب الحكمة . كتاب الجراحة . كتاب فسلوجيه . كتاب بتلوجيه . كتاب الطاعون . تطعيم الجدري . تشريح بشري . القانون البيطري . اقرباذين .

كتاب الطبيعة . كتاب جر الأثقال . كتاب المعادن ، قانون الصناعة . قانون الزراعة . أصول الهندسة . الهندسة الوصفية . عقرب الساعة . الجغرافية الطبيعية . علم الحساب . اللوغارتمه .

متن الألفية. الكفراوي . ابن عقيل . ابن مالك . جملة النحو . أجرومية. القاموس [ غالباً المقصود هو الفيروزابادي ] . كليلة ودمنة . كتاب المنطق . رحلة الشيخ رفاعة [ الطهطاوي ] . إنشاء العطار [ غالباً المقصود هو الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر ] .

تاريخ‌مصر . تاريخ اسكندر . تاريخ بونابرته. تاريخ بتزو [ غالباً المقصود بطرس الأكبر ] . تاريخ ايتاليه . تاريخ أمريقا . تاريخ قدماء الفلاسفة . التاريخ العام ( واصف ) . تاريخ الأديان .

وتوجد في القوائم بعض الكتب التركية والفارسية . ويوجد كتاب

بعنوان « شرح مثنوي » لا يتضح هل هو بالفارسية أو العربية . وهناك كتاب بعنوان « سير حلبي » والظاهر أنه السيرة الحلبية[١] .

هل يحتاج الباحث إلى كثير من النظر والمقابلة بين كتب مصر وكتب المبشرين حتى يقرر أيها كان أكثر تنوعاً وشمولاً ، وأحب إلى قلوب العرب إجمالاً ، وأجدر أن يكون عاملاً في إغناء اللغة العربية وبعث نهضة أدبية وعلمية بين أهلها ؟ ولئلا يظن أن ما ذكر أعلاه قد لا ينطبق على النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، نقول كلمة في ذلك إتماماً للبحث .

– ٤ –

يمتاز النصف الثاني من القرن التاسع عشر على النصف الأول في ميدان التبشير بإصدار ترجمة عربية للتوراة تحت إشراف المبشرين الأمريكان وإصدار ترجمة عربية أخرى لها تحت إشراف اليسوعيين . ويمتاز أيضاً بما دار أثناءه من المهاترات بين الطائفتين من المبشرين ، واستخدام المطبعة الامريكية والمطبعة الكاثوليكية في بيروت لنشر ذلك . ويمتاز زيادة على ذلك بأن حاجة الكلية السورية الإنجيلية ( التي تعرف الآن بالجامعة الأمريكية في بيروت ) قد استدعت طبع عدد من الكتب العلمية والطبية في اللغة العربية بعد سنة ١٨٦٦ .

ترجمت التوراة إلى اللغة العربية منذ القرون الوسطى ، وفي الأزمنة الحديثة ظهرت ترجمات مطبوعة في باريس ولندن . ولكن أشهر الترجمات تلك التي ظهرت في روما سنة ١٦٧١ للميلاد ثم أعيد طبعها مراراً . وعلى هذه الطبعة اعتمد المبشرون البروتستانت في أول عهدهم ، فأعادوا طبعها بعد حذف بعض الأسفار التي تعتبرها الكنيسة الكاثوليكية مقدسة ، مما سبب كثيراً من المشاحنة بين الطرفين في سورية ،

(١) القوائم المذكورة موجودة في دار الوثائق التاريخية القومية في القاهرة . قصر عابدين . محفظة رقم ٢٥٧ – كتاب مؤرخ في ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٥٥ هـ من شريف باشا حاكم سورية .

وآل أخيراً إلى إصدار ترجمة يسوعية تشمل تلك الأسفار المحذوفة ، جاء في مقدمتها :

« لا يخفى أن جماعة المبتدعين من الشيعة البروتسطانية منذ دخلوا البلاد السورية ما زال جل همهم مناصبة الإيمان الكاثوليكي . . . وقد لفقوا في الدين كتباً شتى شحنوها بالقدح في حق البيعة المقدسة وتخطئة تعليمها الصحيح . . . ثم إنهم لم يكتفوا بذلك حتى مدّوا أيديهم إلى الأسفار الإلهية بالتحريف والحذف وترجموها إلى اللسان العربي . . . »(١) .

وقد راجعنا البيانات السنوية لكل من المطبعة الأمريكية واليسوعية وهي محفوظة في المتحف البريطاني في لندن ، فعجبنا لمقدار اهتمام كل منها بالمهاترات، واستغربنا قلة الاهتمام بكتب اللغة العربية وآدابها ، فمثلاً نشرت المطبعة الأمريكية رسالة بقلم ميخائيل مشاقة الذي اعتنق مذهب البروتستانت ، هاجم فيها عقائد مذهبه القديم ،فردت المطبعة اليسوعية على ذلك برسالةعنوانها «موسى الحلاقة في ذقن مشاقة » . وفي سنة ١٨٧٦ طبعت المطبعة الأمريكية رسالة وصفها حاكم بيروت التركي بأنها طعن وسب لايليق أن يوجه مثلها إلى البطريرك الماروني . وفي بيان المطبعة الكاثوليكية لسنة ١٨٨٣ توجد ثلاث صفحات ملأى بعناوين كتب جدلية عنوان أحدها « تعليم المجادلات الدينية » وخاصة ماله علاقة بطائفة البروتستانت .

أما طبع الكتب العلمية والطبية باللغة العربية فلم تنفرد به المطبعة الأمريكية كما هو الشائع ، بل طبع عدد منها في المطابع الأهلية . والسبب في ذلك أن ذوي الشأن في أمريكا أرادوا استمرار تخصص المطبعة في نشر الكتاب المقدس

(١) راجع رأي الأب لويس شيخو اليسوعي في الترجمتين الأمريكية واليسوعية في كتابه « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » ( بيروت ، ١٩٠٨ ) ص ٧٥ . قابله برأي جرجي زيدان في الهلال ( السنة الثانية ) ص ٥٩٣ ، ٦٦٢ ، ٧٣٤ .

والكتب الدينية وبعض الكتب التي تحتاجها مدارس المبشرين، كما هو واضح من الأمر الصادر في سنة ١٨٦٨ : « يجب حصر عمل المطبعة بما هو خاص بالعمل التبشيري ، فلا تطبع كتاباً لا تكون فائدته ظاهرة لنشر الإنجيل[١] » .

فإذا استثنينا الكتاب المقدس والكتب الدينية الصرفة ، رأينا أن المطبعة الأمريكية لم تطبع حتى تلك السنة سوى خمسة كتب مدرسية في قواعد اللغة العربية ، والحساب ، والجغرافية ، والجبر ، والهندسة. وأول كتاب من مستوى أعلى من ذلك كان في الكيمياء ألفه الدكتور فان دايك ، وقد طبع في تلك السنة على نفقة مؤلفه. ثم تلاه كتاب في التشريح وآخر في الفسيولوجيا تأليف الدكتور يوحنا ورتبات . وهنا يجدر بنا أن نتذكر ما طبع من هذه الكتب في مصر قبل ثلاثين سنة ففضله لا يجوز تجاهله لأن السابق مهّد للاحق على الأقل في ترجمة المصطلحات .

وقد أحصينا الكتب العلمية والطبية التي نشرت في بيروت لاستعمالها في الكلية السورية الإنجيلية في مقالة مطولة نشرت في « كتاب العيد »[٢] ، ويمكن هنا وصفها إجمالاً بأنها لا تشمل شيئاً في اللغة العربية أو آدابها أو غير ذلك من التراث العربي والإسلامي ، فالفضل في طبع كتب في هذه الفنون كان للمطابع الأهلية في بيروت ، فقد خلفت مطابع استانبول وشاركت مطابع مصر في ذلك . فصدر منها جميعاً ، من جملة ما صدر ، كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، وكتاب الأمثال

---

(١) كتابان مؤرخان في ٣ و ١٤ حزيران سنة ١٨٦٨ محفوظان في مكتبة جامعة هارفارد ABC : 16.8.1,vol. vii(2)

(٢) American University of Beirut Festival Book (Festschrift), edited by Fuad Sarruf (Beirut, 1967) p. 257-284

للميداني ، وكتاب مقدمة ابن خلدون ، وديوان المتنبي وغير ذلك[١] .

— ٥ —

أنصف جرجي زيدان عندما قال ، بناء على حقائق ثابتة : إن مصر سبقت المبشرين الأمريكان والكلية السورية الأنجيلية بنقل كتب مختلفة في العلوم الطبيعية والرياضية والطبية وغيرها إلى اللغة العربية لأجل استعمالها في المدارس[٢] ولكنه أخطأ عندما قال ، دون الاعتماد على حقائق ثابتة : إن الكلية امتازت « بإحياء الآداب العربية وخدمة الجامعة العربية لأنها كانت منذ نشأتها تعلم العلوم باللغة العربية[٣] » .

فأما إحياء الآداب العربية فالبحث السابق لا يثبته ، خصوصاً لأنه لم يَنْشُر أحد من أساتذة الكلية شيئاً من كتب الأدب العربي ، والمشهور أن الكلية لم تعلّم مادة الأدب العربي أثناء القرن التاسع عشر . وأما خدمة الجامعة العربية فغير واضح المعنى ، فإذا كان المقصود بذلك من الناحية السياسية فالكلية لم تعلم شيئاً من علوم السياسة أو الاقتصاد أو الإدارة أو الاجتماع في المدة المذكورة ، بل كان همها الأول خدمة التبشير وإعلاء شأن المذهب البروتستانتي . وأما التعليم باللغة العربية فكان من سنة ١٨٦٦ إلى سنة ١٨٧٩ في الدائرة العلمية وإلى سنة ١٨٨٤ في الدائرة الطبية ، إذ بعد ذلك صار التعليم باللغة الإنكليزية . ونتج عن ذلك أن قلّ الاهتمام بتأليف الكتب في اللغة العربية أو ترجمتها إلى تلك اللغة .

---

(١) نشرت مجلة المشرق ج ٣ ص ١٧٩ ، ج ٤ ص ٨٦ ، ج ٥ ص ٦٩ قوائم بالكتب التي صدرت من هذه المطابع .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ( القاهرة ، ١٩١٤ ) ج ٤ ، ص ١٨٤ ، ٢١٧

(٣) الكتاب والجزء نفسها ، ص ٥١

لا شك أن الكلية قد خدمت سورية بما أخرجت من شبان أصبح كثير منهم من زعماء البلاد في ميادين السياسة والعلم والأدب ، ولكن جل هؤلاء إن لم يكن كلهم ، في المدة التي تتناولها هذه المقالة ، كانوا من النصارى دون المسلمين. ولا شك أن المطبعة الأمريكية لها فضل كبير بما أخرجته في اللغة العربية من كتب دينية وخاصة ترجمة التوراة . ويمكن قول مثل ذلك في تقدير خدمة الكلية اليسوعية والمطبعة الكاثوليكية .

ولكن الذين ينسبون الفضل في النهضة الأدبية أو السياسة إلى هذه المعاهد الأجنبية يغالون في قيمتها ويقللون من شأن العوامل الوطنية الأهلية كما يظهر مما سبق في بيان خدمة المطابع الأهلية في نشر كتب اللغة العربية وآدابها . وكذلك يمكن عند ذكر المدارس الأجنبية التنبيه إلى قيمة المدارس الأهلية كمدرسة عين ورقة المارونية والمدرسة الوطنية لمؤسسها بطرس البستاني وعدد من المدارس المشابهة التابعة للطائفة الأرثوذكسية ولطائفة الروم الكاثوليك .

عثرنا في سجلات الجامعة الأمريكية في بيروت غير المبوّبة على قائمة تاريخها ١٨٦٩ أعدها المبشرون تذكر أسماء مدارس مختلف الطوائف في المدينة وتبين المباحث التي عُلمت في كل مدرسة ومستوى ذلك كله في كل منها . والناظر في هذه القائمة يرى أن بعض المدارس كان داخلياً ومن درجة عليا ، وأن اللغة العربية كانت تعلّم على مستوى عالٍ ، وأن الفرنسية والإنكليزية واليونانية والتركية كانت تعلم أيضاً . وفي القائمة ذكر لثلاث مدارس إسلامية وهي القادرية والأحمدية والرشدية ( وهذه غالباً مدرسة رسمية عثمانية ) .

لا ذكر في هذه القائمة لمدارس الجوامع أو المدارس التي كانت قائمة في أبنيتها الخاصة تنتفع من أوقاف حبست عليها . حتى المدارس السلطانية العالية التي أسستها الحكومة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لا ذكر

لما في الكتب التي وقفنا عليها . وقليلون الذين يقدرون قيمة دروس اللغة العربية التي ألقاها الشيخ محمد عبده في المكتب السلطاني في بيروت أثناء مدة إقامته في المدينة ، أو الدروس الدينية التي ألقاها في الجامع الكبير في تلك المدينة وحضرها بعض النصارى مع إخوانهم المسلمين ، أو كتابته وهو في تلك المدينة لأصول « رسالة التوحيد » وشرح « نهج البلاغة » و « مقامات البديع » .

فما هو السبب في إصرار الأجانب من الكتاب ، ومحاكاة بعض كتاب العرب لهم ، في نسبة الفضل في النهضة إلى الأجانب وتجاهل نصيب العنصر الوطني الأهلي في ذلك ؟

— ٦ —

أصل الوهم مبالغة عظيمة في أثر حملة نابليون على مصر واعتبارها عاملاً أساسياً في النهضة في القرن التاسع عشر . وأصل هذا الرأي فرنسي نشره في الشرق بعض من تعلموا في المدارس الفرنسية أو من كانوا غافلين فبهرتهم مدنية أوروبا وأخجلهم تأخر الشرق .

فإذا نظرنا في الحقائق التاريخية الثابتة تبين لنا أن حملة نابليون على جنوب سورية دامت نحو أربعة أشهر ، كان من نتائجها ، إضافة إلى خسارة البلاد في الأرواح والأموال ، إثارة التعصب بين المسلمين وإخوانهم النصارى . أما في مصر فقد دام الاحتلال الفرنسي مدة تقل عن ثلاث سنوات انقضى بعضها في الحرب وبعضها في إخماد الثورات . وفي أثنائها اضطهد شيوخ الأزهر واضمحل شأن الجامع إجمالاً بتشرد عدد من علمائه وطلابه .

بالغ بعضهم بتقدير قيمة المعهد الفرنسي الذي أسس في القاهرة ، وغاب عنهم أن المعهد كان لمنفعة الفرنسيين لا المصريين ، وأن علماءه ازدادوا معرفة

بمصر وزادوا معرفة أهل أوروبا بهـــا ، ولكنهم لم يزيدوا معرفة المصريين لا بأنفسهم ولا بالتمدن الأوروبي . وما ذكره الجبرتي من « عجائب » التجارب العلمية التي شاهدها هو وغيره من علماء المصريين لم يكن أكثر من ألعاب تعرض أمام الأطفال ، فأثرها على عقول من رآها كان عجباً لا عملاً ولا فكراً . ولو لم يَفُزْ محمد علي باشا بالسلطة على مصر بعـــد جلاء الفرنسيين لعادت مصر إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال . فهو الذي بدأ النهضة بعد سنوات من جلاء الأجانب ، مستعيناً بهم ، مشابهاً ومتابعاً ، ما بدأه السلطان في إستانبول .

لم أر بين الذين يكررون القول دون تحقيق أن الحملة الفرنسية كانت عاملاً في النهضة ، مَنْ يؤكد قوله بالشواهد المحسوسة فيذكر على وجه التعيين لا التعميم معنى كلامه . والغريب في أمر هؤلاء أنهم يتعصبون للبلد الذي ينتسبون إليه أو المدرسة التي تعلموا فيها أو الأمة الأجنبية التي أحيوا آدابها . فاللبناني مثلاً يقدم لبنان وينسى باقي البلاد السورية ، والذي تعلم عند اليسوعيين ينسب إحيـاء آداب اللغة العربية إلى مدارسهم ومطبعتهم ، والذي تعلم عند الأمريكان ينسبه إلى الكلية السورية الإنجيلية والمطبعة الأمريكية . ولكنهم جميعاً ينسون المدارس الوطنية من إسلامية ونصرانية ، وينسون المطابع الأهلية . ولو بحثوا لأنصفوا وقالوا إن النهضة تعود إلى جميع هـذه العوامل وإنه يصعب تقسيم الفضل بينها قسمة عادلة .

عبد اللطيف الطيباوي

# القلقشندي والمناخ في صبح الأعشى

الأستاذ صباح محمود الحلي

**مقدمة :**

في الوقت الذي كانت فيه الجيوش العربية تسدّد الضربات القاصمة لجيوش الفرنجة ، حيث تأكد النصر النهائي تحت راية صلاح الدين الأيوبي ، اندفعت الخيل المغولية تنهب الأرض نهباً متجهة نحو المشرق العربي ، نحو بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، لتدكّ بسنابكها كل أثر حضاري قائم لها . وأي بيئة قاسية تلك البقعة من العالم ( وسط آسيا ) التي ترعرعت فيها قبائل التتار ( على أعمال العنف والتحايل على أسباب العيش واكتساب صفات خلقية واجتماعية شاذة جعلتهم أخطر أساتذة العالم الذين عرفهم التاريخ في ميدان التخريب والتدمير)[1] وكان المشرق العربي آنذاك مقسماً إلى دويلات وإمارات صغيرة مفككة ، تتصارع فيما بينها ، مما سهل الطريق لتلك الجحافل البشرية الجائعة لتدميرها ونهب خيراتها والسيطرة عليها .

وإذا كانت مصر قد لعبت دوراً طليعياً — على عهد الدولة الأيوبية — في صدّ جيوش الفرنجة وطردها وتحرير البقاع العربية من سيطرتها ، لكونها موحدة ومتماسكة ، بخلاف الجناح الشرقي للمشرق العربي — الذي كما ذكرنا تسوده الفوضى والاضطراب — فإنها مؤهلة لأن تلعب الدور نفسه في وقف المد التتري الجارف وتحطيمه ، على عهد الدولة المملوكية التي خلفت الأسرة الأيوبية في حكم مصر والشام .

---

(١) الدكتور إبراهيم أحمد العدوي — العرب والتتار — دار القلم ١٩٦٣ ص ٢٥ — ٢٦

تمتد الفترة التي حكم فيها المماليك[١] من عام ٦٤٨ هـ حيث انتهى حكم الاسرة الأيوبية وحتى الفتح العثماني لمصر عام ٩٢٣ هـ . وقد انقسمت دولة المماليك خلال تلك الحقبة إلى دولتين ، الأولى : الدولة البحرية ، والثانية : الدولة الجركسية.

وكانت الدولة البحرية ذات قوة ونفوذ ، فقد انتصرت على التتار في معارك عديدة ، ووصل نفوذهـا إلى شواطىء الفرات والجزيرة شرقاً ، وبلاد المغرب غرباً ، إضافة إلى بلاد الشام والجزيرة العربيـــة . وقد انتهت هذه الدولة عام ٧٨٤ هـ ، وبدأ عهد الدولة الجركسية على يد برقوق بن آنص الجركسي ، وقد انتشر الفســاد والظلم في المجتمع العربي إبان حكمها ، حتى انتهت بنهاية الملك الأشرف ( طومان باي ) وابتدأ الاحتلال العثماني لمصر[٢] .

وقد عاش مماليك مصر عيشة إقطاعية مترفة ، (ويعتبر مجيئهم شراً على البلاد والعباد .. لسوء أخلاقهم ونفرة نفوسهم وشدة جبروتهم)[٣] .

ولم يقتصر ذلك على مصر وحدهـا ، بل شمل جميـع الأمصار التابعة لهم . فهذا المؤرخ ابن طولون الدمشقي الصالحي يروي لنا في كتابه ( إعلام الورى ) ما جرى في دمشق أيام الدولة الجركسية فيقول : ( وفي هــذه الأيام ورد إلى دمشق مماليك أجلاب جراكسة وزاد بسببهم وقوف حال الناس ، وغلقت أسواق وحوانيت كثيرة من خطفهم ما يحتاجون إليه وغيره من الأطعمة والأقمشة ، ويقفون في الطرق يأخذون عمائم المارّين أو شدودهم ويأخذون ما يرونه على الدوابّ من الأثاث وغيره .. وغالب هذه المماليك الأجلاب كبار

(١) راجع عن أصل المماليك كتاب محمود رزق سليم (عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ) ج ١ - ١٩٤٧ مصر - ص ١٤ - ٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧ - ٧٩ .

(٣) د. نظير حسان سعداوي - صور ومظالم من عصر المماليك - مصر ١٩٦٦ ص٦

يذقون ويبيعون ما يخطفونه لمن يشتريه منهم)[1] .

كل هذا يدل دلالة أكيدة على ما وصل إليه الحكم المملوكي من فساد وانحلال وتفشٍ لكثير من الأمراض الاجتماعية كالرشوة وشهادة الزور وغير ذلك . وهذا الظلم الاجتماعي والفوضى السياسية لا بد وأن يؤدي إلى قيام ثورات وانتفاضات شعبية ، كانت تقابل بكل عنف وقسوة ، وتخنق كل الأصوات الثائرة المطالبة بالإصلاح والعدل بين الرعية[2] .

## الحركة الفكرية في عصر المماليك

وبالرغم من أن عصر المماليك عصر ظلمة وتأخر اجتماعي وفوضى سياسية ، فإنه من الناحية الأخرى يمثل عصر تفوق مصر الفكري ، لكونها قد خرجت من صراعها مع المغول والفرنجة ظافرة منتصرة ، فكانت بذلك الوارث الوحيد للأدب العربي في المشرق . في حين كان التتار قد قضوا ( على بغداد أدبياً وسياسياً في وقت معاً .. وفتحت مصر أبوابها للاجئين إليها من العلماء والأدباء والفضلاء )[3] .

---

(١) محمد بن طولون الصالحي الدمشقي – إعلام الورى – تحقيق محمد أحمد دهمان – دمشق ١٩٦٤ ص ١٨٩ . وقد كتب المستشرق الفرنسي بوليناك عن ( طابع حكم المماليك الاستعماري ) في مجلة الدراسات الإسلامية عام ١٩٣٥ وعن ( إقطاعيات المماليك ) في المجلة الآسيوية البريطانية عام ١٩٣٧ – راجع نجيب العقيقي – المستشرقون – مصر ١٩٦٤ – ج ١ ص ٢٥٤ . وللأستاذ سعيد عبد الفتاح عاشور رسالة دكتوراه موسومة بـ ( دراسات في الحياة الاجتماعية في مصر على عهد سلاطين المماليك ) من جامعة القاهرة – كلية الآداب ١٩٥٤ .

(٢) ممن كتب عن تلك الثورات أيضاً – المستشرق بوليناك في مجلة الدراسات الإسلامية ( الثورات الشعبية في مصر على عهد المماليك وأسبابها الاقتصادية ) ١٩٣٤ – المستشرقون ص ٢٥٤ – وللأستاذ حقني محمود خطاب رسالة عن ( الحركات الداخلية في الدولة المملوكية الأولى ) كلية الآداب جامعة القاهرة – ١٩٤٩ .

(٣) د. عبد اللطيف حمزة – الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول مصر ١٩٦٨ ص ٣١٥ .

وقد شمر العلماء والأدباء عن سواعدهم ، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الثقافة العربية الإسلامية ، فصنفوا الموسوعات الثقافية الكبرى التي تميز بها العصر المملوكي ، وقد تضمنت هذه الموسوعات معلومات في الأدب والجغرافية والإدارة والحضارة والتاريخ وجميع فروع المعرفة الأخرى ، فاهتم بمطالعتها جميع المثقفين ، ومن أشهر تلك الموسوعات المملوكية ، نهاية الأرب للنويري ، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، وصبح الأعشى للقلقشندي[1] .

**القلقشندي :**

هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ، وقد ذكره البغدادي باسم علي بن أحمد [2] أما جرجي زيدان فقد نقل ما ذكره صاحب شذرات الذهب وذكر اسمه الموجود في صدر كتاب قلائد الجمان هكذا (شهاب الدين أبو العباس ، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله سليمان بن اسماعيل القلقشندي ، المصري ، الشافعي ، الشهير بابن غده ) [3] وهو ما جاء مثبتاً أيضاً في أول كتاب نهاية الأرب .

وقد ذكر الأستاذ كراتشكوفسكي بأنه لا يوجد اتفاق تام بين المصادر العربية فيما يتعلق باسمه ، والخلط بينه وبين ابنه الذي كان من رجالات الأدب أيضاً . وقد ناقش هذه المسألة أيضاً الدكتور عبداللطيف حمزة في كتابه عن

---

(١) كراتشكوفسكي – تاريخ الأدب الجغرافي العربي – ترجمة صلاح الدين عثمان – القاهرة ١٩٦٣ ج ١ ص ٤٠٥ وما بعدها. والدكتور حمزة – المصدر نفسه ص ٣١٥ – ٣١٧ والدكتور محمد عبد السلام كفافي – الأدب الموسوعي عند العرب في العصور الوسطى – مجلة الكتاب العربي – ع ٤٦ – ١٩٦٩ ص ١٥ – ٢٦ .

(٢) إسماعيل باشا البغدادي – هدية العارفين – استانبول ١٩٥١ – ج ١ ص ٧٢٦ .

(٣) جرجي زيدان – تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ دار الهلال – مصر ص ١٤٤ وما بعدها .

( القلقشندي ) وكذلك الأستاذ إبراهيم الأبياري في مقدمة كتاب نهاية الأرب الذي قام بتحقيقه [١] .

ولد القلقشندي في عام ٧٥٦ هـ في قلقشندة ، من قرى القليوبية ، قرب القاهرة وقد ذكرها ياقوت الحموي بالراء ( قرقشندة ) [٢] . ووردت في كتاب قوانين الدواوين باسم قلقشنده ، وكذلك في كتاب نهاية الأرب وصبح الأعشى [٣] . وينتمي القلقشندي إلى قبيلة فزارة العربية ، وبنو فزارة - كما ذكر في كتاب النهاية - بطن من ذبيان من غطفان من القحطانية ، كانت ( منازلهم ) بنجد ووادي القرى وقد سكنت هذه القبيلة مصر منذ الفتح العربي .

نشأ القلقشندي في دار علم وأدب ، وما إن صلب عوده ، حتى ولّى وجهه شطر الإسكندرية ، لينهل العلم على أكابر علماء عصره ولما أبداه من علم وذكاء وتفتح ، فقد أجازه الشيخ سراج الدين أبو حفص عمرو بن أبي الحسن المشهور بـ ( ابن الملقن ) ، بالفتيا والتدريس على المذهب الشافعي وبأن ( يروي كل ما جازت له روايته كالكتب الصحاح الستة ومسند الشافعي ومسند أحمد بن حنبل وغير ذلك من الكتب التي هي أصول الفقه الإسلامي [٤]

ومنذ عام ٧٧٨ هـ اشتغل القلقشندي بتدريس الحديث النبوي والفقه وغيرها

---

(١) كراتشكوفسكي - المصدر نفسه ص ٤١٦ - ٥ . عبد اللطيف حمزة - القلقشندي ( أعلام العرب ١٢ ) مصر ص ٣٥ - ٣٧ .

(٢) ياقوت الحموي - معجم البلدان - مطبعة السعادة مصر ١٩٠٦ ج ٧ ( قرقشندة: قرية بأسفل مصر ولد بها الليث بن سعد بن عبد الرحمن المصري الفقيه . . ) ص ٥٨

(٣) الأسعد بن مماتي - قوانين الدواوين - جمعه وحققه عزيز سوريال عطية - مطبعة مصر - ١٩٤٣ ص ١٦٧ ونهاية الأرب للقلقشندي - تحقيق علي الخاقاني - بغداد ١٩٥٨ ص ١٦٦ و ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٤) الدكتور حمزة - القلقشندي ص ٤٢ .

من العلوم الدينية ، ثم التحق بديوان الإنشاء الذي كان يرأسه وقتذاك القاضي بدر الدين ، أحد أقرباء ابن فضل الله العمري صاحب موسوعة ( مسالك الأبصار ) . وبقي يعمل في ديوان الإنشاء حتى وفاته عام ٨٢١ هـ[١] وبالرغم من أنه عاصر علماء مشهورين كابن خلدون وغيره ، فقد كانت له منزلة عالية بينهم ، فيذكر السخاوي بأنه ( كان أحد الفضلاء ممن برع في الفقه والأدب وكتب الإنشاء .. مع تواضع ومروءة وخير .. وقال آخر إنه برع في العربية وعرف الفرائض وشارك في الفقه وسمع الحديث ونظم ونثر وأرخ ) وذكره جرجي زيدان فقال ( تفقه في الأدب وكان قوي الحافظة وعى في ذاكرته أهم علوم الأدب في عصره )[٢] .

مؤلفاته : أما تصانيفه وتآليفه فهي :

١ – نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب – وقد قام بتحقيقه والتعليق عليه الشيخ علي الخاقاني ( صاحب البيان ) عام ١٩٥٨ مع مقدمة مسهبة في ( الأنساب عند العرب ) . أما في مصر فقد قام بتحقيقه الأستاذ إبراهيم الأبياري وقد نشرت النهاية عام ١٣٣٢ هـ في بغداد بعناية سليمان الدخيل ( صاحب الرياض ) . أما النسخ الخطية فتوجد واحدة في دار الكتب المصرية ، وأخرى في مكتبة الدولة ببرلين ، وثالثة في المتحف البريطاني ، ورابعة في إحدى خزائن النجف الأشرف على ما يذكره الخاقاني ، وخامسة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، وسادسة في سوريا وسابعة في مكتبة صوفيا[٣] .

(١) الخاقاني – المصدر نفسه ص خ – ذ . والدكتور نقولا زيادة – الجغرافية والرحلات عند العرب بيروت ١٩٦٢ ص ١٠٣ .

(٢) السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – ج ٢ – مصر ١٣٥٤ هـ ص ٨ وجرجي زيدان المصدر نفسه ص ١٤٥ .

(٣) الخاقاني – ص ظ . وابراهيم خوري – فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية دمشق ١٩٧٠ ص ١٤٤ – ويوسف عز الدين – مخطوطات عربية – بغداد ١٩٦٨ ص ١٣٥

وقد أكمل وزاد على النهاية ، العلامة السويدي عام ١٢٢٩ هـ في كتابه ( سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ) المطبوع على الحجر في بغداد [١] . والكتاب بمثابة معجم في الأنساب ، رتب القلقشندي فيه القبائل والبطون على أحرف الهجاء .

٢ ـ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان : توجد منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وأخرى في النجف الأشرف في خزانة الشيخ حسن الدخيلي ، على ما حكاه الشيخ الخاقاني وقد نسبه صاحب كشف الظنون لوالد القلقشندي . رُتب على الحروف الأبجدية حسب تفرع القبائل .

٣ ـ حليــــة الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم : رسالة أنشأها القلقشندي للمقر الزيني ابن يزيد الداودار الظاهري ، في الإنشاء والأدب منها نسخة خطية في دار الكتب المصرية .

٤ ـ الغيوث الهوامع ، في شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع ، في فقه الشافعي : ذكره الخاقاني وزيادة ، والذي يبدو أنه شرح لجامع المختصرات في فروع الشافعية للمدلجي [٢]

٥ ـ ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر : وقد طبع الجزء الأول منه في مطبعة الواعظ بالقاهرة عام ١٣٢٤ هـ [٣] وهو مختصر لكتابه الكبير صبح الأعشى . منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية .

٦ ـ وله مؤلفـات أخرى على شكل رسائل صغيرة منها : شرح لكتاب الحاوي الصغير في الفروع للقزويني ، وشرح على قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير أسماه ( كنه المراد في شرح بانت سعاد ) وله مقامة في تقريظ القاضي

---

(١) كراتشكوفسكي ص ٤١٦ ـ زيدان ص ١٤٦ .

(٢) الخاقاني ص ض ـ زيادة ص ١٠٣ ـ الدكتور حمزة ـ القلقشندي ص ٤٣

(٣) الخاقاني ـ المصدر السابق .

بدر الدين بن فضل الله ، أسماها ( الكواكب الدرية في المناقب البدرية ) [١].

٧ – صبح الأعشى في صناعة الإنشا :

موسوعة كبرى في مختلف فروع المعرفة ، اشتغل القلقشندي في تأليفها مايقارب العشرين عاماً [٢] جمع فيها فأوعى كما يقول السخاوي . وقد طبع منها ثلاثة أجزاء عام ١٩١٣ في كليـــة اكسفورد عن النسخة الخطية الموجودة في خزانتها ، ونشرت هذه الأجزاء الثلاثة في مجلد واحد بدار الكتب ببولاق عام ١٣٢٣ هـ ، ثم قامت بطبعه بعد ذلك دار الكتب المصرية كاملاً [٣].

أما النسخ الخطية من هذا الكتاب فتوجد واحدة في دار الكتب المصرية ، وأخرى في مكتبة زكي باشا على ماذكره جرجي زيدان في تاريخه .

وقد اهتم بدراسة ( صبح الأعشى ) الكثير من المستشرقين ، فنشر الأستاذ سوفير في مرسيليا عام ١٨٨٦ – ١٨٨٧ ( ملخصات من كتاب صبح الأعشى ) ، ونشر الأستاذ فيستنفلد ( جغرافية مصر للقلقشندي ) في جوتنجين عام ١٨٧٩ وكتب الأستاذ مارتن هارتمان بحثا عن ( الفصول المتعلقة بالجغرافية الإدارية من صبح الأعشى ) تحقيقاً ومتناً وترجمة في المجلة الآشورية – ٥٠ – ١٩١٦ ، وكتب الأستاذ كانار عن ( الصلات السياسية بين بيزنطة ومصر في صبح الأعشى ) في مؤتمر المستشرقين (١٩) لعام ١٩٣٥ [٤].

وقد تناول القلقشندي في موسوعته هـذه ( جميع المعارف التي يحتاج إليها الكاتب المثالي ابتداء من التوجيهات الفنيــة بالكلام عن المداد والقـلم والورق والخط إلى المعلومات الواسعة في محيط الجغرافيا والتاريخ والأدب والبلاغة ،

(١) الدكتور حمزة – المصدر السابق ص ٤٣ – ٤٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٦

(٣) الخاقاني – المصدر السابق .

(٤) العقيقي – المصدر نفسه ج١ ص٢٠٧ وص ٣٠٤ – ج٢ ص٧١٤ وص٧٢٦

وهو يقدم وصفاً لنواحي مصر والشام ، بل ولجميع الدول التي لها أدنى علاقة بمصر مما يجعل من كتابه مصدراً أساسياً بالنسبة للتاريخ والإدارة والحياة الاجتماعية للعالم الإسلامي والأقطار المتصلة به في اوائل القرن الخامس عشر ) [١]

أما المصادر التي اعتمد عليها القلقشندي في تأليف موسوعته ، فكثيرة جداً منها : كتاب الأم للشافعي ، الملل والنحل للشهرستاني ، قوانين الدواوين لابن مماتى ، المثل السائر لابن الأثير ، البيان والتبيين للجاحظ ، عجائب المخلوقات للقزويني ، نزهة المشتاق للشريف الإدريسي ، تقويم البلدان لأبي الفداء ، القانون المسعودي للبيروني ، مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، كتاب العزيزي للمهلبي ، وإلى غير ذلك من أمهات الكتب العربية [٢] .

المعرفة الجغرافية عند القلقشندي :

اعتمد القلقشندي في جمع مادته الجغرافية وعرضها في صبح الأعشى على موسوعة ابن فضل الله العمري ( مسالك الأبصار في ممالك الامصار ) فاحتلت المعلومات المقتبسة من هذه الموسوعة المكانة الأولى لديه ، وتأتي بعد ذلك كتب الجغرافيين الأوائل أمثال : ابن خرداذبة وابن حوقل والمسعودي والهمداني والمهلبي والسمعاني والبكري والإدريسي والغرناطي وابن سعيد وياقوت الحموي وأبي الفداء وغيرهم بالإضافة إلى كتب الزيجات والكتب الفلكية أمثال : كتاب القانون المسعودي لأبي الريحان البيروني [٣] .

وقد احتلت المادة الجغرافية ، المقالة الثانية من الموسوعة وتحت عنوان ( المسالك والممالك ) بالإضافة إلى ماعرضه من معلومات تاريخية بحتة في ثناياها وخاصة الباب الثاني من المقالة بما تضمنه من معلومات عن الخلافة والخلفاء .

(١) كراتشكوفسكي ص ٤١٦ – ٤١٧ الدكتور زيادة ص ١٠٤
(٢) الدكتور حمزة – القلقشندي ص ٥٢ – ٥٣
(٣) كراتشكوفسكي ص ٤٢٠

أمـا الباب الاول من المقالة ، فقد تضمن معلومات تقليدية عن شكل الارض وجهاتهـا الاربـع وأقاليمها السبعة ، ثم يعرج الى ذكر البحار وكيفية استخراج البلدان .

وقد سرد في الباب الثالث الذي قسمه إلى فصول، جغرافية الممالك والأمصار. فتناول في الفصل الاول منه ، بلاد مصر منذ الفتح العربي الإسلامي حتى عصر المماليك ، إضافة إلى المادة التاريخية الخاصة بمصر . وقد نشر المستشرق فيستنفلد بحثاً خاصاً عن (جغرافية مصر للقلقشندي) في غوتنغن عام ١٨٧٩ كما ذكرنا آنفاً وتعتبر مادته التي كتبها عن النيل ، وتلك التي نقلها عن غيره ، من المصادر المهمة في موضوع النيل ، وخاصة في العصر المملوكي . [١]

أما الفصل الثاني من الباب الثالث ، فقد تضمن وصف بلاد الشام ، محاسنها وعجائبها ، بحيراتها وأنهارها ، وجبالها وزرعها ، إضافة إلى عرض تاريخي لملوك الشام من الجاهلية حتى عصر المماليك . وقـد تناول موضوع وصف الشام عند القلقشندي الاستاذ غودفروا ديومبين عام ١٩٢٣ [٢] .

وبعد مقدمة تاريخية ، يتكلم القلقشندي في الفصل الثالث ، عن جبال الحجاز وعيونه ، ومحاصيله ومواشيه ، ثم يفصل الكلام عن مكة ويثرب والطائف ، في سرد تتداخل فيه الحكايات التاريخية مع المادة الجغرافية .

وقد احتلت إمبراطورية المغول ( مملكة إيران ومملكة توران ) وما جاورها ، ثم الاجزاء الاخرى من شبه جزيرة العرب ( اليمن والبحرين واليمامة) وبلاد السند والهند ، والبلدان الواقعـــة إلى الغرب وإلى الجنوب من مصر ، الفصل الرابع من الباب الثالث .

وتجد في الفصل الاخير ، وصفاً لبلاد الروم ( آسيا الصغرى ) وبلاد الالمان

---

(١) الدكتور محمود رزق سليم – النيل في عصر المماليك – دار القلم ١٩٦٥ ص ١١
(٢) كراتشكوفسكي ص ٢٠٤

ومملكة البنادقة والجنويين وورومية وفرنسا والجلالقة ( غاليسيا ) ولمبارديا ، ثم يتحدث عن سكان جنوب شرقي أوربا كالبلغار والصرب والصقالبة وغيرهم من الشعوب الأوربية (وتتسم معلوماته عن هذه الشعوب الأخيرة بالإيجاز كما وانها لاتخلو من الاضطراب في بعض مواضعها ) (١) . وهكذا تنتهي المقالة الثانية التي تضمنت المادة الجغرافية عند القلقشندي في كتابه صبح الاعشى . وسنقتصر في الصفحات القادمة على دراسة المادة الجغرافية المتعلقة بالارض والمناخ وتحليلها .

**الأرض : شكلها وتقسيمها (٢)**

إن المعلومات التي أوردها القلقشندي عن شكل الأرض وأقاليمها والبحار المحيطة بها وإلى غير ذلك بما يتعلق بوصف الأرض ، إنما هي عرض لمعلومات الجغرافيين العرب وآرائهم حول الأرض ، ولذلك فهو كثيراً مايكرر عبارة (وقيل)و (قال في تقويم البلدان) و (قال المسعودي) و (قال الشريف الإدريسي) و ( قال في الروض المعطار ) وهكذا . ثم يذكر أنه قد تقرر في علم الهيئة (الفلك) بأن الارض كروية الشكل وهو الذي عليه أغلب الجغرافيين العرب (٣) وهي مسطحة الشكل وقيل كالترس وقيل كالطبل .

ويذكر القلقشندي أن خط الاستواء ينصف الأرض إلى نصفين ؛ نصف شمالي ونصف جنوبي ، ثم هناك خط آخر ينصفها إلى نصفين ؛ شرقي وآخر غربي ، ويسمى هذا الخط ( خط نصف النهار ) لمسامتة الشمس له في نصف النهار ، ثم يذكر بعد ذلك أن ( ما بَعُدَ عن خط الاستواء المقدم ذكره يعبر عنه بالعَرْض فإن كان في جهة الجنوب فالعرض جنوبي وإن كان في جهة الشمال

(١) كراتشكوفسكي – المصدر نفسه ص ٤١٩

(٢) القلقشندي – صبح الأعشى في صناعة الإنشا – النسخة المصورة عن الطبعة الأميرية – الجزء الثالث ص ٢٢٣ – ٢٥٠

(٣) Nafis Ahmed : Muslim Contribution to the Geogvaphy - Lahor- 1964 - P. 115

فالعرض شمالي) ويقصد القلقشندي هنا خطوط العرض الجنوبية وخطوط العرض الشمالية .

أما مايسمى في الجغرافيا بخط الطول الرئيسي ، فقد ابتـدأه القدماء بجزر الخـالدات [١] ( في المحيط الأطلسي بجوار الساحل المغربي ، جزر الكنـاري ) ومنهم من ابتدأه بالساحل المغربي نفسه ، والذي على أساسه يحسب الزمن .

ويذكر القلقشندي أن النصف الشمالي من الأرض أكثر عمـارة من النصف الجنوبي ، ويتركز المعمور من النصف الجنوبي بالقرب من خط الاستواء في بعض بلاد الزنج والحبشة . ويمتد المعمور في النصف الشمالي بين خط الاستواء والدائرة القطبية الشمالية ( ٦٦,٥° شمالاً ) .

ثم يسرد القلقشندي بعد ذلك الكلام عن الأقاليم السبعة للأرض ، بتحديد درجات العرض والطول لكل إقليم ، وهو التقسيم المثبت عليـه بين الجغرافيين العرب ، ويشذ عن ذلك الجغرافي المقدسي الذي جعل الأقسام رباعيات مبرراً ذلك بقوله إن الكتب أربعة والطبائع أربع والفصول أربعة وأركان الكعبة أربعة والأشهر الحرم أربعة [٢] .

المناخ عند القلقشندي : الرياح [٣] :

قال القلقشندي إن كلمة الريح مؤنثة وتجمع على رياح ، ويذكر هنـا

---

( ١ ) اتخذ بطليموس خط زوال الجزائر السعيدة (الخالدات) والتي يظن انها جزر كناري ، الخط الأساس في القياس راجع Nafis «op.cit» P. 113 ودكتور يسري الجوهري – الكشوف الجغرافية – دار المعارف ١٩٦٧ ص ٥٨

( ٢ ) صباح محمود – الوصف المناخي عند المقدسي – مجلة الأقلام – السنة الخامسة ع ١٠ – ١٩٦٩ ص ٢٣

( ٣ ) صبح الأعشى ج ٣ص ١٧٥ – ١٧٧ ، وابن الأجدابي – الأزمنة والأنواء =

ما ذكره الثعالبي في فقه اللغة من أن لفظ الريح في القرآن الكريم لم يأت إلا في الشر ، والرياح لم يأت إلا في الخير ، مستشهداً ببعض الآيات القرآنية كقوله تعالى ( إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر ، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ) والصرصر الريح الشديدة ذات الصوت على ما حكاه ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن . وقال تعالى في الرياح ( وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ) إلى غير ذلك من الآيات الكريمات ، ويروي كذلك الحديث النبوي الشريف ( اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً ) .

أما سبب حدوث الرياح فيذكر القلقشندي أنه ( دخان يرتفع من الارض فيضربه البرد في ارتفاعه فيتنكس ويتحامل على الهواء ، ويحركه الهواء بشدة فيحصل الريح ) ولا ندري ماذا يقصد القلقشندي من كلامه هذا ، ولعله يريد بأن ارتفاع درجة الحرارة يؤدي الى تمدد الهواء وصعوده الى أعلى على شكل تيار هوائي يشبه عمود الدخان وبالارتفاع تنخفض درجة حرارته ، فيهبط مرة ثانية ، وهذا ما يسمى بالتيارات الهوائية الصاعدة والهابطة ، أما عبارته الأخيرة ( ويحركه الهواء بشدة فيحصل الريح ) فهي عبارة غامضة لأن حركة الهواء بذاتها تسمى ريحاً .

## أنواع الرياح :

الرياح عند العرب أربع : الصَّبا والدَّبور والشَّمال والجَنوب ، فالصبا تأتي من المشرق من مطلع الثريا إلى بنات نعش على ما حكاه ابن الأعرابي ، وتسمى بالقبول لأنها تأتي من قِبَل الكعبة . أما القلقشندي فيقول إنها سميت بالقبول لأنها مقابلة مستقبل المشرق ، وقيل إنما سميت قبولاً لأنها استقبلت

---

= دمشق ١٩٦٤ ص ١٢٦ - ١٣٣ ، والمرزوقي - الأزمنة والأمكنة - حيدر آباد ١٣٣٢ ﻫ ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٨ وج ٢ ص ٧٤ - ٨٤ ، والثعالبي - فقه اللغة وسر العربية -- مصر ١٩٣٨ ص ٤٠٣ - ٤٠٤ وص ٥٧٣ .

الدّبور ، وقال المبرّد سميت قبولاً لأنها لطيبها تقبلها النفوس ، وأهـــل مصر يسمونها الشرقية ، وهي التي نصر بها النبي (ﷺ) حيث قال ( نصرت بالصبا ).

أمّا الدّبور فمهبها من مغرب الشمس إلى حد القطب الجنوبي ، وعلى رأي ابن الاعرابي على مسقط النسر إلى مطلع سهيل ، وعند خالد بن صفوان مابين مسقط الشرطين إلى القطب الأســـفل . وسميت دبوراً لأن مستقبل الشرق يستدبرها . ويقال سميت بذلك لأنها تأتي من دبر الكعبة . وتسمى أيضاً الريح الغربية لهبوبها من جهة المغرب ، ويقال لها محوة لمحوها الآثار بشدة عصوفها على ما ذكره ابن الأجدابي .

أما الشمال فيقال فيها شمأل وشامل وشمل وشميل وشمول . ومهبها من حد القطب الشمالي إلى مغرب الشمس ، وعند ابن الأعرابي من بنـات نعش إلى مسقط النسر الطائر ، وعند ابن صفوان ما بين القطب إلى مسقط الشرطين . وسميت شمالاً لأنها على شمال من استقبل المشرق ومن أسمائها الحدواء والمسع .

أما الجنوب فمهبها من حدّ القطب الأسفل إلى مطلع الشمس ، وعند ابن الأعرابي من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا ، وقيل ما بين القطب الأسفل إلى مطلع الشرطين . ويقال لها الريح اليمانية لأن مهبها مما يلي بلاد اليمن ، ومن أسمائهـا الازيب والنعامي والهيف . وتسمى في مصر ( القبلية ) وتسمى أيضاً المريسية ، ومريس[1] قرية بأرض مصر ، ومريس أيضاً جنس من السودان من بلاد النوبة أسفل مصر ، وتأتيهم في الشتاء ريح من ناحية الجنوب يسمونها المريسي ، فهي تهبّ على مصر في كانون الأول ولمدة أربعين يوماً ، ويذكر القلقشندي أنهـا أردأ الرياح عند أهل مصر .

أما النكباء : فهي كل ريح تهبّ بين مهبي ريحين ، وسميت بالنكباء

(١) شهاب الدين أحمد الخفاجي – شفاء الغليل فيا في كلام العرب من الدخيـل – ١٣٢٥ هـ – مطبعة السعادة – مصر ص ١٨٨

لتنكبها عن المهاب المعروفة والجمع نكب ، وتميل في طبعها إلى الريح التي هي أقرب إليها في مهبها.

ثم يختصر القلقشندي ما ذكره الثعالبي في فقه اللغة ( في تفصيل الرياح عن الأئمة ) فيذكر أنه إذا جاءت الريح بنَفَس ضعيف وروح فهي النسيم ، وإن ابتدأت بشدة قيل لها النافجة ، وإن حركت الأغصان تحريكاً شديداً وقلعت الأشجار ، فهي الزعزع ، فإذا جاءت بالحصباء فهي الحاصبة .

أما الإعصار فهو هبوب الرياح من الأرض نحو السماء كالعمود ، والعامّة تسميه الزوبعة أو التنين[1] أما الصرصر فهي الريح الباردة ، وأما الريح التي لم تلقح شجراً ولم تحمل مطراً فتسمى بالعقيم .

والذي يلاحظ على ما كتبه القلقشندي عن الرياح ، أنه مختصر جداً وذلك لعدم اعتماده على كتب الأنواء مثل كتاب الأزمنة والأنواء لابن الأجدابي ، وكتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي وغيرها ، ومع أن القلقشندي قد اعتمدعلى كتاب الانواء للدينوري ، حيث ذكره في مواضع عدّة ونقل عنه بعض المعلومات ، إلا أن هذه المعلومات تتميز بالاختصار وقلةالأهمية في الموضوع . ثم إن اختصاره لبعض الكتب - كفقه اللغة للثعالبي مثلاً - أبعده أيضاً عن ذكر المعلومات ذات الأهمية في موضوع الرياح . وله عذره في ذلك فلو كان قد ذكر جميع الأشياء المتعلقة بالرياح من هذا الكتاب وذاك لجاءت موسوعته تضم كتباً وليس معلومات متنوعة عامة يستفيد منها كاتب الإنشاء،مقتطفةمن أمهات الكتب العربية .

السحاب :

لقد عرف القلقشندي السحب بأنها الأجرام التي تحمل المطر بين السماء

(١) صباح محمود الحلي - التنين في المصادر العربية - مجلة التراث الشعبي - العدد الرابع - السنة الاولى ١٩٦٩

والأرض ، وأورد كذلك التعريف العلمي الصحيح لها ونسبه إلى بعض الحكماء حيث قال إنه بخار متصاعد من الأرض يرتفع من الطبقة الحارة إلى الطبقة الباردة فيثقل ويتكاثف وينعقد فيصير سحاباً[1] . ثم ينقل عن الثعالبي أن أول ما ينشأ من السحاب هو النشء ، فإذا انسحب في الهواء فهو السحاب وإذا تغيرت له السماء فهو الغمام[2] ، وإذا نشأ في عرض السماء فلا تبصره ولكن تسمع رعده من بعيد فهو العقر ، فإذا أظل السماء فهو العارض ، أما المخيلة فهي السحابة التي يظن فيها المطر ، وإذا كان السحاب أبيض فهو المزن ، فإذا هراق ما فيه قيل جهام . وهنا نعود أيضاً ونقول إن معلوماته عن السحاب مختصرة قليلة الفائدة ، فهناك الكثير من أسماء السحاب التي ذكرها الثعالبي في فقه اللغة الذي اعتمدعليه القلقشندي ، ولكن لم يوردها في موسوعته ، وكذلك كتاب المطر للأنصاري وغيرها من الكتب الأخرى ، فمن أنواع السحاب الأخرى العراص والنمرة والقزع والكنهور والنشاص والطخاء والرباب إلى غير ذلك[3] .

**الرعد :**

يقول القلقشندي إن الرعد حدوث هائل يسمع من السحاب ، ويكتفي بذلك ، ثم يروي بعض معتقدات العامة حوله ، حيث قيل إنه صوت أحد الملائكة ، وقيل إنه صوت الإمام علي ( ع ) ، ثم ينسب إلى بعض الفلاسفة قولهم إن الرعد هو دخان يتصاعد من الأرض ثم يدخل خلل السحاب ويبرد ،

---

(١) يتألف السحاب من تجمع عدد كبير من عناصر دقيقة هي في ذاتها قطيرات من الماء أو بلورات من الثلج أو مزيج منها — د. و. بيري — فيزياء السحب — ترجمة عزيز ميلاد - مصر ١٩٦١ ص ١ .

(٢) عن الفرق بين السحاب والغمام راجع مقالنا «تعقيب على تعريب» مجلة الأقلام — العدد الرابع السنة الرابعة — ١٩٦٧

(٣) أبو زيد الأنصاري — كتاب المطر ( البلغة في شذور اللغة ) - بيروت ١٩١٤ ص ١٠٩ — ١١١ .

ثم يصير ريحاً ويحركته ينتج صوتاً شديداً يطلق عليه الرعد . وفي كتاب المطر للأنصاري معلومات جمة ومفيدة عن الرعد،فالارزام هو صوت الرعد غيرالشديد أما الرجس والرجسان فهو صوت الرعد الثقيل ، والجلجلة صوت يتقلّب في جنوب السحاب ، أمّا تتابع صوت الرعد في شدة فيقال له القَعْقعة . ويضيف الثعالبي أن الدوي هو صوت النحل والأذن والمطر والرعد ، والقصيف صوت الرعد والبحر وهدير الفحل ، وقد جعلها الثعالبي ضمن باب الأصوات المشتركة.

أما حقيقة الرعد من الناحية العلمية ، فيحدث نتيجة لوجود فروق حرارية بين الهواء الملاصق لسطح الأرض وطبقات الجو العليا ، ويتم ذلك إما بتسخين الهواء السطحي أو بتبريد الهواء العلوي وأغلب ما تنشأ عواصف الرعد نتيجة لتسخين الهواء السطحي، أو نتيجة لمرور تيار هوائي بارد تحت آخر ساخن رطب ودفعه إلى أعلى[1] .

**البرق :**

يعرف القلقشندي البرق بأنه ضوء يرى من جوانب السحاب،ويسرد كذلك بعض معتقدات العامة ، من أنه يمثل ضحك ذلك الملك الذي يزجر السحاب ، وقيل إنه ضحك الإمام علي ( ع ) . وينقل عن بعض الحكماء قولهم إن البرق ناتج عن احتكاك الهواء بالدخان ، ويلاحظ على ما أورده القلقشندي من معلومات أنها مبتورة لا تفي بالمرام ، فتراه هنالم يفصل في الكلام على البرق ، ولم يرجع إلى كتب الأنواء كما فعل في مواضيع أخرى ، فالدينوري في كتابة الأنواء ، يعرض لنا معلومات طريفة وقيمة عن كيفية الاستدلال بالبرق ، فيذكر أن العرب « كانوا يشيمون البرق فإذا لمعت سبعون برقة انتقلوا ولم يبعثوا رائداً لثقتهم بالمطر ، وإذا كان البرق عندهم وليفاً وثقوا بالمطر ، والوليف الذي يلمع

(١) ايفان راي ثاينبيل — الجو وتقلباته — ترجمة محمد جمال الدين الفندي — مصر ١٩٦١ ص ٦٩ .

لمعتين ، وإذا تتابع لمعانه كان مخيلاً للمطر[1]. أما الأنصاري فقد فصّل الكلام عن البرق وأسمائه ، فبرق الخلب هو الذي ليس فيه مطر ، وقالت العرب في الأمثال ( إنما هو كبرق الخلب ) أي السحاب الذي يومض برقه حتى يرجى مطره ثم يخلف وينقشع ، والوميض: الضعيف من البرق ، إلى غير ذلك من تفصيل وفوائد.

أمـــا من الناحية العلمية فالبرق عبارة عن تفريغ كهربائي بين الشحنات المختلفة في السحابة نفسها ، أو بين سحابة وأخرى قريبة منهـــا أو حتى بين السحابة والأرض .

المطر :

ثم يأتي القلقشندي على ذكر المطر وكيف أنه يتصاعد من الأرض على شكل بخار نتيجة للحرارة ، فتعمل الرياح على جمعه فتسوقه حتى يتلاحق بعضه مع بعض ، فإذا ما وصل إلى طبقات الجو العليا الباردة تكاثف وصار ماءاً فينزل إلى الأرض ويكثر المطر في فصول ويقل في أخرى. ثم ينقل القلقشندي ما ذكره الدينوري في كتاب الأنواء الكبير عن معنى النوء ، وكان من الأفضل له أن يفصل الكلام عن النوء في مقدمة المقالة ، لأن الرياح والسحاب والرعد والبرق وكل ما يدخل ضمن المناخ ، يندرج عند العرب في موضوع الأنواء . والنوء النجم إذا مال للمغيب والجمع أنواء ونوءان ، ويقال إن النوء هو سقوط نجم في المنازل في الغرب مع الفجر وطلوع رقيبه وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق ، وقيل إنما سمي ( نوء ) ، لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع ، وذلك الطلوع هو النوء ، وبعضهم يجعل النوء السقوط كأنه من الأضداد. وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط من النجوم وقيل إلى الطالع منها . وقد جاء في الحديث الشريف (ثلاث من أمر الجاهلية :الطعن في الأنساب والنياحة والأنواء) وقيل إنما غلّظ النبي ( ﷺ ) فيها لأن العرب كانت تزعم أن ذلك المطر الذي

(١) الدينوري – كتاب الأنواء – ص ١٧٧ – ١٧٨ .

جاء بسقوط نجم هو فعل النجم ، وكانت تنسب الأمطار اليها[1] . وقد رتب العرب نزول المطر وعدمه على أنواء الكواكب التي هي منازل القمر وجعلوا لكل منها نوءاً ينسب إليه ، وعددها (٢٨) نوءاً ، منها نوء الشرطين ونوء البطين ونوء الثريا ونوء الدبران وغيرها. أما ترتيب المطر فقد أورد القلقشندي ما ذكره ابن قتيبة في أن أول المطر الوسمي ثم الربيع ثم الصيف ثم الحميم ، أما عند الثعالبي فأول المطر الخريف ثم يأتي الوسمي فالربيع ثم الصيف ثم الحميم . ويلاحظ أن القلقشندي قد ترك الفصل الخاص بأسماء المطر وأوصافه في فقه اللغة ، ولم يشر إليه مع أنه ذو فائدة كبيرة[2] . أما الأنصاري فيذكر أن أول المطر الوسمي ثم الشتوي ثم الجبهة وهي آخر الشتوي وأول الدفيء ثم الصرفة وهي فصل بين الدفيء والصيف، ثم الصيف ثم الحميم، وكل مطر من الوسمي إلى الدفيء ربيع، ثم يورد الأنصاري بعد ذلك أسماء المطر فيأتيك بالفرائد والفوائد التي لم يذكرها الثعالبي أو الدينوري أو ابن قتيبة وغيرهم ممن اعتمد القلقشندي على كتبهم .

### الثلج والبرد ( الحالوب )

ثم يذكر القلقشندي أن الثلج ينزل كالقطن المندوف على أعالي الجبال ، وتذهب حرارة الشمس بعضاً منه ، أما في المناطق الباردة فيبقى الثلج على قمم الجبال طول أيام السنة . أما سبب تكوينه فينقل القلقشندي ما ذكره بعض الحكماء أنه بخار يتصاعد من الأرض إلى طبقات الجو العليا فيتكاثف على هذه الصورة ( ثلج ) نتيجة للانخفاض الكبير في درجات الحرارة . ويجعل الأنصاري الضريب والصقيع والجليد والثلج مترادفة، لكنه يفرق بينها في زمن الحدوث ، فيقول إن الضريب والصقيع والجليد لا يكون إلا بالليل ، والثلج بالليل والنهار

---

(١) صباح محمود الحلي : الأمثال المناخية العربية – مجلة التراث الشعبي – العدد التاسع السنة الاولى ١٩٧٠ ص ٢٦ .

(٢) الثعالبي – فقه اللغة ص ٤١١ – ٤١٣ .

في الغيم ،وهن لايكن إلا في الصحو [١] . أما القزويني فيقول إنه إذا كان صعود البخار بالليل والهواء شديد البرودة منعه من الصعود وأجمده أولاً فصار سحاباً رقيقاً ، وإن كان البرد مفرطاً أجمد البخار في الغيم وكان ذلك ثلجاً فينزل إلى الأرض برفق فلا يكون له وقع شديد كما للمطر والبرد ( الحالوب ) [٢] .

أما البرد ( الحالوب ) فإنه لا يقع إلا في الخريف والربيع ، وأما سبب تكونه فيقول القلقشندي إنه بخار يتصاعد من الأرض ويرتفع في الهواء فلا تدركه البرودة حتى يجتمع قطرات مائية، ثم تدركه حرارة من الجوانب فتنهزم برودتها إلى مواطنها فتنعقد برداً ( أي تتجمد ) . ويظهر من كلام القلقشندي أن هناك فرقاً في درجات الحرارة بين السحابة والوسط المحيط بها ، ولكنه يذكره بالعكس حيث إنه من الناحية العلمية الصحيحة ، تكون السحابة أسخن مما حولها فتنشأ تيارات حمل ، تحمل معها نقط الماء فوق المبرّد المتكونة داخل السحابة إلى ارتفاعات شاهقة تنخفض فيها درجة الحرارة إلى القيم التي تسمح بتكون البرد [٣] . بينما قد أخطأ القلقشندي حيث جعل الوسط المحيط بالسحابة أسخن من السحابة نفسها . ويقال للبَرَد ، حب الغمام ، وحب المزن وحب قر [٤] .

**الظاهرات الضوئية ( قوس قزح والهالة )** : يقترب القلقشندي في تفسير هذه الظاهرات الضوئية من التفسير العلمي لهــا ، وهو أن هذه الظاهرات التي تشاهد حول الشمس أو القمر في السحب التي تتكون من بلورات الثلج ، ناتجة عن انكسار الضوء في تلك البلوريات ذات الأشكال المنشورية السداسيـة التي تطفو في الهواء [٥] ويذكر القلقشندي أن ( قزح ) اسم للشيطـان ولذلك يقال

(١) الأنصاري – كتاب المطر ص ١٠٥ .

(٢) القزويني – عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات – البابي الحلبي ١٩٥٦ ص ٦١

(٣) د. محمد جمال الدين الفندي – الطبيعة الجوية – مصر ١٩٦٤ ص ٢٠٠ ومابعدها

(٤) ابن منظور – لسان العرب – مجلد ١ ، ٢ ، ٣ بيروت ١٩٥٥ ص ٢٩٣

(٥) فيزياء السحب ص ١٦٨ .

قوس الله ولا يقال قوس قزح . ويذكر ابن منظور أن دارة القمر والشمس تسمى النـدأة وهي حمرة تكون في الغيم إلى غروب الشمس أو طلوعها ، وفي التهذيب إلى جانب مغرب الشمس أو طلوعها[١] .

طبائع الفصول الأربعة :

لقد اختلف العرب في تقسيم السنة إلى فصول وكذلك في تسميتها وترتيبها وتحديد أوقاتها. فأول الأزمنة عندهم الربيع ويسمى أيضاً الربيع الأول والعامة تسميه الخريف . أما الصيف فعامة الناس تسميه الربيع الثاني ، ثم القيظ الذي يسميه الناس الصيف .

وهناك من يقسم السنة إلى فصلين ، الشتاء والصيف ، ويقسم كل منهما إلى ثلاثة أزمنة ، ويسمى كل زمن باسم الغيث الواقع فيه . فأزمنة الشتاء هي ، الوسمي ثم الشتاء ثم الربيع . أما الصيف فأزمنته ، الصّيف ( بتشديد الياء ) ثم الحميم ثم الخريف[٢] .

أما طبائع تلك الفصول، فيذكر القلقشندي أن فصل الربيع يتميز بحرارته ورطوبته لهبوب ريح الجنوب ، مما يؤدي إلى ذوبان الثلوج في أيامه . والعرب تسمي المطر الذي ينزل في الخريف ( ربعاً ) [٣] ، ويقال للأرض التي يصيبها الربيع ( ربعية ) [٤] .

أما الصيف فيتميز بحرارته وجفافه ( يبوسته ) ، وتهبّ فيه رياح الصبا ، وللعرب في هذا الفصل وغرات ، وتسمى الرياح التي في هذه الوغرات (بوارح)،

(١) ابن منظور ص ١٦٦ وابن الأجدابي ص ٨٧ ويقول الثعالبي ( الهالة للقمر كالدارة للشمس ) ص ٤٨ .
(٢) ابن الأجدابي ص ٩٦ — ٩٨ .
(٣) الدينوري ص ١٧٥ .
(٤) ابن منظور ص ١٥١ .

وهي الشمال الحارّة وتكون في الصيف . وقال الفرّاء ، البوارح الرياح الصيفية وسميت بذلك لأنهـــا هي السموم التي تأتي من الشمال[1] . وتسمى كذلك المؤتفكات ، وهي ذات عجاج[2]. ويذكر القلقشندي أنها سميت بذلك(بوارح) لأنها تأتي من يسار الكعبة كما يبرح الظبي إذا أتاك من يسارك ، وتقول العرب في أمثالها ( نوءان شالا محقب وبارح) والحقب احتباس المطر ، ويضرب المثل به في قلة الخير[3] .

أما الخريف فيتميز ببرودته وجفاف هوائه وتهب فيه الرياح الشماليـــة . والخريف عنـد العرب المطر الذي يأتي في آخر القيظ ولا يكادون يجعلونه اسماً للزمان ، ويذكر الدينوري أن مطر الخريف يسمى ربيعاً وخريفاً وكذلك وسمياً لأنه يسم الأرض بالنبات ، وهو أول أمطار الخريف[4] ويظهر من كلام الدينوري أن الأمطار تسقط في فصل الخريف على عكس ما يذكره القلقشندي من أنه (بارد يابس). وأما الشتاء فهو بارد رطب ، تهب فيه ريح الدبور ، وهي أقل الرياح هبوباً وتسمى الريح العقيم، لأنها لا تستدر السحاب ولا تلقح الشجر. ويقال للمطر الذي يسقط في أيامه ( الشتى ) ويذكر الانصاري أن هبوب النكباء في أيام الشتاء أكثر . ومن رياحه أيضاً الحرجف والبليل .

## الوصف المناخي في صبح الأعشى :

وفيما يتعلق بالوصف المناخي للأقاليم والمواقع الجغرافية في صبح الأعشى فإنه يمكن تدوين الملاحظات التالية :

١ – يتبين لنا من قراءة ما كتبه القلقشندي في موضوع المسالك والممالك،

---

(١) المرزوقي ج ١ ص ٢١٧ – ابن الأجدابي ص ١٣٥ .
(٢) الدينوري ص ٨٨ و ص ١٦٨ .
(٣) الحلي – الأمثال المناخية العربية ص ٦٩ .
(٤) الدينوري ص ١٠٤ و ص ١١٢ – ١١٦ .

وما عرضه من مادة جغرافية تخص الأقاليم والمواقع الجغرافية ، أنه يندر أن يأتي القلقشندي بآراء جغرافية تخصه ، إلا فيما يخص مصر وبمعلومات مختصرة لكونه أحد أبنائها . وإنك تجد في الصفحة الواحدة معلومات مقتبسة من مصادر جغرافية عدة ، وعلى الأخص كتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري.

٢ — أما فيما يخص الوصف المناخي ، فإنه يأتي عابراً وضائعاً بين الصفات الجغرافية والتاريخية الأخرى ، مثال ذلك قوله عن مصر ( أعظم الاقاليم خطراً ، وأجلها قدراً ، وأفخمها مملكة ، وأطيبها تربة ، وأخفها ماء ، وأخصبها زرعاً ، وأحسنها ثماراً ، وأعدلها هواء ، وألطفها ساكناً)[1] فيلاحظ هنا أن الصفة المناخية لمصر ( الهواء المعتدل ) جاءت محشورة مع بقية الصفات الأخرى ، وبدون تفصيل .

٣ — ثم إن القلقشندي قد يذكر الصفة المناخية لموقع جغرافي ، ويهمل الكثير من المواقع الأخرى بدون تبيان الحالة المناخية لها . ومن المواقع التي لم يذكر لها صفة مناخية برقة ومكران وطوران وصعدة وباديس وغير ذلك .

٤ — هناك مصطلحات مناخية غامضة لا تعطي فكرة واضحة عن الحالة المناخية للأقاليم ، كمصطلح الهواء الصحيح ، كصفة مناخية لغزة وحمص وكفر طاب وطرابلس ونيسابور وأغمات. وقد يطلق القلقشندي هذه الصفة (الصحيح) على التربة أيضاً بالإضافة الى الهواء ، كما في قوله عن كازرون من أعمال فارس عن ابن حوقل (وهي صحيحة التربة والهواء )[2] .

ويوضح القلقشندي في مكان آخر هذا المصطلح في قوله عن كفر طاب ( وأرضه صحيحة الهواء ومن سكنها لا يكاد يمرض)[3] ونستطيع أن نستنتج من

(١) صبح الأعشى — الجزء الثالث ص ٢٨١ .
(٢) المصدر السابق — الجزء الرابع ص ٣٤٥ .
(٣) المصدر السابق ص ١٢٥ .

هـــذا أن الهواء الصحيح هو الهواء المعتدل الطيب ، وقد ورد مصطلح الهواء المعتدل كصفة مناخية لمدينة صنعاء ، وكذلك الهنـد نقلاً عن العمري حيث يقول ( وهي بلاد معتدلة لا تتفاوت حالات فصولها ، ليست مفرطة في حرّ ولا برد ، بل كأن أوقاتها ربيـع ، وتهب بها الأهوية والنسيم اللطيف)[1] .

أما مصطلح الهواء الطيب فقد ورد كصفة مناخية لمدينة الطائف ، وكما قلنا إن الهواء الطيب ، هو الهواء المعتدل ، ولكن القلقشندي يستدرك فيضيف – عن مدينة الطائف – قوله ( إلا أنها شديدة البرد) ولا ندري لم هذا التناقض في ذكر الحالة المناخية. وقد يرد هذا المصطلح مرتبطاً بالهواء والتربة معاً ،فيقول عن مرو الروذ ( وهي طيبة التربة والهواء) .

٥ – أما المناطق التي تتصف بانخفاض فيدرجات الحرارة (باردة أو هواؤها بارد ) فتشمل القسم الاول من اليمن ، ومدينة تعز وحلب والطائف وتبريز وخوارزم وبلاد البلقان وتاهرت وجبل شكير فيالأندلس وبلاد الروم(وخاصة أرمناك وسيواس) . ويلاحظ أن القلقشندي لم يبين السبب في كون تلك المناطق باردة ، ولكنه يذكر بعض الأحيان مظاهر شدة البرودة فيقول مثلاً عن الطائف ( إلا أنها شديدة البرد حتى إنه ربما جمد الماء بها لشدة بردها)[2]. ويذكر عن بلاد خوارزم نقلاً عن ابن حوقل أنها ( أبرد البلاد وفيها يبتدىء الجمود في نهر جيحون )[3] . أو يذكر عن بلاد البلقان أنهـــا ( ليس بها شيء من الفواكه ولا أشجار الفواكه لشدة بردها)[4] أو يذكر عن بلاد الصقالبة نقلاً عن العمري أنها ( بلاد شديدة البرد لا يفارقها الثلج مدة ستة أشهر لا يزال يسقط علىجبالهم

(١) المصدر السابق – الجزء الخامس ص ٦٨ .
(٢) المصدر السابق – الجزء الرابع ص ٢٥٩
(٣) المصدر السابق ص ٤٥٢
(٤) المصدر السابق ص ٤٦٢

وبيوتهم )[١] .

٦ - أما مصطلح الهواء اليابس فيقصد به الهواء الجاف ( قليل الرطوبة ) وقد ورد بصيغته هذه ( الهواء اليابس ) كصفة لهواء بلاد النوبة أسفل مصر . ونجده يستعمل اليبوسة مقابل الرطوبة في كلامه عن المحلة في مصر ومقارنتها بمدينة قوص ، وكذلك في المقارنة بين الوجه القبلي والوجه البحري فيقول ( وهي أي المحلة ) تعادل قوص من الوجه القبلي في جلالة قدرها ورياسة أهلها ، ويفرق بينهما بما يفرق به بين الوجه القبلي والوجه البحري من الرطوبة واليبوسة[٢] ويرد القلقشندي على أحمد بن يعقوب الكاتب في كتابه المسالك والممالك والذي يقول عن مصر إنها ( بين بحر رطب عفن كثير البخارات الرديئة « بحر الروم » وبين جبل وبر يابس صلد « صحراء » ) فيصف القلقشندي كلام أحمد بن يعقوب بأنه ( كلام متعصب خرق الإجماع ، وأتى من سخيف القول بما تنفر عنه القلوب وتمجه الأسماع )[٣] وردُّ القلقشندي هذا في غير محله ، لأن حديث احمد بن يعقوب صحيح من الناحية الجغرافية ، لأن مصر واقعة بالفعل بين البحر المتوسط ( بحر الروم ) في شمالها وبين الصحراء في جنوبها ، بل وتؤلف جزءاً كبيراً من أراضيها ، ثم إن كلام القلقشندي يتسم بالقسوة ولا يصدر إلا عن رجل يحمل ترة وموجدة على أحمد الكاتب لا نعرف تفسيراً له .

٧ - أما المناطق التي وصفت بشدة الحرارة فهي مدينة قوص وحماة وسيراف وزبيد ( في اليمن ) وعمان ( على الخليج العربي ) والمنصورة والديبل في بلاد السند ، وسجلماسة واودغست ومالي والحبشة وزيلع في إفريقيا . ونرى هنا أيضاً أن القلقشندي لايعطي تفسيراً لشدة الحرارة التي تتميز بها تلك المواقع والأقاليم

(١) المصدر السابق - الجزء الخامس ص ٤١٩

(٢) المصدر السابق - الجزء الثالث ص ٤٠٦

(٣) صبح الأعشى - الجزء الثالث ص ٢٨٢

إلا أنه يذكر عن حماة أنها ( شديدة الحر محجوبة الهواء ويعرض لها في الخريف تغير تنسب به إلى الوخامة ، ولا يبقى بها الثلج إلى الصيف )فالقلقشندي يذكر هنا أن حماةشديدة الحرارة لكونها محجوبة عن الرياح الغربية الباردة ، مما يؤدي إلى ارتفاع نسبة الرطوبة ( الوخامة ) في الهواء في فصل الخريف . وارتفاع درجات الحرارة يؤدي بالطبع إلى ذوبان الثلج وإلى ذلك أشار القلقشندي أيضاً ويبين لنا القلقشندي المدى الذي تصل إليه درجات الحرارة فيارتفاعها في كلامه عن زبيد في اليمن فيقول ( وهي شديدة الحرارة لا يبرد ماؤها ولا هواؤها ) .

٨ - ويذكر القلقشندي عن غرناطة في إسبانيا ( أنها قليلة مهب الرياح ، لا تجري بها الريح إلا نادراً لاكتناف الجبال إياها ) فيبين لنا هنا أن غرناطة تحيط بها الجبال من جميع الجهات مما يؤدي إلى عدم تعرضها لهبوب الرياح الشديدة ، إلا نادراً ، والتفسير الذي أورده القلقشندي يتميز بالعلمية والدقة .

أما مدينة دمشق فإنها مكشوفة الجوانب لمر الهواء ، إلا من الجهة الشمالية فإنها محجوبة بجبل قاسيون ، مما يؤدي إلى وجود الرطوبة ( الوخامة ) لأن جبل قاسيون يمنع توغل الرياح الباردة الشمالية ، ويعلق العمري في مسالكه على ذلك فيقول إنه لولا جبلها الغربي الملبس بالثلوج صيفاً وشتاء لكان أمرها في ذلك أشد ، وحال سكانها أشق[1] .

وكذلك الحال في مدينة حماة ، فإنها محجوبة الهواء أيضاً ، وترتفع نسبة الرطوبة في الهواء في فصل الخريف ، مما يؤدي إلى ارتفاع ملحوظ في درجات الحرارة[2] .

أما المناطق التي تتميز بهبوب الرياح الشديدة ، فهي سجستان ، ويرجع السبب في ذلك إلى كون أرضها سهلية تنعدم فيها العوارض الطبيعية

(١) المصدر السابق - الجزء الرابع ص ٩٣
(٢) المصدر السابق ص ١٤٠

ولذلك فإن الرياح تسفّ الرمال من مكان إلى آخر. وكذلك منطقة انطاليا في تركيا، فيذكر القلقشندي عن ابن سعيد أن (ميناها غير مأمون في الأنواء) وانطاليا واقعة على الساحل الجنوبي لتركيا فتكون بذلك معرضة لمرور الرياح الغربية وما تحمله من انخفاضات جوية، فإن شدة الرياح وتوالي الأمطار ونظراً لكون الرياح الهابة تسير موازية للساحل التركي، يجعل ميناء انطاليا غير مأمون لرسو السفن كما يذكر القلقشندي.

١٠ – ومن خلال العرض الجغرافي لمنطقة الحجاز يبين القلقشندي رأيه في تأثير البيئة الجغرافية (وخاصة المناخ) على السكان فيقول (إن هواء كل بلد يؤثر في أهله بحسب ما يقتضيه الهواء، ولذلك تجد لأهل كل بلد صفات وأحوالاً تخصهم)[1]. وهو الرأي نفسه الذي عرضه العلامة ابن خلدون في مقدمته في تأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم، وفي أثر الهواء في أخلاق البشر[2] وقد تعصب لهذا الرأي الجغرافي الأمريكي هنتجتون، فقد أكد على تأثير المناخ تأثيراً مباشراً على طاقة الإنسان ومثابرته عليه، وربط كذلك بين المناخ والصفات القومية كالشجاعة والإقدام، أو الجبن والخور في الإيجابية والسلبية، كما ربط بين المناخ والأديان ويطلق على هذا الرأي (نظرية الحتم الجغرافي)[3].

١١ - وفيما يتعلق بالمطر، فإن القلقشندي قد لا يذكر صراحة أن منطقة ما تسقط فيها الأمطار وإنما يمكن الاستدلال على ذلك من بعض الظاهرات التي تتأثر بالمطر كالزراعة أو مياه السقي والشرب وما إلى ذلك. فيذكر مثلاً عن بلاد الشام قوله (أما زروعه فغالبها على المطر) فنستدل من هذا أن بلاد الشام تسقط عليها الأمطار، ولكنه لا يصرح، في أي فصل تسقط هذه الأمطار ومقدار

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤٣

(٢) ابن خلدون – المقدّمة – مطبعة الكشّاف بيروت ص ٨٢ – ٨٧

(٣) د. محمد السيد غلاب – منابع المدينة لهنتجتون – تراث الإنسانية – المجلد السادس – العدد الأول مصر ١٩٦٨ ص ٢٢ – ٣٧

كميتها . وكذلك منطقة الحجاز ، حيث يذكر أن زروعه ( جميعها تزرع على المطر ) . وأما مصر فيذكر عنها أنها ( لا زرع فيها على المطر إلا القليل النادر بأطراف البحيرة مما لا عبرة به على قلة المطر بها ، بل فقده بصعيدها )[١] فيستنتج من هذا أن الزراعة في مصر لا تعتمد على الأمطار ، إلا القليل النادر منها ، وحتى هذه المناطق التي تعتمد على الأمطار في زراعتها لا يصيبها من المطر إلا القليل ، وأما منطقة الصعيد فإنها معدومة الأمطار .

أما النقطة الثانية التي يمكن الاستدلال منها على سقوط المطر في منطقة ما ، فمثلاً يذكر القلقشندي عن غزة أن ( بها أمكنة يجتمع بها المطر ) والرملة كذلك والقدس ، وهذا دليل غير مباشر على سقوط المطر . أما المناطق الصحراوية الجافة ، فيذكر القلقشندي أن شرب أهلها من ماء الآبار ، كما ذكر ذلك عن مدينة القيروان في تونس ، قال إنها ( صحراء وشرب أهلها من ماء الآبار ) ولكنه يأتي برأي آخر يناقض ماذكره سابقاً نقلا عن كتاب ( العزيزي ) للمهلبي حيث يقول ( وقال في العزيزي : من ماء المطر ) أي أن شرب أهل مدينة القيروان من ماء المطر[٢] ، وقد كتب عن هذه الناحية بوضوح أحمد بن واضح اليعقوبي ( المتوفى سنة ٢٨٤ هـ ) في كتاب البلدان فقال عن أهل القيروان إن (شربهم من المطر إذا كان الشتاء ووقعت الأمطار والسيول ، دخل ماء المطر من الأودية إلى برك عظام يقال لها المواجل فمنها شرب السقاة )[٣] فاليعقوبي هنا يؤكد صحة قول المهلبي في سقوط الأمطار على مدينة القيرون ، واعتماد أهلها في الشرب على ماء المطر .

١٢ ـ أما المناطق التي يكثر فيها سقوط المطر ، فهي بلاد مركوان ضمن

---

(١) صبح الأعشى ـ الجزء الثالث ص ٣٠٨

(٢) المصدر السابق ـ الجزء الخامس ص ١٠١

(٣) اليعقوبي (أحمد بن واضح) ـ كتاب البلدان ـ تحقيق محمد صالح بحر العلوم ـ النجف ١٩٥٧ ص ١٠٠

جبال الأكراد وطبرستان ومازندان وبلاد الرّوس واليمن وصنعاء وبلاد الروم ومنابع النيل . ولم يصرح القلقشندي في أي فصل تسقط تلك الأمطار وإنما يذكر أنها كثيرة فقط .

أما المناطق القليلة المطر فهي منطقة توزر في منطقة الجريد بتونس ومنطقة سجلماسة. إن القلقشندي قد يفصّل في حديثه، بعض الأحيان، عن مناخ منطقة ما من ناحية الامطار ووقت سقوطها، فيذكر عن اليمن أن المطر يأتي (في الغالب من وقت الزوال إلى أخريات النهار ) أي تقريباً بعد الساعة الثانية عشرة ظهراً وحتى الغروب وهي أمطار مصدرها الرياح الموسمية الأطلسية عابرة قارّة إفريقيا من الخليج الغيني في غرب القارّة ، وهي أمطار صيفية كما نقل ذلك القلقشندي عن الحكيم صلاح الدين محمد بن البرهان حيث يقول إن ( أكثر مطره في أخريات الربيع إلى وسط الصيف ) .

أما بلاد الهند فيذكر القلقشندي نقلا عن العمري في مسالك الأبصار أن الأمطار فيها تتوالى مدة أربعة أشهر ، وأكثرها في أخريات الربيع إلى مايليه من الصيف ، فهي أمطار موسمية ناتجة عن هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية من المحيط الهندي ، وتأتي قمة هذه الأمطار في أواخر الربيع وأوائل الصيف .

أما مدينة أودغست فيذكر القلقشندي نقلاً عن المهلبي في كتاب العزيزي ، أن أمطارها تأتي في فصل الصيف ولم يبين سبب ذلك . أما منطقة وفات الواقعة ضمن البلاد المقابلة لليمن في إفريقيــة على أعالي بحر القلزم ( البحر الأحمر ) ، أي منقطة ارتيريا والصومال ، فيشتد فيها سقوط المطر ليلاً ، نقل ذلك القلقشندي عن صاحب تقويم البلدان ، والذي أعتقده أن هذه المناطق ذات أمطار تصاعدية استوائية ، أو ذات أمطار موسمية مشابهة لأمطــــار اليمن ، حيث تسقط هذه الأمطار بغزارة بعد الزوال وحتى وقت الغروب أي بداية الليل .

١٣ ـ أما الثلوج فقد ورد ذكرها في منطقة جبل القمر حيث منابع النيل فإن لونه أبيض ( لما غلب عليه من الثلج) ، والجبل الواقع في غرب مدينة دمشق

( الملبّس بالثلوج صيفاً وشتاء ) ، والجبل المطل على مدينـة بانياس حيث الثلج ( على رأسه كالعمامة لا يعدم منه شتاء ولا صيفاً ) ، وحلوان حيث يسقط الثلج على جبلهـا دائماً وبدليس في أرمينيا وتبريز وبلاد مركوان ضمن جبال الأكراد وبلخ حيث ( تقع في نواحيها الثلوج ) وتاهرت ، وجبل شكير في الأندلس حيث ( لا ينفك عنه الثلج شتاء ولا صيفاً ) وبلاد الصقالبة حيث ( لا يفارقهـا الثلج مدة ستة أشهر لا يزال يسقط على جبالهم وبيوتهم ) .

١٤ – أما البرد ( الحالوب ) فقـد ورد ذكره في منطقـــة صنعاء وتاهرت فقط .

١٥ – وعن بلاد البلغار ، نقل القلقشندي ما ذكره السـلطان عماد الدين صاحب حماة من ( أن في أول الصيف لايغيب الشفق عنها ويكون ليلها في غاية القصر ) وكيفية التثبت من صحة هذا الرأي بالأعمال الفلكية ، ثم ينقل مارواه العمري في المسالك عن الحسن الإربلي من أن أقصر ليلها ( بلاد البلغار ) أربـع ساعات ونصف وهو غاية نقصان الليل ، ولم يكتف القلقشندي بهذا ، وإنما أراد التأكيد على صحة ذلك ، فنقل عن حسن الرومي الذي سأل مسعوداً المؤقّت بها فقال : جربناه بالآلات الرصدية فوجـدناه كذلك تحريراً[١] . والذي عرضه القلقشندي بالإضافة إلى طرافته وتأكيده عليه ، فإنه صحيح من الناحية العلمية ، ويسمى هذا الشفق الذي يبقى بعد مغيب الشمس بالفجر القطبي أو الأورورا ، ويكون على هيئة خيوط أو ستائر مضيئة تتدلى من السماء ، وتكون رؤيتها واضحة عند خطوط العرض التي تقارب خط عرض ٤٥ درجة شمالاً وبلاد البلغار تمتد بين خطي عرض ٤١ – ٤٤ درجة شمـالاً ، فهي بهذا ضمن المناطق التي يظهر فيها الشفق القطبي واضحاً[٢] مما يؤيد قول القلقشندي .

---

(١) صبح الأعشى – الجزء الرابع ص ٤٦٣

(٢) الدكتور محمد جمال الدين الفندي – الطبيعة الجوية – القـاهرة ١٩٦٤ ص ١٧ – ٢١

وقد ذكر ذلك أيضاً ابن فضلان في رحلته إلى بلاد البلغار حيث يقول (وإذا الشفق الأحمر الذي قبل المغيب ، لا يغيب بتة ، وإذا الليل قليل الظلمة يعرف الرجل الرجل فيه من أكثر من غلوة سهم ) [١] .

١٦ - أما عن بلاد الروس ، فيذكر القلقشندي أنها في أقصى الشمال لا يفارقها الثلج والبرَد ، وتتميز بكثرة الغيوم والمطر ، وقد ذكر مثل هذا محمد بن أحمد بن إياس في كتابه نشق الأزهار في عجائب الأقطار عن روسية فقال إن ( بلادهم وخمة ) [٢] أي رطبة لكثرة الغيوم والمطر . وذكر الإدريسي في الجزء الرابع من الإقليم السابع في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، أن ( بلاد الروسية وبلاد فنارك وأرض طبست وأرض استلانده وأرض المجوس وهذه الأرضون أكثرها خلاء وبراوي وقرى غامرة وثلوج دائمة ) [٣] .

١٧ — ومن الملاحظات الجديرة بالذكر ، أن القلقشندي في كلامه عن الأقاليم والمواقع الجغرافية يذكر خطوط الطول والعرض لكل منها ، وقد لا يذكر ذلك فيقول « ولم يتحرر لي طولها وعرضها » وقد اعتمد في ذكر درجات الطول والعرض على كتاب القانون المسعودي لأبي الريحان البيروني ، وكتاب تقويم البلدان للملك المؤيد أبي الفداء إسماعيل بن علي الأيوبي وكتاب بسط الأرض في طولها وعرضها لأبي الحسن علي بن موسى المعروف بابن سعيد المغربي [٤] ، وغيرها من كتب البلدان والمسالك والممالك العربية الأخرى .

---

( ١ ) ابن فضلان — رسالة ابن فضلان — تحقيق الدكتور سامي الدهان — دمشق ١٩٥٩ ص ١٢٥

( ٢ ) أخبار أمم المجوس (من الأرمان وورنك والروس) — نصوص جمعها المستشرق الكسندر سيبل - أوسلو ١٩٢٨ ص ١١٣

( ٣ ) المصدر السابق ص ١٣٦

( ٤ ) يذكر الأستاذ نفيس أحمد ، أن كتاب ابن سعيد هو ( كتاب الجغرافيا في الأقاليم ) راجع Nafis Ahmed «op. cit» P. 46 .

١٨ - اتبع القلقشندي في بعض الأحيان طريقة المقارنة بين الأقاليم والمواقع الجغرافية وهذا أسلوب علمي مفيد جداً في الدراسات الجغرافيـة فقد ذكر عن ( المحلة ) في منطقة الوجه البحري بمصر مقارنا إياها بقوص في منطقة الوجه القبلي فقال ( ويفرق بينهما بما يفرق به بين الوجـه القبلي والوجه البحري من الرطوبة واليبوسة ) [١] ولمـا كان الوجه البحري أرطب من الوجه القبلي وأقل حراً فإن مدينة المحلة أقل رطوبة وأقل حراً من مدينة قوص . وذكر عن مدينة صنعـاء أنها ( لها شبه بدمشق لكثرة مياهها وأشجارها ، وهواؤها معتدل وتتقارب فيها ساعات الشتاء والصيف ) [٢] . فالقلقشندي يعقد هنا مقارنة بين صنعاء ودمشق، فالاثنتان من الناحية المناخية تتصفان باعتدال الهواء وتقارب ساعات الشتـاء والصيف . ويشبهها في موضع آخر بمدينة بعلبك ( لتمامها الحسن وحسنهـا التام وكثرة الفواكه ، تقع بهـا الأمطار والبرد « الحالوب » ) [٣] فهو في القول الاخير يعقد مقارنة بين صنعاء وبعلبك اللتين تتصفان من الناحية المناخية بسقوط الأمطار والبرد .

وهناك مقارنة أخرى ذكرها القلقشندي بين توزر في منطقة الجريد بتونس، وهي منطقة جافـة ، وبين مصر ، قال ( وبقلة المطر تشبه مصر ) فمنطقـة توزر ومصر تتميزان بالجفاف ، ومقارنة ثالثة بين منطقة شرحا وبالي من ناحية درجات الحرارة حيث إن منطقـة بالي ( أبرد هواءً من شرحـا ) ولم يبين القلقشنـدي تعليل ذلك .

صباح محمود الحلي

---

(١) صبح الأعشى – الجزء الثالث ص ٤٠٦

(٢) المصدر السابق – الجزء الخامس ص ٣٩

(٣) صبح الأعشى – الجزء الخامس ص ٣٩

# مَن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة
## لابن حَيُّويه

الشيخ محمد حسن آل ياسين

من الرسائل الطريفة التي تضمها دار الكتب الظاهرية بدمشق : رسالة « مَنْ وافقت كنيتُه كنيةَ زوجه من الصحابة » تأليف أبي الحسن محمد بن عبد الله ابن زكريا بن حَيّويه النيسابوري .

والرسالة - كما يرمز عنوانها - تُعنى بجانبٍ خاص من تاريخ الصحابة الأجلّة ، اقتصر فيها مؤلفها على ذكر الصحابة الذين وافقت كناهم كنى أزواجهم ، سواء أكانت للأزواج صحبة أم لم تكن ، وسواء أكانت الأزواج من راويات الحديث أم لم يكنّ .

وعلى الرغم من كثرة البحوث والمصنفات في تراجم الصحابة وتاريخهم وجمع أحاديثهم ومرويّاتهم ، فقد بقي لهذه الرسالة امتياز التفرد بموضوعها الخاص وإطارها المحدّد .

ومن هنا كانت - في ظني - أهلاً للنشر ، ليستفيد منها جمهور القراء ويقف عليها الباحثون المعاصرون المعنيون بشؤون التاريخ والتراث ، كما كانت أهلاً عند السلف للتداول والنقل والفائدة (١) .

* * *

---

(١) رجع إلى هذه الرسالة ابن حجر العسقلاني ، ويقول في ترجمة أبي معقل في الإصابة : ٤/١٨١ ما لفظه : « وزاد محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيوة ( كذا ) أحد رواة السنن عن النسائي قال : أبو معقل اسمه الهيثم » . وهذا منقول عن هذه الرسالة في ترجمة أبي معقل .

ومؤلف الرسالة هو « أبو الحسن ، محمد بن عبد الله بن زكريا بن حَيّويه النيسابوري ، ثم المصري ، القاضي »[١] ، المشتهر بلقبه « الحيّوي — بفتح الحاء المهملة وتشديد الياء الأولى المضمومة المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها ياء أخرى — هذه النسبة إلى حَيّويه »[٢] .

« أصله من نيسابور ، ومولده ومنشؤه بمصر »[٣] .

« روى عن بكر بن سهل الدمياطي وأبي عبد الرحمن النسائي وغيرهما»[٤] .

« حدّث عنه الدارقطني وعبد الغني بن سعيد ومَن بعدهما »[٥] ، « وقال أبو زكريا يحيى بن علي الطحان الحافظ : سمعتُ منه »[٦] .

وصفه السمعاني فقال : « كان أحد الثقات »[٧] وقال عنه ابن ماكولا : « كان ثقةً نبيلاً »[٨] .

« توفي في رجب — وهو في عشر التسعين أو جاوزها — سنة ٣٦٦ هـ »[٩]

* * *

تحتفظ دار الكتب الظاهرية بدمشق بأصل الرسالة ضمن المجموع ذي الرقم ( ١١٦ )[١٠] ، وتبدأ الرسالة وسماعاتها من الورقة ١٢٢ وتنتهي بالورقة ١٣٠ ،

---

(١) شذرات الذهب : ٣/٥٧

(٢) الأنساب : ٤/٣٣٤

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٤) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها ، ويراجع تذكرة الحفاظ : ٢/٦٩٨ وتهذيب التهذيب : ١/٣٧

(٥) الإكمال : ٢/٣٦١

(٦) الأنساب : ٤/٣٣٤

(٧) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٨) الإكمال : ٢/٣٦١

(٩) شذرات الذهب : ٣/٥٧ ، ويراجع الأنساب : ٤/٣٣٥

(١٠) فهرس مخطوطات الظاهرية — قسم التاريخ — : ١٧٠

قياس كل صفحة ١٨×١٣ ، ١٦ سطراً ، خط الرسالة كبير الحرف ، تمّ نسخها سنة ٦٣٧ هـ ، وكتب الناسخ قراءته للكتاب بعد نسخه بتاريخ ٢٣ صفر سنة ٦٣٧ هـ [١] ، أهمل الناسخ إثبات الهمزة فكتب الجزء « الجز » وبقراءتي « بقراتي » ، وهكذا .

أما ناسخ الرسالة فهو أحد المعروفين بالفضل والإفادة والعناية بسماع الحديث وكتابته وروايته : محمد بن عبد المنعم بن عمار بن هامل بن موهوب ، شمس الدين ، أبو عبد الله الحراني ، الحنبلي ، الرحال ، نزيل دمشق .

ولد بحرّان سنة ٦٠٣هـ ، وسمع ببغداد ودمشق والإسكندرية والقاهرة ، وكان ممن سمع : الزبيدي ، وابن اللتي ، والاربلي ، والهمذاني ، وابن رواحة والسخاوي ، والقطيعي ، وعمر بن كرم ، وابن رواج ، وجماعة .

روى عنه ابن الخباز والدمياطي وابن ابي الفتح وابن العطار .

توفي ليلة الاربعاء ، ثامن شهر رمضان ، سنة إحدى وسبعين وستمائة ، ووقف أجزاءه بالضيائية ومنها هذه الرسالة [٢] .

* * *

ولا ينبغي أن يفوتنا من ميزات هذه النسخة ماورد في أولها وآخرها من سماعات ذات شأن كبير في تصحيح الرواية وتثبيتها وفي إضفاء الطابع العلمي على هذه النسخة النفيسة القيمة . فقد ورد في الصفحة الأولى من الرسالة سماع هذا نصه :

---

(١) إن السماع الوارد في آخر النسخة في الصفحة ١٣٠/أ – وهو المؤرخ بسنة ٥٧٠ هـ – منقول عن الأصل الذي نقلت عنه الرسالة .

(٢) الترجمة مقتبسة من تذكرة الحفاظ : ١٤٦٣/٤ والوافي بالوفيات : ٥٠/٤ وشذرات الذهب : ٣٣٤/٥

« سمع هـذا الجزء على الشيخ الإمام المحدث شهاب الدين أبي العباس أحمد ابن محمد بن عيسى بن الخرزي [ ت ٦٧٧ هـ . شذرات الذهب : ٥/ ٣٥٧ ] بقراءته من لفظه ، عن أبي الحسن ابن المقير [ ت ٦٤٣ هـ شذرات الذهب : ٥/٢٢٣ ] بسنده فيه : يوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف المزي [ ت ٧٤٢هـ شذرات الذهب : ٦/١٣٦ ] ، وهذا خطه ، وصح ذلك ، في يوم (الاثنين )[1] العاشر من شوال سنة ست وسبعين وستمائة بدمشق »

كما ورد في الصفحة نفسها السماع التالي :

« سمع هذا الجزء على الشيخ الجليل المسند المكثر بدر الدين أبي علي الحسن ابن علي بن أبي بكر ابن الخلال [ ت ٧٠٢ هـ . شذرات الذهب : ٦/٤ ] بسماعه من أبي الحسن ابن المقير ، بقراءة الإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرّاني [ت ٧٢٨ هـ شذرات الذهب : ٦/٨٠ ] محمد بن يعقوب بن أحمد بن يعقوب الحلبي وأخوه أحمد [ت ٧٣١ هـ . الدرر الكامنة : ١/٣٣٦ ] وكاتب السماع يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي وأخوه محمد [ ت ٧٤١ هـ . الدرر الكامنة : ٤/٨ ] وآخرون ، يوم الثلاثاء ، الثامن عشر من شوال ، سنة إحدى وثمانين وستمائة ، بالنورية » .

وورد في الصفحة الثانية من الرسالة هذا السماع :

« سمع هـذا الجزء على أبي الحسن علي بن أبي عبد الله بن أبي الحسن ابن المقير البغدادي بإجازته من أبي المعالي الفضل بن سهل بن بشر الإسفرايني [ ت ٥٤٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ٤/١٣١٣ ] بسماعه من والده [ سهل . ت ٤٩١ هـ شذرات الذهب : ٣/ ٣٩٦ ] بسماعه من أبي الحسن بن منير الخلال [ ت ٤٣٩ هـ . شذرات الذهب : ٣/٢٦٢ ] بسماعه من المصنف ، بقراءة علي بن محمد بن علي البالسي [ ت ٦٦٢ هـ . شذرات الذهب : ٥/٣١٠ ] : جماعة منهم كاتب السماع

(١) في الأصل: « الار »، ولعل الصحيح ما أثبتناه . (ألا يحتمل: الأربعاء ؟ «المجلة» ) .

في الأصل عبيد الله بن بيرم بن يوسف بن خمردكين الصوري وأبو حامد محمد ابن علي بن محمود، ابن الصابوني [ت ٦٨٠ هـ .مقدمة كتابة إكمال الإكمال]وأحمد ابن محمد بن عيسى الخوزي والحسن بن علي بن ابي بكر ابن الخلال وآخرون، في يوم الخميس غرة محرم سنة أربع وثلاثين وستمائة [١]، بجامع دمشق».

كما ورد في الصفحة نفسها السماع الآتي :

«وسمعه على الشيخ الإمام الحافظ جمال الدين أبي حامد محمد بن علي ابن محمود، ابن الصابوني، بسنده المذكور أعلاه، بقراءة كاتب السماع يوسف ابن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي: أخوه محمد. يوم الأحد، الخامس عشر من ذي الحجة، سنة تسع وسبعين وستمائة».

ووردت السماعات التالية في آخر المخطوطة منها ما نذكره بنصه لاختصاره ومنها ما نلخصه :

«قرأتُ جميع هذا الجزء على الشيخ الإمام الصدر الكبير عز الدين أبي القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن رواحة الأنصاري [ت ٦٤٦ هـ. شذرات الذهب: ٥/٢٣٤] ، بحق سماعه من الحافظ السلفي [ت ٥٧٦ هـ. شذرات الذهب ٤/٢٥٥] في نسخة غير هذه وفي ثبته ايضاً. فسمعه الشيخ الصالح شمس الدين أبو الفدا إسماعيل بن سودكين بن عبد الله النوري [ت٦٤٦ هـ. شذرات الذهب: ٥/٢٣٣] . . . . . . . [٢] وذلك يوم الأحد، ثالث عشرين صفر، سنة سبع وثلاثين وستمائة. وكتب محمد بن عبد المنعم بن عمار بن هامل ابن موهوب الحراني، بمدينة حلب. ولله الحمد والمنّة على ذلك، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

---

(١) في الأصل: «وخمسمه» وكأنه من سهو القلم، والصواب ما أثبتناه كما يتضح من مراجعة وفيات أصحاب السماع.

(٢) ذكر أسماء ( ١٤ ) سامعاً آخرين.

« سمع هذا الجزء على الشيخ أبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد الصمد بن القاسم بن أحمد الاصبهاني الكاملي ، بسماعه من أبي صادق مرشد بن يحيى المديني [ ت ٥١٧ هـ. شذرات الذهب : ٥٧/٤ ] بقراءة أبي محمد عبد الغني ابن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي [ ت ٦٠٠ هـ. شذرات الذهب : ٣٤٦/٤ ] عبد الرحمن بن عساكر بن نصر الأنصاري ، والسماع في الأصل بخطه ، وصحّ ذلك ، في الثاني من ذي الحجة ، سنة سبعين وخمسمائة ، وأجاز لهما » .

« قرأتُ هذا الجزء على الشيخ الإمام زين الدين أبي العباس أحمد بن أبي الخير سلامة بن إبراهيم بن سلامة بن الحداد [ ت ٦٧٨ هـ . شذرات الذهب : ٥/ ٣٦٠ ] بإجازته من الحافظ أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي ابن سرور المقدسي ، عن الكاملي ، وبإجازته أيضاً من أبي طاهر بركات بن إبراهيم ابن طاهر الخشوعي [ ت ٥٩٨ هـ . وفيات الأعيان : ١ / ٢٤٣ ] بإجازته من أبي صادق مرشد بن يحيى المديني ، بسنده فيه ، وصح ذلك في يوم الجمعة ، الحادي والعشرين من ربيع الأول ، سنة سبع وسبعين وستمائة ، بالرباط الناصري بسفح جبل قاسيون . وكتب يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي » .

وإلى القارىء الكريم أصل الرسالة :

[ ١٢٣ / أ ]

الجزء فيه :

مَن وافقتْ كنيتُه كنيةَ زوجه من الصحابة

رضوان الله عليهم

جمع

الشيخ أبي الحسين ، محمد بن عبد الله ، ابن حيّويه

رواية أبي الحسن علي بن منير بن أحمد الخلال عنه .

رواية أبي صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المديني عنه .

رواية الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي عنه .

رواية الإمام عز الدين أبي القاسم عبد الله بن الحسين بن رواحة عنه .

وقفه على جميع المسلمين

أبو عبد الله محمد بن هامل الحرّاني ، رحمه الله

مستقرّه بالضيائية بسفح قاسيون

[ ١٢٣ / ب ]

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الإمام العالم العادل ، عز الدين ، أبو القاسم ، عبد الله ابن الحسين بن عبد الله بن رواحة ، الأنصاري[١] ، بقراءتي عليه ، وذلك يوم الأحد ، ثالث عشرين صفر ، سنة سبع[٢] وثلاثين وستمائة ، بمدينة حلب .

قلت له :

أخبركم الشيخ الإمام الحافظ ، شيخ الإسلام ، أبو طاهر ، أحمد بن محمد ابن أحمد [ بن محمد ] بن إبراهيم ، السلفي ، الأصبهاني[٣] ، رحمه الله ، قراءةً عليه وأنتم تسمعون ، فأقر به . قال :

---

(١) توفي سنة ٦٤٦ هـ تلخيص ابن الفوطي : ٤/ق١/١٧٩ والنجوم الزاهرة : ٣٦١/٦ وشذرات الذهب : ٢٣٤/٥

(٢) قد تُقرأ الكلمة في الأصل «تسع» ، ولكن رقم سنة السماع في آخر الكتاب «٧»

(٣) توفي سنة ٥٧٦ هـ وقد جاوز عمره المائة . وفيات الأعيان : ٨٧/١ وتذكرة الحفاظ : ١٣٠٣/٤ وشذرات الذهب : ٢٥٥/٤

أخبرنا أبو صادق ، مرشد بن يحيى بن القاسم ، المديني[١] ، بقراءتي عليه ، بمصر ، في صفر ، سنة ست عشرة وخمسمائة ، قال :

أنبأنا أبو الحسن ، علي بن منير بن أحمد ، الخلال[٢] ، في إجازته ، سنة خمس وثلاثين وأربعمائة .

أنبأ أبو الحسين ، محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيويه ، النيسابوري قال :

هـذا كتاب ذكرنا فيه جماعةَ رجالٍ من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وافقتْ كُناهم كُنى أزواجهم ، فمن أزواجهم مَن لها صحبة لرسول الله ﷺ ، ومنهنّ[٣] مَن لا صحبة لها ، ومنهنّ مَن كانت مقيمة في عقد نكاح زوجها ، ومنهن مَن طلّقها زوجها وخلف غيره عليها ، ومنهن المذكورة في روايتها[٤] لحديثها ، ومنهن من جاء ذكرها في رواية غيرها . وما وصفناه من حالهن فهو موجود فيما ذكرناه من حديثهن .

* * *

أبو أيوب الأنصاري ، [١٢٤/أ] خالد بن زيد[٥] :

أخبرنا محمد بن جعفر بن محمد بن أعين البغدادي[٦] ، نا عمرو بن مرزوق[٧] ،

---

(١) توفي سنة ٥١٧ هـ عن سن عالية . تذكرة الحفاظ : ١٢٦٦/٤ وشذرات الذهب : ٥٧/٤ .

(٢) المصري ، الشاهد ، المتوفى سنة ٤٣٩ هـ. تذكرة الحفاظ : ١١١٠/٣ وشذرات الذهب : ٢٦٢/٣

(٣) في الأصل : « ومنهم » .

(٤) في هامش الأصل : « بروايتها » .

(٥) هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة ، الأنصاري ، النجّاري ، شهد العقبة وبدراً وما بعدها ، ونزل عليه النبي (ص) لما هاجر إلى المدينة فأقام عنده حتى بنى بيته ومسجده ، توفي سنة ٥٠ هـ ، وقيل في غيرها. طبقات ابن سعد : ٣/ق٢/٤٩ ، وطبقات خليفة : ٢٠٢/١ ، والاستيعاب : ٤٠٢/١ ، وأسد الغابة : ٨٠/٢ ، والإصابة ٤٠٥/١

(٦) ت سنة ٢٩٣ هـ تاريخ بغداد : ١٢٩/٢

(٧) ت ٢٢٤ هـ شذرات الذهب : ٥٤/٢

أنبأ شعبة(١)، عن عون بن أبي جحيفة(٢)، عن أبيه(٣)، عن البراء بن عازب(٤)، عن أبي أيوب الأنصاري: أن النبي ﷺ سمع صوتاً عند المغرب - أو [قال](٥)، عند مغيربان الشمس - فقال: هذه اليهود تُعَذَّب في قبورها(٦).

أم أيوب الأنصارية(٧) - زوج أبي أيوب -:

أخبرنا العباس بن محمد بن العباس البصري، أنبأ الحارث بن مسكين(٨)، نا سفيان(٩) عن عبيد الله بن أبي يزيد(١٠)، عن أبيه(١١)، عن أم أيوب، عن النبي ﷺ قال: نزل القرآن على سبعة أحرف، أيما قرأتَ أصبتَ(١٢).

* * *

أبو أسيد الساعدي، مالك بن ربيعة الأنصاري(١٣):

(١) (ابن الحجاج) ت ١٦٠هـ شذرات الذهب: ٢٤٧/١

(٢) ت ١٢٠ هـ. تاريخ خليفة: ٣٦٦/٢

(٣) ت ٧٤ هـ. شذرات الذهب: ٨٢/١

(٤) ت ٧٢ هـ. شذرات الذهب: ٧٧/١

(٥) في الأصل: «أو قد»، ولعل الصواب ماأثبتناه.

(٦) وبهذا السند - من شعبة - أخرجه البخاري: ١١٨/٢، ونصه فيه: «يهود تعذّب في قبورها».

(٧) هي أم أيوب بنت قيس بن سعد بن قيس بن عمرو بن امرىء القيس، الخزرجية أسلمت وبايعت. طبقات ابن سعد: ٢٦٣/٨ والاستيعاب: ٤١٣/٤ وأسد الغابة: ٥٦٨/٥ والإصابة: ٤١٧/٤

(٨) ت ٢٥٠ هـ. تذكرة الحفاظ: ٥١٤/٢

(٩) (ابن عيينة) ت ١٩٨ هـ. شذرات الذهب: ٣٥٤/١

(١٠) ت ١٢٦ هـ. شذرات الذهب: ١٧١/١

(١١) له ترجمة مختصرة في تهذيب التهذيب: ٢٨٠/١٢، وله ذكر في طبقات خليفة: ٧٠١/٢.

(١٢) وفي صحيح مسلم: ٢٠٤/٢ «فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا».

(١٣) صحابي شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله (ص)، توفي سنة ٦٠ هـ كما في طبقات ابن سعد: ٣/ق١٠٢/٢، والاستيعاب ٣٥١/٣ و ٨/٤، وأسد الغابة: ٢٧٩/٤، والإصابة: ٣٢٤/٣، وانفرد خليفة بأنه توفي سنة ٤٠هـ، طبقات خليفة: ٢١٧/١

أخبرنا أبو عبد الرحمن أحمـــد بن شعيب بن علي النسائي [١] ، أنبأ محمد بن المثنى [٢] ، عن محمد بن جعفر [٣] ، نا شعبة قال : سمعتُ قتادة [٤] يحدّث عن أنس [٥] قال : قال رسول الله ﷺ : خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة . وفي كل دور الأنصار خير [٦] . فقال سعد [٧] : ما أرى رسول الله ﷺ إلاّ قد فضّل علينا . فقيل : قد فضّلكم على كثير [٨] .

أم أسيد الأنصارية [٩] — زوج أبي أسيد — :

أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس البغدادي [١٠] ، نا محمد بن فراس أبو هريرة [١٢٤/ب] الصيرفي [١١] بالبصرة ، نا أبو قتيبة مسلم بن قتيبة [١٢] ، نا عبد الرحمن ابن عبد الله بن دينار [١٣] قال : حدثني أبو حازم [١٤] ، عن سهل بن سعد [١٥] :

أن أبا أسيد صاحب النبي ﷺ تزوّج ، فدعا النبيّ ﷺ في عرسه . قال :

---

(١) ت ٣٠٣ هـ . شذرات الذهب : ٢/٢٣٩

(٢) ت ٢٥٢ هـ شذرات الذهب : ٢/١٢٦

(٣) ت ١٩٣ هـ . شذرات الذهب : ١/٣٣٣

(٤) ت ١١٧ أو ١١٨ هـ . شذرات الذهب : ١/١٥٣

(٥) ( ابن مالك ) ت ٩٣ أو غيرها . شذرات الذهب : ١/١٠١

(٦) الحديث بالنص — مروياً عن محمد بن جعفر عن شعبة عن قتادة عن أنس — في سنن الترمذي : ٥/٧١٦ وأسد الغابة : ٤/٢٧٩

(٧) ( ابن عبادة ) ت ١٥ هـ . شذرات الذهب : ١/٢٨

(٨) قول سعد والجواب على قوله في سنن الترمذي : ٥/٧١٧

(٩) ذكرت باختصار في أسد الغابة : ٥/٥٦٥ ، والاصابة ٤/٤١٤

(١٠) ت ٣٠٤ هـ ، تذكرة الحفاظ : ٣/٨٨٩

(١١) ت ٢٤٥ هـ . تهذيب التهذيب : ٩/٣٩٨

(١٢) ت ٢٠٠ أو ٢٠١ هـ . تهذيب التهذيب : ٤/١٣٣

(١٣) مترجم في تهذيب التهذيب : ٦/٢٠٦

(١٤) ( سلمة بن دينار ) ت ١٤٠ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/١٣٣

(١٥) ( الساعدي ) ت ٩١ هـ . شذرات الذهب : ١/٩٩

فكانت امرأته تقوم علينا وهي العروس ، فكانت تسقينا نبيذ تمر قد أنقعته من الليل ثم صفّته .(١)

* * *

أبو بكر الصدّيق ، عبد الله بن عثمان التيمي :(٢)

حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن أعين ، حدثني أبو نصر التمار(٣) ، قال ابن أعين : وثنا عمرو بن علي(٤) ، ثنا أبو نصر التمار ، حدثني كوثر بن حكيم ، عن نافع(٥) ، عن ابن عمر(٦) قال : قال أبو بكر الصديق : سمعت نبيّ الله ﷺ يقول : من اغبرّتْ قدماه في سبيل الله حرّمها الله على النار .(٧)

أم بكر – زوج أبي بكر – :

أخبرنا العباس بن محمد بن العباس ، ثنا أحمد بن صالح(٨) ، ثنا عنبسة(٩) ، ثنا يونس(١٠) ، عن ابن شهاب(١١) ، عن عروة بن الزبير(١٢) ، عن عائشة(١٣) : أنها

(١) مضمون هذا الخبر في أسد الغابة : ٥/٥٦٥ ، والإصابة : ٤/٤١٤

(٢) من السابقين إلى الإسلام ، شهد المشاهد مع النبي (ص) ، توفي سنة ١٣ هـ . طبقات ابن سعد : ٣/ق١/١١٩ ، وطبقات خليفة : ١/٣٨ ، والاستيعاب : ٢/٢٣٤ ، وأسد الغابة : ٣/٢٠٥ ، والإصابة ٢/٣٣٣

(٣) ( عبد الملك بن عبد العزيز ) ت ٢٢٨ هـ . تهذيب التهذيب : ٦/٤٠٧

(٤) ت ٢٤٩ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢/٤٨٨

(٥) أبو عبد الله ، العدوي المدني . ت ١١٧ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/١٠٠

(٦) عبد الله . ت ٧٤ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/٤٠

(٧) ورد الحديث في سنن الترمذي : ٤/١٧٠ ، وفيه « فهما حرام على النار » .

(٨) ت ٢٤٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢/٤٩٦

(٩) ( ابن خالد ) ت ١٩٨ هـ . تهذيب التهذيب : ٨/١٥٤

(١٠) ( ابن يزيد الايلي ) ت ١٥٢ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/١٦٢

(١١) ( محمد بن مسلم الزهري ) ت ١٢٤ . تذكرة الحفاظ : ١/١١٣

(١٢) ت ٩٤ هـ شذرات الذهب : ١/١٠٣

(١٣) ( أم المؤمنين ) ت ٥٧ هـ . شذرات الذهب : ١/٦١

كانت تدعو على من يزعم أنّ أبا بكر قال هذه الأبيات . قالت عائشة : والله ما قال أبو بكر بيتَ شعرٍ في جاهلية ولا إسلام ، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية [1] ، ولكن أبا بكر تزوّج امرأة يقال لها « أم بكر » ، فطلّقها ، فتزوجها ابن عمها هذا الشاعر الذي [ ١٢٥/أ ] قال هذه الأبيات :

وماذا بالقليب قليب بدرٍ     من الشّيزى تزيّن بالسنامِ [2]
وماذا بالقليب قليب بدرٍ     من القينات والشّرب الكرام
تُحيّا بالسلامة أم بكرٍ     وهل لي بعد قومي من سلام
يخبّرنا الرسول بأنْ سنحيا     وكيف حياة أصداء وهام

في هذه الرواية .

وفي روايةٍ غيرها – لم نذكرها استغناءً بما ذكرناه عنها – دليل على أنّ أمّ بكر هذه المذكورة في هذا الحديث كانت زوج أبي بكر في الجاهلية لا في الإسلام ، فإنْ ثبت ذلك – وما أخلقه أن يكون ثابتاً – فليست داخلة في المعنى الذي قصدناه ، بل هي خارجة من جملة ما ذكرناه ، وعلى هذا الحدّ ذكرناها ، لا على أنه صح عندنا إسلامها .

* * *

أبو الدرداء الأنصاري [3] ، عويمر بن عامر ، ويقال : عويمر بن زيد :

---

(١) حديث السيدة عائشة مع عروة في نفي الشعر وترك شرب الخمر وارد في الاستيعاب : ٢/٢٤٨ .

(٢) ورد هذا البيت في لسان العرب ( شيز ) منسوباً لابن سوادة ؛ يرثي به قتلاه في بدر من المشركين .

(٣) أشهر ما قيل في أسمه ونسبه أنه : عويمر بن عامر بن مالك بن زيد ، شهد ما بعد أحد من المشاهد ، توفي سنة ٣١ أو ٣٢ هـ وقيل غير ذلك . طبقات خليفة : ١/٢١٣ والاستيعاب : ٣/١٥ و ٤/٥٩ ، وأسد الغابة : ٤/١٥٩ و ٥/١٨٥ ، والإصابة ٣/٤٦ .

حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن أعين ، نا علي بن الجعد [١] وعاصم بن علي [٢] قالا : نا شعبة ، عن الحكم [٣] ، عن أبي عمر الصيني [٤] ، عن أبي الدرداء : أنه كان إذا نزل به ضيف قال : أمقيم فلنسرح أم ظاعن فلنعلف . فإنْ قال : ظاعن ، قال : لا أجد شيئاً خيراً من شيء أمر بـــه النبي صلى الله [ عليه وسلم ] قال :

جاء ناس من أهل الفقر إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول [ ١٢٥/ب ] الله ، ذهب الأغنياء بالأجر : يجاهدون ولا نجاهد ، ويحجون ولا نحج ، ويفعلون ولا نفعل . فقـــال : ألا أدلكم على ما إن أخذتم به أدركتم – أو جئتم – بأفضل مما يأتون به : تكبّرون الله أربعاً وثلاثين ، وتحمدون الله ثلاثاً وثلاثين وتسبّحو [ن] الله ثلاثاً وثلاثين ، في دبر كل صلاة [٥] .

أم الدرداء [٦] ، خيرة بنت أبي حدرد الأسلمية – زوج أبي الدرداء – :

حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، نا أحمد بن منيع [٧] ، نا الحسن بن موسى [٨] ،

---

(١) ت ٢٣٠ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/٤٠٠

(٢) ت ٢٢١ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/٣٩٧

(٣) ت ١١٤ هـ أو ١١٥ هـ . تذكرة الحفاظ: ١/١١٧ «وهو الحكم بن عتيبة».

(٤) مترجم في تهذيب التهذيب : ١٢/١٧٦

(٥) هذا التكبير والتحميد والتسبيح مما علمه رسول الله (ص) علياً وفاطمة عليهما السلام . يراجع صحيح البخاري : ٥/٢٤ .

(٦) وتلقب بـ « الكبرى » ، من النساء ذوات الرأي ، توفيت قبل زوجهـــا . الاستيعاب : ٤/٤٢٩ ، وأسد الغابة : ٥/٤٤٨ ، والاصابة ٤/٢٨٨

(٧) ت ٢٤٤ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢/٤٨٢

(٨) ت ٢٠٩ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/٣٧٠

نا ابن لهيعة[١] ، نا زبان[٢] ، عن سهل بن معاذ[٣] ، عن أبيه[٤] ، عن أم الدرداء ، أنه سمعها تقول :

لقيني رسول الله ﷺ وقد خرجتُ من الحمام ، فقال : من أين يا أم الدرداء ؟ قلتُ : من الحمام ، قال : والذي نفسي بيده ، ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت أحدٍ من أمهاتها إلا وهي هاتكة كلَّ سترٍ بينها وبين الرحمن عز وجل[٥].

* * *

أبو الدحداح الأنصاري[٦] :

وأم الدحداح[٧] ــ زوج أبي الدحداح :

حدثنا عمي أبو زكريا يحيى بن زكريا بن حيويه النيسابوري[٨] ، نا محمد بن معاوية بن مالج[٩] ، نا خلف بن خليفة[١٠] ، عن حميد الأعرج[١١] ، عن عبد الله بن

---

(١) ( عبد الله ) ت ١٧٤ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢٣٩/١

(٢) ( ابن فائد ) ت ١٥٥ هـ . تهذيب التهذيب : ٣٠٨/٣

(٣) له ترجمة في تهذيب التهذيب : ٢٥٨/٤

(٤) ( معاذ بن أنس ) له ترجمة في تهذيب التهذيب : ١٨٦/١٠

(٥) وأخرجه الطبراني بسنده من طريق زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه ، وفيه : « في غير بيت إحدى أمهاتها أو زوج إلا كانت هاتكة .. الخ » . الإصابة : ٢٨٨/٤ ، ويراجع في مضمون الحديث أسد الغابة : ٤٤٨/٥ .

(٦) لم يُعرف اسمه ولا نسبه ، غير أنه حليف الأنصار . وربما قيل : إن اسمه ثابت بن الدحداح . الاستيعاب : ٦١/٤ ، وأسد الغابة : ٢٢١/١ و ٨٥/٥ ، والإصابة : ٥٩/٤ .

(٧) لها ذكر في أسد الغابة : ٥٨٠/٥ والإصابة : ٤٢٩/٤

(٨) ت ٣٠٧ هـ . شذرات الذهب : ٢٥١/٢

(٩) مترجم في تهذيب التهذيب : ٤٦٣/٩

(١٠) ت ١٧١ أو ١٨١ هـ . تهذيب التهذيب : ١٥١/٣

(١١) له ترجمة في تهذيب التهذيب : ٥٣/٣

الحارث[١] ، عن عبد الله بن مسعود[٢] قال :

لمّا نزلت ( مَنْ ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا ) ، قال أبو الدحداح : يارسول الله [١٢٦/أ] ؛ وإن الله يريد منّا القرض؟!. قال: نعم يا أبا الدحداح، قال : أرني يدك ، قال : فناوله ، قال : فإني أقرضت ربي حائطاً لي فيه ستمائة نخلة .

ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط ، وأم الدحداح فيه وعيالها ، فناداها : يا أم الدحداح ، قالت لبيك ، قال : اخرجي ، قد أقرضتُ ربي حايطاً فيه ستمائة نخلة[٣] .

* * *

أبو ذر الغفاري ، [٤] جندب بن جنادة ، ويقال : جندب بن سكن ، ويقال : برير بن جنادة ، ويقال : برير بن عبد الله :

أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر أبو العلاء الكوفي[٥] ، نا عثمان بن أبي شيبة[٦]،

---

(١) (الزبيدي) له ترجمة في تهذيب التهذيب : ١٨٢/٥

(٢) ت ٣٢ هـ . شذرات الذهب : ٣٨/١

(٣) أخرج ابن مندة الحديث من طريق عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود بنص مقارب للأصل، وأخرجه أحمد والبغوي والحاكم من طريق آخر وبنص آخر. الإصابة: ٦٠/٤ ، ويراجع في ملخص النص الاستيعاب : ٦١/٤ .

(٤) من السابقين إلى الإسلام . شهد مع النبي (ص) أكثر مشاهده ، توفي بالربذة سنة ٣١ أو ٣٢ هـ . طبقات ابن سعد : ٤/ ق ١٦١/١ ، وطبقات خليفة : ٧١/١ ، والإستيعاب : ٢١٤/١ و ٦٢/٤ ، وأسد الغابة : ٣٠١/١ و ١٨٦/٥ ، والإصابة : ٦٣/٤

(٥) ت ٣٠٠ هـ . تهذيب التهذيب : ٢١/٩

(٦) ت ٢٣٩ هـ . تذكرة الحفاظ : ٤٤٤/٢

نا عبثر أبو زبيد[١] ، عن مطرف[٢] عن أبي الجهم[٣] ، عن خالد بن وهبان[٤] ، عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : كيف أنتَ وقد استؤثر عليك بالفيء ؟ قال : فقلتُ : إذاً آخذ سيفي فأجلدهم بـه حتى ألحق بك ، قال : فأدلك على خيرٍ من ذلك : تصبر حتى تلقاني[٥] .

أم ذر[٦] – زوج أبي ذر الغفاري – :

حدثني أبو زكريا يحيى بن زكريا بن حيويه ، نا يوسف بن موسى بن راشد القطّان[٧] ، نا يحيى بن سليم الطائفي[٨] ، نا عبد الله بن عثمان بن خثيم[٩] ، عن مجاهد[١٠] ، عن إبراهيم بن الأشتر[١١] ، عن أبيه[١٢] ، عن أم ذر[١٣] أنها قالت :

---

(١) ت ١٧٨ أو ١٧٩ هـ . تهذيب التهذيب : ١٣٧/٥

(٢) ( ابن طريف الكوفي ) ت ١٤٣ هـ . شذرات الذهب : ٢١٢/١ .

(٣) ( سليمان بن الجهم ) تهذيب التهذيب : ١٧٧/٤

(٤) له ترجمة في تهذيب التهذيب: ١٢٥/٣

(٥) أخرجه ابن سعد عن مطرف عن أبي الجهم عن خالد بن وهبان وكان ابن خالة أبي ذر عن أبي ذر ، بنص قريب من الأصل . الطبقات : ٤/ق ١٦٦/١ ويراجع سنن أبي داود : ٥٤٢/٢ .

(٦) أسلمت مع زوجها في صدر الإسلام. أسد الغابة: ٥٨١/٥ والإصابة: ٤٣٠/٤

(٧) ت ٢٦٣ هـ . تذكرة الحفاظ : ٥٤٨/٢

(٨) ت ١٩٥ هـ . تذكرة الحفاظ : ٣٢٦/١

(٩) ت ١٣٢ هـ . شذرات : ١٨٩/١

(١٠) ت ١٠٣ هـ . شذرات الذهب : ١٢٥/١

(١١) ت ٦٧ هـ . شذرات الذهب : ٧٤/١

(١٢) هو مالك الأشتر النخعي ت ٣٨ هـ . شذرات الذهب : ٤٨/١

(١٣) أخرج الحديث بن سعد في طبقاته : ٤/ق ١٧٢/١ عن عبد الله بن عثمان عن مجاهد عن إبراهيم بن الأشتر عن زوجة أبي ذر ، وكذلك في أسد الغابة : ٣٠٢/١ ، ولكن ابن عبد البر في الاستيعاب :٢١٥/١ أخرجه عن المديني عن يحيى بن سليم .. إلى آخر السند الوارد في الأصل ، ولذلك اعتمدنا عليه في المقابلة .

لمّا حضر [تْ](١) أبا ذر الوفاة قالت : بكيتُ ، فقال : ما يبكيك ؟ فقالتْ : قلتُ : ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاةٍ من الأرض [ ١٢٦/ب ] ولا يَدانِ لي بتغسيلك(٢) ، وليس معنا ثوب(٣) يسعك كفناً ، لي ولا لك . قال : لا تبكي وأبشري فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : لا يموت بين امرأين مسلمين ولدانِ أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً ، [ وقد مات لنا ثلاثة من الولد ](٤) ، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لنفرٍ أنا فيهم : ليموتنّ رجل منكم بفلاةٍ من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين ، وليس من أولئك النفر إلا وقد مات في قرية وجماعة ، وإني أنا الذي أموت بالفلاة ، والله ما كَذِبْتُ ولا كُذِّبْتُ ، فأبصري الطريق ، قالتْ : فقلتُ : أنّى وقد ذهب الحاج وتقطعت الطرق(٥) ، فقال : انظري(٦) ، فكنت أشتد إلى الكثيب فأقوم عليه ، ثم أرجع إليه فأمرّضه .

قالت : فبينا أنا كذلك(٧) إذا أنا برجالٍ على رواحلهم ، كأنهم الرخم ، فألحتُ بثوبي فاحتبلوني ، فأسرعوا إليّ ، ووضعوا السياط في نحورها يستبقون إليّ فقالوا : ما لكِ يا أمة الله ؟ فقلتُ : امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه ، قالوا : ومَنْ هو ؟ ، قلتُ : أبو ذر ، قالوا: صاحب رسول الله ﷺ ؟ قلتُ: نعم ، قالت : ففدّوه بآبائهم وأمهاتهم ، وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه فسلّموا عليه ، فرحب بهم وقال [ ١٢٧/أ ] : أبشروا فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان

(١) الزيادة من الاستيعاب .
(٢) في الاستيعاب : « ولا يد لي للقيام بجهازك » .
(٣) في الاستيعاب : « وليس عندي ثوب » .
(٤) الزيادة من الاستيعاب ، وبها يستقيم السياق .
(٥) في الاستيعاب : الطريق .
(٦) في الاستيعاب : « اذهبي فتبصري » .
(٧) في الاستيعاب : « فبينا هو وأنا كذلك » .

النار أبداً[١] ، وسمعته - ﷺ - يقول لنفر أنا فيهم : ليموتنّ رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده[٢] عصابة من المؤمنين ، وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك في قرية وجماعة ، وإني أنا الذي أموت بفلاة ، والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ ، وإنه لو كان عندي ثوب يسعني كفناً أو لامرأتي ثوب يسعني كفناً لم أكفّن إلا في ثوب هو لي أو لها ، وإني أنشدكم بالله أن لا يكفنني[٣] منكم رجل كان أميراً ولا عريفاً[٤] أو بريداً أو نقيباً ، قال : فليس من القوم أحد إلا وقد أصاب من ذلك شيئاً ، إلا فتى من الأنصار قال : أنا أكفنك ، لم أصب من ذلك[٥] شيئاً ، أكفنك في ردائي هذا وفي ثوبين في عيبتي من غزل أمي ، قال : أنتَ فكفني[٦] .

فكفنه الأنصاري ودفنه ، في النفر الذين هم معه ، منهم حجر بن الأدبر ومالك الأشتر[٧] ، في نفر كلهم يمان[٨] .

* * *

أبو رافع[٩] ، أسلم ، ويقال : إبراهيم ، ويقال : عبد الرحمن ، ويقال :

(١) لم يرد « فإني سمعت ... - إلى قوله - أبدا » في الاستيعاب .
(٢) في الأصل : « يشهده » .
(٣) في الأصل : « يكفني » .
(٤) في الاستيعاب : « أو عريفا » .
(٥) في هامش الأصل : « مما ذكرت » ، وكأنه نسخة أخرى من « من ذلك » .
(٦) في الاستيعاب : « تكفنني » .
(٧) في الاستيعاب : « فكفنه الأنصاري وغسله في النفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه في نفر .. الخ » .
(٨) يراجع أيضاً في هذه الرواية التاريخية: طبقات ابن سعد: ٤/ق١/١٧٢-١٧٣، والاستيعاب : ٤/٦٥ ، وأسد الغابة : ١/٣٠٢ ، والإصابة : ٤/٦٥
(٩) كان مولى للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبي (ص) فأعتقه ، وشهد أحداً وما بعدها ، وتوفي في الثلاثينات . طبقات ابن سعد : ١/ق ٢/١٨٠ و ٤/ق ١/٥١ ، والاستيعاب : ١/ ٦١ و ٤/٦٩ ، وأسد الغابة : ١/٤١ و ٧٧ و ٥/١٩١ ، والإصابة ٤/٦٨ .

سنان ، ويقال : هرمز - مولى رسول الله ﷺ - :

أخبرنا العباس بن محمد بن العباس [ ١٢٧/ب ] ، نا أحمد بن صالح ، نا عبد الله بن وهب[١] ، أخبرني عمرو بن الحارث[٢] ، عن بكير بن الأشج[٣] ، عن الحسن بن علي بن أبي رافع[٤] : أن أبا رافع أخبره قال :

بعثتني قريش إلى رسول الله - ﷺ - فلما رأيته ألقي في قلبي الإسلام ، فقلتُ : يا رسول الله ، إني والله لا أرجع إليهم أبداً ، قال رسول الله ﷺ : إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البُرُد ، ولكن ارجع ، فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع . قال : فذهبتُ ، ثم أتيتُ النبي ﷺ فأسلمتُ.

قال بكير : وأخبرني أن أبا رافع كان قبطياً[٥].

أم رافع[٦] ، سلمى ، مولاة رسول الله ﷺ ، ويقال : مولاة صفية بنت عبد المطلب - زوج أبي رافع - :

حدثنا عمي ، نا أحمد بن الخليل القومسي[٧] ، نا عبد العزيز بن عبد الله العامري[٨] ، نا إبراهيم بن سعد[٩] ، عن محمد بن إسحاق[١٠] ، عن عبيد الله بن

---

(١) ت ١٩٧ هـ . تذكرة الحفاظ : ٣٠٦/١
(٢) ت ١٤٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ١٨٥/١
(٣) ت ١٢٢ هـ . شذرات الذهب: ١٦٠/١
(٤) له ترجمة في تهذيب التهذيب : ٢٩٥/٢
(٥) الحديث وهذه التتمة مرويان بالنص عن السند نفسه في سنن أبي داود : ٧٥/٢
(٦) ورُوي أنها شهدت خيبراً مع النبي (ص) . طبقات ابن سعد : ١٦٤/٨ ، والاستيعاب : ٣٢١/٤ وأسد الغابة : ٤٧٨/٥ والإصابة : ٣٢٦/٤ .
(٧) له ترجمة في تهذيب التهذيب : ٢٨/١
(٨) له ترجمة في تهذيب التهذيب : ٣٤٥/٦
(٩) ت ١٨٣ أو ١٨٤ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢٥٣/١
(١٠) ت ١٥١ هـ . أو ١٥٢ هـ . تذكرة الحفاظ : ١٧٣/١

علي بن أبي رافع[١]، عن أبيه، عن أمه سلمى وكانت حاضنة لفاطمة، قالت[٢]:

اشتكت فاطمة بنت رسول الله – ﷺ – فمرّضتها، فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيتها في شكوتها – وكان علي بن أبي طالب خرج لبعض حاجته – فقالت فاطمة: يا أمي سلمى اسكبي لي ماء، أو قالت: اسكبي لي غسلاً، قالت: فسكبت لها غسلاً، فقامت فاغتسلت كأحسن ما كنت [١٢٨/أ] أراها تغتسل، ثم قالت: يا أمه ناوليني ثيابي الجدد، قالت: فناولتها، فلبستها، ثم جاءت إلى البيت الذي كانت فيه فقالت لي: قدمي لي فراشي وسط البيت، قالت: فقدمته، فاضطجعت ووضعت يدها اليمنى تحت خدها، ثم استقبلت القبلة فقالت: يا أمّه إني قد اغتسلت وإني مقبوضة الآن فلا يكشفني أحد، قالت: فقبضت مكانها. قالت: فدخل علي بن ابي طالب فأخبرته فقال: والله لا يكشفها أحد، فاحتملها ودفنها بغسلها ذلك[٣].

* * *

أبو سلمة، عبد الله بن عبد الأسد المخزومي[٤]:

أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، نا محمد بن عبد الملك بن زنجويه[٥]، نا عبد

---

(١) له ترجمة في تهذيب التهذيب: ٣٧/٧

(٢) وأخرجه ابن سعد عن السند نفسه في طبقاته: ١٧/٨

(٣) ورد الخبر بنص مقارب للأصل في طبقات ابن سعد: ١٧/٨ – ١٨، وأسد الغابة: ٥٩٠/٥ ( عن أم سلمى، والصواب سلمى )، والإصابة: ٣٦٧/٤، وذكر في الاستيعاب: ٣٢٢/٤ أن أم رافع هي التي غسلت فاطمة مع علي (ع) وأسماء بنت عميس.

(٤) أمه برة بنت عبد المطلب، وكان ممن هاجر مع زوجته أم سلمة إلى الحبشة، ثم شهد بدراً وجرح يوم أحد، وتوفي من أثر الجراح سنة ٣ أو ٤ هـ. طبقات ابن سعد: ١٧٠/٣، وطبقات خليفة: ٤٣/١، والاستيعاب: ٣٣٠/٢ و ٨٢/٤، وأسد الغابة: ١٩٥/٣ و ٢١٨/٥، والإصابة: ٣٢٦/٢

(٥) ت ٢٥٨ هـ. تذكرة الحفاظ: ٥٥٤/٢

الرزاق (١) ، أخبرنا جعفر بن سليمان (٢) ، نا ثابت البناني(٣) ، حدثني عمر بن أبي سلمة (٤) ، عن أمه أم سلمة ، عن زوجها أبي سلمة ، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من أحد من المسلمين يصاب بمصيبة فيقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم إني أحتسب مصيبتي عندك فأبدلني بها خيراً منها » إلا أبدله الله عز وجل خيراً منها (٥) . قالت : فلما توفي أبو سلمة قلتُ : « إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم إني أحتسب بمصيبتي(٦) فأبدلني به خيراً منه » ، قالتْ : وجعلتُ أقول في نفسي [١٢٨/ب] : مَنْ خيرٌ من أبي سلمة ؟ قالت : فجاء رسول الله – ﷺ – يخطبني ، فتزوجتُه (٧) .

أم سلمة (٨) ، هند بنت أبي أمية ، المخزومية ، التي كانت زوج أبي سلمة ، ثم أكرمها الله عز وجل بعده برسول الله ﷺ :

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن حمّاد زُغبة التجيبي(٩)، نا يحيى بن سليمان الجعفي(١٠)،

---

(١) ت ٢١١ هـ . تذكرة الحفاظ : ٣٦٤/١ ( عبد الرزاق بن همام ).

(٢) ت ١٧٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢٤١/١

(٣) ت ١٢٣ أو ١٢٧ هـ تذكرة الحفاظ : ١٢٥/١

(٤) ت ٨٣ هـ تهذيب التهذيب : ٤٥٦/٧

(٥) سنن أبي داود : ٧٠/٢

(٦) كذا في الأصل ، وسبق في الرواية : « أحتسب مصيبتي عندك »

(٧) مضمون الحديث في طبقات ابن سعد : ٦١/٨ – ٦٢ ، وسنن الترمذي : ٥٣٣/٥ ، وأسد الغابة : ٢١٨/٥ ، والإصابة : ٣٢٧/٢ و ٤٠٨/٤ .

(٨) أم المؤمنين ، توفيت سنة ٥٩ هـ أو ٦١ هـ . طبقات ابن سعد : ٦٠/٨ ، وطبقات خليفة : ٨٦٧/٢ ، والاستيعاب: ٤٠٥/٤ و ٤٣٦ ، وأسد الغابة: ٥٨٨/٥ ، والإصابة : ٤٠٧/٤ و ٤٣٩ .

(٩) ت ٢٩٦ هـ شذرات : ٢٢٤/٢

(١٠) ت ٢٣٨ هـ شذرات : ٩١/٢

نا يونس بن بكير[١] ، حدثني محمد بن اسحاق[٢]، حدثني الزهري محمد بن مسلم[٣]، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام[٤] ، عن أم سلمة ، قالت :

لما ضاقت علينا مكة وأوذي [ أصحاب ] النبي ﷺ ورأوا مايصيبهم من الأذى والفتنة في دينهم ، وأن رسول الله ﷺ ، لايستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه أبي طالب ، لايصل إليه شيء يكرهه مما يصل إلى أصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لاينال عنده أحد بظلم ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً – أو مخرجاً – مما أنتم فيه ، فخرجنا إليها أرسالاً واجتمعنا بها ، فنزلنا في خير دار وأمنة[٥] .

* * *

أبو سيف القين[٦] :

وأم سيف – زوج أبي سيف –[٧] :

أخبرنا علي بن الحسن بن خلف[٨]، نا عبدالرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم[٩]،

---

(١) ت ١٩٩ هـ. تذكرة الحفاظ : ٣٢٧/١

(٢) ت ١٥١ هـ. تذكرة الحفاظ : ١٧٣/١

(٣) ت ١٢٤ هـ. تذكرة الحفاظ : ١١٣/١

(٤) ت ٩٤ هـ. تذكرة الحفاظ : ٦٤/١

(٥) يراجع في مضمون هذا النص تاريخ الطبري : ٣٣٠/٢ – ٣٣١ ونهاية الأرب : ٢٣٢/١٦

(٦) وسمّاه بعض المؤرخين « البراء بن أوس بن خالد بن الجعد » . طبقات ابن سعد : ٨٧/١ ، والاستيعاب : ١٤١/١ و ٩٩/٤ ، وأسد الغابة : ٢٢٤/٥ ، والإصابة : ٩٩/٤

(٧) مرضعة إبراهيم ابن النبي (ص) . طبقات ابن سعد : ٨٧/١ ، والاستيعاب : ٤٤٤/٤ ، وأسد الغابة : ٥٩٣/٥

(٨) ت ٣١٢ هـ . تذكرة الحفاظ : ٧٨٧/٣

(٩) ت ٢٥٧ هـ . تهذيب التهذيب : ٢٠٨/٦

نا عبد الملك بن [ ١٢٩/أ ] أبي سلمة (١) ، نا قريش بن حيان (٢) ، عن ثابت البناني ، عن أنس (٣) قال :

دخلنا مع رسول الله – ﷺ – على أبي سيف ، قين كان بالمدينة ، وكان ظئر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، فأتاه بإبراهيم فشمّه (٤) . ثم دخلنا عليه وهو في الموت ، فذرفتْ عيناه ، فقال ابن عوف : وأنتَ يارسول الله ؟ فقال إنها رحمة ، وأتبعها بالأخرى ؛ تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا عز وجل (٥) .

* * *

أبو طليق (٦) :

وأم طليق – زوج أبي طليق – (٧) :

لم نذكر حديثها .

* * *

أبو الفضل ، العباس بن عبد المطلب (٨) – عم رسول الله ﷺ – :

---

(١) في الأصل : عبد الملك بن مسلمة . والتصويب من تهذيب التهذيب : ٤٠٧/٦ ( ت ٢١٢ هـ أو ٢١٤ هـ ) .

(٢) مترجم في تهذيب التهذيب : ٣٧٥/٨

(٣) ت ٩٠هـ – ٩٣ هـ . تذكرة الحفاظ : ٤٥/١

(٤) ورد بنصٍّ مقارب في الإصابة : ٩٩/٤

(٥) مضمون الخبر في طبقات ابن سعد : ٨٨/١ – ٨٩

(٦) الأشجعي ، عدّه بعض القدماء في الصحابة وأخرج له حديثاً . الاستيعاب : ١١٥/٤ ، وأسد الغابة : ٢٣٥/٥ ، والإصابة : ١١٤/٤

(٧) يقال إن لها صحبة . الاستيعاب: ٤٤٩/٤ وأسد الغابة : ٥٩٧/٥ والإصابة : ٤٤٩/٤

(٨) شهد بدراً مع المشركين وأسلم قبل الفتح .توفي سنة ٣٢ أو ٣٤ هـ . طبقات خليفة : ١٠/١ ، والاستيعاب : ٩٤/٣ ، وأسدالغابة : ١٠٩/٣ ، والإصابة : ٢٦٣/٢

حدثنا أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزّاز (١) ، نا محمد بن عقبة (٢) ، نا عبد العزيز بن محمد الدراوردي (٣) ، عن يزيد بن الهاد (٤) ، عن محمد بن إبراهيم (٥) ، عن عامر بن سعد (٦) ، عن العباس بن عبد المطلب ، عن النبي ﷺ ، قال :

أمر المرء أن يسجد على سبعة أعصاب (٧) : يديه ورجليه وركبتيه ووجهه (٨)

أم الفضل ، لبابة بنت الحارث الهلالية (٩) — زوج العباس بن عبد المطلب — :

أخبرنا أحمد بن شعيب (١٠) ، أنا قتيبة بن سعيد (١١) ، نا سفيان (١٢) ، عن الزهري (١٣) ، عن عبيد الله (١٤) ، عن ابن عباس (١٥) ، عن أمه ، أنها :

---

(١) ت ٢٩٢ هـ . تذكرة الحفاظ : ٦٥٤/٢

(٢) لعله المتوفّى سنة ٢١٥ هـ . تهذيب التهذيب : ٣٤٦/٩

(٣) ت ١٨٧ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢٦٩/١

(٤) ت ١٣٩ هـ . تهذيب التهذيب : ٣٤٠/١١ (يزيد بن عبدالله بن أسامة بن الهاد).

(٥) ت ١٢٠ هـ . تذكرة الحفاظ : ١٢٤/١

(٦) ت ١٠٠ هـ أو ١٠٤ هـ . شذرات الذهب : ١٢٦/١

(٧) في الهامش : ( خ ل آراب ) .

(٨) في الهامش : ( وجبينه ) بـدل ( ووجهه ) . ونص الحديث في سنن ابن ماجه : ٢٨٦/١ وسنن الترمذي : ٦١/٢ مسنداً عن العباس بن عبد المطلب « إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب : وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه » .

(٩) لها ذكر في طبقات ابن سعد : ٢٠٢/٨ ، والاستيعاب : ٤٦٠/٤ و ٣٨٥ ، وأسد الغابة : ٥٣٩/٥ ، والإصابة : ٣٨٥/٤ و ٤٦١

(١٠) ت ٣٠٣ هـ . تذكرة الحفاظ : ٧٠١/٢

(١١) ت ٢٤٠ هـ . تهذيب التهذيب : ٣٦٠/٨

(١٢) ت ١٩٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢٦٤/١ . ( ابن عُيَيْنَة ) .

(١٣) ت ١٢٤ هـ . تذكرة الحفاظ : ١١٣/١

(١٤) ت ٩٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ٧٩/١ ( ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود ) .

(١٥) ت ٦٨ هـ تذكرة الحفاظ : ٤١/١

سمعت النبي – ﷺ – يقرأ في المغرب بالمرسلات [1] [ ١٢٩ / ب ] .

* * *

أبو معقل ، هيثم الأسدي [2] :

أخبرنا أحمد بن شعيب ، أنا محمد بن يحيى بن محمد بن كثير الحراني [3] ، نا عمر بن حفص بن غياث [4] ، نا أبي [5] ، نا الأعمش [6] ، حدثني عمارة [7] وجامع بن شداد [8] ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبي معقل : أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال :

إن أم معقل جعلت عليها حجة معك فلم يتيسر لها ذلك فما يجزي عنها ؟ قال : عمرة في رمضان . قال : فإن عندي جملا جعلته في سبيل الله حبيساً فأعطيها إياه فتركبه ؟ قال : نعم [9] .

أم معقل الأسدية [10] – زوج أبي معقل – :

---

(١) الخبر – مروياً عن الزهري – في أسد الغابة : ٥/٥٤٠

(٢) هيثم بن نهيك بن أساف ، الأسدي،الأنصاري، يقال إن له صحبة. الاستيعاب : ٤/١٨٩ وأسد الغابة : ٥/٣٠١ ، والإصابة : ٣/٥٨١ و ٤/١٨١

(٣) ت ٢٦٧ هـ . تهذيب التهذيب : ٩/٥٢٢

(٤) ت ٢٢٢ هـ . شذرات : ٢/٥٠

(٥) ت ١٩٤ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/٢٩٨

(٦) ت ١٤٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/١٥٤ ( سليمان بن مهران ) .

(٧) ( عمارة بن عمير ) ت ٨٢ أو ٩٨ هـ . تهذيب التهذيب : ٧/٤٢١

(٨) ت١١٨ أو ١٢٧ أو ١٢٨ هـ . تهذيب التهذيب : ٢/٥٦

(٩) مضمون الحديث في الإصابة : ٤/١٨١ ، وأسد الغابة : ٥/٢٦١ ، وقال في الإصابة : ( روى حديثه الأعمش عن عمارة بن عمير وجامع بن شداد عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عنه ) .

(١٠) ويقال إنها أشجعية وأنصارية وإنها أسلمت وبايعت النبي (ص) وروت عنه . طبقات ابن سعد: ٨/٢١٦ والاستيعاب: ٤/٤٧٦ وأسد الغابة: ٥/٦٢١ والإصابة: ٤/٤٧٥

حدثنا محمد بن إبراهيم بن اسحاق الأصبهاني ، نا أبو مسعود أحمد بن الفرات[1] أنا عبد الرزاق ، عن الأوزاعي[2] ، عن يحيى بن أبي كثير[3] ، عن أبي سلمة[4] عن معقل بن أبي معقل ، عن أم معقل ، عن النبي ﷺ قال :

اعتمري في رمضان ، فإن عمرةً في رمضان تعدل حجة[5] .

آخر الكتاب ، ولله المنـــة

محمد حسن آل ياسين

## فهرست المراجع


| | |
|---|---|
| ١ ـ الاستيعاب : لابن عبد البر القرطبي | القاهرة / هامش الإصابة / ١٣٥٨ هـ |
| ٢ ـ أسد الغابة : لابن الأثير | طهران / طبعة مصوّرة |
| ٣ ـ الإصابة : لابن حجر العسقلاني | القاهرة / ١٣٥٨ هـ |
| ٤ ـ الإكمال : لابن ماكولا | حيدر آباد، الهند / ١٣٨١ هـ |
| ٥ ـ الأنساب : للسمعاني | حيدر آباد، الهند / ١٣٨٥ هـ |
| ٦ ـ تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي | بيروت / طبعة مصورة |
| ٧ ـ تاريخ خليفة بن خياط | بغداد / ١٣٨٦ هـ |
| ٨ ـ تاريخ الطبري | القاهرة / ١٩٦٢م |


---

(١) ت ٢٥٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ٥٤٥/٢

(٢) ت ١٥٧ هـ . تذكرة الحفاظ : ١٨٣/١

(٣) ت ١٢٩ هـ . تذكرة الحفاظ : ١٢٨/١

(٤) ت ٩٤ أو ١٠٤ هـ . تذكرة الحفاظ : ٦٣/١

(٥) أخرج ابن سعد نصّ الحديث في طبقاته ( ٢١٦/٨ ) وبنفس السنـــد من الأوزاعي فصاعداً ، ويراجع في مضمون الحديث وطرقـــة الاستيعاب : ٤٧٦/٤ ، وأسد الغابة : ٦٢١/٥ ، والإصابة : ١٨١/٤ — ١٨٢

٩ - تذكرة الحفاظ : للذهبي بيروت/ طبعة مصورة

١٠ - تلخيص مجمع الآداب : لابن الفوطي دمشق / ١٩٦٢ - ١٩٦٧ م

١١ - تهذيب التهذيب بيروت / طبعة مصورة

١٢ - سنن ابن ماجه القاهرة / ١٣٧٣ هـ

١٣ - سنن أبي داود القاهرة / ١٣٧١ هـ

١٤ - سنن الترمذي القاهرة / ١٩٣٧ م

١٥ - شذرات الذهب : لابن العماد الحنبلي القاهرة / ١٣٥٠ هـ

١٦ - صحيح البخاري القاهرة / طبعة محمد علي صبيح

١٧ - صحيح مسلم القاهرة / طبعة محمد علي صبيح

١٨ - طبقات ابن سعد ليدن / ١٣٢١ هـ

١٩ - طبقات خليفة دمشق / ١٩٦٦ م

٢٠ - فهرس مخطوطات الظاهرية دمشق / ١٣٦٦ هـ
- قسم التاريخ - ليوسف العش -

٢١ - لسان العرب : لابن منظور بيروت / ١٩٥٥ م

٢٢ - النجوم الزاهرة : لابن تغري بردي القاهرة / طبعة مصورة

٢٣ - نهاية الأرب : للنويري القاهرة / طبعة مصورة

٢٤ - الوافي بالوَفَيَات : للصفدي طهران / طبعة مصورة

٢٥ - وَفيات الأعيان : لابن خلّكان القاهرة / ١٩٤٨ م


★ ★ ★

# أرجوزة في العروض

## لمؤلف مجهول

الدكتورة بهيجة باقر الحسني

كان الشعْر ديوانَ العربِ ، وترجمانَ الأدبِ ، نالتْ به العربُ ما لمْ تنلْ بسيوفها ، وتقدَّمَ بسببِه مشروفُها على شريفِها . ولتأثيره هذا ، ومكانتِه في قلوبهِم أقامَ رسولُ الله — ﷺ — حسَّانَ بن ثابت عنها وعن الإسلامِ مُدافعاً فقال : « اهجُهْم وممك جبريل[1] . اللَّهمَّ ! أيِّدْهُ بروحِ القُدسِ »

وما قالوا للنبيِّ — ﷺ — : « شاعرٌ » ليذمُّوه بذلك في ادِّعائهم ، ولكن ليكونَ كبعضِ شعرائهم . فلقد ظنَّتْ قريشٌ وحسبت القرآن الكريمَ — المعجز ببيانه — من قبيل الأشعار ، ولكن هناكَ مَنْ علتْ في الفصاحةِ والبلاغةِ رتبتُه كعتبة بن الوليد فإنَّه قال عندما سمعَ القرآن الكريم :

(١) ( جبريل ) : علَمٌ مَلَكٍ ممنـــوع من الصَّرف للعلمية والعُجمة والتركيب المزجي . قال الشهاب : سرياني ، وقيل : عبراني ، ومعناه : عبدالله أو عبدالرحمن أو عبدالعزيز . وله أربع عشرة لغة ، الأولى : جبريل بالكسر ، أشهر وأفصح القراءات وهي لغة الحجاز . قال حسَّان :

وجبريلٌ رسولُ الله فينـــا    وروحُ القدس ليس له كفاءُ

انظر تاج العروس مادة « جبر ».

« إنّ له لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنّ أعلاه لمثمر ، وإنّ أسفله لمغدق ، وما يقولُ هذا بشرٌ . واللهِ ! ما فيكم رجلٌ أعلمُ بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزٍ ولا بقصيدٍ مني . والله ! ما يشبه الذي يقولُ شيئاً منه هذا ، وإنه ليعلو وما يُعلى ، وإنّه ليحطم ما تحته . واللهِ ! ما هو بالشّعر ولا السحر ولا الكهانة »(١) .

فكان من جملةِ حراسة الله تعالى للقرآن الكريم أن أُلهِمَ الخليلَ بن أحمد الفراهيدي (ولد بالبصرة سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨ م — وتوفي فيها يقال في سنة ١٧٠ / ٧٨٦) طريقاً أفضتْ إلى حصرِ أجناسِ الشعر وأنواعهِ مع تشعُّبه واتّساعه ، فتميَّز حتّى صارَ منظوراً ، وعُرِف مستعملُه ومتروكُهُ ، وتامُّهُ ومشطورُه ومنهوكُهُ .

فليستْ إذن فائدة العَروض باليسيرة . وفائدةٌ أخرى يُؤديها وهي حراسةُ نسبِ الشعر عن مخالطةِ الدعيّ ، وممازجةِ الغريب الأجنبي . وفائدةٌ ثالثة ، وهي أن الشّاعر بهذا الميزان يميّزُ الأجناسَ ، فلا يخفى عليه الشبيهان بوجهٍ من الالتباس .

لقد حَصَرَ الخليلُ أجناسَ الشّعر في خمس دوائر ، استخرج منها خمسة عشر بحراً(٢) .

(١) مخطوطة إذهاب العروض بإذهاب الغموض ، ورقة : ٨٩ .

(٢) جاء في الإرشاد الشافي ص ١٠٧ : « إن عدم ذكر الخليل بحر المتدارك قيل : لأنه لم يبلغه . وقيل : لأنــه مخالف لأصوله بدخول التشعيث أو القطع في حشوه ، وهما مختصان بالأعاريض والضرب . واختلف : هـل منعه أصلاً أو سكت عنه لكونه مخالفاً لأصوله ؟ فقيل : لا أثبته ولا أمنعه » .

وخمسة عشر بحراً دون ما متدا    رك وما عدَّه الخليلُ بل عدلا

جاء الأخفش الأوسط ( أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي المتوفى ٢١٥هـ) فزاد بحراً سماه « المتدارك » أو « المحدث » أو « الركض » . واستدرك على الخليل بزيادة عروض ثالثة مجزوءة مقطوفة ، وضربها مثلها في بحر الوافر. كما لم يعد مشطور الرجزِ ومنهوكَه شعراً .

ثمَّ استدركَ بعدَ الأخفش أبو العبَّاس المبرّد ( ٢١٠ — ٢٨٥ ) ، وأبو إسحاق الزّجّاج ( المتوفّى ٣٠٠/٩٢٣ ) وأبو عمر صالح بن اسحاق الجرمي ( المتوفى ٢٢٥/٨٣٩ ) ، وأبو نصر اسماعيل بن حمّاد الجوهري ( المتوفى ٣٩٣/١٠٠٣ ) ، ولكن جميع استدراكاتهم تتصلُ بطائفةٍ من المصطلحات العَروضية ، وبمخالفة الخليل في بعض « الأفاعيل والتفاعيل[1] » .

ولقد شاءت المصادفة أنْ أتصفّحَ نسخةً خطّيةً لكتاب « مفتاح العلوم » للسكاكي ( المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ) في مكتبة[2] « Chester Beatty Library »

---

(١) انظر العمدة لابن رشيق القيرواني : ١/٨٨ . وسماها ابن عبد ربه في العقد الفريد ٥/٤٣٢ بـ « الفواصل » ونظمها بالأبيات التالية :

هـذي التي بهـا يقول المنشد    في كل مايرجز أو يقصـد
كلّ عروض يعتزى إليهـا    وإنمـا مَـداوُهُ عليهـا
منها خماسيانِ في الهجاءِ    وغيرُها مسبّعُ البنـاءِ
يدخلُها النقصانُ بالزّحاف    في الحشو والعروض والقوافي
وإنمـا تَدْخلُ في الأسبابِ    لأنّهـا تعرفُ باضطراب

(٢) تحت رقم ( Ms . 5046 ) الأرجوزة تقع بين ( ١٧٤ — ١٧٦ ) .

في « دبلن » فاستوقفتني الأرجوزةُ العروضيةُ الآتيـة في آخر المخطوطة ، في وقتٍ كنتُ معنيةً بعلم العروض إذْ كنتُ أحقِّقُ « القسطاس المستقيم في علم العروض[1] » للزمخشري (٤٦٧/١٠٧٥ — ٥٣٨/١١٤٤) فاستنسختُها بالرغم من أن اسم ناظمها مجهول ، وكذلك تاريخ نسخها واسم ناسخها .

وعدتُ إلى بغداد فعرضتُها على أساتذة العروض الأفاضل : الأستاذ كمال إبراهيم ، والدكتور صفاء خلوصي ، والدكتور إبراهيم الوائلي ، والدكتور محمد بدوي المختوم ، والأستاذ عبد الحميد الراضي ، والأستاذ علي عبّاس ، لأتبيَّن ما إذا كانوا قد اطَّلعوا عليها لنهتدي إلى اسمِ ناظمها ، وتاريخ النظم . فأجابوا جميعاً بالنفي ، ولكنني آثرتُ نشرَها مع بعضِ التعليقات والشروح عسى أنْ يستفيدَ منها القارىء .

« الأُرْجُوزَة »

« بسم الله الرحمن الرحيم »

| | |
|---|---|
| لوزنِ طويل الشِّعر فاحفَظْهُ واذْكُرِ | فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن |
| لوزنِ بسيطٍ فاحتفظْ وتذكَّرِ | ومستفعلن يتلوه من بعد فاعلن |
| وِزانٌ فأَنعِمْ حِفْظَهُ وتدبَّرِ[2] | ومن فاعلاتن فاعلن لمديده |

(١) طبع في مطبعة النعمان في النجف الأشرف سنة ١٩٧٠

(٢) جاء في الفصول والغـايات لأبي العلاء المعري : ٢١١/١ مايأتي : « والمديدُ والطويلُ والبسيطُ تجمَعُهنَّ دائرة واحدة . والبسيطُ والطويلُ ليس في الشِّعْر أشرف منها وزناً ، وعليهما جُمْهُورُ شعر العرَب . =

« منها »

فوافرُهُ مفاعلتن وكاملُهُ بمعكوسهْ
وفي هزج مفاعيلن وذا رجز[1] لمنكوسهْ
وإنْ وتدٌ توسَّطه أتى رَملٌ على سُوسِهْ

. . .

مستفعلن بين فاعلاتن وزنٌ لبحرِ الخفيفِ فاعلمْ
ووزنُ مجتثهِ صحيحٌ إن كان مستفعلن يُقدَّمْ

= وإذا اعترضتَ الدّيوان من دواوين الفُحُول كان أكثر ما فيه طــويلاً وبسيطاً ، والمديدُ وزنٌ ضعيفٌ لايوجدُ في أكثر دَواوين الفحول . والطبقة الأولى ليس في ديوان أحـــد منهم مديدٌ ؛ أعني امرأ القيس وزهيراً والنابغة والأعشى في بعض الرّوايات » .

(١) مجزوء : « مستفعلن مستفعلن مستفعلن » مرتين .

لقد صوَّر المعري نظرة الناس إلى الرَّجز في رسالة الغفران ص ٢٩٧ : إذ يمرُ صاحبهم ابن القارح « بأبيات ليس لها سموقٌ ( العلو والارتفاع ) أبيات الجنة ، فيسأل عنها فيقال : هذه جنة الرجز ، يكون فيها : أغلب بني عجل ، والعجّاج ، ورؤبة ، وأبو النجم ، وحميد الأرقط . . . فيقول : تبارك العزيز الوهاب ! لقد صدق الحديث المروي : « إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها » .

وإن الرّجزَ لمن سفساف القريض ، قصرتم أيها النفر فقصر بكم » . وذكر أيضاً في كتابه الفصول والغايات ص ٣١٩ : « والرّجزُ أخفض طبقة من الشعر حتى يروى عن الفرزدق أنه قال : « إني لأرى طرقة الرَّجز ، ولكني أدفعُ نفسي عنه » .

« ومنها »

مستفعلن مفعولات مستفعلن منسرحٌ فاحفَظْنَ موصلَّهْ
مضارعٌ وزنه مفاعيلن وفاعلاتن فرْدٌ أوّلَهْ

. . .

وَبعد مفعولات مستفعلن مقتضبٌ لاشك في أصلِهِ
وَلو أتى من بعدها عا كساً فهو سريعٌ وهو من شكلِهِ
ومن فعولن بحرٌ متقاربٌ[1] ومحدثٌ من فاعلن كلِّهِ

« الزحافات »[2]

الخبنُ[3] : أن يُسْقَطَ ثانٍ ساكنٌ والطيُّ[4] : أن تحذفَ ذاكَ رابعا

(١) جاء في الهامش (لتقارب حروفه . وقيل: لتقارب أوتاده من أسبابه).

(٢) نظمها علي بن محمد السخاوي ( ٥٥٨ – ٦٤٣ ) في كتابه « أذهاب العروض في إذهاب الغموض »:

زحاف الشعر إضمارٌ ووقص وخبنٌ ثم طيٌ ثم عَصْبُ
وعقلٌ ثمّ قبضٌ ثمّ كفٌ ثمانيةٌ تضيءُ وليس تخبو

(٣) هو إسقاطُ ثاني الجزء الذي لم يزل ساكناً وهو الثاني من « فاعلاتن » و « فاعلن » و « مستفعلن » و « مفعولات » . ويقع في تسعة أبحر في المديد والبسيط والرّجز والرمل والسريع والمنسرح والخفيف والمقتضب والمجتث .

(٤) هو إسقاط الرابع الذي لم يزل ساكناً ، وهو في « مستفعلن » وفي « مفعولات » ويقع في البسيط والرّجز والسريع والمنسرح والمقتضب .

والقبضُ(١) : أنْ تُلقيَ ذاكَ خامساً    والكفُّ(٢) إسقاطُكَ ذاكَ سابعا
والخبلُ(٣) : خبنٌ ثمَّ طيٌّ بعده    والشكلُ(٤) : خبنٌ ثمَّ كفٌ واقعا

« فصل »

إذا أسكنوا الثاني فذلك مُضْمَرٌ(٥)    فإنْ خبنوه بَعْدَ ذا فهو مَوْقُوصُ(٦)
وَعَصْبُكَ(٧) : تسكينُ لخامسِ حرْفِهِ    فإنْ كُفَّ في مَعْصُوبِهِ فهو منقوصُ(٨)

(١) هو إسقاط الخامس الساكن ، ويختص في الخماسي « فعولن » ومن السباعي « مفاعيلن » ويقع في الطويل والهزج والمضارع والمتقارب .

(٢) هو إسقاط السابع الساكن ، ويختص بـ « مفاعيلن » و « فاعلاتن » و « مستفعلن » ويقع في الطويل والمديد والوافر والهزج والرمل والخفيف والمضارع والمجتث .

(٣) هو اجتماع الخبن والطي ، وهو في البسيط والرجز والسريع والمنسرح .

(٤) هو اجتماع الخبن والكف ، ويقع في المديد والرمل والخفيف والمجتث .

(٥) هو إسكان الثاني من « متفاعلن » خاصة ، ويختص بالكامل ، وهو فيه لازم وجائز .

فاللازم في الضرب الثالث كقوله :

لمن الديارُ برامتين فعاقلِ    درست وغيّر آيها القطرُ

فهذا أحذّ مضمر . والجائز فيما سوى ذلك كقول عنترة بن شدّاد :

إني امرؤ من خيرِ عبس منصباً    شطري وأحمي سائري بالمنصل

صار « متفاعلن » في جميعه « مستفعلن » .

(٦) هو إسقاط الثاني الساكن بالإضمار ولا يقع الا في الكامل أيضاً .

(٧) هو إسكان الخامس من « مفاعلتن » ، ويختص بالوافر .

(٨) هو اجتماع الكفّ والعصْب ويختص بالوافر أيضاً .

وإن طويَ الإضمار فالجزْلُ[1] رسمُه
وقبضُكَ بَعْدَ العَصْبِ بالعقْلِ[2] مخصوص

« فصل »

وهاك اعتلالات الفصول فَعدَّها وكلٌّ له اسمٌ في الصناعةِ معروفُ
وإنْ أسقطوا من آخر الجزءِ عندها
خفيفاً من الأسبابِ فالجزءُ محذوفُ[3]

---

(١) ( الجزل ) يُروى عن الزّجّاج بالخاء . وقال غيرُهُ هو الجَزْلُ بالجيم ومعناه القطع . وهو سُقوطُ فاء « مُستَفعِلُن » في الكامل فيُحوَّلُ إلى « مُفتَعِلُن » . وقد وضع الخليل لذلك بيتاً مصنوعاً لأنه جاء بالجَزْلِ في ستّةِ مواضعَ ، وهذا ما لا يُعرَفُ ، والبيت الذي وضعه :

مَنْزِلةٌ صمٌّ صداها وَعفَتْ خاليةٌ إنْ سئِلَتْ لم تُجِبِ

فهذا مثلُ الرَّجز إذا لحِقَهُ الطّيُّ . وإنما يُعرَفُ الجَزْلُ في شعر العرَبِ لجُزْءٍ مُفردٍ في البيت ، كما قال تأبَّط شرّاً في قصيدته التي أوّلها :

يا دارُ تُثبِّتُ فارتَفَعَتْ لِضَوئها بالجزعِ منْ أفياد أو منْ مَوْعِلِ
حيثُ التقتْ فهمٌ وبكرٌ كلُّها والدَّمُ يجري بينَهُم كالجدولِ

« الفصول والغايات : ١/٣١٨ »

(٢) هو حذفُ الساكن الذي سُكِّنَ بالعَصْب .

(٣) ( الحذفُ ) : هو إسقاطُ سببٍ خفيفٍ من آخر الجزء في الضرب والعروضِ ، ويكونُ في الطويل والمديد والهزج والرمل والخفيف والمتقارب.

وإنْ حذفوا هذا الخفيفَ وقبلَهُ ثقيلٌ ففي تسكين ثانيه مقطوفُ (١)
وإنْ حذفوا الحرفَ المحرَّكَ آخراً من الوتد المفروق(٢) فالجزء مكسوف(٣)
وإسكانُ ما قبل الذي هو ساكنٌ فذلك قطعٌ (٤) للذي هو مكفوفُ
وإسقاطه رأساً أحذٌّ(٥) وكلُّه لخمس جهاتٍ في الأعاريض موصوفُ

---

(١) ( القطْفُ ) : هو حذف سببٍ خفيفٍ من آخر « مفاعلتن » في الضرب والعروض ، وإسكان ثاني السبب الثقيل قبله فيصير « مُفاعَلْ » بإسكان اللام فيُردّ إلى « فعولن » وذلك في الوافر خاصة ، وهو واجبٌ فيه في غير المجزوء ، وبيته :

لنا غنمٌ نُسوِّقُها غِزارٌ كأنَّ قرونَ جِلَّتِها العصيُّ

وإنما وجب فيه لقوته بتقدّم وتده على سَبَبَيْهِ ، ولأنّ الأولَ من سببهِ ثقيلٌ فلمّا كثرتْ فيه الحركات حذفوا السبب الأخير ، وسكنوا السبب الذي قبله ، فاحتمل ما بقي أن يكون ضرباً تاماً ، فلذلك قطف . وليس في العروض قطفٌ إلا هذا وحده .

(٢) ( الوتد المفروق ) : هو متحركان بينهما ساكن .

(٣) ( الكسفُ ) ، بالسين المهملة : هو اجتماعُ الطيّ والوقف ، وذلك في السريع خاصة .

(٤) ( القطْعُ ) : هو في الأوتاد نظيرُ القصر في الأسباب ، وهو حذفُ الساكن من آخر الوتد المجموع ، وإسكان المتحرك قبله في الضرب والعروض ، ويقعُ في البسيط والكامل والرَّجز .

(٥) ( الحذذ ) : هو إسقاطُ الوتد المجموع من « متفاعلن » في الضرب ، ويختصُّ بالكامل ، وبيته :

لمن الدّيارُ محا معالِمَها هطِلٌ أجشُّ ، وبارِحٌ تَرِبُ

وقد تشرك الغايات فيه فصولها فتُسمى بما تُسمى به وهو مألوفُ

« فصل »

ومّا كانَ بالغاياتِ يختصُ بابُها فخمسٌ وكلٌ في الصناعةِ مشهورُ

إذا سببٌ أسقطت حرف سكونه
وأسكنتَ من باقيه فالحرفُ مقصورُ(١)

وحذفُكهُ رأساً ومِنْ بعد قطعِهِ
فأبتر إجماعاً ، وقد قيل: مَبْتُورُ(٢)

وموقوفه : تسكينُ آخر حرفه من الوتد المفروق، والوقفُ مأثورُ(٣)

(١) (القَصْر): هو إسقاطُ زنة متحرك من السبب الخفيف في « فاعلاتن » ضرباً وعروضاً وفي «فعولن» ، ويكون في المديد والرمل والخفيف والمتقارب.

(٢) هو اجتماعُ الحذف والقطع في المديد والمتقارب . أما في المديدفبيته :

إنما الذلفــاءُ ياقوتـةٌ أُخرجت من كيسِ دهقانِ

ضربُه أبتر وهو «فعْلن» وأصله «فاعلاتن» فحُذِفَ فصار « فاعلا » فخلفه « فاعلن » ، ثم قُطِعَ فصار « فاعلْ » فخلفه «فعْلُن » . قال الأخفش في هذا البيت : « إنّه مُحدث ، ولا يجوزُ مثله لأنّه لم يجيء » . وقد ذكره الخليل وألحقه بالأبيات الصحاح . وأمّا البتر في المتقارب فبيتُه :

خليليّ عُوجا على رسمِ دارٍ خلتْ من سُلَيْمى ومن مَيّهْ

حُذِفَ « فعولن » في الضرب فصار « فعُو » ، وقُطِعَ بحذف الواو وإسكان العين فصارَ « فعْ» فسُمّي « أبتر » .

(٣) هو إسكان آخر الوتد المفروق ، أو هو إسكان السابع المتحرك ، وهو في « مفعولات » ويقع في السريع والمنسرح .

وإنْ حُذِفَ المفروقُ رأساً بأسره
فأصلمُ[١] ، والتشعيثُ[٢] من بعدُ مذكورُ
هو الوتدُ المجموعُ كان موسطاً
فأسقط حرفٌ منه والكلُّ محصورُ[٣]

---

(١) هو إسقاطُ الوتدِ المفروق من الضرب في السريع ، وبيتُه :

قالت ولم تقصد لقيل الخنا مهلًا لقد أبلغت أسماعي

(٢) هو سقوطُ أحد متحركي الوتد المجموع ، ومختصّ بالخفيف ، وهو في « فاعلاتن » جائز إذا كان ضرباً خاصة فيصير « فاعاتن » أو « فالاتن » فيخلفه « مفعولن » كقول الشاعر :

فاذهبي ما إليك أدركني الحلـم عداني عن وصلكم أشغالي

(٣) نظمها ابن عبد ربه في أرجوزته : ٥/٤٣١ :

وبعد ذا الأسبابُ والأوتادُ فإنها لقولنا عمادُ
فالسبب الخفيف إذ يُعدّ محرك وساكن لايعدو
والسبب الثقيل في التبيين حركتان غير ذي تنوين
والوتدُ المفروق والمجموعُ كلاهما في حشوه ممنوعُ
وإنما اعتلّ من الأجزاء في الفصل والغائي والابتداء
فالوتد المجموعُ منها فافهمن حركتان قبل حرف قد سكن
والوتد المفروق من هذين مُسكنٌ بين محركَيْنِ
فهذه الأوتاد والأسباب لها ثبات ولها ذهابُ .

« فصل »

فعولن إذا خرّمتَهُ(١) فهو أثلمُ(٢) فإنْ قبضوا مثلومَهُ فهو أثرمُ(٣)

مفاعلتن: إنْ خُرّمتْ فهو أعضبُ(٤) وأعضبُ في المعصوبِ لاشك أقصمُ(٥)

---

(١) هو سقوط أول الوتد المجموع في أوّل البيت، ويقعُ في الطويل والوافر والهزج والمضارع والمتقارب ، وتختلف أسماؤه باختلافِ مواضعِهِ ، وعلى حسب مايجتمع معه .

جاء في أرجوزة ابن عبد ربه : ٥/٤٣٤ :

والخرم في أوائل الأبياتِ يُعرفُ بالأسماء والصفاتِ
نقصان حرف من أوائل العددْ في كلّ ما شطر يُفكُّ من وتدْ
خمسة أشطارٍ من الشطورِ يُخرمُ منها أوّلُ الصدورِ

(٢) هو « فعولن » في الطويل والمتقارب ، فإذا خُرم صار « عولن » فيخلفه « فَعْلُنْ » كقوله في الطويل :

قوموا بني الفضل بثأر أبيكُمُ فإنّ أخا الحرب يقوم على ساقِ

وكقوله في المتقارب :

لاتعجلنّ هداكَ المليكُ فإنّ لكلّ مقامٍ مقالا

(٣) هو اجتماعُ الخرْمِ والقبض وذلك في « فعولن » ، ويقع في الطويل والمتقارب .

(٤) ( العضب ) : ويختصُّ بالوافر وهو في « مفاعلتن » ، فإذا خُرم صار « فاعلتن » فيخلفه « مفتعلن » ، وبيته :

إن نزلَ الشتاءُ بدارِ قومٍ تجنّبَ جارَ بيتهم الشتاءُ

(٥) هو اجتماعُ العَصْب والعضب وذلك في الوافر بخاصة .

وأقصمُ: إما كُفَّ سمي أعقصا(١) وخرمُ مفاعيلن هو الحقُّ أخرمُ(٢)
فإنْ كُفَّ في المخرومِ منه فأخربُ(٣) وخرمٌ فقبضٌ أشترٌ(٤) متفهمُ
إذا كان خرمٌ بعد عقلٍ فرسمُه أجمُ(٥). وبابُ الخرمِ قدتمّ فاعلموا

« فصل »

إذا زادَ حرفٌ ساكنٌ بعد ساكن على وتدٍ فهو المُذال المُذَيَّلُ(٦)
وإنْ زيدَ في أسبابِهِ فهو مُشْبعٌ وقد قيل فيه: مسبغٌ(٧) أو مطوَّلُ

(١) ( العقصُ ) : هو اجتماعُ الخرم والنقصِ . والنقص: اجتماعُ العَصْب والكفّ . والعقصُ والنقصُ مختصان بالوافر .

(٢) هو « مفاعيلن » في الهزج بخاصة كقوله :

أدّوا ما استعاروه كذاك العيش عاريَةْ

(٣) هو اجتماعُ الخرم والكفّ في الهزج والمضارع .

(٤) هو اجتماع الخَرْم والقَبْض ويقع في الهزج .

(٥) هو اجتماع الخَرم والعقل وذلك في الوافر ، وبيته :

أنت خيرُ منْ ركبَ المطايا وأكرمهم أباً وأخاً ونفسا

(٦) هو زيادةُ ساكن على وتدٍ مجموع في آخر الضرب ، وهو في البسيط وبيته :

غداً مقامي قريباً من أخي كلُّ امرىء قائمٌ مع أخيهْ

وفي الكامل وبيته :

جدثٌ يكونُ مقامُه أبداً بمختلف الرّياحْ

(٧) ( التسبيغ ) : هو زيادة ساكن على السبب الخفيف في « فاعلاتن » في الرمل ، وذلك في الضرب الرابع المجزوء ، وبيته :

ياخليليَّ اربعا واستخبرا رسماً بعسفانْ

وَإنْ زِيدَ فيه آخراً سببٌ على مُوَتَّدِه فالضربُ فيه مُرَفَّلُ[١]
وَإنْ جاءَ ضربٌ زائدٌ عن عروضِهِ على الأصلِ فالتتميمُ فيه موصَّلُ

« فصل »

هو الموفورُ ما لا خرم فيه وسالِمُهُ السليمُ من الزّحافِ
وجائيه على أصلٍ تمامٌ بلا عللٍ عَرَضْن ولا انكشافِ
وما لحق اعتلالٌ منه ضرباً وفصلاً فهو وافي الأصلِ وافِ
وما سلم العروضُ عن اعتلالٍ وأضر"به الصحيح بلا خلافِ
وجزءٌ لم يرد فيه الذي قدْ يُزادُ فذا مُعَرّى[٢] فهو كافِ
وما قد صحَّ من عجزٍ وصدرٍ بريءٌ فادع واقنعْ بالكفافِ
وفي المنقوص مجزوءٌ كثيرٌ ومنهوكٌ وشطرٌ بانتصافِ
وإن زيدتْ بأوّلهِ حروفٌ فذا[٣] خزمٌ لذي أصل القوافي

انتهت بعونه تعالى

---

(١) ( الترفيل ) : هو زيادة سبب خفيف على الوتد المجموع في « متفاعلن » وذلك في الكامل ، في الضرب السادس المجزوء منه ، وبيته :

وردت عليَّ بهـا الهمو مُ لكلِّ واردةٍ مَصَادِرْ

(٢) ( المعرى ) : هو الذي لم تلحق آخر الضرب زيادة ليست منه .

(٣) (الخزم) : بالزاي المعجمة ، هو زيادة على وزن البيت في أوله ، وأول نصفه عند الأخفش . وليست تلك الزيادة من الوزن ولا هي مما يُعتدُّ به . ولم يذكر الخليل الخزم لأن هذا ليس من الشعر ولا هو داخل في العروض . =

. . . . . .

= وأنشد الأخفش [ من الرمل ] :

كلما رابك مني رائب [و] يعلمُ الجاهلُ مني ماعلم

استشهاداً على الخزم في أول نصف البيت الثاني .

ومن الخزم قولهم :

[و] إذا أنت جازيتَ امرءاً سوء فعله

أتيت من الأخلاق ماليس راضيا

وجاء الخزم بحرفين ، كقوله :

[قد] فاتني اليوم من حديـ ـثك ما لست مدركهْ

وجاء الخزم بثلاثة أحرف ، كقوله :

[إذا] خدرتْ رجلي تذكرتُك يا فوز كيما يذهب الخدرُ

وجاء بأربعة أحرف كقول الإمام علي — رضي الله عنه — :

[اشدد] حيازيك للموتِ فإنّ الموت لاقيكا

ولا تجزعْ من الموتِ إذا حلّ بناديكا

قال المبرد في الكامل : ١٢٨/٢ :

« والشعرُ إنما يصحُّ بأن تحذف « اشدد » فنقول :

حيازيمَك للموتِ فإنّ الموتَ لاقيكا

وقال ابن رشيق القيرواني في العمدة : ١٤١/١ :

« وليس الخزم عندهم بعيب ، لأن أحدهم إنما يأتي بالحرف زائداً في أول الوزن ، إذا سقط لم يُفسد المعنى ، ولا أخلّ به ولا بالوزن ، وربما جاء بالحرفين والثلاثة ، ولم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف » .

بغداد : كلية الآداب بهجة باقر الحسني

## المصادر

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب – لياقوت الحموي ، تحقيق مرجليوث ، طبع في مصر سنة ١٩٢٥ .

الإقناع في العروض وتخريج القوافي – للصاحب بن عباد، تحقيق الشيخ آل ياسين طبعة بغداد ١٣٧٩

أذهاب العروض في إذهاب الغموض – للسخاوي، مخطوطة في مكتبة السليمانية استانبول ( رئيس الكتاب ٩٩٠)

الإرشاد الشافي – للدمنهوري ، طبعة أولى .

الأعلام – لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية ١٩٥٤ – ١٩٥٩ .

بغية الوعاة – للسيوطي ، طبعة أولى سنة ١٣٢٦ هجرية بمصر .

تاج العروس – لمحمد مرتضى الحسيني، مطبعة الخيرية في القاهرة سنة ١٣٠٦ هجرية

شرح تحفة الخليل – للأستاذ عبد الحميد الراضي، مطبعة العاني في بغداد سنة ١٩٦٩

العمدة – لابن رشيق القيرواني ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٠٧ م .

فن التقطيع الشعري والقافية – للدكتور صفاء خلوصي ، الطبعة الثالثة في بيروت سنة ١٩٦٦ م .

الفصول والغايات – للمعري ، تحقيق محمود حسن زناتي ، طبعة بيروت ١٩٦٤ .

الفهرست – لابن النديم . المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٨ هجرية .

الفوائد الألوسية على الرسالة الأندلسية – سعد الدين الألوسي مخطوطة في مكتبة الأوقاف ببغداد رقم (٥٦٦٥) .

القسطاس المستقيم في علم العروض – للزمخشري ، تحقيق الدكتورة بهيجة الحسني ، طبع في النجف سنة ١٩٧٠ .

# تعقيب على أرجوزة في العروض (١)

بقلم الأستاذ راتب النفاخ

١ – تسمية هـذا النص « أرجوزة » لا تصح ؛ فإنه ليس من الأراجيز في شيء . وكان الأولى أن يدعى «منظومة» فإن الأراجيز إنما تكون من مشطور الرجز، أو مشطور السريع،وقد تكون من منهوك الرجز، أو منهوك المنسرح. وهـذه المنظومة بنيت على أبحر شتى ، فيها الطويل ، ومجزوء الوافر ، ومخلع البسيط ، والمنسرح ، والسريع ، والرجز التام ، والوافر التام .

٢ – ما نسبته المحققة ، ص : ٨٤٧ – ٨٤٨ إلى الوليـد بن عتبة من كلام في القرآن ( نقلاً عن مخطوط : إذهاب العروض في إذهاب الغموض ) المشهور أنه من كلام عدو الله الوليـد بن المغيرة ، وله روايات شتى . انظر سيرة ابن هشام ٢٧٠/١ ( ط . الحلبي الثانية ) وتفسير القرطبي ١٩/٧٢ – ٧٣ .

٣ – جاء البيت الأول من المنظومة على هذه الصورة :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن  لوزن طويل الشعر فاحفظه واذكر

وكان الأولى أن تجعل عروضه « مفاعلن » فإن عروض الطويل لا تكون إلا مقبوضة ، وأمثـال هذا الضابط لا ينظر فيها إلى أصل الجزء . ويعزز ذلك أن ضرب البيت مقبوض .

---

(١) نظر الاستاذ راتب النفاخ في المقال السابق « أرجوزة في العروض » وسجل الملاحظات التالية . والمجلة تشكر له ذلك .

٤ – جاء ص : ٨٥١ ضابط الهزج والرجز كما يلي :

وفي هزج مفاعيلن وذا رجز لمنكوسهْ

ولم يتجه لي النصب في « ذا رجز » ولعل الصواب « وذو رجز » .

٥ – جاء ص : ٨٥٢ ضابط المتقارب والمحدث كما يلي :

ومن فعولن بحرُ متقارب ومحدث من فاعلن كلّهْ

وصدر البيت – وهو من السريع – لا يتزن على هذا الضبط . والظاهر أن صواب ضبطه « ... بحرُ متْقاربٍ » بإسكان التاء من « متقارب » وإضافة « بحر » إليه. ثم إن الجر في « كله » لم يتضح لي فيه وجه ، والظاهر أن صاحب المنظومة أقوى فيه ، وهو من فاحش الإقواء لمكان هاء الصلة .

٦ – عرّفت المحققة ص : ٨٥٣ ، التعليق : ٦ « الوقص » بقولها : « هو إسقاط الثاني الساكن بالإضمار ... » ثم عرفت ص : ٨٥٤ ، التعليق : ٢ « العقل » بقولها : « هو حذف الساكن الذي سكن بالعصب » . وهو موافق لمذهب صاحب المنظومة . وكان يحسن أن تشير إلى أن المشهور من مذاهب العروضيين أن الوقص حذف الثاني المتحرك،وأن العقل حذف الخامس المتحرك من غير ما تقدير للإسكان فيها أو لا .وانظر في المسألة العيون الغامزة،ص:٢٩ .

٧ – جاء ص : ٨٥٥ التعليق : ١ في تعريف المحققة لـ «القطف» –: «...فلما كثرت فيه الحركات حذفوا السبب الأخير وسكنوا السبب الذي قبله » . والصواب « ... وسكنوا ثاني السبب الذي قبله » كما جاء في كلامها قبل أسطر .

٨ – عرفت المحققة «الكسف» ص : ٨٥٥ التعليق : ٣ بقولها : «الكسف» بالسين المهملة : هو اجتماع الطي والوقف ، وذلك في السريع خاصة » . وهو خلاف قول صاحب المنظومة الذي شرحته بقولها هذا ، وذلك أنه قال :

وإن حذفوا الحرف المحرك آخراً   من الوتد المفروق فالجزء مكسوف

فـ « الكسف » حذف المتحرك الأخير من الوتد المفروق ، فتؤول « مفعولاتُ » إلى « مفعولا » وتنقل إلى « مفعولن » . وهذا هو المعروف عند أصحاب هذا العلم . ومنهم من يقول : « الكشف » بالشين المعجمة .

٩ – قال صاحب المنظومة ، ص : ٨٥٦ بعد تعداده العلل :

وقد تشرك الغايات فيه فصولها   فتسمى بما تسمى به وهو مألوف

وكان يحسن أن يشرح المعني بـ « الفصل » و « الغاية » . والفصل : هو ما اعتل من الأعاريض ، والغاية : ما اعتل من الضروب . انظر العقد ٥/٤٢٨ ، والعمدة ١/١٤٥ . والمعيار في أوزان الأشعار ، ص : ٢٦ .

١٠ – جاء ص : ٨٥٦ :

إذا سبب أسقطت حرف سكونه   وأسكنت من باقيه فالحرف مقصور

وأظن لفظ « فالحرف » تصحيفاً صوابه : « فالجزء ... » كما قال ، ص : ٨٥٥ :

وإن حذفوا الحرف المحرك آخراً   من الوتد المفروق فالجزء مكسوف

١١ – جاء عقب البيت السابق أيضاً :

وحذفكه رأساً ومن بعدِ قطعِهِ   فأبتر إجماعاً وقد قيل : مبتور

وأظن صواب ضبطه « ... ومن بعدُ قطعُه » . يريد أن « البتر » هو حذف السبب الخفيف في آخر الجزء ، ثم قطع الوتد المجموع الذي قبله بحذف ساكنه وإسكان ما قبله ، فتؤول « فاعلاتن » إلى « فعْلن » بسكون العين ، و « فعولن » إلى « فعْ » .

١٢ – جاء في ختام الأبيات التي عدد فيها العلل ، ص : ٨٥٧ :

وإن حذف المفروق رأساً بأسره فأصلم ، والتشعيث من بعدمذكور
هو الوتد المجموع كان موسطا فأسقط حرف منه والكل محصور

وعلقت المحققة على ثاني البيتين بقولها : « نظمها ابن عبد ربه في أرجوزته ٥/٤٣١ » ثم ساقت الأبيات التي ذكر فيها الأوتاد والأسباب . فالتعليق واقع في غير محله ، والبيت الذي علقت عليه بهذا إنما هو بيان للمراد بالتشعيث . ومعنى البيت أن التشعيث إسقاط حرف متحرك من الوتد المجموع الواقع في وسط الجزء ، ولا يكون ذلك إلا في « فاعلاتن » الواقع ضربا في البحر الخفيف خاصة .

# التعريف والنقد

## كتاب الرد الشافي الوافر

## على مَن نَفَى أميّة سيد الأوائل والأواخر

تأليف

العلاّمة أحمد بن حجر آل ابن علي (ر) قاضي المحكمة الشرعية بقطر

**بقلم الأستاذ محمد بهجة البيطار**

القرآن الحكيم الذي أُنزل على النبيّ الأميّ العربيّ سيدنا محمد ، ذي الخُلُق العظيم ، هو الآية الإلهية الكبرى ، والمعجزة الإسلامية العظمى ، بل هو معجزة المعجزات ، التي أيّد الله تعالى بها أنبياءه ورسله .

وفي أول هذا الكتاب (البالغ ٢٥٠ صفحة) ذكر سيرته الشريفة العاطرة، وشمائله الرفيعة الطاهرة ، منقولة عن أصدق المصادر وأوثقها ، وليس فيها أنّه ﷺ خرج من حَيِّز الأميّة ، وأصبح قارئاً وكاتباً ، بعد أنه لم يقرأ ولم يكتب . وبعد أن انتهى من ذلك نقل للقرّاء الكرام تفسير ( الأمي ) من قواميس اللغة العربية المشهورة المتداولة ، ومن مؤلفات القدماء والمحدثين ، وهو أن ( الأمي ) مَن لم يقرأ ولم يكتب .

وقد جاء الإسلام وليس في قريش إلا سبعة عشر كاتباً ، وعدّ منهم في كتاب فجر الإسلام عُمر وعليّا ، وعثمان، وأبا عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، واستكتب الرسول منهم ما كان ينزل من القرآن ، وكان أُبي بن كعب

الأنصاري وزيد بن ثابت من كتّاب الوحي المحمدي . وقد كان النبي ﷺ أمياً ، وكان ذلك كمالاً في حقه ، وبالنسبة إلى مقامه الشريف ، وليست الأمية كمالاً في حقنا نحن ، إذ هو صلوات الله عليه منقطع الى ربّه ، ونحن متعاونون على الحياة الدنيا ، شأن الصنائع كلها .

وقد نقل الأستاذ المؤلف عن المؤرخ الشهير ابن خلدون أنّ الكتابة في العرب كانت أعز من بيض الأنوق ، (قال): وكفى بابن خلدون علماً واطلاعاً، وفي قول النبي: ما أنا بقارىء -بدخول الباء الجارّة- ما يفيد التقوية والتأكيد، والتقدير: لستُ بقارىء ألبتة ، وفي إعادتها ثلاث مرات نفي صريح مزيل للشك والارتياب في أميّته صلوات الله وسلامه عليه .

ومن الآيات الكريمة الناصّة على أمية النبي العربي قوله تعالى في سورة الأعراف ( الآية ١٥٦ ) : « الذين يتّبعون الرسول النبيّ الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » وقد وصف ﷺ بأنه أميّ - تنبيهاً على أن كمال علمه - مع حاله - أي أميته ، إحدى معجزاته ، فهو بالنسبة إليه - بأبي هو وأمي صفة مدح - وأما بالنسبة لغيره فلا .

كان ﷺ يقرأ عليهم كتاب الله منظوماً مرة بعد أخرى من غير تبديل ألفاظه ، ولا تغيير كلماته ، فكان ذلك من المعجزات ، وهذا هو المراد من قوله تعالى : « سنقرئك فلا تنسى » فهو مع اميته قد جاء بأعلى العلوم النافعة التي بها يصلح ما فسد من عقائد البشر وأخلاقهم ، وآدابهم وأعمالهم . وهو الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، بحيث لا يشك أنه هو ، فقد جاء في الباب الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «جاء الرب من سينا ، وأشرق لنا من ساعير، واستعلى من جبال فاران ، ومعه ألوف الأطهار ، في يمينه قبس من نار » . فمجيئه من سينا : إعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام .

وإشراقه من ساعير: إعطاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام.

واستعلاؤه من جبال فاران: إنزاله القرآن، لأنّ فاران من جبال مكة. اهـ

ومن شواهد العلاّمة ابن حجر (وهي من الحقائق التي لا تحتمل الجدل) أنّ الذين شاهدوا الرسول وأحاطوا بأحواله من صغار الأمور وكبارها، ثم جاء من بعدهم التابعون وتابعوهم يجهرون ويعلنون للأمة أن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب، ودرج من بعدهم على منوالهم أعلام الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمؤرخين. ثم يأتي حضرة الأستاذ بعد أربعة عشر قرناً فيدعي أنه قد عرف من أحوال الرسول ﷺ ما لم يعرفه الصحابة الأجلاء كالخلفاء الراشدين، وابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب — وما لم يعرفه التابعون الأخيار، وسائر العلماء الأبرار من عصر صاحب الرسالة حتى يومنا هذا!!!

وفي ختام هذه الكلمة نقول: «الحمد لله الذي منّ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين» فهدى إلى سبيل الرشاد، وجاهد في الله حق الجهاد، حتى ظهر دين الله وعلت كلمته، وشملت رحمته، وتمت نعمته، صلوات الله عليه وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد فالشكر كل الشكر للعلامة الجليل، السلفي المحقق، الشيخ أحمد بن حجر، قاضي المحكمة الشرعية بقطر، فقد ردّ مزاعم كل من تقوّل على الله ورسوله والصحابة الكرام، ومن تبعهم بإحسان، بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين، ردّهم الله تعالى إلى الصواب، وزاد الأستاذ المؤلف إحساناً وتوفيقاً. وكتبه الضعيف:

محمد بهجة البيطار

# البيان في غريب إعراب القرآن

## لأبي البركات ابن الأنباري

تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه ومراجعة الأستاذ مصطفى السقا

الناشر : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر — القاهرة ١٩٦٩

بقلم الدكتور إبراهيم السامرائي

من المفيد أن يضطلع المحقق الفاضل بنشر هذا الكتاب النحوي ، ذلك أن النحو لم يحظ بعناية المحققين في عصرنا . ولعل ذلك كان بسبب أن المهم من كتب النحو العربي قد نشر . وليس هذا سبباً موجباً إلى العزوف عن نشر التراث النحوي .

لقد عني الدكتور طه عبدالحميد طه بنشر « البيان في غريب إعراب القرآن » لابن الانباري وتحقيقه فجاء عمله مفيداً استحق الشكر والثناء .

وقد بدا لي أن أنبه على شيء في هذا الكتاب وفي عمل الأستاذ المحقق، وهي مسائل طفيفة لاتغض من قيمة هذا العمل الكبير ، ولقد قيل : لاتعدم الحسناء ذاما .

١ — أقول : جاء في الصفحة (٥) من المقدمة : ودفن يوم الجمعة بباب أبرز . وقد علق الأستاذ المحقق الفاضل على « أبرز » في الحاشية (٣) بقوله « اسم المقبرة التي دفن فيها ( باب أبرز ) هي إحدى مقابر بغداد » .

أقول : باب أبرز ليس مقبرة من مقابر بغداد بل هي محلة من محالّ بغداد في عصر المؤلف وقبله وبعده . وهذا معروف لكل من يعرف خطط بغداد العباسية . وأظن أن الذي أوقع المحقق في هذا الوهم قول القفطي في « الإنباه »

٢/١٧١ : « ودفن يوم الجمعة بباب أبرز بتربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي » وليس في هذا القول مايشعر أن « باب أبرز » مقبرة .

٢ - ثم يكتب المحقق في هذه المقدمة في الصفحة عينها « حياته » .

أقول : كان الأولى بالمحقق وهو يحقق كتاباً من كتب التراث النحوي أن يستعمل الكلمة التي استعملها القدماء وهي « السيرة » لا « الحياة » التي جاءت إلى العربية ترجمة للكلمة الأعجمية « Vie » الفرنسية أو « Life » الإنكليزية . على انه لاضير من استعمال « الحياة » بمعنى السيرة في لغتنا الحديثة.

٣ - وجاء في الصفحة ( ٦ ) : « المسائل الخرسانية » وهو اسم كتاب من مصنفات ابن الأنباري .

أقول : والذي جاء في كتاب « الوافي » للصفدي (انظر هامش ١ في ٢/١٧٠ إنباه الرواة ) أن الكتاب « رتبة الإنسانية في المسائل الخراسانية » لا المسائل « الخرسانية » كذا .

٤ - وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على « تاريخ الأنبار » من كتب المصنف قوله : « فإذا قيّض لهذا الكتاب أن يظهر ، فإني أعتقد أنه سوف يلقي ضوءاً على حياة رجلنا وغيره من الرجال الذين ينتسبون لهذا البلد » .

أقول وأكرر مقالتي المتقدمة : إن الكتاب من كتب التراث اللغوي القديم ، وعلى هذا ينبغي أن يلبس هذا الكتاب من الحلة ما هو جدير به ، أعني أن تكتب المقدمة بلغة سليمة قوية بعيدة عن الفصيحة الدارجة المستعملة في عصرنا لأن الكتاب للمختصين وليس لعامة القراء ، وعلى هذا فلا أرى حاجة لاستعمال المحقق « إنه سوف يلقي ضوءاً على حياة « رجلنا » إن استعمال « رجلنا » تنأى عن اللغة الفصيحة . ألا ترى أنها ترجمة من لغة أعجمية كالفرنسية مثلاً Notre homme ثم إن إلقاء الضوء على حياة . . . » من المجازات المولدة المترجمة.

بقي شيء آخر ينبغي أن يستبعد من مقدمة لكتاب نحوي وهو استعمال

حرف الجر في قول المحقق « ينتسبون لهذا البلد » والوجه أن يقال : ينتسبون إلى البلد .

٥ – وجاء في الصفحة نفسها قول المحقق : « ومهما يكن من أمر ، فهو الفقيه المتفنن، صاحب التصانيف المفيدة، والورع والزهد ، كان إماماً صدوقاً..» أقول : إن قول المحقق « ومهما يكن من أمر ، فهو الفقيه ... » يوحي أن أحداً قد نال من منزلته أو أنه قصّر في العلم أو أنه كان غرضاً للناقدين ... والحقيقة أن ليس شيء من ذلك في مقدمة المحقق ، وعلى هذا لم تكن العبارة موفقة . ثم إن الكلام على منزلته العلمية ، لأن المحقق يقول « ... فهو الفقيه المتفنن صاحب التصانيف المفيدة» وعلى هذا لا حاجة أن يعقب المحقق على عبارته « التصانيف المفيدة » بقوله « والورع والزهد » لأن ذلك يكون عند الكلام على أخلاقه أو صفاته مثلاً .

٦ – وجاء في الصفحة ٨ في الكلام على شعر المصنف قول المحقق « ولئن لم يعجبنا هذا الشعر من الناحية الفنية ، وهذا ملحظ على كل ما يصدر عن العلماء من شعر ، ولكن صدقه ودلالته القلبية واضحة ».

أقول : هذه العبارة غير مفهومة بسبب أن المحقق قد كتب المقدمة بسرعة فلم يعد إليها ، أو أنه قد كتبها فأساء الطابع إليها فجاءت على ما هي عليه. وإن استعمال « لئن » في صدر أي جملة يشعر أن الجملة شرطية مسبوقة باللام التي سميت موطئة للقسم ، وعلى هذا يكون الجواب للقسم ، في حين أن جملة المحقق خالية من الجواب ولذلك انبهم معناها .

ولقد خفي هذا الاستعمال في لغة عصرنا ذلك أن الكتاب يجعلون الجواب للشرط في هذه الجملة المصدرة باللام فيقولون مثلاً :

لئن لم تأتني فإني سأكون في حلّ منك .

والصحيح عدم استعمال الفاء في الجواب ذلك أن الفاء من مقتضيات الشرط

والصحيح « إني سأكون » ، قال تعالى : لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد » .

وهذا الغلط من الأغلاط القديمة عند الكتاب والشعراء .

٧ - وجاء في الصفحة نفسها قول المحقق « ولم يتتلمذ على أحد بعده » .

أقول : كان الأولى والأحسن أن يقال « ولم يتتلمذ لأحد » .

٨ - وجاء في الصفحة نفسها ذكر كتاب « نزهة الألبا » (كذا) كما ورد اسم الكتاب نفسه في الصفحة ١٧ في الكلام على مؤلفاته « نزهة الألبا في طبقات الأدبا » ثم جاء اسم الكتاب في صفحات أخرى .

أقول : الصحيح نزهة الألباء (بالمد) في طبقات الأدباء (بالمد أيضاً) وليس من موجب إلى القصر ، وأظن أن المحقق قصر الألباء والأدباء بسبب الطبعة الحجرية للكتاب (١٢٩٤ هـ) التي جاء فيها اسم الكتاب بالقصر لا بالمد . وهذا كثير في الطبعات القديمة التي قلّد فيها أسلوب المخطوطات القديمة التي تهمل رسم الهمزة في الأسماء الممدودة .

قلت : ليس من سبب للقصر وذلك لأن القصر قد يكون لغرض السجع مثلاً كما في كتاب السلاوي المغربي في كتابه « الاستقصا (كذا) في أخبار المغرب الاقصى » فقد قصر « الاستقصاء » مراعاة للسجع .

ومن الغريب أن المحقق لم يشر إلى الطبعات الأخرى من نزهة الألباء ، ومن المعلوم أن طبعتين للكتاب كانتا في القاهرة : أولاهما طبعة علي يوسف ، والأخرى طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٩٦٧ كما لم يشر إلى الطبعة البيروتية ١٩٦٢ ، والطبعة البغدادية ١٩٦٠ ، وكل هذه النشرات تثبت « نزهة الألباء في طبقات الأدباء » بالمد لا بالقصر .

٩ — وفي الصفحة ٩ جاء في كلام المحقق على « مذهبه النحوي » قوله « ... وأخذه ( أي النحو ) عيسى بن عمر عن أبي إسحاق » .

أقول : والصواب : «ابن أبي إسحاق» ، وهو عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي» .

١٠ — وفي الصفحة ١٠ جاء قول المحقق « وبتأثيره عليه» .

أقول : هذا من لغتنا العربية الدارجة ، ذلك أن حرف الجر مع مادة أثـّر ومشتقاتها هو « في » لا « على » .

١١ — وفي الصفحة نفسها جاء قول المحقق « وكذلك الرسائل التي ذكرتها كتب التراجم ، فهي جميعاً يغلب عليها صفة النحو » .

أقول : الأفصح أن يقال : «فهي جميعها يغلب عليها ...» ذلك أن التوكيد بـ « جميع » أحسن وأصح من نصب جميع على الحالية .

١٢ — وفي الصفحة ١٢ جاء قول المحقق : « وهكذا حقق ابن الأنباري الأمنية التي طالما داعبت أذهان علماء النحو من القديم » .

أقول : ربما كانت هـذه المقدمة النحوية في غنى عن استعارة « المداعبـة » لأذهان علماء النحو من القديم ( كذا ) !

١٣ — وفي الصفحة ١٥ جاء من مصنفات المؤلف « عمدة الأدباء في معرفة ما يكتب بالألف والياء » .

أقول : لم يفطن المحقق الفاضل إلى اسم هذا الكتاب وكيف جاءت الأدباء بالمد لا بالقصر ، فيتخذ منها ما يفيده في تصحيح «نزهة الألبا في طبقات الأدبا» التي وردت بالقصر مراراً عدة .

١٤ — وجاء في الصفحة ٢٠ قول المحقق « ... وبخاصة الفقه الشافعي الذي تفقه فنه في النظامية » .

أقول: الصواب أن يقال: فقِه مثل (فرح) فنه، لا تفقـّه الذي يعني تعاطى الفقه وهو قاصر لا متعد.

١٥ – وجاء في الصفحة ٢٢ قوله: «كل ذلك يقدمه مدعَماً بالدليل النقلي والعقلي».

أقول: ليس في مادة (د ع م) بناء «أدعم» وبناء «دعّم» الرباعيان، ذلك أن الثلاثي «دعم» هو المستعمل المعروف، وعلى هـذا يكون الصواب «مدعوماً» وهو اسم المفعول من الثلاثي.

١٦ – وجاء في الصفحة ٢٣ قول المحقق: «بعد هذا وفي نفس الصفحة عنوان الكتاب».

أقول مكرراً مقالتي السابقة: إن مقدمة في النحو لا بد أن تكون سليمة مما يخالف القواعد النحوية.

إن الأسلوب الفصيح في التوكيد بالنفس والعين أن يأتي لفظ التوكيد بعد الاسم المؤكد (بفتح الكاف) لا قبله. وعلى هذا يكون الصواب أن يقول: «بعد هذا وفي الصفحة نفسها عنوان الكتاب».

١٧ – وجاء في الصفحة ٢٨ قول المحقق: «وأسندت الأشعار بعد تتبعها في مظانها من الدواوين وكتب اللغة والمعاجم».

أقول: لعل المحقق الفاضل أراد بـ «إسناد الأشعار» نسبتها إلى قائليها، والنسبة هي المستعملة المعروفة، ذلك أن الإسناد متصل بالرواية التي طبع بها الحديث الشريف ثم تجاوزته إلى الأخبار والتاريخ.

ثم كان الأحسن أن يجمع «معجم» على «معجمات» لا معاجم وذلك لأن مفعل بزنة اسم المفعول لا يجمع على «مفاعل» وشذ «مصاحف» توهماً أن المفرد «مِصحف» «بكسر الميم وفتح الحاء» وقد استعمله السجستاني فسمى كتابه «المصاحف» ولم يؤثر شيء آخر من هذا الباب.

١٨ ـ وجاء في الصفحة ٣٣ قول المؤلف : « وقيل أصله « لاهٌ » في الكلام على لفظة الجلالة ـ والألف فيـــه منقلبة عن ياء كقولهم : لَهِي أبوك يريدون لله أبوك ، فأخّرت اللام إلى موضع العين لكثرة الاستعمال » .

أقول : إن قول المؤلف (ابن الأنباري) إن الألف في «لاه» منقلبة عن ياء ، اقتضى أن يكون الأصل « لَيَهٌ » بفتح اللام والياء ، ثم قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، وهي قاعدة صرفية معروفة .

ثم قال : إنهم قالوا « لَهِي أبوك » وقد ضبط المحقق الكلمة بفتح اللام وكسر الهاء. والكسر في الهاء لايحقق القاعدة الصرفية المشار إليها ، ثم حدث فيها القلب المكاني فقدّمت اللام إلى موضع العين . ولا وجه أن يقال « أخرت » كما ورد في النص، وأحسب ذلك من خطأ الناسخ .

١٩ ـ وجاء في الحاشية ٣ صفحة ٣٥ تعريف موجز بأبي عمرو بن العلاء وهو من صنع المحقق فقال : « إمام في اللغة والنحو والشعر ، أخذه عن أئمتها : أبو زيد ، أبو عبيدة والأصمعي بن عمار بن العريان (كذا) . . . » .

أقول : إن قارىء الكتاب قارىء خاص أو خاص الخاص ، فهو في غنى عن أن يعرّف بعلم من أعلام العربية المشهورين .

ثم : إن هذا التعريف الموجز لم يعرف بأبي عمر بن العلاء، بل صوّر أبا عمر بصورة لانعرفها . وذلك أن أبا عمر توفي سنة ١٥٤ هـ كما أثبت المحقق، وكما هو معروف في ترجمته ، فكيف يكون قد أخذ عن الأئمـــة : أبي زيد المتوفى سنة ٢١٥ هـ وأبي عبيدة المتوفى سنة ٢١٣ هـ والأصمعي المتوفى سنة ٢١٣ هـ .

والصحيح أن أبا عمرو بن العلاء قد أخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي ، وأخذ عنه يونس بن حبيب والخليل بن أحمد وأبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي . وروى الأصمعي عن الخليل عن أبي عمرو .

ولا أدري من يكون الأصمعي بن عمار بن العريان ! إن الأصمعي المشهور هو عبد الملك بن قريب .

بقي أن نقول في بناء العبارة شيئاً . قال المحقق « إمام في اللغة والنحو والشعر ، أخذه عن أئمتها : أبو زيد ، أبو عبيدة والأصمعي بن عمار بن العريان ( كذا ) » .

لا أدري عودَ الضمير في « أخذه » ، أعلى « اللغة » يعود أم على « النحو » أم على « الشعر » ! ولا أدري أيضاً عود الضمير في « أئمتها » . ثم لِمَ رُفعت الأعلام أبو زيد ، أبو عبيدة والأصمعي وكان حقها أن تجرَّ .

ثم لم فصل بين « أبو زيد » و « أبو عبيدة » ولم يأت بحرف العطف الواو إلا في العلم الثالث وهو « الأصمعي » على نحو ما هو معروف في اللغة الإنكليزية ؟

ولم يشر المحقق في هذا التعريف الموجز إلى أن أبا عمرو كان من أصحاب القراءات وهو أحد السبعة المشهورين .

٢٠ — وجاء في الصفحة ٣٦ الشاهد :

« إليكَ حتى بَلَغتُ إياكا »

وهو شطر من رَجز لحميد الأرقط كما أشار الأعلم في حاشيته على « الكتاب » أما سيبويه فلم ينسبه إلى قائل ، وقد أشار المحقق في حاشيته (١) إلى هذه الفوائد .

أقول : الصواب أن الشطر : « إليكَ حتى بَلَغَتْ إيَّاكا »

فقد ضبط التاء في « بلغتُ » بالضم في الشطر الذي أثبته المحقق وبذلك ابتعد الوزن عن الرجز واستحال الى المنسرح .

ثم كان على المحقق أن يفطن إلى الوزن وهو الرجز بسبب أن حميد الأرقط راجز عرف بالرجز ، والشواهد اللغوية التي تنسب اليه كلها رجز .

٢١ – وجاء في الصفحة ٤١ : « ولّ حارّها من تولّى قارّها » .

وهو مَثَلٌ أورده المصنف شاهداً على همز « الضألين » في سورة الفاتحة في قراءة شاذة . والمثل يروى « وَلِّ حارّها من تولّى قارّها » وليس « ولّ » . انظر مجمع الأمثال ٣٦٩/٢

٢٢ – وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف : وعلى هـــذه اللغة قرىء في الشواذ : « وترى الشمس إذا طلعت تزوَأرُ عن كهفهم » أي تزوارُّ كما هي في القراءات المشهورة .

أقول : الصواب : « تزوئِرُّ » بكسر الهمزة لابفتحها .

٢٣ – وجاء في الصفحة ٦٩ الحاشية (١) تعريف بالكسائي وفيه أنه توفي سنة ٢٨٤ هـ .

أقول : والصواب أنه توفي سنة ١٨٣ هـ أو ١٨٢ هـ أو ١٨٩ هـ ولعل ذلك من خطأ الطبـع .

٢٤ – وجاء في الصفحة ٧١ بيتان للفند الزماني من قصيدة في الحماسة وقد كتبا على أنهما بيت واحد على النحو الآتي :

مشينا مشية الليث غدا والليث غضبانُ

بضربٍ فيه تفجيع وتخضيع وإقرانُ

والحقيقة أنهما بيتان وهما من الهزج وقـد نسبا في حاشية المحقق إلى الفند الزقاني ( بالقاف ) وهو من خطأ الطبـع .

٢٥ – وجاء في الصفحة نفسهـا الحاشية (١) تعريف بسيبويه وقـد أشار المحقق إلى مصدره في هذا التعريف وهو « طبقات الزبيدي » . وهذه أول مرة يشير المحقق إلى مصدر حين يعرّف بالأعلام في حواشيه .

٢٦ – وجاء في الصفحة ٧٣ الحاشية (١) تعريف بالخليل بن أحمد وفيه ... « انه مخترع علم العروض » .

أقول : لابد من التعليق على « مخترع » هذه لانها ليست معروفة مستعملة في ذلك العصر او في الأقل في مثل هذه المادة اللغوية ، فقد جاء في « نزهة الألباء » أن الخليل استخرج العروض ، وفي « الإنباه » للقفطي أنه استنبط العروض . أما مخترع واخترع واختراع فمن ألفاظ عصرنا هذا وإن كانت عربية معجمية ومعانيها كثيرة منها الإنشاء والابتداع .

٢٧ – وجاء في الصفحة ١١٧ الحاشية ، قول المحقق : « البيت من كلام الأقيشر السعدي واسمه المغيرة بن عبد الله » .

أقول : وهذا التعليق يفتقر إلى توثيقه بمصدر من مصادر الأدب القديم .

٢٨ – وجاء في الصفحة ٢٣ من الجزء الثاني تعليق للمحقق في الحاشية (٢) على شاهد نحوي هو :

من يكُ ذا بتٍّ فهذا بتيّ مصيّف مقيّظٌ مُشتّي

قال المحقق : من شواهد سيبويه ٢٨٥/١ ولم ينسبه ولا نسبه الشنتمري ، ونسب إلى رؤبة بن العجاج ، هامش شرح ابن عقيل ٢٢٣/١ .

أقـول : إن نسبة البيت في هامش شرح ابن عقيل هي من صنع الشارح وهو الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، وكان على الشيخ أن يوثق ذلك بمصدر قديم ولكنه لم يفعل ، فـكان على صاحبنا الأستاذ المحقق أن يقوم بهذا الأمر ولا يكتفي بتعليق الشيخ في كتاب مدرسي .

ثم إن الشيخ نسبه إلى رؤبة بن العجاج فكان على المحقق أن يرجع إلى ديوان رؤبة في كتاب « مجموع أشعار العرب » ليتحقق من البيت . وقد تحققت من ذلك فلم أجد البيت في المصدر المشار إليه .

٢٩ – وجاء في الصفحة ٢٦ تعليق المحقق على الشاهد النحوي :

ولبس عبــاءة وتقرّ عيني أحبُ إليّ من لبس الشفوف

قال المحقق : من شواهد سيبويه ٤٢٦/١ ولم ينسبه ولا نسبه الشنتمري ، ونُسب لميسون بنت بحدل . . . « شرح ابن عقيل » .

أقول : ونسب إلى ميسون . . . . في كثير من الكتب النحوية كالمغني وخزانة الأدب . ومن المفيد أن أقول إن المحقق يعدي مادة « نسب » إلى مفعولها باللام والصواب « النسبة إلى » .

٣٠ - وجاء في الصفحة ٤٨ تعليق المحقق على شاهد لغوي هو :

أقبل سيلٌ جاء من عند اللهْ يحرِدُ حَرْدَ الجنة المغلّهْ

فقال : « اللسان مادة ( غلل ) . . . . . . .

وهو من شواهد الخزانة ٣٤١/٤ ، ونسب الى قطرب بن المستنير » .

أقول : كان على المحقق أن يضع السكون على الهاء من « اللهْ » والهاء من « المغلهْ » وليس بالتاء . والبيت من الرجز والوزن يقتضي ذلك ، وهو كذلك في اللسان ( غلل ) وقد رجع المحقق إلى اللسان ولكنه لم يلتفت إلى ذلك .

ثم إن قوله في التعليق : « ونسب الى قطرُب بن المستنير » غير صحيح وذلك لان العلم الصحيح هو أبوعلي محمد بن المستنير البصري المعروف بقُطرُب . وعلى هذا كان قطرب غير علم .

٣١ - وجاء في الصفحة ٥٩ قول المصنف : « . . . . ثم حذف لام الأمر لتقدم لفظ الأمر ، واليه ذهب أبو إسحاق »

وقد علق الأستاذ المحقق على أبي إسحاق هذا فقال معرفاً به :

« هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ، كان عالماً بالأدب ، وله كتاب في مصادر القرآن ، وصنف كتاباً في غريب القرآن ، وكتاباً مختصراً في النحو » وأحال المحقق على ابن الأنباري في النزهة ص ٢٢٣ الطبعة الحجرية .

أقول : وقد تحققت من النص في « النزهة » في الطبعة نفسها فوجدت أن في تعريف الأستاذ المحقق بالمترجم شيئاً لاوجود له في « النزهة » فلم يصنف كتاباً في غريب القرآن وليس له كتاب مختصر في النحو . أما مصنفاته المذكورة في « النزهة » فهي : « ما اتفق لفظه واختلف معناه » و « مصادر القرآن » و « كتاب في بناء الكعبة وأخبارها » .

والذي أراه أن ترجمة المحقق لأبي إسحاق هذا ملفقة من ترجمتين في «النزهة» وهما لأبي اسحق هذا ولأبي إسحاق إبراهيم بن السري. والدليل على هذا ما ذكره المحقق الفاضل في تعريفه بأبي إسحاق إبراهيم بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي، وهو أن له كتاباً مختصراً في النحو وكتاباً في غريب القرآن. وقد رأيت في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج أن له كتاباً مختصراً في النحو وكتاباً في معاني القرآن كما في الإنباه ١/١٦٥ . ومن هنا يبدو أن المحقق قد لفق هذه الترجمة من الترجمتين ولعله نسي أنه نظر في « الإنباه » للقفطي .

والذي اراه أن المقصود بأبي اسحاق المثبت في نص ابن الأنباري هو الزجاج لا اليزيدي وذلك لشهرة الزجاج بالنحو ، وإن له كتاباً في « معاني القرآن » . و « كتاب المعاني » من غير شك كتاب أكثر مادته النحو وإن لم يصل الينا ، وذلك قياساً على « معاني القرآن » للفراء المطبوع الذي يعد أهم مانعرف من نحو الفرّاء .

٣٢ — ومن الغريب أن المحقق قد يعلق على الشاهد الشعري مرتين أو ثلاثاً والتعليق يتناول قائل البيت وفوائد أخرى، وقد تتكرر هذه التعليقات وتختلف فيا بينها للشاهد نفسه . وهذا كثير في الكتاب .

ويحسن بي أن أشير إلى أن الشواهد الشعرية قد تكون لشعراء أصحاب دواوين معروفة ، إلا أن المحقق لم يهتم بالرجوع الى هذه الدواوين وقد يعتمد على ورود البيت في « اللسان » في حين أن في النظر في ديوان الشاعر إفادة وتوثيقاً لاسيا تلك الدواوين المنشورة نشراً علمياً .

٣٣ – وجاء في الصفحة ١١٤ تعليق المحقق على الشاهد :

قَدْ نِيَ من نصر الخُبيبين قَدِي ليس الإمام بالشحيح المُلحِدِ

فقال : « من شواهد سيبويه ١/٣٨٧ ولم ينسبه ونسبه الشنتمري لأبي نخيلة».
ثم عاد المحقق فذكر : هو من كلام حميد الأرقط من أرجوزة . . . . .
وهذه النسبة الاخيرة جاءت غفلاً من أي مصدر يثبتها .

٣٤ – وجاء في الصفحة ١٤٥ الشاهد .

« أم الحليس لعجوز شهربة »

ثم أكمل المحقق في الحاشية الرجز وهو مشهور وقد ضبط « شهربة » بالتاء كما ضبط « الرقبة » بالتاء في الحاشية .

أقول : والصواب : ضبطها بالهاء وبه يستقيم الرجز .

٣٥ – وجاء في الصفحة ٢٢١ تعليق المحقق على بيت شاهد وهو قوله « البيت لذي الرمة غيلان بن عقبة » .

أقول : لقد مرّت قبل هذا الشاهد عدة شواهد لذي الرمة فعلق عليها المحقق ونسبها كما جاءت في كتاب سيبويه او غيره من الكتب إلا الديوان فلم يراجعه غير أن المحقق في هذا التعليق زاد على « ذي الرمة » بقوله : « غيلان بن عقبة » وهذا التعليق الأخير في غير محله .

٣٦ – وجاء في الصفحة ٢٥٠ تعليق المحقق على الشاهد :

ألا أيهذا الزاجري أحضُرُ الوغى وأن أشهدَ اللذات هل أنت مخلدي

والشاهد في حذف أن الناصبة ورفع الفعل « احضر » .

وقد كان التعليق أن البيت من شواهد سيبويه ، ولم يكتف المحقق بهذا بل راح يذكر موطن الشاهد وهو رفع الفعل ، وأسهب في ذلك وجاء برأي الكوفيين وهو النصب على إضمار أن .

أقول : إن هذا التعليق لا فائدة بـه فقد ذكره المصنف في نص الكتاب وجاء بالشاهد دليلاً عليه . ثم إن ذكر موطن الشاهد ليس من منهج المحقق في تعليقه على الشواهد الأخرى وهي كثيرة .

هذا جملة ما بدا لي من مسائل وأنا أقرأ هـذا السفر النفيس . على أن هـذه المسائل لا تشين هذا العمل الكبير الذي حققه الأستاذ الدكتور طه عبد الحميد طه فجاء نص الكتاب سليماً مبرءاً من التصحيف والتحريف .

بغداد : كلية الآداب إبراهيم السامرائي

* * *

# ملاحظات على كتاب

# (أبو زكريا الفراء)

## تأليف الدكتور أحمد مكي الأنصاري

مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في جمهورية مصر العربية : نشر الرسائل الجامعية - الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية - القاهرة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م - ٦٥٦ صفحة من القطع الكبير

بقلم الدكتور مهدي المخزومي
رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة بغداد

تناول الدكتور أحمد مكي الأنصاري دارساً من ألمع الدارسين في القرن الثاني للهجرة ، وعلماً من أعلام الدرس الكوفي ، وهو أبو زكريا الفراء. ومدرسة الكوفة فيما انتهينا إليه تبدأ بأعمال الكسائي النحوية ، والكسائي هو الذي رسم المذهب وخطط له ، وعلى وفق منهجه في القراءة نهج في الدرس النحوي واللغوي. ومنهج القراءة إنما يعتمد على النقل والسماع ، ويعتدّ بالخبر الصحيح الموثوق به . وهكذا جاء الدرس النحوي على يد الكسائي يعتمد على السماع ، ويعتدّ بالصحيح الفصيح من كلام العرب ، ويترخص في قبول الأمثلة التي يعدّها أهل القياس والمنطق شاذة. وكانت المناظرة التي جرت بينه وبين سيبويه معبّرة أصدق تعبير عن النهج الذي سيسلكه الدرس النحوي في بغداد : اعتداد بالرواية ، وتقديم للسماع على القياس ، وترخص في إعادة النظر في الأصول الموضوعة إذا عارضت السماع ، وتغيير تلك الأصول حتى تستوعب المسموعات التي لم تصل إلى أسماع أهل القياس .

ثم جاء الفرّاء ، وقد استوعب المنهج الجديد الذي رسمه أستاذه ، فعززه بما شب عليه هو وتمثّله من نهج أصحاب القراءة الذين قرأ عليهم ، واستكثر عنهم، وبما أضافه من سماع من الفصحاء الذين أخذ النحاة السابقون عنهم كأبي ثروان وأبي الجراح وغيرهما، ومع ذلك لم يغلّف ذهنه دون ألوان الثقافات التي وفدت على بغداد ، وأفاد منهـــا ما قوّم عقله ، ونمّى حذقه . وقد فاتشه ثمامة بن الأشرس ، فأعجب به ، وتحدث عنه فقال : « فاتشته عن اللغة فوجدته بحراً ، وعن النحو فشاهدته نسيج وحـده ، وعن الفقه فوجدته فقيهاً عارفاً باختلاف القوم ، وفي النجوم ماهراً ، وبالطب خبيراً ، وبأيام العرب وأخبارها وأشعارها حاذقاً »[1] .

جاء الفراء فتعهّد ما بناه الكسائي بالرعاية، وأتمه،واستوى الدرس النحويّ الجديد على يديه درساً حياً ، ذا شخصية متميزة ، وطابع خاص ، وإذا كان الكسائي هو واضع رسوم المذهب فقد جاء الفراء من بعده ليكسب المذهب ملامحه الخاصة ، وليبرز شخصيته المتميزة .

وكان الدكتور الأنصاري قد وقف على أعمال الفراء ، وألمّ بالدقيق والجليل من شؤونه، وقد أعجب به ، ومن حقه أن يعجب به ، فقد رأى فيه دارساً فذّاً يتّسم بعمق الفكر ، وذكاء الذهن ، ولكنه لم يرد لصاحبه أن يكون من الكوفيين ، لأنه ، فيما كان يراه فيه ، لم يلتزم بما ألزم الكوفيون أنفسهم به من خصائص المذهب ، فقد كان الفراء ، عند الأنصاريّ ، يمزج الآراء الكوفية بالآراء البصرية ، فهو إذن طراز جديد من الدارسين ، فبينا هو كوفيّ باعتداده بالسماع ، واحترامه القراءات ، لأنه لا يحب مخالفة الكتاب ، أو لا يشتهي أن يخالف الكتاب، إذ به بصريّ في تمسكه بالقياس ووقوفه في وجه الشواذ، وطعنه على القراءات السبع ، فهو إذن ، في رأي الأنصاريّ ، يجمع في دراسته خصائص

(١) معجم الأدباء ١٩/١١ ، ١٢ .

مما أخذه عن الكوفيين ، وخصائص مما أخذه عن البصريين ، وهو جدير بأن يكون مؤسس مدرسة بغداد التي تمخض عنها تلاقي المدرستين وامتزاج مزاياهما في دراسته .

ولم يكن الفراء عنده مبتدع هذا المذهب الذي يقوم،فيما رأى ،على التحرّر والمزج والتجديد ، فقد عاش ( أعني الدكتور الأنصاري ) مع النحاة طويلاً وتتبّع آراءهم في مظانّها ، وبحث عن الخيوط « الرفيعة »[1] ( يريد الدقيقة ) للمدرسة البغدادية مذ كانت لمحات ، وظلّ يغوص ، كما قال ، وراء جذورها الضاربة ، وخيوطها الناحلة حتى وضع يده على البذرة الأولى عند عيسى بن عمر المتوفى سنة ١٤٩ للهجرة ، فقد رآه يمزج علمه البصريّ بظلال من خصائص الدرس الكوفيّ ، لأنه كان يستند في بعض آرائه على الشاهد النادر ، ثم أخذ يتتبع تلك الخيوط فرأى ملامح المدرسة البغدادية تتضح أكثر فأكثر عند أبي زيد الأنصاريّ ، لأنه كان يروي عن الكوفيين ، ثم عند يونس بن حبيب ، ثم عند سعيد بن مسعدة الأخفش ، ثم عند الكسائيّ أيضاً ، ولكن ملامحها عنده خافتة إلى حد كبير ، غير أن تلك الملامح لم تكتمل ولم تتضح إلاّ عند الفراء ، ولذلك كان الفراء عنده هو المؤسس الحقيقي للمدرسة البغدادية .

ولكن ... أين مدرسة الكوفة ؟ وأين موقعها عنده ؟

لم ينكر الدكتور الأنصاريّ وجود مدرسة الكوفة ،لأنه أثبت خصائصها، وذكر منها :

(١) أنها تعتمد على الرواية أكثر مما تعتمد على العقل .

(٢) وأن الكوفيين متأثرون بمنهج القراء والمحدثين .

(٣) وأنهم يقدرون كل ما سمع من العرب .

(٤) وأنهم لايؤمنون بأن اللغة منطقية ، لاتحيد في قوانينها عن الحكمة .

---

(١) أبو زكريا الفراء ٣٦٤ .

(٥) وأنه ليس من دأبهم تخطئة العرب في لغتهم [١].

فالدكتور الأنصاريّ إذن يعتقد بوجود مدرسة كوفية لها منهجها ، ولها خصائصها ، ولم يتعسف فينكر أن يكون للمدرسة الكوفيـة وجود ، كما فعل فايل [٢] ، ولم يستبح منهجها فينسبه إلى الاخفش سعيد بن مسعدة ، كما فعل الدكتور شوقي ضيف مؤلف ( المدارس النحوية ) ، لأنه قال : « إن الذي لا مناص منه أن المدرسة الكوفية حقيقة تاريخية ، كانت لها شخصيتها المستقلة في فترة من الزمن » [٣].

وقد أيد ذلك بتسمية نحويّ كوفيّ رأى أنه مؤسس المدرسة وراسم مذهبها ، وناقش مؤلف ( مدرسة الكوفـة ) ومؤلف ( نشأة النحو ) في اتفاقهما على أن الكسائي هو مؤسس مدرسة الكوفة ، كما زعم [٤]. وانتهى بعد المناقشة الخطابية إلى أن يسجل ميله إلى أن النحويّ الكوفيّ الأول ، راسم المذهب ومؤسس المدرسة هو أبو جعفر الرواسيّ [٥].

فلمدرسة الكوفـة إذن مؤسس أشارت اليه كتب الطبقات قبله ، ولها وجود تاريخيّ مشهود ، ومن أجل أن يعزز رأيه هذا ، ورأيه الذي بنى رسالته عليه ،

(١) أبو زكريا الفراء ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

(٢) مقدمة ( فايل ) لكتاب الإنصاف .

(٣) أبو زكريا الفراء ٣٥٨ .

(٤) زعم الدكتور الأنصاري ، أن مؤلف ( مدرسة الكوفة ) كان قد تابع الشيخ محمد طنطاوي مؤلف ( نشأة النحو ) في ذهابه إلى أن الكسائي هو مؤسس المدرسة ، وقد وهم في ذلك ، لأن الشيخ طنطاوي لم يقل بذلك ، بل كان كغيره من المتابعين لمزاعم القدماء يقول برئاسة أبي جعفر الرواسي للكوفيين وينسب إليه ، كما نسبوا ، تصنيف كتاب الفيصل ويزعم كما زعموا أن الخليل أفاد منه في (الكتاب) ، وجعل الرواسيّ على رأس الطبقة الأولى من الكوفيين . أما مؤلف ( مدرسة الكوفة ) فقد نفى أن يكون للرواسيّ شأن في الدرس الكوفي ، وعدّ الكسائي النحويّ الاول من النحاة الذين يُسمون بالكوفيين .

(٥) نشأة النحو ـ طنطاوي ٩٧ ، ٩٨ .

وهو بغدادية الفراء المذهبية عقد الفصل الخاص بـ ( أهم الفروق بين المدرستين البصرية والكوفية ) ولو لم يفعل ذلك ، ولو لم يبذل الجهد في تثبيت مدرسة الكوفة بإزاء مدرسة البصرة لما كان له في تأليف كتابه هذا عذر مقبول .

غير أنه بإخراجه الفراء وتلاميذه ، وبلمحه ملامح المدرسة البغدادية في نحو الكسائي كان يلتقي مع قايل وضيف في نسف الدرس الكوفي والمذهب والمدرسة ، وإذا لم يبق للمدرسة كيان ولا مذهب ، لم يبق له ما يؤيد دعواه في كون الفراء مؤسس مدرسة بغداد ، لأن القائلين بالمذهب البغدادي إنما يبنون رأيهم على أساس الاختيار والمزج والتوحيد ، وهذه العناصر الثلاثة تنبني على تصور مدرسة بصرية ومدرسة كوفية ، ليصح افتراض الاختيار من مزايا كلتا المدرستين ، وتوحيد هذه المزايا في مذهب مستقل عن المذهبين من جهة ، ومشدود إليها من جهة أخرى .

فإذا كان الفراء هو مؤسس المذهب الثالث ، وكان الكسائي يمزج المذهبين ، وتلوح في دراسته ملامح المذهب البغدادي لم يبق من شيوخ الكوفيين غير أبي جعفر الرواسي ، فيكون هو الأستاذ ، وهو المذهب ، ولا أعلم أن دارساً ، على تعاقب العصور ، كان قد عرف نحواً لأبي جعفر أو لمح في أقواله ، إن كانت له أقوال في النحو يعتد بها ، ما يدل على أنه كان ينهج في دراسته منهجاً تتجلى فيه الخصائص المذهبية الكوفية التي استنبطها الدكتور الأنصاري ، أو زعم أنه استنبطها .

ولم يقف الدكتور الأنصاري عند هذا الحد ، بل تجاوزه إلى حدود أبعد وأوسع ، ثم أبعد في هذا التجاوز حتى زعم أنه وضع يده على البذرة الأولى للمذهب البغدادي عند عيسى بن عمر المتوفى سنة ١٤٩ للهجرة ، فرآه « يمزج إلى علمه البصري ظلالاً من خصائص المدرسة الكوفية ، فكان يقيس على الشاهد الواحد النادر شأنه في ذلك شأن الكوفيين[1] .

(١) أبو زكريا الفراء ٣٦٤ .

كان يمكن للدكتور الأنصاريّ أن يكون منطقياً لو أنه عكس الأمر فذهب الى تأثر الكوفيين بمذهب عيسى بن عمر في قياسهم على الشاهد الواحد النادر ، كما زعم ، وكما ذهب ( فايل ) من قبل الى تأثر الكوفيين بيونس بن حبيب وبمذاهبه التي تفرّد بها ، وكما ذهب اليه الدكتور ضيف من بعد الى تأثر الكوفيين بالأخفش سعيد بن مسعدة . ولكن الدكتور الأنصاريّ ، فيما يبدو ، كان يؤرخ للنحو من آخره ، ويضع الابتداء في موضع الانتهاء ، فرأى فيما رأى ، وهو يرجع القهقرى بتاريخ النحو أن عيسى بن عمر المتوفى سنة ١٤٩ للهجرة كان قد تأثر بالكسائيّ المتوفى سنة ١٨٣ للهجرة ، وبالفراء المتوفى سنة ٢٠٧ للهجرة فترك نحوُ الكسائي والفراء والكوفيين في نحو عيسى ظلالاً من خصائص مذهبهما ، ومذهب المدرسة التي ينتسبان إليها أعني مدرسة الكوفة في النحو .

ويترتب على مقالة الدكتور الأنصاريّ هذه أن يكون لمدرسة الكوفة تاريخ يتجاوز أبا جعفر الرواسيّ إلى دارسين قبله ، لأن أبا جعفر الرواسيّ كان قد تلمذ لعيسى بن عمر كما زعم الزبيدي[1] ، أو لأبي عمرو بن العلاء المعاصر لعيسى ابن عمر ، كما زعم أبو الطيب[2] ، فاذا كان في نحو عيسى بن عمر ظلال من خصائص مدرسة الكوفة فلا بد أن يكون قد تأثر بنحاة قبله تلمذ لهم أو بنحاة معاصرين أفاد منهم ، ولا أظن بوسع الدكتور الأنصاري أن يسمي واحداً منهم .

ومهما يكن من أمر فالفراء عنده « هو المؤسس الحقيقي للمذهب البغدادي[3] » ، أما ما سبقه من محاولات قام بها عيسى بن عمر ويونس بن حبيب ، وأبو زيد الأنصاري ، وسعيد بن مسعدة الأخفش والكسائيّ فكان « بمثابة الإرهاص والتمهيد للمذهب الجديد ، ذلك الذي اكتمل في شخصية الفراء وعقليته نتيجة

---

(١) طبقات النحويين ١٣٥ .

(٢) مراتب النحويين ٢٤ .

(٣) أبو زكريا الفراء ٣٦٦ .

امتزاج المنهجين واتحادهما اتحاداً كاملاً ، نشأ عنه عنصر جديد له خصائصه المميزة وطابعه المستقل »[1]. وهذا إيهام بالتراجع إذا جاز، موقتاً ، على لجنة المناقشة، فلم تلتفت إليه فلن يجوز على الدارسين .

وقد لخص مقومات مذهب الفراء بقوله : « يقوم مذهب الفراء أساساً على التحرر من قيود العصبية المذهبية ، فهو ينزع منازع أهل البصرة حيناً ، كما ينزع منازع أهل الكوفة أحياناً ، لهذا رأيناه يمزج بين المذهبين ، ويختار أحسنها في نظره ، وأقربها إلى منهجه الخاص ، ذلك الذي رأينا فيه كلّ مقومات المذهب البغداديّ ، فقلنا إنه المؤسس الحقيقي لهذا المذهب الجديد ، وما المذهب البغداديّ إلاّ تحرر ومزج وتجديد[2] .

أما أنه كان ينزع منزع الكوفيين فذلك لأنه تلمذ لهم وأفاد منهم، وأما أنه كان ينزع منزع البصريين فذلك عنده متأتٍّ من ثلاثة أمور :

(١) اتصاله بالأخفش الأوسط ، وارث علم البصريين ، وحامل كتاب سيبويه إلى الأجيال .

(٢) وتعمق الفراء في دراسة الكتاب دراسة ناقدة واعية .

(٣) وتلمذته لإمام من أئمة البصرة هو يونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٢ للهجرة[3] .

ولو دقق النظر لجعل الأمور الثلاثة أمرين اثنين ، لأن اتصاله بالأخفش يعني دراسته ( الكتاب ) وتعمّقه فيه تعمّقاً ناقداً واعياً ، ولا أظنه يعني أنه أخذ عنه آراءه ، كما يفهم من كلام مؤلف ( المدارس النحوية ) الذي تأثر الدكتور الأنصاريّ في كثير من مزاعمه ،ولا أظنه يريد أن الفراء كان قد تلمذ للأخفش

(١) أبو زكريا الفراء ٣٦٦ .

(٢) أبو زكريا الفراء ٣٩٥ .

(٣) المصدر نفسه ٣٧٢ .

وأخذ عنه آراءه ، لأنه حين نقل الكلام في هذه العوامل لم يذكر أكثر من أنه كان السبيل إلى كتاب سيبويه ، فاذا أفاد الفراء من الأخفش شيئاً فذاك هو أنه يسرّ له الوقوف على كتاب سيبويه ، لأن النسخة الوحيدة من الكتاب كانت في حوزة الأخفش ، فالأمران الأول والثاني هما عند التحقيق أمر واحد .

وإذا كان مذهب الفراء يقوم على أساس من مزج المذهبين فلابدأن يكون فيه ملامح من كلا المذهبين ، ومظاهر من كلتا النزعتين ، وقد استطاع الدكتور الأنصاريّ أن يلفّق لمذهب الفراء مظاهر من النزعة الكوفية ، ومظاهر من النزعة البصرية .

وكان من مظاهر النزعة الكوفية عند الفراء ، فيما زعم الأنصاريّ :

(١) تحاشي التقدير أحياناً ، ويتجلى ذلك عند الأنصاريّ في إعراب قوله تعالى : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره » فلم يقدّر فعلاً كما كان البصريون يفعلون .

(٢) والقياس على الشاهد الواحد أحياناً .

(٣) والبعد عن منهج الفلاسفة والمتكلمين أحياناً ، فقد كان يقول بترافع المبتدأ والخبر ، ولم يبال بما يؤدي إليه هذا القول من محال عند البصريين .

وكان من مظاهر النزعة البصرية عنده :

(١) التقدير والتأويل .

(٢) عدم القياس على الشاهد الواحد .

(٣) انتهاجه منهج الفلاسفة والمتكلمين .

(٤) اعتداده بالقياس .

(٥) التزامه بالضبط والتقعيد ، وهو مظهر من مظاهر العقل المنطقيّ ، ومن ذلك تخطئة العرب ، وتخطئة القراء والطعن عليهم .

وبالموازنة بين مظاهر النزعة الكوفية ومظاهر النزعة البصرية عند الفراء يبدو للدارس المتجرد عن الهوى أن الفراء عند الدكتور الأنصاري بصريّ المذهب، ليس في نزعته من مزايا المذهب الكوفيّ إلا هذا الترخص في (الشواذ) والقياس على الشاهد الواحد (أحياناً)، ولم يقيّد مظاهر النزعة البصرية بكلمة (أحياناً) مما يدل على أن الباحث كان قد استقرّ في نفسه أنه بصريّ، ولكنه بصريّ له شخصيته المتميزة وعقليته المبتكرة، ولم يكن من الدارسين الذين يهدرون مزايا شخصياتهم في تقليد الأولين.

ولا أحسب الدكتور الأنصاريّ كان قد وفق في مقالته هذه إلى استجلاء شخصية الفراء، ولا رسم مذهبه، ولا بد أن يكون متأثراً بأقوال خصومه بحيث جاز عليه ما انتحلوا عليه من أقوال، بل لا أحسبه وفّق في مقالته إلى دعم رأيه الذي بنى عليه كتابه، وهو بغدادية الفراء، لأنه إذا كان يرفض القياس على الشاذ، ويصطنع أوضاع البصريين، ويقف من القراءات موقف البصريين منها فماذا تبقّى للدارس، أيّ دارس، لكي يجزم أن الفراء بصري المذهب، بل راسم المذهب للبصريين. وإذا كان مذهب الفراء يقوم على هذه الأسس التي تناقض أسس المذهب الكوفيّ فكيف أتيح للدكتور الأنصاريّ أن يقول ببغداديته؟ وماذا تبقّى من خصائص المذهب الكوفيّ ليخلطها بهذه الخصائص ويوحّدها في مذهب جديد هو المذهب البغداديّ ؟!

وينبغي ألّا يمرّ الدارس بهذه الأمور دون أن يناقشها ليصل إلى واقع الأمر، ويضع الفراء في طبقته، ويدلّ الدارسين على مصدر الوهم الذي جاز عليهم، والذي أوقعهم فيه ماجاء في كلام ابن النديم في تصنيفه النحويين إلى بصريين وكوفيين وآخرين خلطوا المذهبين وما انجرّ إليه باحثون محدثون من متابعة متعجلة لابن النديم.

ولنوجز هنا مافصّله الأنصاريّ فنستخلص من مظاهر نزعة الفراء البصرية

المزعومة مظاهر ثلاثة نقف عندها في مناقشة يفرضها البحث ،وهذه المظاهر هي:

(١) أن الفراء كان يرفض القياس على الشاهد الواحد .

(٢) وأنه كان يصطنع أوضاع البصريين ومصطلحاتهم .

(٣) وأنه كان يخطّىء العرب ، ويطعن على القراءات .

أما الأول فقد كان الأنصاري يرى أن من مظاهر النزعة البصرية في مذهب الفراء أنه كان يرفض القياس على (الشاذ) أحيانا فيخالف بذلك المذهب الكوفي، مستشهداً بقول الفراء في ( المنقوص والممدود ) : « وما كان من ذوات الياء ، فإن كان مضموماً ضممت أوّله في الجمع ، و كتبته بالياء مثل مدية ومدى وزُبْيَة وزُبىً ورقية ورقى ، فإن كان اوّل واحدته مكسوراً جمعته بكسر أوله ، و كتبته بالياء مثل حِلْيَة وحِلى ولِحية ولِحى ، وقد سمعنا لُحى وحُلى في هذين الحرفين خاصة ، ولا يقاس عليها »[1] .

كان رفض الفراء القياس على (لُحى وحُلى) بالضمّ ثغرة نفذ منها الدكتور الأنصاريّ إلى إثبات نزعته البصرية ، ظنّاً منه أن قياس الكوفيين على المسموع من كلام العرب يبيح للكوفيين القياس على هاتين الكلمتين ، وهي نغمة قديمة شدا بها بصريون متعصبون ، أو متابعون مقلّدون كأبي حاتم السجستاني والرياشيّ وابن درستويه وأبي الطيب اللغويّ وغيرهم ، فجازت على الدارسين ،ثم جازت على الباحث الفاضل .

لم يكن الفراء الكوفيّ ليقيس على مثل هاتين الكلمتين لأنهما شذتاعن أخواتها، ولا يعدّ هذا من قبيل الشاذ الذي يقيس عليه الكوفيون . لأن « الشاذ » الذي يقيسون عليه هو ما كان ممثّلًا لأسلوب شائع في بيئة لغوية لا يصح إغفالها ، ولم يكن الفراء ليرى أن هاتين الكلمتين تمثلان كلام العرب ،لأن العرب ،كما تحدث

(١) المنقوص والممدود ١٣ . أبو زكريا الفراء ٣٩٧وقد سماه الأنصاري:المقصور والممدود ، لأن (مصورته) أثبتت هذه التسمية .

عنهم الفراء لم يضموا إلاّ فيها خاصة ، فهما شاذتان فعلاً ، ولا يصح القياس عليهما.

على أن الفراء لم يوصد الباب دون الدارسين ، ولم يكن هذا الذي وقف عنده الأنصاري في النص هو منتهى كلام الفراء ، ولكنه منتهى ما أثبته الأنصاري لدعم زعمه ، فللنص تتمة أسقطها ، ولم يشأ أن يثبتها لأنها تفتّ بعضده في دعم زعمه ، والتتمة هي : « إلاّ أن تسمع شيئاً من بدويّ فصيح فتقوله » ، وهي تفتح الباب أمام الدارسين لقبول ما يرد عن العرب الموثوق بفصاحتهم من ضمّ ما كان من ذوات الياء وكان مكسور الأول في الواحد ، ومثل هذا لم يورده الأنصاريّ ، لأنه ينقض ما كان بناه .

ومضى الدكتور الانصاريّ في إثبات النزعة البصرية في مذهب الفراء ، فزعم أنه كان يقيس ولا يشترط السماع ، شأنه في ذلك شأن البصريين في غلوّهم في القياس ، بل كان الفراء ، فيما زعم ، « يتوغل في القياس أكثر من البصريين أنفسهم »(١) . وأورد لهذا أمثلة لم تنهض بدعم مازعمه . ومما أورده : رأي الفراء في دلالة ( افْعلت الشيء ) على معنى ( عرّضته للفعل ) منقولا عن ابن قتيبة :

« قال الفراء : تقول : أَبَعْتُ الخيل إذا أردت أنك أمسكتها للتجارة والبيع ، فإن أردت أنك أخرجتها من يدك قلت : بعتها . قال : وكذلك قالت العرب : أعرضت العرضان ، أي : أمسكتها للبيع ، وعرضتها: ساومت بها ، فقس على هذا ما ورد عليك »(٢) .

ولا أعلم أكانت عبارة ( فقس على هذا ما ورد عليك ) من كلام الفراء أم كانت من كلام ابن قتيبة . ومهما يكن من أمر فقد فهم الأنصاري من هذه العبارة أن القياس كان له شأن كبير في مذهب الفراء ، وأنه كان أكثر توغلا في القياس من البصريين ، ليدعم زعمه بأن في مذهب الفراء نزعة بصرية ظاهرة .

---

(١) أبو زكريا الفراء ٣٨١ .

(٢) أدب الكاتب ٤٧٣ « بريل » . أبو زكريا الفراء ٣٨٠ .

الحق أني لم أستطع أن أفهم قصد الأنصاريّ ، فالفراء بصريّ النزعة عنده في عدم القياس على الشاذ ، لأنه لم يقس على ( لُحى وحُلى ) بالضم ، وهو بصريّ النزعة أيضاً ، لأنه يقيس ولا يشترط السماع [١] .

أفيريد الأنصاريّ من الدارسين أن يغلّفوا عقولهم فيردّدوا ما يقوله اتباعاً وتقليداً ، ويجوز عليهم مثل هذا الجدل الخطابي ، وهذا اللعب بالألفاظ ؟

ألم يتضح له أن الفراء في قياسه على هذا كوفيّ أصيل ، لأنه في قياسه هذا كان يقيس على ( الشاذ ) ؟ وماذا كان الكوفيون يفعلون ، في رأي القدماء الذين قلدهم الأنصاريّ واحتذاهم فيما زعموا واختوصوا غير أنهم كانوا يقيسون على الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة ، كما زعم ابن درستويه ؟ [٢] أو لم يكن في قياسه على قولهم : ( أعرضت العرضان وعرضتها ) منسجماً مع مذهب الكوفية ؟؟

على أن الفراء لم يقس على هذا لأنه شاذ ، ولكنه قول العرب ، كما قال . وواضح أنه في هذه المسألة وتلك كان كوفياً أصيلاً أميناً على مذهبه ومذهب أصحابه ، وأنه كان لا يرفض القياس على ما ثبت أنه قول العرب ، ولا ينزع إلى البصريين في رفضه القياس على ما كان شاذاً عنده فعلاً .

وأما الثاني فقد زعم الدكتور الأنصاريّ أن من مظاهر النزعة البصرية في مذهب الفراء أنه كان يستعمل الاصطلاحات البصرية إلى جانب الاصطلاحات الكوفية بالإضافة إلى الاصطلاحات التي ابتكرها ابتكاراً [٣] .

ولكن هذا لا يثبت له قضية ، فقد جاء الفراء وللنحو مصطلحات تتردد على ألسنة النحاة الذين سبقوه أو عاصروه ، سبق إليها الخليل فيما وضعه منها فإذا ترددت في أقوال الفراء فهل يعني ذلك أنه كان ينزع نزعة بصرية ؟ لا .. لا يعني

---

(١) أبو زكريا الفراء ٣٧٩ ، ٣٨٠ .
(٢) بغية الوعاة ٢/١٦٤ .
(٣) أبو زكريا الفراء ٣٩٣ .

ذلك ، لأن استعمال الفراء بعض مصطلحات البصريين ما لبث أن تضاءل بوضع مصطلحات جديدة عرف بهـــا الدرس الكوفي ، وترددت على ألسنة الدارسين الكوفيين . ومن ذلك :

العماد بإزاء ( ضمير الفصل ) عند البصريين . والصلة بإزاء ( الحشو ) . والجحد بإزاء ( النفي ) . والتشديد بإزاء ( التوكيد ) . والإقرار بإزاء ( الإثبات ) . والثابت بإزاء ( الجامد ) . والتبيين والترجمة والتكرير بإزاء ( البدل ) . و ( لم يسمّ فاعله ) بإزاء ( المبني للمجهول ) . والأداة بإزاء ( الحرف ) . والصفة بإزاء ( حرف الجر ) والظرف أحيـانا . والمحل بإزاء ( الظرف ) . والمكنّى بإزاء ( الضمير ) . والفعـل بإزاء ( المصدر ) . والفعل الدائم ، أو الدائم بإزاء ( اسم الفـاعل واسم المفعول ) . والمستقبل بإزاء ( الفعل المضـارع ) . والنسق بإزاء ( العطف بالحرف ) . والنعت بإزاء ( الصفة ) .

وهناك مصطلحات أخرى كالخلاف والصرف والتقريب وغيرها لم يعرفهـا البصريون ، ولم يكن لديهم ما يقابلها .

وإذا أنعمت النظر في دلالات كثير من هذه المصطلحات رأيتها تبعد بالفراء عن شبهة الحوم حول النزعة البصرية المنطقية ، وتبطل ما خيّـل إلى الدكتور الأنصاريّ أنه رآه مظهراً من مظاهر النزوع إلى مذهب البصريين ، وتدعم الرأي القائل بأن النحو الكوفيّ أقرب إلى فهم العربية وفق طبيعتها .

كمصطلح ( الصلة ) الذي أطلقه الفراء على ( الحشو ) عند البصريين ، وظاهرٌ ما في كلمة ( الحشو ) من بعد عن فهم الأسلوب .

وكمصطلح ( التبيين ) الذي أطلقه على البدل . ولا شك أن تسمية البصريين هذا التابع بالبدل إنمـا تقوم على أساس من فكرة العامل ، ولا شـك أيضاً أن ما يؤديه هذا التابع إنمـا هو تبيين ما قبله أو ترجمته أو تكريره ، ولهذا استوى

عند النحاة ما يسمى ببدل ( الكل من الكل ) وما يسمى بعطف البيان ، وعطف البيان يبين ما قبله ويترجمه ويوضحه كما قال ابن مالك :

وذو البيان تابع شبه الصفة  حقيقة القصد به منكشفة

وليس أدلّ على ما يؤديه هـذا التابع من توضيح وتبيين من تسمية الفراء إياه بالتبيين .

وكمصطلح (الفعل الدائم ) الذي يريد به الفراء ما يريده البصريون من( اسم الفاعل) و ( اسم المفعول ) ، وتسمية بناء ( فاعل ) أو ( مفعول ) باسم الفاعل واسم المفعول تسمية انطلق البصريون إليها من اعتبارات لفظية محضة ، على حين أن (فاعلًا ) أو ( مفعولاً ) إنما يجريان مجرى الفعل في أكثر استعمالاتهما ، لأنهما بمنزلة الفعل في معناه وفي استعماله .

ومن هـذا الاعتبار كان الفراء ينطلق الى منع نداء( راكباً ) في قولهم : ( فياراكباً ) دون تقدير منادى ، لأن ( راكباً ) دائم ، والدائم لا ينادى كما لا ينادى الماضي ولا المستقبل .

وقد وهم الدكتور الأنصاريّ فزعم أن الفراء كان ينزع إلى مذهب البصريين في توغّلهم في التقدير « حين قال بوجوب تقدير موصوف محذوف قبل المنادى في قول الشاعر : (فيا راكبا إما عرضت ... البيت ) فرفض أن يكون(راكبا) هو المنادى ، وتعسّف فأوجب أن يكون التقدير : ( فيا رجلًا راكباً ) وذلك لأنه لا يجيز نداء النكرة المفردة »[1] .

وكان في هذا يتابع ما جاء في ( خزانة الأدب ) ، فقد جاء فيها عند ذكر الشاهد الخامس عشر بعد المئة :

فيا راكباً إما عرضت فبلّغن  نداماي من نجران أن لا تلاقيا

قوله : « أن المنادى هنا عنـد الكسائيّ والفراء إما معرفة بالقصد ، وإما

(١) أبو زكريا الفراء ٣٧٨ .

أصله : يا رجلًا راكباً ، لأنهما لا يجيزان نداء النكرة مفردة بل يوجبان الصفة »[1] .

ولم يلتفت البغدادي ولا الأنصاري الذي تابعه الى ما عناه الكسائي والفراء في منعها أن يكون ( راكباً ) هو المنادى ، لأن ( راكباً ) عندهما فعل دائم ، والفعل الدائم لا ينادى ، كما لا ينادى الماضي ولا المستقبل .

وإذا صح أن يكون الكسائي والفراء قد منعا نداء النكرة فذلك لأنهما كانا يحسان إحساساً لغوياً صادقاً ، لأنهما لم يسمعا نداء النكرة ، لأن نداء النكرة أية نكرة ، بما لا فائدة فيه ، ولا أظن العرب كانوا يرتكبونه ، ولو كان الفراء ينزع منزعاً بصرياً لما تردد في قبول نداء النكرة ، لأن النكرة (غير المقصودة ) أحد أنواع المناديات التي أقرتها الاعتبارات البصرية العقلية في التقسيم .

وقد بنى الدكتور الأنصاري كلامه هذا على افتراض الغفلة في الدارسين أيضاً ، لأنه استند في تصيّد النزعة البصرية لمذهب الفراء إلى كلام البغدادي الذي نقلته هنا ، ولكنه أخذ منه ما يتعلق بالفراء ، موهماً الدارسين أن ذلك رأي الفراء وقوله وحده ، ولم يشرك الكسائي في هذا كما فعل البغدادي لئلا يورّط نفسه في جر الرئاسة لمذهب البغداديين الى الكسائي أيضاً ، ولئلا يلصق بالكسائي النزعة البصرية التي ألصقها بالفراء ، ليستقيم له القول بأن مذهب الفراء يجمع النزعات الكوفية إلى النزعات البصرية ، وبأن الفراء هو مؤسس المذهب البغدادي .

والدكتور الأنصاري ، مع ذلك ، واهمٌ هنا أيضاً ، لأن التقدير الذي يعدّ سمة بارزة من سمات المذهب البصري هو التقدير الذي يتعسف فيه البصريون ، ويتكلّفونه لاعتبارات عقلية خالصة ، كالتقدير الذي تكلفوه في مثل قوله تعالى:

(١) خزانة الأدب ١/٣١٣ .

« وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرْه » ، فقد فرضوا تقدير فعل واجب الحذف قبل ( أحد ) مفسَّر بالفعل المذكور ، ليكون ( أحد ) فاعلاً له ، ولئلا يجعلوا ( أحداً ) فاعلاً بالفعل المتأخر ، لأن ذلك عندهم محال ، لأن الفاعل لا يتقدم على الفعل ، لأنه بمنزلة الجزء منه ، وهو التقدير الذي رفضه الفراء وسائر الكوفيين ، كما قال الأنصاري نفسه حين عرض لمظاهر النزعة الكوفية عند الفراء[1] .

أما التقدير الذي يفرضه الأسلوب ، وتقتضيه ظروف القول أو مناسبات الخطاب فلا يأباه أحد من البصريين أو الكوفيين ، كتقدير مضاف في مثل قوله تعالى : « واسأل القرية » ، وقوله تعالى : « وجاء ربك والملك صفاً صفا » ، أي : أهل القرية ، وأمر ربك .

وكمصطلح ( الفعل ) بإزاء ( المصدر ) عند البصريين ، ان تسمية المصدر بهذا الاسم تعود إلى زعم البصريين أنه أصل المشتقات ، والمصدر الذي صدرت عنه سائر المشتقات ، وهو ما أبطله الدرس اللغوي الحديث ، فقد ثبت لدى اللغويين المحدثين أن الفعل في اللغات السامية هو الأصل ، وأما ما سمي بالمصدر فمشتق منه .

وتسمية الفراء ( المصدر ) بالفعل تسمية لغوية سليمة ، لأن ( المصدر ) إنما هو « اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل » على حد قول ابن مالك ، ولا فرق بينه وبين الفعل إلا من حيث الدلالة على الزمان ، هذا إذا أخذ (المصدر) مفرداً غير مؤلف ، أما اذا استعمل مؤلفاً فإنه يستعمل استعمال الفعل ، ويجري في الكلام مجراه ، كقوله تعالى : « أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً » او كقوله تعالى : « زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم » ، وكقول العرب :

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع

---

(١) أبو زكريا الفراء ٣٧٧ .

وقولهم : سقياً ورعياً ، وقولهم: أتوانياً وقد جدّ قرناؤك ، أو غير ذلك من الأمثلة التي يعسر حصرها .

فتسمية الفراء إياه فعلاً تسمية لغوية تنطلق من مفهوم كوفيّ للدرس النحوي، لا من إرادة متعمدة الى مخالفة البصريين ، كما زعم الدكتور الأنصاري متابعاً فيه أبا الطيب اللغوي في مراتب النحويين [1] . وإن توهّم قصد المخالفة في عمل الفراء ينزل بالفراء الى طبقة أدعياء الدرس المتعالين ، ولن يجرؤ دارس عرف الفراء وأثره في الدرس النحوي أن يورّط نفسه بارسال مثل هذا الزعم إرسالاً متعسفاً ومتعجّلاً .

وكمصطلح ( المستقبل = يفعل ) الذي وضعه الفراء بإزاء ( الفعل المضارع ) عند البصريين . ولا ريب أن تسميته بهذا الاسم تشير الى منزلته بين صيغ الأفعال الزمنية ، لأن الذي يميز الفعل من سائر أقسام الكلمة هو ما في صيغته من دلالة على الزمان ، أما التسمية بالفعل المضارع فلا إشارة فيها الى الزمان ، لأن المضارعة المتوهمة في بناء ( يفعل ) هي المضارعة للاسم ، وكون الفعل مضارعاً للاسم مخرج له عن طائفة الأفعال ، ومهمل فيه دلالته على زمان .

ومن الغريب أن يردد الدارسون البصريون ومتابعوهم أقسام الفعل دون أن يعوا أن هذا التقسيم لا يشير إلى الدلالة الزمنية بقدر ما يشير إلى فكرة العامل، وتأثير العامل في المعرب من الأفعال ، وهو ما سموه بالمضارع ، لأن ما يرمي اليه البصريون بالمضارعة هو خروج (يفعل) من ملاك الأفعال أعني البناء .

هكذا سائر المصطلحات التي وضعها الفراء بإزاء مصطلحات البصريين ، وسدّ بها فراغاً كان يحس به فيها ، ومنحها دلالات كانت تفتقر إليها ، فلو كان الفراء ينزع منزع البصريين لما تردد في الإبقاء على مصطلحاتهم ، ولكنه دارس من طراز جديد ينزع الى مذهب ناشىء جديد هو المذهب الذي وضع الكسائيّ

(١) ابو زكريا الفراء ٣٦٧ .

رسومه ، وتعهّده الفراء من بعده فاستوى على يديه مذهباً مكتملاً واضح المعالم أعني ما سمي فيما بعد بمذهب الكوفيين .

وأما الثالث فقد زعم الدكتور الأنصاري أن من مظاهر النزعة البصرية عند الفراء : « تخطئة العرب والتهجم على القراءات السبع »(١) .

أما تخطئة العرب في لغتهم فزعم متعسف واتهام مفتعل جرَّ الباحث اليه وهم مورده عبارات موهمة جرت على لسان صاحبه ، كقوله : « وربما غلط الشاعر» أو « يغلطون » أو غيرهما ، وقد ظنَّ منها أنه يخطّىء العرب ويلحّنهم ، وإذا أنعمت النظر في كلامه وكلام الأنصاري وضح لك أن الأنصاري كان قد غلط في فهم معنى (الغلط) الذي جرى به قلم الفراء ، او جرى على لسانه .

وقد زعم الأنصاريّ أن الفراء في تخطئة العرب إنما كان ينزع منزع البصريين في موقفهم من كلام العرب ، وتخطئتهم في لغتهم ، وزعم أن الفراء كان يتابع الخليل بن أحمد « فالخليل بن أحمد يخطىء العرب في لغتهم ، كما يرويه سيبويه في كتابه عند حديثه عن جحر الضب الخرب »(٢) . وهو زعم بادٍ عليه التسرع ، فلو كان أعاد النظر فيما تحدث به سيبويه في هذا الموضع الذي أشار إليه لما ورّط نفسه في هذا الزعم ، ولما بقي ماضياً في اتهام صاحبه .

أمّا ما ذكره عن الخليل فليس فيه ما يدعم زعمه ، فقد أورد سيبويه كلام الخليل في معرض كلامه على النعت الذي يجري على غير وجه الكلام فقال : « ومما جرى نعتاً على غير وجه الكلام : هذا جحر ضبٍّ خربٍ ، فالوجه الرفع ، وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم ، وهو القياس ، لأن ( الخرب ) نعت الجحر والجحر رفع ، ولكن بعض العرب يجرّه ، وليس بنعتٍ للضب ، ولكنه نعت للذي أضيف إلى الضب فجروه لأنه نكرة كالضب ، ولأنه في موضع

(١) أبو زكريا الفراء ٣٨٣ .
(٢) « « « ٣٨٤ .

يقع فيه نعت الضب، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد ... وإنما يغلطون إذا كان الآخر بعدّة الأول ، وكان مذكراً مثله أو مؤنثاً[١] .

واتخذ الأنصاريّ من هذا مثالاً لتخطئة الخليل العرب ، وهو وهم ، لأن الخليل لم يخطىء العرب في إتباعهم الحرب ، للضب ، وجرّهم (الحرب) لمجاورته ( الضب ) ، لأنه لم ينكر وروده عن العرب ، بل أثبت وجوده وعلّل له بقوله : « لأنه نكرة كالضب ، ولأنه في موضع يقع فيه نعت الضب ، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد » ، والذي من شأنه أن يخطىء العرب لا يهمه أن يعتذر لهم ، أو يعلل لهم بمثل ما علل به ، وكل ما قاله الخليل هو أن الرفع هو القياس ، والقياس هنا يستند إلى قول أكثر العرب ، أما الآخرون فكانوا يخالفون فلم يرفعوا ، وجرّوا لأنهم توهموا أنه نعت للضب ، لأنه نكرة مثله ، ولأنه في موضع يقع فيه نعت الضب ، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد، وليس هذا تخطئة ولا تلحيناً ، ولكنه توجيه وتصحيح .

والذي أوهم الدكتور الأنصاريّ بتخطئة الخليل العرب قوله : « وإنما يغلطون... الخ .. » ظاناً أن ( يغلطون ) بمعنى يخطئون ، أو يلحنون ، وهو وهم ، لأن( الغلط ) هنا معناه التوهم ، والتوهم أسلوب عربي شائع لا سبيل إلى ردّه ، ولم ينكره الخليل ، ولا جاء في كلامه ما يشير إلى أنه خطأ أو لحن .

وللتوهم أمثلة كثيرة عرض لها الخليل وغيره ، وفسروها تفسيراً جعلوا لها به وجهاً عربياً صحيحاً وإن خالفت القياس .

ومن أمثلة التوهم ما جاء في جواب الخليل عما سأله سيبويه عنه . قال سيبويه « وسألت الخليل عن قوله عزّ وجل « فأصّدّق وأكن من الصالحين » . بجزم ( وأكنْ ) فقال : « هذا كقول زهير :

(١) الكتاب ٢١٧/١ .

بدا لي أني لست مدرك ما مضى     ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

فإنما جرّوا هذا لأن الأول قد يدخله ( الباء ) فجاءوا بالثاني وكأنهم قد أثبتوا في الأول ( الباء ) فكذلك هذا ، لمّا كان الفعل الذي قبله قد يكون جزماً ولا فاء فيه تكلموا بالثاني ، وكأنهم قد جزموا قبله ، فعلى هذا توهموا هذا[1].

فقد صحّح الخليل الجزم في قوله تعالى : ( وأكن ) بقول زهير الذي يبدو أنه يمثل ظاهرة شائعة في العربية . وما كان شأنه كذلك لا يكون لحناً ولا خطأ كما وهم الدكتور الأنصاريّ .

ومن أمثلته أيضاً : « همزهم مصائب ، وهو غلط منهم ، وذلك أنهم شبّهوا مصيبة بصحيفة ، فكما همزوا صحائف همزوا أيضاً مصائب ، وليست ياء (مصيبة) زائدة كياء صحيفة »[2] ، وقد توهموا ( مفعلة ) فعيلة فهمزوا جمع ( مصيبة ) فقالوا : مصائب ، حملاً على ( صحائف ) جمع صحيفة وهي ( فعيلة ) ، وليس همز ( مصائب ) لغة قوم ، ولكنها لغة العرب جميعاً ، فقد « أجمع النحويون على أن حكوا مصائب في جمع مصيبة ، بالهمز »[3] .

وكان الكسائيّ يبني على التوهم رأيه في منع ( أشياء ) من الصرف . لأن أشياء عنده : أفعال ، وقد منعت من الصرف عنده على توهم أن الألف فيها كألف ( حمراء ) ، وكان يقول : « أشبه آخرها آخر حمراء وكثر استعمالها فلم تصرف »[4] .

وأما ما ذكره الأنصاريّ عن الفراء فليس اتباعاً للبصريين ، ولكنه فقه للغة ، وفهم للأساليب ، ولا وجه لما زعمه من تخطئة العرب في لغتهم لتمسكه

---

(١) الكتاب ١/٤٥٢ .
(٢) الخصائص ٣/٢٧٧ .
(٣) لسان العرب ١/٥٣٥ .
(٤) لسان العرب ١/١٠٤ .

بالقياس ، كما كان يفعل البصريون من قبله ومن بعده ومن بينهم الخليل بن أحمد وسيبويه إمام النحاة[١] » .

وقد مثل لتخطئة العرب بقوله في ( معاني القرآن ) : « وربما غلط الشاعر فيـذهب إلى المعنى ، فيقول : أأنت ضاربني ( بالنون ) يتوهم أنـه أراد : هل تضربني ، فيكون ذلك على غير صحة . قال الشاعر :

وما أدري وظني كل ظن أمسلمني إلى قـوم شراح

يريد : شراحيل ، ولم يقل : أمسلمي ، وهو وجه الكلام . وقال آخر :

هم القائـلون الخـير والفاعلونـه
إذا ما خشوا من محدث الأمر معظما

ولم يقل : الفاعلوه ، وهو وجه الكلام »[٢] .

وقد فهم الدكتور الانصاريّ من قوله : ( وربما غلط الشاعر ) أنه يريد : ربما أخطأ الشاعر أو لحن ، غير أنه إنما أراد : أنـه ربما توهم ، وآية ذلك قوله : (فيذهب إلى المعنى) ، فذهابه إلى المعنى ليس لحناً ، ولكنه مخالفة لما عليه أكثر الاستعمال ، كما أن الفراء لم يرد بقوله : ( وهو وجـه الكلام ) غير ما أراده الخليل بقوله : ( والوجه الرفع ) . وعلى هذا فلا وجه لتعقيب الانصاريّ على قول الفراء : « فانظر إليه كيف يهون عليه أن يخطيء شاعراً وآخر ، وربما كان هناك ثالث ورابع ، ولا يهون عليه أن يعدل قاعدة واحدة[٣] » .

وليس في هذا النص ، ولا في النصوص التي قبله ما يوصله إلى الجزم بتخطئة الخليل والفراء العرب في لغتهم إلا أن يكون قد فهم من كلمة ( يغلط ) ما يفهم منها اليوم ، وهو شيء لا يقرّه البحث .

(١) أبو زكريا الفراء ٣٨٣ .
(٢) أبو زكريا الفراء ٣٨٦ عن مصورته ص ٢٧٢ .
(٣) أبو زكريا الفراء ٣٨٦ .

ولو كان الفراء يخطّىء العرب متابعة للبصريين ، ونزوعاً إلى مذهبهم لخطّأ قول القائل :

ألـم يأتيك والأنبـاء تنمى بما لاقت لبون بني زياد

بإثبات الياء في ( يأتيك ) وهي في موضع جزم . وقول القائل :

هزيّ إليك الجذع يجنيك الجنى

ولم يقل : يجنك الجنى . وقول الآخر :

هجوت زبّان ثم جئت معتذراً من سبّ زبّان لم تهجو ولم تدع

بإثبات الواو في ( تهجو ) وهي مسبوقة بلم[1] .

لو كان الفراء يُعْنَى بالقياس ، ويغلو فيه ، ويخطّىء العرب حين يخالفونه ، كما زعم الانصاريّ ، لما صحّح أمثال هذه الابيات ، مع أن فيهـا مخالفة صريحة للقواعد الموضوعة ، وللقياس المتبـع .

والحق أن الأنصاريّ كان قد غلط في فهم معنى ( الغلط ) الذي جرى على لسان الخليل ، ولسان الفراء وغيرهما منسوباً الى العرب ، متابعاً السيوطيّ في وهمه حين عقد باباً خاصاً بمعرفة أغلاط العرب[2]، وهو الباب الذي نقل السيوطيّ فيه نصّ ما جاء في الباب الذي عقده ابن جني في أغلاط العرب[3] ، وكأن السيوطيّ وابن جنّيّ معصومان عن الخطأ، أو كأن كلامهما شيء لا يأتيه الباطل، فاعتمد عليه في تحامله على صاحبه ، وعلى الخليل بن أحمد ، ولم يكلّف نفسه عناء البحث ، ولا جهد في أن يفهم حقيقة ما كانا يرميان إليه في نسبتهما الغلط إلى العرب ، ولا استطاع أن يوفق بين هذا واحترامهما المطلق لكل ما جاء عن العرب ،

---

(١) معاني القرآن ٢/١٨٧ ، ١٨٨ .
(٢) المزهر ٢/٤٩٤ .
(٣) الخصائص ٣/٢٧٣ .

واتخذ من كلام السيوطيّ وما احتطبه عشوا من كلام ابن جني منطلقاً إلى اتهام صاحبه واتهام الخليل من قبله في تخطئة العرب .

غير أن الوقوف الفاحص على كلام الخليل وكلام الفراء ، وربط أوائل كلامهما بأواخره ، ووصل أجزاء كلامهما بعضها ببعض يكفي لردّ الأنصاريّ وغيره إلى الصواب،وقد بينت فيا مرّ من نصوص ما كان الخليل والفراءيعنيان من كلمة ( الغلط ) ، وما كانا يفسران به ما خيّل لابن جني والسيوطيّ أنه خطأ أو لحن ، فقد كانا يوجهانه توجيهاً لغويـــاً سليماً ينفي عنهما شبهة أنهما كانا يخطئان العرب .

يؤيد هذا ما فسرّ به البغداديّ معنى ( الغلط ) الذي جاء في كلام سيبويه. قال البغداديّ ، « وزعم سيبويه أن قوماً من العرب يغلطون فيقولون : إنّهم أجمعون ذاهبون ، وإنك وزيد ذاهبان . وقال : « ومراد سيبويه بالغلط توهم عدم ذكر ( إنّ ) لا حقيقة الغلط ، كيف وهو القائل : إن العرب لا تطاوعهم ألسنتهم في اللحن والخطأ »[1] .

وهذا هو ما كان يعنيه الخليل والفراء حين ينسبون الغلط إلى العرب بقولهما: ( وإنما يغلطون ) أو ( ربما غلط الشاعر ) أو نحو ذلك ، وبهذا انهار الأساس الذي استند إليه الأنصاريّ في إثبـات أن الفراء كان ينزع منزع البصريين في تخطئة العرب ، وبطل ما تصوره من خلط الفراء المذهبين ، ومن كونه مؤسس مذهب البغداديين .

وأما التهجم على القراءات السبع ، وهو الذي حاول الدكتور الأنصاريّ أن يلصقه بالفراء فليس في كلام الفراء ما يؤيده ، بل لا أحسبه إلا افتئاتاً عليه ، أو حملًا لكلامه على محمل لا يليق به ، وهل يليق بالفراء الذي ما فتىء يدافع عن

(١) خزانة الأدب ٤/٣٢٥ .

القرآن والقراءات ، ويدفع عنها نقدات المتحاملين عليها أن يوضع في موضع المتحاملين الطاعنين على القرّاء ، أو المتهجمين على القراءات ! !

غير أن الدكتور الأنصاريّ الذي رأى في الفراء طرازاً جديداً من الدارسين كان قد خطرت له فكرة ، أو تلقفها من غيره ، وصادفت في نفسه قبولاً فأراد أن يخرجها في رسالته حقيقة واقعة ، ولكنه لم يفلح ، ولم يوفق إلى ما أراد فوقع في التناقض ، واضطربت أقواله في صاحبه ، فبينا كان يراه سلفيّ النزعة إزاء القراءات كثير الاعتداد بالرواية ، سليم الطريقة في الدرس اللغويّ ، إذ به يتحامل عليه ، ويسمه بالتهجم على القراءات ، وبالحكم على قراءة سبعية بالبطلان ، ويحمّله وزر هذا التهجّم وهذا الحكم ، وبعدّ تحمّله هذا الوزر مأساة ، كل ذلك من أجل أن يخلص إلى أن الفراء كان طرازاً خاصاً تجتذبه نزعتان ، نزعة كوفية قوامها الاعتداد بالرواية ، ومجافاة القياس ، والابتعاد عن الاعتبارات العقلية ؛ ونزعة بصرية قوامها الغلوّ في القياس ، وتحكيم الاعتبارات العقلية في اللغة والقراءة .

ومن أجل أن يتمحّل في بيان تأثير النزعة البصرية في مذهبه أخذ يتمسك بأضعف القرائن وأوهى الدلائل ناشداً ذلك في غمزات المتعصبين على المذهب الكوفي ، وفي أقوال الدارسين الذين ورثوا التعصب عليه ، ويتشبث بتأويلات هؤلاء المتعصبين وتلفيقهم في الدسّ عليه .

وأخذ يتسقط للفراء أقوالاً في قراء لم يكونوا ثقة عند قراء آخرين ، ولم يخطّئهم الفراء ، ولكنه نقل تخطئة القراء إياهم ، أمثال يحيى بن وثاب ، ولم يلحنهم ، ولكن القرّاء أنفسهم الذين لحنوهم ، فجعل الدكتور الانصاريّ من ذلك ثغرة نفذمنها الى التحامل على صاحبه وتشديد النكير عليه ، واتهامه بالوقوف مع البصريين في التهجم على القراءات والتحامل على القرّاء ورميهم بالجهل ، حتى كان من اليسير عليه أن ينسب إلى صاحبه أنه يحكم على القراء بالجهل[1] ، غير أن

(١) أبو زكريا الفراء ٣٨٧ .

القراء حتى في القراءات التي ضعّفها القراء قبله لم يتحامل ، ولم يتهجم ، ولم أقف له على شيء من هذا في ( معاني القرآن ) .

لقد تمسك الدكتور الأنصاريّ بقراءة ( طلحة بن مصرّف ) قوله تعالى : « قال لمن حوله ألا تستمعون ، قرأها طلحة بكسر اللام في ( حوله ) ، ولم يخطئها القراء ، ولكنه رواها ، فقال : « وحدث مندل بن عليّ العنزيّ عن الأعمش قال : كنت عند إبراهيم النّخعي وطلحة بن مصرّف يقرأ ( قال لمن حوله ألا تستمعون ) بنصب اللام من ( حوله ) فقال إبراهيم : ما تزال تأتينا بحرف أشنع ، إنما هي ( لمن حولِه ) قال : قلت : لا إنما هي ( حوله ) قال : فقال إبراهيم : يا طلحة كيف تقول ؟ قال : كما قلت : لمن حولِه . قال : قال الأعمش : قلت : لحنتما لا أجالسكما اليوم ».[1] وهذا هو كل ما جاء في ( معاني القرآن ) مما يتعلق بهذه القراءة ، ولم يعلّق عليها بشيء ، ولا خطّأ صاحبها ، ولا رماه بالجهل ، ولو صح ما نسبه إليه الدكتور الأنصاريّ لما كان في تخطئته إياها بأس ،لأن ـ الأعمش الذي حدّث بهذا،وكان أحدالذين أخذ عنهم حمزةابن حبيب الزيات أحد القراء السبعة هو الذي لحّن هذه القراءة قبله ،وليس الأعمش نحوياً بصريّاً يخضع القراءات للقياس ، وكان علماء القراءة قد قسموا القراءات أقساماً منها المتواتر ، ومنها المشهور ومنها الآحاد ، ومنها الشاذ ، فالمتواتر ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، والمشهور ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ، والآحاد وهو ماصح سنده وخالف الرسم أو العربية ،أولم يشتهر ولم يقرأ به ، والشاذ وهو ما لم يصح سنده .[2] أفكان علماء القراءة ينزعون إلى مذهب البصريين في تمسكهم بالقياس وتحكيم العقل في القراءات؟ومع ذلك كان أبو زكريا في عرضه لهذه القراءات أشدما يكون تحرجاً أن يخطئها أو يتحامل عليها.

(١) معاني القرآن ٢/٧٦ .

(٢) الإتقان ١/٧٧ .

وتمسك أيضاً بقراءة الأعمش ويحيى بن وثاب ( بمصرخيّ ) بخفض الياء ، وراح يتحامل على صاحبه ، لأنه قال فيها : « ولعلها من وهم القراء طبقة يحيى، فإنه قلّ من سلم منهم من الوهم » [1] مع أنه صححها حين قال : وقد سمعت بعض العرب ينشد :

قال لها هل لك ياتا فيِّ      قالت له ما انْتَ بالمرضيِّ

فخفض الياء من ( فيّ ) فإن يك ذلك صحيحاً فهو مما يلتقي من الساكنين فيخفض الآخر منها ، وإن كان له أصل في الفتح ، ألا ترى أنهم يقولون : لم أره مذُ اليوم ومذِ اليوم ، والرفع في الذال هو الوجه ، لأنه أصل حركة ( مذ ) ، والخفض جائز ، فكذلك الياء من (مصرخيّ) خفضت ولها أصل في النصب»[2].

وتمسك أيضاً في التحامل على أبي زكريا بقراءة زهير الفرقبيّ « متكئين على رفارف خضر وعباقريّ حسان » وبموقف أبي زكريا منها ، فقد نقل من مصورته ما نصه : « حدثني معاذ بن مسلم بن أبي سارة قال : كان جاري زهير الفرقبيّ يقرأ (متكئين على رفارف خضر وعباقريّ حسان) فالرفارف قد تكون صواباً، وأما العباقريّ فلا ، لأن ألف الجماع لايكون بعدها أربعة أحرف ، ولا ثلاثة صحاح ، وعقب عليه بقوله: «فأنت تراه يحكّم القاعدة الصرفية في قراءة واردة، ويرفضها ، لأنها لا تتفق مع القاعدة » [3] .

ثم أخذ يناقش أبا زكريا ، فذكر أن في تعليله نظراً ، لأن ألف الجمع لم يقع بعدها أربعة أحرف ، ولا ثلاثة صحاح ، فتأمل ، اللّهم إلاّ أن يقال إنه اعتبر الياء المشددة ، فيكون مجموع الحروف بعد الألف أربعة ، وحينئذ نقول له : إن ياء النسب لاتدخل في الحسبان ، فالمفرد ( عبقريّ ) منسوب الى

(١) معاني القرآن ٢/٧٥ . أبو زكريا الفراء ٣٨٨ .

(٢) معاني القرآن ٢/٧٦ . أبو زكريا الفراء ٣٨٩ وقد نقل النص من خزانة الأدب لامن مصورته الخاصة التي كان يحيل عليها الدارسين كثيراً .

(٣) أبو زكريا الفراء ٣٨٧ .

عبقر ، والجمع عباقريّ [١] .

ولا ريب أن الدكتور الأنصاريّ قد تمحل في هذا التعليق ، وتعسف، لأن الفراء لايرى الياء في (عبقريّ) ياء النسبة ، ولأن ( عبقريّ ) ليس مفرداً عنده، وليس الذي ظن أنه وقع له للرد على الفراء مما كان الفراء يغفل عنه ، ولكي ألفت انتباه الباحث الفاضل إلى ذلك أستشهد لهبقول ابن منظور في اللسان ،قال:

« قال الفراء : العبقريّ : الطنافس الثخان ، واحدتها : عبقرية » [٢] .

ونسب القرطبيّ هذا الرأي إلى قطرب فقال : « قال قطرب : ليس ( يعني العبقريّ ) بمنسوب ، وهو مثل كرسيّ وكراسيّ ، وبختيّ وبخاتيّ » [٣] .

ثم إن إنكاره ( عباقريّ ) ليس لأنه خالف قاعدة صرفية ،كما وهم الباحث ، بل لأنه خالف أسلوب العربية في الجمع ، وقد عرض القرطبي لهذه القراءة فقال: « وقرأه بعضهم ( عباقريّ ) وهو خطأ ، لأن المنسوب لا يجمع على نسبته » ، ودعم رأيه هذا بما روى عن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قرأ : « متكئين على رفارف خضر وعباقر حسان » [٤] .

بهذه الامثلة المعروضة عرضاً خطابياً راح الدكتور الانصاريّ يتحامل على الفراء ، ويحاول إقناع الدارسين بانحيازه إلى البصريين ، وراح يوجه تصحيح الفراء لقراءة الاعمش ( بمصرخيّ ) بخفض الياء توجيهاً فظيعاً ، فقال : « انظر معي إلى موقف الفراء من هذه القراءة كيف أنكرها ، ثم عاد يتلمس لها بعض الوجوه . أكبر الظن أنه حين أنكر ما أنكر كان ينظر إلى القراءة من حيث هي قراءة فحسب ، ولهذا خطّأ قارئيها ، ورماهم بالوهم جريا على منهج البصريين في عدم الاعتداد بالرواية ، ولو كانت في قراءات القرآن الكريم، ثم لما سمع بيتاً

---

(١) أبو زكريا الفراء ، ذيل ص ٣٨٧ .

(٢) لسان العرب ٤/٥٣٥ .

(٣) الجامع لاحكام القرآن ١٧/١٩٣ .

(٤) الجامع لاحكام القرآن ١٧/١٩٢ ، ١٩٣ .

من الشعر بدأ يتلمّس الوجوه على عادة النحويين البصريين أيضاً من احترام الشعر أكثر من الروايات القرآنية مع الاسف ، أكلّ هذا نراه من الفراء ويظل فيها تشكك أو ظل من التردد في أنه تأثر بالبصريين إلى حد كبير »[1] .

بمثل هذا التوجيه واللعب بالالفاظ أراد الدكتور الانصاريّ أن يقنعنا بأن الفراء كان قد تأثر بالبصريين إلى حدّ كبير ، وأن يصوّر الفراء في صورة دارس كان يتعمد مخالفة القراءات لانها قراءات ، ونسي حديثه عن سلفية الفراء في موقفه من القراءات .

لا أدري كيف فهم أنه أنكر هذه القراءة لانها قراءة ، ثم صححها لانه سمع بيتاً من الشعر يحكيها ؟ ومن هؤلاء البصريون الذين تحدث عنهم وزعم أنهم يحترمون الشعر أكثر من القراءات ؟ وأين رأى هذا وتحقق منه ؟ هل رآه عند النحاة البصريين الذين عاصروه كسيبويه والجرميّ والمازنيّ ؟ وهل رآه عند البصريين الذين سبقوه كالخليل بن أحمد وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب ؟ . إن مثل هذا الزعم المرسل لايليق بجدّ البحث ، ولا يصمد أمام منهجه .

ثم يواصل الدكتور الانصاريّ حملاته على الفراء، متابعاً البغداديّ في تلفيقه المزاعم ، وتحريفه النصوص ، فقد عرض البغداديّ لمقالة الفراء في تفسيره قوله تعالى : « وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم » حاذفاً بعض كلامه ، وموصلاً بعض الأجزاء ببعض ، حتى بدا الفراء وكأنه يبطل قراءة من القراءات السبع .

ومن المفيد أن أنقل هنا نصّ كلام الفراء في تفسير هذه الآية من سورة الأنعام، ليكون الدارس على علم بما يكون عليه حال المحرّفين من ذوي الأهواء. قال الفراء : « وفي بعض مصاحف أهل الشام ( شركايهم ) بالياء ، فإن تكن

---

(١) أبو زكريا الفراء ٣٨٩ .

مثبتة عن الأولين فينبغي أن يقرأ ( زُيِّنَ ) وتكون الشركاء هم الاولاد لانهم منهم في النسب والميراث ، فإن كانوا يقرؤون ( زَيَّنَ ) فلست أعرف وجهها إلا أن يكونوا فيها آخذين بلغة قوم يقولون : أتيتها عشايا ، ثم يقولون في تثنية الحمراء : حمرايان ، فهذا وجه أن يكونوا قالوا : ( زَيَّنَ لكثيرٍ من المشركين قتل أولادهم شركائهم ) ، وإن شئت جعلت ( زَيَّنَ ) إذا فتحته فعلا لإبليس، ثم تخفض الشركاء باتباع الاولاد . وليس قول من قال : إنما أرادوا مثل قول الشاعر :

فزججتها متمكنا زجَّ القلوص أبي مزاده

بشيء ، وهذا مما كان يقوله نحويو أهل الحجاز ، ولم نجد مثله في العربية »[1] .

نقل الانصاريّ هذا النص إلى قوله : (فلست أعرف جهتها) ولكنه صحّف هذه العبارة على نحو ما فعل البغداديّ ، فقد جاءت العبارة في الخزانة :(قلت: لا أعرف جهتها ) ، فقول الفراء ، ( فلست ) صار فيما نقله البغداديّ : ( قلت) ثم زاد ( لا ) .

أثبت الانصاريّ عبارة ( لا أعرف جهتها ) ثم لم يتمّ النص ، واتخذ من قول الفراء : ( فإن تكن مثبتة عن الأولين) دليلا على تشككه في قراءة سبعية، وهو وهم وتعسف ، لان الفراء كان في توجيه ما في بعض مصاحف أهل الشام يقلب الامر على وجوهه المحتملة ، ثم يوجّه كلّ وجه على حدة ، فالشكل الذي تستريح إليه نفسه ، ولكنّ الانصاريّ بتر النص وشوّهه لكي يوجه نقده إلى عمل الفراء ، ويتحامل عليه .

ولمّا أحس بأن هذا البتر لم يسعفه في تحقيق غرضه توسل بكلام آخر للفراء أشار فيه إلى هذه القراءة إشارة عابرة ، وكان الفراء يقول في تفسير قوله تعالى من سورة إبراهيم : « مخلف وعده رسله » : « وليس قول من قال : مخلف

(١) معاني القرآن ٣٥٧/١ ، ٣٥٨ .

. وعده رسله » ولا « زُيّن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم » بشيء
ونحوِه أهل المدينة ينشدون قوله :

فزججتها متمكنـــا زجّ القلوص أبي مزاده

قال الفراء : « باطل والصواب : زج القلوص أبو مزادة »[١] .

فحرّف الأنصاري النصّ ، وجعل قول الفراء : ( باطل ) بعد ذكر الآية ، وقوله : ( ونحوه أهل المدينة .. ) بعد قوله ( باطل ) فهيأ له هذا التحريف أن يزعم أن الفراء كان يحكم على قراءة سبعية بالبطلان .

وقابلت كلامه في كتابه بكلام البغداديّ في الخزانة فإذا هو هو بما يدل على أنه لم ينقل النص من مصورتـه التي أكثر من الإشارة إليهـا ولا المطبوع من ( معاني القرآن ) بل نقله من الخزانة [٢] ، كلمة كلمة وحرفاً حرفا ، مـع أنه أشار في نهاية النص إلى ص ١٦٥ من مصورته موهماً أنه نقلهـا من كلام الفراء لا من كلام البغداديّ .

ولما ظن أن الأمر قد أحكم تمويهه وإيهامه أخذ يحمل على الفراء في أسلوب خطابيّ لا مكان له في بحث علمي ولا في رسالة جامعية ، ويقول : « فانظر الى الفراء تنتابه النزعـة البصرية فيخرج عن طبيعته السمحة من ناحية ، وعن منهج الكوفيين السليم إزاء القراءات من ناحية اخرى ، فيحكم على قراءة سبعية بالبطلان استجابة لتحكيم القياس في منهجه الذي تأثر بمنهج البصريين الى حد بعيد »[٣] .

غير أن الدارس لا يسعه إلا أن يأسف أن يُرْتكَبَ في حق الدرس ما ارتكبه الدكتور الأنصاري في حقه ، وفي حق أحـد النابهين من أعلامه من أجل أن يثبت فكرة خيالية من صنع محدثين سبقوه ، ولم يقدموا الدليل عليها ،

---

( ١ ) معاني القرآن ٢/٨١ ، ٨٢ .
( ٢ ) الخزانة ٢/٢٥٣ ، ٢٥٤ .
( ٣ ) أبو زكريا الفراء ٣٩٠ .

ولا استطاعوا أن يجعلوا منها حقيقة واقعة ، أعني فكرة المذهب النحويّ الثالث الذي يقوم في خيالهم الخصب على أساس اختيار مزايا كلا المذهبين وتوحيدها في مذهب منتخب مختار هو المذهب البغدادي .

فإذا رجعت الى النص الذي نقلته من ( معاني القرآن ) لم تجد فيه طعناً على قراءة ، ولا تهجماً على ابن عامر ، بل لم يرد فيه اسمه ، ولا جاء فيه إشارة الى نسبتها إليه . وغريب أن يفهم الدكتور الأنصاري من كلام الفراء في هذا النص أنه قدح بقراءة سبعية متواترة إلا أن يكون قد أخذ بما زعمه البغدادي من أن الفراء هو الذي « فتح ابتداء باب القدح على قراءة ابن عامر »[1] .

الحق أن هذا الادعاء هو المأساة ، لأن الفراء لم يتشكك في قراءة سبعية حين قال : ( فإن تكن مثبتة عن الأولين ) ، ولكنه عبّر بقوله هـذا عن أن مثل هذا لم يصل إليه ، واذا قال : ( فلست أعرف جهتها ) فقد كان أميناً مع نفسه ، ومنسجماً مع منهجه ، فلم يرد أن يتّهم قارئاً بالجهل ، ولا أن يوجّه القراءة توجيهاً تمليه عليه الصناعة ، بقرينة أنه راح يوجه ما احتمل أن أهل الشام كانوا يقرؤون ، بأنهم إن كانوا قد قرؤوها فعلاً فلا بد أنهم كانوا آخذين بلغة قوم يقولون: أتيتها عشايا ، وهذا تصحيح للقراءة لا تشكيك فيها .

ولو كان الدكتور الانصاري قد اتهم الفراء بعدم الوقوف على مثل هـذه القراءة لكان أقرب الى فهم النص من محاولة اتهامـه بالتشكك في قراءة سبعية متواترة .

أما قول الفراء ( باطل ) ، وهو الذي اتخذه الأنصاري ذريعة للتحامل عليه فلم يكن موجهاً إلى القراءة ، ولكنه كان موجهاً إلى تفسير نحويي أهل المدينة ، وحملهم ما كان في بعض مصاحف أهل الشام على قول الشاعر ، ( فزججتها الخ . )

---

(١) خزانة الأدب ٢/٢٥٤ .

فقد جاء قول الفراء : ( باطل ) عقب ايراد البيت وانسجم مع قوله بعده : « الصواب : زج القلوص أبو مزادة » .

والذي يؤكد أن الدكتور الأنصاري إنما كان ينظر إلى الفراء من الزاوية التي كان ينظر إليه منها البغدادي وغيره أنه لم يرد أن يصدّق حتى مقالة أئمة التصعب على الكوفيين ، فقد عمد إلى كتب الخلاف بين البصريين والكوفيين ، وإلى كتاب ( الإنصاف ) خاصة عساه أن يجد أبا البركات ينسب هذا الرأي الى الفراء ، ولكنه لم يجد فيه شيئاً مما أراد ، وكبر عليه ألا يجد في كلام أبي البركات ما يدين الفراء ، وعزّ عليه أن يخيب أبو البركات ظنه فراح يلومه ، لأن « عدم التصريح باسم الفراء أحدث نقصاً ولبساً حيث يفهم القارىء أي قارىء أن الفراء داخل في الكوفيين ، وأنه قال بمقالتهم ، والواقع غير ذلك ، فإنه كان مع البصريين ، بل إنه سبق البصريين جميعاً فكانوا معه »[1] .

غريب أن تغلي الحماسة في نفس الدكتور الأنصاري ، وتغطي العاطفة المتقدة على تفكيره فيقول باندفاع الخطيب لا بأناة الباحث : « لئن كان هناك وزر يتحمله باحث ما ، إنّ وزر هذا الطعن على قراءة سبعية أول ما يقع على كاهل صاحبي أبي زكريا »[2] . أو يقول : « إن الفراء كان أول من فتح باب الطعن حقاً فليتحمل جريرة ما قدمت يداه »[3] . أو يقول : « هذا إلى أن البصريين لم يروا بأساً من اتباعه والاقتداء به حين رأوه يقف في طليعة الصف البصريّ يتهجم على القراءات ، ويحكّم فيها القياس والقوانين التي وضعوها بأيديهم »[4] .

وهذا منطق لا ينبغي أن يسيطر على تفكير باحث ، وحماسة لا يجوز مثلها في بحث علمي ، واذا جاز أن يصدر عن مثله باحثون غير منهجيين فلا يجوز أن

---

(١) أبو زكريا الفراء ٣٩٢ .
(٢) أبو زكريا الفراء ٣٩١ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) أبو زكريا الفراء ٣٩١ .

يصدر عنه باحث يدعي المنهجية ، ويرى أن المنهج يقتضي الدارس أن يسلم نفسه للبحث عن الحقيقة أيا كانت الحقيقة[1] ، وافقت رغبته أم لم توافقها . وهل الحقيقة التي ينشدها الأنصاري هي تبنيه هذه ( النظرية ) ، وزعمه أنه استطاع أن يتخذ منها نظرية علمية مؤيدة بالحجج والبراهين ؟

وأين تقع الحقيقة التي يتحدث عنها المؤلف ؟ أفي الباب الأول الذي كان الفراء فيه سلفيّ النزعة في احترامه القراءات ، وتمسكه بالإجماع أو اعتداده بالرواية ، واحتجاجه بالحديث أم في الأبواب الاخرى التي وقف الفراء فيها في طليعة الصف البصري يطعن على القراءات ، ويتحامل على القراء ، ويحكم عليهم بالجهل ، ويسابق البصريين القياسيين في تخطئة العرب في لغتهم ؟!!

الحق أن الفراء بدأ سلفي النزعة في دراسته القرآنية واللغوية ، وانتهى سلفي النزعة فيها أيضاً ، وأن في أقواله وآرائه وكتبه أكثر من شاهد على عنايته بالقرآن والقراءات ، وتحرّجه في مخالفة نصوص الكتاب وإن تعارضت مع القواعد الموضوعة ، واتخاذ القراءات مصدراً من مصادر الدرس اللغوي والنحوي عنده ، وصلابته في الدفاع عن القراءات ورد حملات أهل القياس عليها .

ومن ذلك : دفاعه عن قراءة حمزة قوله تعالى : « لا تخف دركا ولا تخشى » بجزم ( لا تخف ) ورفع ( ولا تخشى ) ، فقد قال : « ولو نوى حمزة بقوله : ( ولا تخشى ) الجزم وإن كانت فيه الياء ( يريد الفراء المرسومة بالياء ) كان صواباً ، كما قال الشاعر :

هزّي إليك الجذع يجنيك الجنى

ولم يقل : يجنك الجنى . وقال الآخر

هجوت زبّان ثم جئت معتذراً　　من سبّ زبّان لم تهجو ولم تدع

(١) أبو زكريا الفراء ٥١١ .

ولم يقل ، لم تهج . وقال الآخر :

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بني زياد

فأثبت في ( يأتيك ) الياء ، وهي في موضع جزم لسكونها فجاز ذلك »[1].

فقد صحح الفراء هنا قراءة حمزة ، وأيدها بشواهد من كلام العرب ، ولو كان ، كما زعم المؤلف ، لخطأ حمزة في قراءته هذه ، لأن القياس جزم الفعل بعد ( لا ) في النهي .

ومن ذلك : تحرّجه في تحميل الكتاب ما لا يحتمل من تقدير أو تأويل يقتضيه القياس ، كما كان النحاة البصريون يفعلون ، فقد عرض لآيات فيها شرط وليس له جواب ، فلم يقدر لها الجواب كما حرص بعض النحويين . ومن هذه الآيات قوله تعالى : « أفمن كان على بينة من ربه » ، ولم يقدر للشرط بن جواباً لأنه « ربما تركت العرب جواب الشيء والمعروف معناه[2] » . وأيد ذلك بقول الشاعر :

فأقسم لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

ثم عززه بشاهد من القرآن الكريم فقال : « وقال الله تبارك وتعالى ، وهو أصدق من قول الشاعر : ( ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض ) فلم يؤت بجواب[3]

فالدارس الذي يجعل القرآن الكريم في المرتبة العليا من الفصاحة والصدق ، ويقول : « وهو أصدق من قول الشاعر » لا يواجه بمثل ما واجهه المؤلف من من تحامل وتهجم ولوم وتقريع .

( ١ ) معاني القرآن ٢/١٨٨ .
( ٢ ) معاني القرآن ٢/٦ ، ٧ .
(٣) معاني القرآن ٢/٧ .

أما أقواله الصريحة بتحرّجه في مخالفة الكتاب ، وتخطئة القراءات فكثيرة.

منها : ما جاء في تفسير قوله تعالى : « إن هذان لساحران » فقد قال : « قد اختلف فيه القراء ، فقال بعضهم : وهو لحن ، ولكنّا نمضي عليه لئلا نخالف الكتاب [1] .

ومنها: ماجاء عند عرضه لقراءة أبي عمرو بن العلاء: «إن هذين الساحران» فقد ذكر أنه احتج أنه بلغه عن بعض أصحاب النبيّ أنه قال: « إن في المصحف لحناً وستقيمه العرب » فقال : « ولست أشتهي أن يخالف الكتاب »[2] ثم أخذ يذكر القراءات المختلفة في « إن هـذان الساحران » فذكر أن بعضهم قرأ : « إن هذان لساحران » خفيفة ، وأن عبدالله قرأ: «أن هذان اساحران» بهمزة مفتوحة ونون خفيفة وبترك لام التوكيد . وأن أبيّا قرأ : ( إن هذان لساحران ) على جعل (إن) بمنزلة ( ما ) في النفي ، ثم قال : « فقراءتنا بتشديد إنّ وبالألف » .

وجاء النحاة فتأولوا في قراءة نافع وابن عامر وأبي بكر وحمزة والكسائيّ وأبي جعفر ويعقوب وخلف[3] ، أو قراءة المدنيين والكوفيين[4] ، وهي القراءة التي قال الفراء إنها قراءتنا ، وهي قراءة (إن هذان لساحران) بتشديد ( إنّ ) وبالألف ، التي كان أبو عمرو ابن العلاء النحويّ يقول فيها : « إني لأستحيي من الله أن أقرأ ( إن هذان ) »[5] .

ولكن الفراء تحرج في أن يدفع هذه القراءة ، وراح يوجهها توجيهاً يدفع عنها تحامل النحاة ، ويبعد عنها تأويلاتهم وتحملاتهم ، فليس في هذه القراءة عند

(١) معاني القرآن ١٨٣/٢ .
(٢) معاني القرآن ١٨٣/٢ .
(٣) معاني القرآن ١٨٢/٢ . — الهامش .
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢١٦/١١ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢١٦/١١ .

الفراء خطأ أو لحن ، كما يفهم من قول أبي عمرو ، لأنها إنما تمثل أسلوباً عربياً فصيحاً ولأنّ لها في العربية وجهاً صحيحاً ، بل جعل الفراء ( هذان ) بالألف في الرفع والنصب والخفض هو الأقيس ، وأيدها بلغة بني الحارث بن كعب ، فهم « يجعلون الاثنين في رفعها ونصبها وخفضها بالألف وأنشدني رجل من أسد عنهم يريد بني الحارث :

فأطرق إطراق شجاع ولو يرى مساغاً لناباه الشجاع لصمّما

قال الفراء : « وما رأيت أفصح من هذا الأسديّ ، وحكى هذا الرجل عنهم : ( هذا خطّ يدا أخي بعينه ) ، وذلك وإن كان قليلاً أقيس »[1] .

وقد أيد القرطبيّ الفراء فذكر أنها لغة بني الحارث بن كعب وزبيد وخثعم وكنانة ابن زيد ، وقال : « إن هؤلاء يجعلون رفع الاثنين ونصبه وخفضه بالألف ، يقولون : جاء الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان . وزاد القرطبيّ على ما ذكره الفراء فاستشهد بقوله : « كسرت يداه ، وركبت علاه ، يريد : يديه وعليه ، وبقول الشاعر :

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

وحكى القرطبيّ عن أبي جعفر النحاس أنه قال : « وهذا القول أحسن ما حملت عليه الآية إذ كانت هذه اللغة معروفة ، وقد حكاها من يرتضى بعلمه وأمانته » ، وذكر من هؤلاء الذين يرتضي بعلمهم وأمانتهم أبا الخطاب الاخفش وأبا زيد الأنصاريّ والكسائيّ والفراء[2] .

وكان الفراء يقول : « حدثني أبو معاوية الضرير عن هاشم بن عروة بن الزبير عن أبيه عن عائشة أنها سئلت عن قوله في ( النساء ) : « لكن الراسخون في العلم منهم .... والمقيمي الصلاة » ، وعن قوله في ( المائدة ) : « إن الذين آمنوا

---

(١) معاني القرآن ٢/١٨٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١/٢١٦ ، ٢١٧

والذين هادوا والصابئون » وعن قوله : « إن هذان لساحران » فقالت يابن أخي هـذا كان خطأ من الكاتب ، وقرأ أبو عمرو : « إن هذين لساحران » واحتج أنه بلغه عن بعض أصحاب محمد ﷺ أنه قال : « إن في المصحف لحناً وستقيمه العرب . قال الفراء : ولست أشتهي على أن أخالف الكتاب »[١] .

لم يستسغ الفراء أن ينسب شيء من هذه القراءات إلى الخطأ واللحن ، لأن لكل قراءة منها وجهاً في العربية صحيحاً ، ولم يخطىء هذه القراءات ، أو يتهجم على الذين قرؤوا بها لمخالفتها القياس والقوانين الموضوعة ، كما اشتهى أن يصوره الدكتور الانصاريّ به ، ولكنه قال : « ولست أشتهي على أن أخالف الكتاب » ، كما قال عند عرضه لقراءة « إن هذان لساحران » : « لكنّا نمضي عليه لئلا نخالف الكتاب » .

وبعد فلو كان الدكتور الانصاريّ اكتفى أن يدرس الفراء ، ويجلو لنا نحوه ولغته وطريقته لأتى بالمفيد ، وتجنب الوقوع في المتناقضات ، ولكنه كان مأخوذاً بسحر الفكرة التي ابتدعها المحدثون ، وكان يريد أن يأتي بجديد لم يسبق إليه فسلك هذه السبيل الملتوية ، فلم تقل عثراته ولا اطردت خطواته ، ورأى نفسه في غمرة التناقض حتى لسدّ دونه الدرب الذي يوصله إلى غرضه .

وفات المؤلف الفاضل أن يعلم أنه بتحامله هذا ، وجريه وراء آمال كواذب كان قد نسف الدرس الكوفيّ الذي نظر إليه على أنه حقيقة تاريخية واقعة ، ووضع يده على مزاياه وخصائصه ، لانه حين تحدث عن مذهب البغداديين كان يتحدث عن مذهب مستخلص من مذهب واحد لا من مذهبين ، وعن درس يقف بإزاء درس واحد لا درسين ، لانه إذا أخرج الفراء من الكوفيين ، ورأى في الكسائي مزايا من المذهبين لم يبق له مذهب يسمّى بالكوفي ، ولم يبق بصنيعه

(١) معاني القرآن ٢/١٨٣ .

هذا من الدارسين الكوفيين غير أبي جعفر الرواسيّ الذي رجح أن يكون هو رأس مدرسة الكوفة ، غير أن الذي وصل إلينا من أقواله لم يسعف الدارس أن يستخلص منه مزايا مذهبية ، لانه لم يعرف له نحو ، ولم تعرف له طريقة ، ولم يكن أبو جعفر ليكون نحوياً ، ورئيساً لمذهب لولا العصبيات المذهبية التي اصطرعت فأضفت عليه سمات المؤسسين ، وزعمت له الرئاسة في النحو ، ولن يستطيع الدكتور الانصاريّ أن يسمّي لنا مصنفاً لأبي جعفر وقف عليه ، أو يذكر لنا أقواله النحوية التي يمكن أن يستخلص منها مزايا الدرس الكوفي، وإذا انتفى أن يكون أبو جعفر الرواسيّ معدوداً في النحويين ، انتفى أن يكون للكوفيين مذهب معروف ، وإذا انتفى هذا وذاك انتقض كل هذا البناء الذي جهد الدكتور الانصاريّ في إقامته وسماه : « أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة » .

إن الذي أريد أن أهمس به إلى الباحث الفاضل هو أن هذه المزايا الجديدة بثالوثها : التحرر والمزج والتجديد، إنما هي المزايا الكوفية نفسها ، وهذا الطابع المتميز الفريد إنما هو طابع الكوفيين ، لانهم هم الذين تحرروا من ربقة تحكيم العقل في الدرس اللغوي ، وهم الذين مزجوا ما تلقوه من نحو بصريّ بما أضافوا إلى الدرس اللغويّ من إضافات لها قيمة كبيرة ردّت إلى الدرس النحويّ اعتباره ثم هم الذين جددوا في أسلوب الدرس وحكّموا الاعتبارات اللغوية فيه ، وبنوا نحوهم على الأصول التي ينبغي أن يُبْنَى عليها من اعتداد بالنقل ، واحترام للقراءات ، واتساع في الرواية والنظر إلى البيئات اللغوية الموثوق بفصاحتها على أنها المورد الذي يصدر عنه الدرس النحويّ .

وأن الدرس الذي بدأ بعمل الكسائي ، وتعهده الفراء هو الدرس الذي وقف بإزاء الدرس البصريّ وسُمي فيما بعد بالدرس الكوفيّ ، وهو الدرس

البغداديّ الذي شهدته بيئات الدرس في بغداد بُعَيْدَ تمصيرها .

وأن اسم البغداديين ، الذي جرت به أقلام النحاة هو اسم للنحاة الكوفيين .

وأنّ فكرة ( المذهب البغدادي ) التي اخترعها المحدثون ، وتعهدتها أنت بالدرس المنهجي كما قلت ، فكرة لم تتجاوز حدود النظرية التي لم يوفق أصحابها الأولون ، ولا دعاتها الآخرون إلى إقامة الدليل عليها .

مهدي المخزومي

* * *

# ملاحظات على وفيات الاعيان

## تحقيق الدكتور إحسان عباس

المجلد الرابع ( كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ ؛ – ط . بيروت . مطبعة الغريب

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

١ – ص أ من المقدمـة: « أمـا النسخة (م) التي اعتمدنا عليها في الأجزاء السابقة ، ثم وقع فيها خرم كبير أشرنا إليه في موضعه ، فإننا سنهمل الاعتماد عليها بعـد إذ توفر لدينا عدد غير قليل من النسخ » .

لو كان المحقق قد بذل جهده في الحصول على المخطوطات اللازمة ودرس هذه المخطوطات سلفاً لما وقع في هذا النوع من الاضطراب الذي لا يقبله منهج التحقيق العلمي ، فلقد اعتمد نسخة غير مرتضاة في الوقت الذي فاته اعتماد نسخ مرتضاة.

٢ – ص أ من المقدمة : « ذكرنا ست نسخ أسعفتنا في تحقيق هذا الجزء، وقد حصلنا على خمس نسخ اخرى لتجعل عملنا أدق وأوفى فيكون مجموع النسخ التي راجعناها في تحقيق هذا الجزء (عدا نسخة المختار التي سنتحدث عنها منفردة) إحدى عشرة نسخة » .

معنى هذا أن العمل في الأجزاء السابقة أقل دقة لأنها لم تستفد مما يمكن أن يكون منها في هذه النسخ الجديدة ، ولا سيما النسخ الكاملة . وهذا يؤكـد أمرين سبق أن أشرنا إليها :

الأول : ما كان على المحقق من تأنٍ حتى تجتمع لديه النسخ وينتهي من درسها

الثاني : إن بهذه الطبعة الجديدة حاجة إلى إعادة التحقيق والطبـــع لتأتي أجزاؤها كلها مقابلة على النسخ المخطوطة .

٣ ــ ص ب : « سؤال ليس من الممكن أن نجيب عليه » .

الصحيح : نجيب عنه .

٤ ــ ( ذو الرُّمة غيلان ) ص ١٢ :

على وجهِ مَيٍّ مِسحةٌ من ملاحة وتحت الثياب العار لو كان باديا

وردت مِسحة بكسر الميم ، والصواب أن ترد بفتحها ــ ينظر اللسان

٥ ــ ص ١٧ قال ذو الرمة :

فإن لا يكن إلا تعلُّلَ ساعةٌ قليلًا فإني نافع لي قليلهـــا

وقد وردت (ساعة) منصوبة ، والصواب أن تأتي مجرورة

٦ ــ ( فتيان الشاغوري ) ص ٢٥ :

وعهدي بكم تسمطون الجداء فما بالكم تسمطون التيوسا

أ ــ إذا كان لابد من ضبط الميم من تسمطون ، فليكن ذلك في الكلمة التي وردت في صدر البيت ليكون القارىء على علم بها مبكراً ، ولينتفع بعلمه لدى قراءة « تسمطون » الشطر الثاني .

ب ــ ضبط المحقق تسمطون بكسر الميم ، وليس ذلك من حقه ، لأن الميم هذه ترد على حالين : الكسر والفتح ، الفعل سمط من باب ضرب ونصر ، وعلى المحقق في هذه الحالة ــ إذا اشترط الضبط ــ أن يضع تحت الميم كسرة وفوقها فتحة ، لئلا يظن القارىء أن سمط من باب ضرب فقط .

علماً أن من المعجمات ــ كالمصباح المنير - ما يجعل سمط من باب قتل وضرب

٧ ــ ( الفضل بن يحيى ) ص ٣٢ : « وكان عمارة كاتب أبي جعفر المنصور ومولاه .... وله رسائل مجموعة من جملتها رسالة الخميس التي تقرأ لبني العباس»

وقال المحقق في الهامش : « رسالة الخميس هذه مما احتفظ به ابن طيفور في كتابه المنظوم والمنثور » .

أ ــ اسم الكتاب : المنثور والمنظوم .

ب – بود القارىء لو علم أكثر عن مكان رسالة الخميس من كتاب ابن طيفور لأن الكتاب لم يصل إلينا كاملاً وما وصل – بما يحتوي أمثال هذه الرسالة – ما زال مخطوطاً . وقد يخشى هذا القارىء أن تكون دلالة المحقق على ابن طيفور قد جاءت عن طريق « جمهرة رسائل العرب » لصفوت إذ أثبت رسالة الخميس لأحمد بن يوسف .

٨ – ٤٣ : وردت الأرقام الدالة على الحواشي هكذا : ١ ، ٢ ، ٢ ، ٣ ، ٤ . وهو خطأ صحيحه : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ . ( ينظر اضطراب آخر وقع ص ٤٧ ) .

٩ – ( الفضل بن سهل ) ص ٤٣ : « وقال فيه مسلم بن الوليد .... من جملة قصيدة :

أقمتَ خلافة وأزلتَ أخرى جليل ما أقمت وما وما أزلتا »

والمعقول أننا إذا أردنا أن نشير إلى المصادر التي ورد فيها هذا البيت ، أشرنا إلى أي مصدر آخر غير وفيات الأعيان الذي تحققه ، ولكن المحقق لم يفعل أكثر من إحالتنا إلى ابن خلكان نفسه ، فقد دلنا الهامش على أن البيت ورد في « ديوان مسلم ( الملحقات ) : ٣٠٧ نقلاً عن الوفيات » ومعلوم أن هذا لا يعني أنه ورد في المطبوع من ديوان مسلم وإنما هو من عمل محقق الديوان الدكتور سامي الدهان (رحمه الله تعالى) إذ عمل ملحقاً ضمنه مالم يرد في المخطوطة لديه من شعر مسلم ، فنقل إلى الملحق – فيما نقل – هذا البيت عن ابن خلكان نفسه !

١٠ – ص ٤٧ : ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ الحديد : ١٦ ) .

عندما ترد آيات في المتن يعقبها المحقق في المتن نفسه باسم السورة ورقم الآية من السورة بين قوسين ، وليس هـذا من حق المحقق لأن المتن خاص بالمؤلف

ولم يضع المؤلف اسم السورة وأرقام الآيات ، ولذا حسن بالمحقق أن ينزل هذه الفائدة ، كلما قصد إليها ، إلى الحاشية .

تنظر – مثلاً – ص ٥٤ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ٣٠٢ ، ٣١٥ ، ٣١٧ .

١١ - ص ٥٤ « وقال [الثعالبي] : اخترت من قصيدته [ أي قصيدة عضد الدولة ] البيت الذي لم يفلح بعده أبياتاً ، وهي .... » .

قد يكون نافعاً أن نذكر أن قول الثعالبي ورد في اليتيمة ( تح – محيي الدين ) ٢ : ٢١٨ هكذا :

« اخترت من قصيدته التي فيها البيت الذي لم يفلح بعده أبداً قوله ... » .

١٢ – ص ٥٤ « ورد أحد أبيات عضد الدولة مضبوطاً هكذا :

مبرزات الكأس من مطلِعها ساقيات الراح من فاق البشر

بكسر اللام من مطلع ولا موجب تحقيقي لذلك ، وفي « القاموس » : طلع الكوكب والشمس طلوعاً ومطلَعاً ومطلِعا ظهر ، وهما للموضع أيضاً . والآية ﴿ سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ ( القدر : ٥ ) بفتح اللام .

١٣– ص ٦٧ : «والوزير أنو شروان ... له تاريخ لطيف سماه « صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور» ونقل منه العماد الأصبهاني في كتاب «نصرة الفترة وعصرة الفطرة » الذي ذكر فيه أخبار الدولة السلجوقية نقلاً كثيراً » .

من باب الفائدة أني أملك مصورة ( عن مخطوطة باريس ) لكتاب العماد وقد جاء في مقدمته : « تأملت الكتاب الذي صنفه الوزير أنو شروان بن خالد بالفارسية وسماه « فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور » .

ومن باب الفائدة كذلك أذكر أن العماد لم ينقل عن كتاب أنو شروان وإنما عرّبه واتخذه أساساً لكتابه ، فقد قال العماد نفسه في مقدمة كتابه :
« .... حتى سامني من انعامه طوق عنقي ... أن أعرّب له الكتاب ، وأعتمد

فيه الصدق والصواب ، فايتمرت لطاعته ... فلما تم تعريبه ، وكمل تهذيبه ، رأيته مقتضب الافتتاح منقطع الاختتام ..... » .

١٤ – ( القاسم بن المظفر ... الشهرزوري ) ص ٦٩ : ذكره الحافظ أبو سعد السمعاني في كتاب « الذيل » ثم ذكره في كتاب « الأنساب » في موضعين : أحدهما في نسبة الإربلي[1] .... والثاني في نسبة الشهرزوري[2] وذكره ابن المستوفي في تاريخ اربل[3] .. » .

وقد جاءت الحواشي هكذا :

١ الأنساب ١ : ١٥٢ ٢ – تاريخ اربل ، الورقة ٩٣ .

٣ – اللباب ( الشهرزوري ) .

والصحيح :

أ – أن تأتي الحواشي هكذا :

١ – الأنساب ١ : ١٥٢ ٢ – اللباب ( الشهرزوري ) .

٣ – تاريخ اربل ، الورقة ٩٣ .

ب – المعقول في الإشارة إلى كلام السمعاني إحالة القارئ إلى كلام السمعاني نفسه ( في الأنساب ) فذلك خير – كما رأينا – من الإحالة إلى اللباب (من كتاب الأنساب ) لابن الأثير ، وأبسط ما في الأمر أننا نحقق نصاً ، وابن خلكان نفسه رجع إلى الأنساب فلم لا نرجع إلى الأنساب كذلك ؟ .

١٥ – ( كلثوم ... العتابي ) ص ١٢٢ – :

ما زلت في غمرات الموت منطرحاً قد غاب عني وجوه الأمر من حيلي
فلم تزل دائباً تسعى لتنقذني حتى استلتَ حياتي من يَديْ أجلي

أ – منطرحاً ، قلقة لغوياً ، ومناسب أن نبحث عن وجه آخر قد يكون الأصح ، وقد بحثنا فوجدنا ، ففي الأغاني ١٣ : ١١٩ ، وفي ياقوت – معجم الأدباء ١٧ : ٢٧ : مُطرّحاً .

ب - كما أن في الروايات الأخرى ما يمكن أن يتخذ مـــادة للمقابلة - وربما التصحيح .

فرواية الأغاني :

ما زلت في غمرات الموت مطرحاً قد ضاق عني فسيح الرأي من حيلي
ولم تزل دائبـــاً تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

ورواية ياقوت :

ما زلت في غمرات الموت مطرحاً يضيق عني فسيح الرأي من حيلي
فلم تزل دائباً تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

١٦ - ص ١٢٤ : « قال الأصمعي: كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى رجل:

إن الكريم ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنيـــاً وهو مجهود
وللبخيـل على أموالــه علل زرق العيون عليها أوجه سود
بُثَّ النوال ولا يمنعـــك قلّته فكلُّ ما سدَّ فقراً فهو محمود » .

الأبيات مشهورة على أنها لبشار وهي في ديوانه ٣ : ١٢٧ - ١٢٨ ،وقبلها:

ظل اليسار على العبـاس ممدود وقلبه أبـــداً بالبخل معقود

وهي لبشار كذلك في الأغاني . وفي حاشية ص ١٢٧ من الديوان بيان عن نسبة هذه الأبيات وترجيح النسبة إلى بشار .

١٧ - ص ١٤٨ : «... حسان بن نمير الكلبي المعروف بالعرقلة الدمشقي ...»

وقال المحقق في الحاشية : «ترجمة العرقلة في الخريدة ( قسم الشام ١ : ١٧٨ ) .

ورجعنا إلى الخريدة - وهي ثقة - فوجدنا العرقلة : عرقلة .

هذا وقد صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق عـام ١٩٧٠ « ديوان عرقلة الكلبي » .

١٨ - ص ١٥٢ « ... ماجراياته » .

وردت في طبعة الوطن ٢ : ٢١٠ : ما جرياته .

١٩ – ( محمد بن ادريس الشافعي ) ص ١٦٣ . .

مناسب لو ذكر المحقق « ديوان الشافعي » الذي جمعه زهدي يكن ، بيروت ١٩٦١ .

ص ١٦٨ « ولمامات [ الشافعي ] رثاه خلق كثير ، وهذه المرثية منسوبة إلى أبي بكر محمد بن دريد صاحب المقصورة ، وقد ذكرها الخطيب في « تاريخ بغداد » وأولها :

بلتفتيه للشيب طوالــــع زواجر عن ورد التصابي روادع
تصرفه طوع العنان وربما دعاه الصبا فاقتاده وهو طائع

. . . . .

أم الهمكُ المغموم بالجمع عالم بأن الذي يُوعى من المال ضائعُ

. . . . .

إذا المقطعات المشكلات تشابهت سما منه نور في دجاهن لامع . . »

أ – مناسب أن يحال في هذه القصيدة وضبط الاختلاف في عدد من كلماتها إلى الخطيب البغدادي ٢ : ٥٦ ، أو إلى الديوان الذي جمعه السيد محمد بدرالدين العلوي من شعر ابن دريد، القاهرة ، ١٩٤٦ص ٧٧ – ٧٨ ، وقد ذكر للقصيدة مصادر كثيرة .

ب – من الاختلاف في الرواية :

١ – تصرفه : وردت في تاريخ بغداد المطبوع : يصرفنه .

٢ – يوعى : يرعى

٣ – المقطعات : المعظلات ، وهي التي أثبتها جامع ديوان ابن دريد راجعاً إلى عدة مصادر .

٢٠ – ( محمد ... الزهري ) ص ١٧٨ : « مات في بيته بنَعْف ، وهي قرية

... ماتت بها أم حزرة زوجة جرير ، فقال من أبيات :

نعم القرين وكنتِ علق مضنة وأرى بنعف بلية الاحجارُ »

والمناسب

أ - وضع الجملة « وكنت علق مضنة » على وجه يرى القارىء أنهـا جملة اعتراضية .

ب - ضبط « بُلَيَّة » لجهل عموم القراء بهـا . جاء في معجم البلدان : « بُلَيَّة بالضم ثم الفتح هضبة باليمامة » .

ومما يذكر أن صدر البيت ورد لدى ياقوت هكذا :

كنتِ القرين وأي علق مضنة ...

٢١ - ( محمد ... المستظهري ) ص ٢٢٠ : « وكان ينشد :

خلتِ الديارُ فسدتُ غير مسوّد ومن العنـاء تفردي بالسؤدد

و ... هذا البيت من جملة أبيات في الحماسة » .

وأشار المحقق إلى أن « العناء » وردت في نسخة ر والمختـار : البلاء ، وفي نسخة ن : الشقاء .

أ - هذه المقابلة مهمة جداً في مهمة المحقق . ولكننا إزاء هذا البيت في حالة خاصة لأننا نملك مصدر ابن خلكان ألا وهو « الحماسة » ، والحماسة تقول : « ومن الشقاء » . وهذا لنا فرصة للترجيح ولإثبات ما جاء في الحماسة في المتن علما أن البيت برواية « ومن الشقاء » ورد في مصادر مهمة ، من ذلك رواية الجاحظ في « البيان والتبيين » ط سنة ١٩٤٩ ج ٣ : ٢١٩، ٣٣٦، وقد أشار محقق « البيان » الأستاذ عبد السلام هارون هـ ٣ : ٢١٩ ، إلى مصادر أخرى مهمة أوردت البيت على هذه الرواية « ومن الشقاء » ، وكذلك فعل في تحقيقه الحماسة بشرح المرزوقي ص ٨٠٦ .

هذا إلى أن النص الذي أثبته المحقق لم يقم على نسخة المؤلف .

ب ـ علق الدكتور إحسان عباس على كلمة « الحماسة » التي وردت في متن ابن خلكان قائلاً : « شرح المرزوقي : ٨٠٧ ، والأبيات لرجل من خثعم ، وورد البيت عند ياقوت ( البقيع ) منسوباً لعمرو بن النعمان البياضي » .

والتعليق نافع ولكنه ناقص ، فقد زاد هامش شرح الحماسة ص ٨٠٦ : « ونسب الجاحظ هذا البيت ... إلى حارثة بن بدر في البيان ٣ : ٢١٩ » . وواضح أن للجاحظ أهميته في مثل هذه الحال . وإننا لو تتبعنا تحقيق هارون للبيان ٣ : ٢١٩ لرأينا مصادر أخرى ترويه على «الشقاء» ولحارثة بن بدر .

٢٢ ـ ( محمد ... الرازي ) ٢٥١ : « أنشد ابن عنين :

يابن الكرام المطعمين إذا شتوا  في كل مسغبة وثلج خاشف ... »

وقوافي هذه الفائية : خاشف ، الراعف ، الخائف ، ثم :

وفدت عليك وقد تدانى حتفها  فحبوتها ببقائها المستأنف

والمعقول أن ترد « المستأنف » مخففة على « المستانف »

ومناسب لو أحال المحقق على ديوان ابن عنين ـ وهو مطبوع ، دمشق ١٩٤٦ ـ وتقع الأبيات مع المناسبة التي قيلت فيها ص ٩٤ ـ ٩٥ ، وهي تلقي ضوءاً على رواية ابن خلكان .

ووردت « مسغبة » في الديوان : مخمصة .

٢٣ ـ ص ٢٥١ « ولابن عنين المذكور فيه قصيدة من جملتها :

ماتت به بدع تمادى عمرها  دهراً وكاد ظلامها لا ينجلي

. . . . .

غلط امرؤ بأبي علي قاسه  هيهات قصّر عن مداه أبو علي » .

القصيدة في الديوان ص ٥٣ ـ ٥٥ ، وقد شكل المحقق ( خليل مردم بك ) منها ما يجب شكله : غلِط . وشرح « أبو علي » فقال : أبو علي هو الشيخ الرئيس ابن سينا .

نقول هذا لأن المحقق يلتزم أحيانا ذكر الديوان والمقابلة عليه ـ تنظر ص٤٣٢ ( الرصافي ) ، ٤٣٨ ( ابن حيوس ) .

٢٤ ـ ( محمد ... الشهرستاني ) ص ٢٧٤ : « مدينة جي بأصبهان يقال لها شهرستان ... وهي على نهر زرندورد ... » .

لدى ياقوت : زندروذ نهر مشهور عند أصبهان عليه قرى ومزارع .

٢٥ ـ ص ٣٢٣ ( أبو بكر محمد بن الحسن ... ابن دريد ... من جيّد شعره قصيدته المشهورة بالمقصورة ... ) .

مناسب أن يذكر في الحاشية :

أ ـ شرح مقصورة ابن دريد للخطيب التبريزي، ط ١ ،المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٨٠/١٩٦١ .

ب ـ ديوان شعر الإمام أبي بكر بن دريد الأزدي ، جمعه وحققه السيد محمد بدر الدين العلوي ، القاهرة ، ١٣٦٠/١٩٤٦ .

وقد التزم المحقق مثل هذا ـ كما رأينا في ترجمة الرصافي ص ٤٣٢ وابن حيوس ٤٣٨ .

٢٦ ـ ص ٣٥٦ ، أبو بكر محمد بن يحيى ... الصولي ... له التصانيف المشهورة منها ... كتاب « الورقة » ، وكتاب « أدب الكاتب » ...

مناسب أن يذكر في الحاشية

أ ـ الورقة ، طبع باسم الأوراق ..

ب ـ أدب الكاتب ، طبع باسم أدب الكتاب .

٢٧ ـ كثيراً ماترد على قلم المحقق: «الطبعة المصرية»، «الطبعة المصرية»... ينظر مثلاً ه ٢٩ ، ١٥٤ .

وهذا غير صحيح لأن هناك عدة طبعات مصرية، وكان المناسب أن يخصص الطبعة التي يقصد إليها بدلالة مميزة ، كأن يقول : ط ـ محي الدين ،أو النهضة ، أو السعادة ..

٢٨ — ترد في الوفيات أسماء كتب كثيرة ، منها ما وصل إلينا وطبع ، ومنها مالم يطبع ... والمناسب أن يوحد المحقق موقفه منها ، ولا شك في أن النص على المطبوع في الحاشية نافع ؛ ولكن يمكن إعفاء المحقق من هذه المهمة إذا لم يشأ أن يقوم بها ، ولكنه إذا نص على كتب ولم ينص على كتب عرض نفسه للمطالبة .

ومن أمثلة الكتب المطبوعة ولم ينص عليها « الأموال » للقاسم بن سلام ص ٦٣ ، و « درة الغواص ، وملحة الإعراب » للحريري ص ٦٦ ، و « الرسالة الحاتمية » ص ٣٦٢ و « الصادح والباغم » لابن الهبارية ص ٤٥٧ .

٢٩ — يشرح ابن خلكان أسماء أماكن أو ألقاب ، أو أحداث ، حتى إذا عاد ذكر هذه الأماكن في تراجم مقبلة ، أشار إلى أنه سبق أن تحدث عنها فلا حاجة إلى الإعادة . والقارىء ، قارىء الترجمة الجديدة ، يهمه أن يعرف مكان حديثه ليفيد منه ، ومن هنا حسن بالمحقق أن يدله في الهامش ،وقد فعل الدكتور إحسان عباس ذلك في بعض الأحيان فذكر الجزء والصفحة . وحسناً فعل ، ولكنه أهمل القاعدة أحيانا كثيرة منها :

أ — ص ٨١ : «... وقد تقدم الكلام على جرجان فلا حاجة إلى إعادته » .

ب — ص ١٥٢ : « .. وقد سبق الكلام على اللخمي فلا حاجة إلى إعادته » .

حـ — ص ١٨٣ : « وعين التمر قد سبق الكلام عليها » .

د — ص ٢٠٩ : « وقد تقدم الكلام على نسبة المروزي والقاشاني فلا حاجة إلى الإعادة » .

هـ — ص ٣٤٨ : «وقد تقدم الكلام على اليمامة والأهواز فأغنى عن الإعادة» .

٣٠ — وحدث مثل ذلك عند ذكر ترجمة سبقت أو ترجمة ستأتي ، فإن المحقق لا يلتزم دلالة القارىء على الجزء والصفحة ، وكان يستطيع أن يسهل المهمة بأن يذكر اسم صاحب الترجمة الذي ذكر ابن خلكان لقبه أو كنيته ،فلا شك

في أن الاسم مفتاح جيد في كتاب يقوم في تسلسله على حروف الهجاء ... فإذ يقول ابن خلكان ص ٢٥١ : « شرف الدين ابن عنين الآتي ذكره .. » يحسن أن يقول المحقق في الحاشية : اسمه محمد بن نصر ، وإذ يقول ابن خلكان ص ٣٢٣ : « ... ومنها أبو المظفر الأبيوردي الشاعر الآتي ذكره .. » يحسن أن يقول المحقق في الحاشية : اسم الأبيوردي محمد ...

يطلب القارىء هذا لحاجته إليه ، ولأن المحقق يدله أحيانا على أعلام معروفة المفاتيح ؛ فقد قال ابن خلكان ص ٢١٩ : « وقد تقدم الكلام على الطوسي والغزالي في ترجمة أخيه أحمد الزاهد الواعظ المذكور في حرف الهمزة ». ومعلوم أن القارىء يستطيع أن يجد أحمد في حرف الهمزة من غير إعياء ، ومع هذا ، فإن المحقق رأى أن يسهل المهمة أكثر فوضع في الحاشية : ج ١ ص ٩٨ .

٣١ – قد يقع المؤلف في وهم وقد يلتزم الشائع ، ويحسن – ومنهم من يقول: يجب – بالمحقق في هذه الحال أن ينبه القارىء ليكون على علم ، وقد رأينا مثلا على ذلك في كلام ابن خلكان على كتاب أنوشروان ، ويمكن أن نرى في هذا الجزء أيضاً مثلا رأيناه في جزء سابق ، وهو أن ابن خلكان يذكّر الكأس عادة . جاء على ص ٨٠ – ٨١ « وكان قابوس ... لا يساغ كأسه ... » .

بغداد : كلية الآداب علي جواد الطاهر

# آراء وأنباء

## مرسوم تجديد رياسة الدكتور حسني سبح
## لمجمع اللغة العربية بدمشق

### مرسوم رقم (١٥٨٢)

رئيس الجمهورية

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لعام ١٩٦٠

وعلى أحكام المرسوم ١٤٣ تاريخ ٢٤/١١/ ١٩٦٧ المتضمن إحداث وزارة التعليم العالي

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٤٨ تاريخ ٢٣/١٠/١٩٦٧

وعلى المرسوم رقم ١٤٦ تاريخ ٢٦/٦/١٩٦٨

وعلى ضبط الجلسة التي عقدها الأعضاء العاملون لمجمع اللغة العربية بدمشق بتاريخ ١٨/٥/١٩٧٢ والتي تم فيها تجديد انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية .

يرسم ما يلي :

١ ـ يجدد تعيين الدكتور حسني سبح رئيساً لمجمع اللغة العربية لمدة أربع سنوات اعتباراً من ١٨/٧/١٩٧٢ .

٢ ـ يتقاضى الدكتور حسني سبح تعويضاً ثابتاً معادلاً لراتب الدرجة الثالثة من المرتبة الممتازة ويصرف من الباب الاول والبند الاول (مخصصات ذوي المناصب ورواتب الموظفين) من موازنة مجمع اللغة العربية .

٣ ـ ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

دمشق في ٢٤/٨/١٩٧٢

رئيس الجمهورية

الفريق حافظ الأسد

# مرسوم تقليص العطلة الصيفية لمجلس المجمع

## المرسوم رقم ( ١٥٨٥ )

رئيس الجمهورية

بناء على أحكام الدستور المؤقت

وعلى المرسوم التشريعي رقم (١٤٣) تاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم (٧٨) لسنة ١٩٦٨

وعلى اللائحة الداخلية لمجمع اللغة العربية الصادرة بالقرار الوزاري ذي الرقم /٣١/ لسنة ١٩٦١ .

يرسم ما يلي

المادة ١ – تعدل المادة /٢٢/ من القرار ذي الرقم /٣١/ لسنة ١٩٦١ المتضمن اللائحة الداخلية لمجمع اللغة العربية وتصبح كما يلي :

« تعطل جلسات المجلس من أول شهر تموز الى آخر شهر آب من كل عام »

المادة ٢ – ينشر هذا المرسوم ويعمل به من تاريخ صدوره .

دمشق في ١٩٧٢/٨/٢٤ .

رئيس الجمهورية

**الفريق حافظ الأسد**

# مصطلحات جديدة، لدرجات علمية عديدة(١)

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

إخواني وزملائي الأعزاء :

في اليوم العالمي ( لمحو الأمية ) قامت حركة شديدة، وعُقدت ندوات شتى ابتهاجاً لما يحمله هذا اليوم من أنبل المعاني الإنسانية . وحقاً أيّ شيءٍ أسمى من أن يعمل الإنسان على ما يُخرج أخاه الإنسان من ظلمات الجهل الى نورِ العلم فيكون إنساناً يمشي على هدى وبصيرة، خيِّراً بين عشيرته وقومه ؟ ﴿ هلْ يَسْتَوِي الّذينَ يعْلَمُونَ والّذينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ — سورة الزمر ٩ — و ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظّلُماتُ والنُّورُ ﴾ — سورة الرعد ١٧ — كما قال الله تعالى في كتابه العزيز .

ولقد غرب عن البال أن ابتهاجنا بهذا اليوم العالمي يجب أن تعود ذكراه إلى ما قبل واحدٍ وتسعين وثلاثمئةٍ وألفِ عام هجري، يوم كان الغرب يتخبط في بحرٍ لُجّيّ من الجهل، في ظلماتٍ بعضها فوق بعض، والذي يتبجح الآن بابتكاره لهذه الفكرة السامية، إذ كان الإسلام أسبقَ الأمم في الحثّ على ( محو الأميّة ) تعميماً، منذ اليوم الذي نادى فيه الرسول الأعظم الهادي ( صلى الله عليه وسلم ) بإطلاق كل أسيرٍ يُعلّم أحد المؤمنين . فما أعظمها مكرمة وأسماها فكرةً ممّن بُعث ليُتمّم مكارمَ الأخلاق .

لكن الغرب الذي أخذ مشعل النور من يد الشرق، وكاد يخبو من جرّاء

---

( ١ ) ألقى المرحوم الأستاذ الدكتور الكواكبي هذه الكلمة في جلسة مجمع اللغة العربية بدمشق في ١٥ شوال ١٣٩٢ هـ = ٢ كانون الأول ١٩٧١ .

الإهمال تهافتاً على متاع الدنيا الخدّاع ، فتعهده واستنار بنوره الساطع ووسّع دائرة إشعاعاته الفيّاضة حتى تجاوزت — في عصرنا هذا — أرجاء الدنيا فبلَغت القمر ، أقول : هـذا الغرب فطن — بعد لأْيٍ — إلى اتخاذ يومٍ عالمي للعلم ، إجلالاً للعلم لذاته ، وتذكيراً لإنهاض الهمم في جميع الأمم ليُعمَل على ما يعود بالخير على البشرية عامةً ؛ لعلَّ هـذا العلمَ العميم بين البشر ، يُحوِّل التسابق النووي ليل نهار ، من أداةِ تخريبٍ وتدميرٍ ، إلى عاملِ بناءٍ وتعميرٍ في جميع الأقطار ، ( وكلّنا يعلم ما تجرُّه الحروب من كوارث وشقاءٍ وويلاتٍ تتصاعد من أفواه الأيتام والأيامى والمساكين ) ، ولعلَّ هذا العلمَ العميمَ يفضي بالبشر الى الاطمئنان وراحةِ البال فينعمون بسعادةٍ روحيةٍ أخويةٍ حقيقية ،مادامت السموات والأرض .

نعم . أفما كان الأجدر — ونحن أحق بالذكرى وأهلُها — أن نعود الى ذلك اليوم الخالد الذي فيه العِبَرَ كل العبر ، فنتّخذه يوماً لنا نضاعف فيه الهمة ، ونبذل الجهود بالحثّ على السير ، على المبادىء المثلى التي سُنَّت منـذ أربعة عشر قرناً وكان من تطبيقها على وجهها الصحيح أن أُخرجتْ للناس خيرَ أمة بلغتْ ذروة المجد والفخار ، وما تزال آثارهم الباقية أعمدةً صمّاءَ ، تُحدّث — بأبلغ بيان — أخبارَ ذلك الماضي المجيد ، لأبناء هذا الجيل الجديد .

إخواني الأفاضل . هذه المناسبة الجليلة الجليلة ألهمتني أن أضع مصطلحات لما يقابل الدرجات العلمية في التعليم — اشتقاقاً — قياساً على وزن ( أُفعولة ) الذي سبق وكشفتُ صلاحه للقياس عليه ، لما يتضمّنه من معنى ( الشيء بعينه ،القائم بذاته ، من الفعل المشتق منه ) رأيت أن أعرضها عليكم أطروفةً في هذه الجلسة وذلك على الوجه التالي :

١ — أُبْرُوءة Certificat ( لشهادة الدراسة الأولى ، لأنها تشهد بأن حاملها قد انتُشل من براثن الجهل فهو بَراءٌ من الأمية ) . من برىء من الأمر

يَبْرأ ويبرُؤُ بَرْأً وبراءة وبُرُأً ، وتبرّأ . وأنا منه بَراء أي بريء .

٢ ـ الصدوقة Brevet ( لشهادة الدراسة الوسطى ، لأنها شهادة تُصدّق على النجاح في الدراسة بعد الأُبروءة ) . من صَدّق الحديث وصدّقه . الخ .

٣ ـ الُعلومة Baccaloréat (لشهادة الدراسة الثانوية ، لأنها شهادة تُعلِم انتهاء الدراسـة الثانوية بحمْلِ ( ثمرة الغار ، وحيازةِ شرف التقدم إلى الدراسة العليا في الجامعة ) . من علِم كسمع : عرَف ، وعلّم وأعلم فتعلّم .

٤ ـ المجوزة Licence ( لشهادة الدراسة الجامعية ، لأنها شهادة بالإنجاز والتحرر من أعباء الدراسة الجامعية القانونية وبمنح حق مزاولة المهنة ) . من نجِز كفرح ، ونجَز كضرب : انقضى . وأنجز حاجته قضاها .

٥ ـ المخصوصة Diplôme de spécialisation ( لشهادة الاختصاص في علم من العلوم ، لأنها شهادة بالتخصص بأعلى المراتب العلمية ) . من خصّه بالشيء خصّاً : فضّله . والتخصيص ضد التعميم . وأخصّه بالشيء خصّه به ، فاختصّ وتخصّص لازمٌ متعدٍ .

هذا ولكم الخيار في التمحيص والإقرار ( إيجاباً ) أو ( سلباً ) . ومنّي الشكر الجزيل في كلتا الحالتين . والسلام إخواني الكرام .

محمد صلاح الدين الكواكبي

# ابن جدار ، وابن حذار

الأستاذ محمد عبد الغني حسن

في رسالة «الاسم والمسمى» من تأليف ابن السيد البطليوسى الأندلسي من علماء القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وهي الرسالة التي نشرها في الجزء الثاني من المجلد السابع والأربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الأستاذ أحمد فاروق بمعهد الأبحاث الإسلامية بإسلام آباد ، باكستان ، جاء بيتان من الشعر نسبها ابن السيد البطليوسي إلى ( ابن جدار ) . وعلق الأستاذ أحمد فاروق محقق هذه الرسالة على هذا الاسم بقوله : ( لم نجد له ترجمة . لعله من ذكره صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب – طبعة القاهرة ١٩٥٣ م ، ص ٢٥١ )

وجاء الأستاذ راتب النفاخ ، الذي كلفته لجنة المجلة التعليق على تحقيق هذه الرسالة وعلى نصها ، فقال عن ابن جدار – معقباً على كلام الأستاذ أحمد فاروق ما يلي : ( لم أجد ذكراً لابن جدار هذا في المغرب الذي نشره الدكتور شوقي ضيف في كلا جزأيه )

وقد اتجه الأستاذ راتب النفاخ – باتجاه عفوي من أندلسيــــة ابن السيد البطليوسي إلى القسم من « المغرب » الخاص بالأندلس ، وهو القسم الذي حققه الدكتور شوقي ضيف ، ونشرته دار المعارف بمصر في جزأين لا ثالث لهما . ولكن الحق أن الأستاذ أحمد فاروق يشير إلى الجزء الأول من قسم كتاب « المغرب » الخاص بمصر ، وهو الجزء الذي قدم له المرحوم الدكتور زكي محمد حسن ، وشارك في تحقيقه هو أيضاً مع الدكتور شوقي ضيف ، والدكتورة سيدة إسماعيل كاشف وصدر عن كلية الآداب ١٩٥٣ . ففي هذا الجزء ، وفي صفحة ٢٥١ – كما ذكر

الأستاذ المحقق أحمد فاروق – نجد ترجمة وجيزة لابن جدار الذي يظن – ولم يجزم – الأستاذ فاروق أنه صاحب البيتين اللذين رواهما البطليوسي ...

فالترجمة لابن جدار واردة في كتاب « المغرب » – كما ذكر الأستاذ أحمد فاروق – ولكن الوهم جاء إلى الأستاذ راتب النفاخ ، حيث اتجه بالبحث والتنقيب إلى الكتاب الخاص بالأندلس ، ولم يتجه إلى الكتاب الخاص بمصر ، وهو المعنيُّ بكلام الأستاذ المحقق .

والطريف في أمر « ابن جدار » هذا – سواء أكان صاحب الشعر الذي رواه ابن السيد البطليوسي أم لا – أن اسمه جاء في « المغرب » : ابن جدار – بالجيم المعجمة والدال المهملة - وهو شاعر عالم مصري كان معاصراً لأحمد بن طولون ، واشترك مع العباس بن أحمد ابن طولون في الثورة على أبيه ، وكان مصيره – حين أخفقت الثورة – أنه قتل بيد ابن طولون الأب شر قتلة . ولكن اسمه جاء في « معجم الأدباء » لياقوت الحموي : ( ابن حُذار ) بالحاء المهملة المضمومة والذال المعجمة . وقد ذكره « الصولي » في كتاب ( أخبار شعراء مصر ) وقال عنه إنه : ( لم يكن بمصر مثله في وقته ، كثير الشعر ، حسن البلاغة ، عالم ، له ديوان شعر ومكاتبات كثيرة حسنة ) . وقد أورد ياقوت الحموي في ترجمته له بالجزء السابع من معجمه ص ١٨٢ ، أبياتاً غير قليلة من شعره ، ومنها قوله في الغزل أو في صفة مغنية :

جاءت بوجه كأنه قمرٌ ... على قوام كأنه غُصُن
ترنو بعين إذا تُعاينها ... حسبتَ أنْ في جفونها وَسَنُ
حتى إذا ما استوت بمجلسها ... وصار فيه من حسنها وثنُ
غنَّت فلم يَبْقَ فيَّ جارحة ... إلا تمنيتُ أنها أذُنُ

وقد نقل ياقوت الحموي أخبار ابن حُذار – أو ابن جدار كما في المغرب قسم مصر – عن الصولي في كتابه « أخبار شعراء مصر » .

بقي أن نقول إننا ما زلنا على جهل « بابن جدار » الذي ذكره ابن السيد البطليوسي واستشهد ببيتين من شعره ، فقد يكون أندلسياً مجهولاً لدينا ، وقد يكون هو الشاعر العالم المصري في عصر ابن طولون ، والذي حرض عليه ابنه العباس في ثورته وانتفاضته على أبيه ، والذي ذكره ياقوت باسم ابن حُذار

ولعل ظروفاً سعيدة ، أو قارئاً كريماً يكشف لنا الستار عن « ابن جدار » الذي كان موضع الاستشهاد من ابن السيد البطليوسي ، وبذلك نضيف إلى أعلامنا العرب شخصية لايزال يغشيها النكران ، ويحجبها عدم العرفان . والله الموفق المعين .

القاهرة محمد عبد الغني حسن

# « كلمات » من المغرب الأقصى

الأستاذ عبد القادر زمامة

المسيد :

الكتّاب الذي يؤمه الصغار لحفظ القرآن الكريم وتعلّم القراءة والكتابة في المغرب ، يسمى « المسيد » . ففي كل حيّ يقوم هذا « المسيد » تحت إشراف أستاذ مؤدّب يسمّى : « الدرّار » باستقبال عدد من « الذراري » وتعليمهم المبادىء الأولية وتحفيظهم سور القرآن الكريم .

و « المسايدُ » منتشرة في المدن المغربية منذ قرون باسْمها ومُسَمَّاها ويرجع ذلك إلى عهد حضارة القيروان . لذلك كانت معروفة باسمها الخاص هذا « المسيد » في كل من تونس والجزائر والمغرب الأقصى .

وكلمة « المسيد » شديدة الصلة بكلمة « المسجد » ولنتتبع مدلولها في بعض النصوص .

فابن مكي الصقلي مؤلف كتاب : « تثقيف اللسان » المتوفى سنة ٥٠١ هـ وسنة ١١٠٧ م يقول في كتابه المذكور[١] الذي حاول فيه تصحيح الأخطاء اللغوية التي كانت شائعة بين الخاصة والعامة أيام ازدهار الحضارة الإسلامية في جزيرة صقلية في القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي – :

« ومن ذلك قولهم للمسجد : مسيد ، حكاه غير واحد ، إلا أن العامة يكسرون الميم . والصواب فتحها » .

---

(١) انظر صفحة ٢٢٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦ م.

والزركشي مؤلف كتاب « إعـلام الساجد بأحكام المساجد » يقول في كتابه المذكور عاطفاً على صيغتيْ : مسجِد بكسر الجيم ومسجَد بفتحها[1] :

« ويقال [له] مَسيد ، بفتح الميم ، حكاهُ غيرُ واحد ، فتحصلنا فيه على ثلاث لغاتٍ » .

والشيخ المرتضى الزَّبيدي في تاج العروس يقول في مادة (مسد) :

« والمسيد كأمير لغة في المسجد في لغة مصر ، وفي لغة الغرب ، هو الكتّاب . أشار اليه شيخنا في :س،ج،د » .

و ( شيخنا ) تعني عند الزَّبيدي اللغويّ المغربيّ الشهير محمد بن الطيب الشرقي المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ هـ .

**الحرقوص :**

دويبة شهيرة مثل القراض أخذت مكانها من المعاجم اللغوية والكتب الأدبية ، وقد كانت العذارى العربيات يستعذن بالله من هذا الحرقوص الذي يُلح إلحاحاً يجاوز إلحاح الذباب،ويتسرب الى ما لايتسرب اليه الذباب،فيضايقهن أشد مضايقة ، فلهذا كن يُنشدن في الشكوى منه أبياتاً شهيرة في الكتب الأدبية منها :

ويحك يا حرقوص مهلاً مهلا أ إبلاً أعطيتني أم نخلا
أم أنت شيء لا تبالي جهلا

وهجا الشاعر الطرماح بني تميم بقصيدة كان من جملة أبياتها[2] :

ولو أن حرقوصاً يزقق مَسْكَهُ إذَنْ نهلت منه تميم وعلّت

والحرقوص أيضاً نواة البُسْر الخضراء ، وهناك في أسماء أعلام الرجال نجد حرقوصاً .

(١) انظر صفحة ٢٧ طبعة القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة تصحيح شاكر ج ٢ ص ٦٧٠ .

أما الحرقوص في المغرب فإنه يعني وشْياً خاصاً تزين به النساء،ولا سيا نساء البادية ، وسط الجبهة على ملتقى الحاجبيْن ، كما يجعل أحياناً تحت الشفة السفلى عمودياً على الذقن .

والفرق واضح بين الحرقوص والوشم في اللون والعادة . فالحرقوص وشي يرسم بسهولة ويمحى بسهولة ، بخلاف الوشم الذي يرسم بصعوبة ولا يزول أبداً .

ولا شك في أن أصل التسمية في هذا الوشي المسمى بالحرقوص يرجع إلى التشبيه بالحرقوص الدُّويبة أو الحرقوص النواة .

واشتهر أمر هذا الحرقوص حتى اشتقوا منه الفعل فقالوا : حرقصت المرأة، بمعنى وشت جبهتها أو ذقنها بهذا الحرقوص ، كما يقولون : سَوَّكَتْ بمعنى جعلت ( السواك ) في شفتيها ،وتستاك النساء في المغرب بقشر شجر الجَوْز .

**القرطاس :**

أديم وشبهه ينصب للنضال والرماية، وقرطَس غرضَه بمعنى أصاب الهدف الذي يريده ، والقرطاس : الصحيفة يكتب فيها . وهو بهذا المعنى مثلث القاف .

والقرطاس : يعني في المغرب ما يعنيه ( الخرطوش ) في المشرق ، و ( القرطاسة ) تعني ( الخرطوشة ) .

والفعل يستعمل هكذا : قرطس الرميَّةَ إذا أصابها فهي مُقَرْطَسَة .

فالفعل (قَرْطَسَ) المعجمي الفصيح يعني إصابة الهدف والفعل (قرطس) المستعمل في المغرب يعني إصابة الهدف بالقرطاس الذي هو ( الخرطوش ) .

**الزمام :**

بمعنى المقود شهير في المعاجم، وفي الكتب الأندلسية والمغربية نجد الزمام بمعنى قائمة الحسابات ، وما زال هذا الاستعمال معروفاً مطروقاً بين الناس، ويشتقون منه فعلاً فيقولون زَمَّمَ بمعنى قيد وسجل في ورقة أو دفتر .

ويظهر أنّ هناك علاقةً بين الزمام بمعنى المقود، والزمام بمعنى القائمة الحسابية المسجلة، فالذي ملك مقود الدابة يتصرف فيها كيف يشاء، كأنه مالك زمامها، والذي قيد الحسابات في قائمة خاصة وعرف جملتها وتفصيلها ومبدأها ونهايتها قد ملكها أيضاً فهي قيد نظره وحسه لا تنفلت منه ولا ينساها، وبإمكانه أن يزيد فيها أو ينقص أو يقدم أو يؤخر.

فلهذا أطلق على التقييد أو القائمة الحسابية اسم الزمام، واشتهر هذا الإطلاق في الأندلس والمغرب.

**النُّقْرَة :**

في أساس البلاغة للإمام الزمخشري :

« وله إبريق من النُّقْرَةِ وهي الفضة المذابة » وهذا هو الاستعمال المشهور في المغرب، فالنُّقْرة تعني الفضة، وضمن مجموعة أسواق ( القيسرية ) توجد سوق النُّقْرة التي يباع بها الحلي الفضية والذهبية.

وفي تاج العروس نجد هذا النص :

« وله إبريق من نُقرة وهي القطعة المذابة من الذهب والفضة وهي السبيكة، وقيل هو ما سبك مجتمعاً منها، واقتصر الزمخشري في الأساس على الفضة المذابة. قلتُ : وهكذا استعمال العجم إلى الآن يطلقونها على ما سبك من دراهم الفضة التي يتعامل بها ».

**التابوت :**

للتابوت معان معروفة في المعاجم اللغوية :

ففي التاج : التابوت بمعنى الصدر، وبمعنى الأضلاع وما تنطوي عليه، تشبيهاً بالصندوق.

وفي رسالة « المُداخَل » في اللغة التي ألَّفَها غلام ثعلب : « والتابوت مجمع

الأضلاع في أعلى البطن ، وهذا المعنى ما زال مستعملاً في لغة التخاطب عندنا بالمغرب إلى الآن .

وما زلت أذكر أن طفلة صغيرة سمعتها تشكو إلى أبيها ما فعله بها أخوها فقالت : ضربني على تابوت صدري . ووضعت يدها على تابوت صدرها .

**الحثالة :**

حثالة الحنطة وحثالة الشعير وحثالة الناس لها ذكر في النصوص الأدبية شعراً ونثراً ولها مكانها في المعاجم . وهي تعني القشور والبقايا التي لا قيمة لها ولا شأن لها . وبالنسبة للانسان تعني الذليل الحقير الذي لا خطر له .

وهذا المعنى مستعمل في الخطاب عندما يريدون الحديث عن إنسان كسلان ذليل خامل فيقولون :هو حثالة من الحثالات .

ويشتقون من ذلك فعلاً فيقولون يتحثل بمعنى يسير في عمله بطيئاً ذليلاً من غير نشاط ولا قوة ولا إرادة .

**الأحرش :**

نسمع الناس يتحدثون عن الثوب الأحرش ، والدقيق الأحرش ، والجلد الأجرش ، والراحة الحرشـــاء ، بمعنى الخشونة المنافية للنعومة المطلوبة في هذه الأشياء .

والأحرش بمعنى الخشن ، والحرشاء بمعنى الخشنة معنى معروف في المعاجم اللغوية كأساس البلاغة والتاج .

فهو من بقايا الفصاح في لغة التخاطب . وإذن فإن استعمال حرش بمعنى خشن استعمال عربي فصيح لا غبار عليه ، فإذا قلنا حرشت يد العامل بمعنى خشن جلدها ، فإننا لا نكون بعيدين عن الدلالة المعروفة لهذه الكلمة في اللغة . وكذلك إذا قلنا : ثوب أحرش ، وثياب حرشاء .

الجوطية :

في كل مدينة مغربية تجد سوقاً أو عدة أسواق تحمل اسم الجوطية . وهذه السوق تمتاز بالجلبة والزحام على مختلف البضائع البالية والجديدة، وبعضها يكون جامعاً لعدة أصناف من المبيعات .

ويظهر أن لكلمة « الجوطية » صلة بكلمة الجوقة المعجمية المعربة التي تعني الجماعة .

واشتقوا من الجوقة فعلا فقالوا تجوقوا بمعنى اجتمعوا . وهذا الفعل مستعمل في لغة التخاطب ، فإذا كان هناك شيء غريب ازدحم الناس حوله، فيقال إذ ذاك تجوقوا ، وهذا معروف في معاجم اللغة .

فلعل الأصل في كلمة الجوطية المستعملة في السوق المزدحمة التي تعلو فيها الأصوات ، هو هذه الجوقة . ثم دخلها هذا التحريف بقلب القاف طاء وزيادة الياء ، أما الفعل تجوق فقد سلم من هذا التحريف . وكذلك الجوقة في غير السوق المذكورة ما زالت معروفة على الألسنة فيتساءلون عن الزحام بقولهم : ما هذه الجوقة ؟

الجلابية :

الجلابية هي الثوب الأعلى المفصل بأكمام وغطاء للرأس وفتحة للعنق وقد أخذت الجلابية مكانتها من اللباس المغربي منذ قرون ، وكانت معروفة بهذا الاسم في المغرب والأندلس ، ويقال لها أحياناً : الجلابة بدون ياء النسبة !

ويحاول بعض الناس الربط بين كلمة جلباب المعجمية الفصيحة ، وكلمة «جلابية» الاصطلاحية .

وللمستشرق « دوزي » في كتابه تكملة المعاجم العربية رأي في الجلابية معروف .

ويظهر أن صيغة فعّال المجموعة على صيغة فعّالة كانت مستعملة في

المغرب والأندلس ، إلى درجة أن سائر الحرف أخذت هذه الصيغة في الإفراد والجمع . فالحداد والحدّادة . والنجار والنجارة . والفلاح والفلاحة . والخضار والخضارة ومن ذلك الجلاب بمعنى التاجر الذي يحضر الأسواق القريبة والبعيدة ليجلب منها البضائع والأنعام والدواب . والجمع الجلابة . وكذلك الميّار وهو التاجر الذي يتجر في الميرّة وهي القوت ، والجمع الميارة .

وكل من الجلاّب والميّار يحتاج إلى مجهود وكد وأسفار فلذلك يتخذ ثوباً قصيراً خفيفاً وهو هذا الذي نُسبَ إلى الجلاب فقيل فيه « جلابية » نسبة إلى الجلاب المفرد .

وكون الجلابية من ثياب المهنة في أصلها بحيث كانت خاصة بالمحترفين في غير حالات الترفه والزينة والتجمّل ، هو المعروف قديماً . فأبو حامد الفاسي في ( مرآة المحاسن ) التي ألّفها سنة ١٠٤٦ هـ . يقول في كتابه المذكور ص ١٠ :

« والجلابية ثوب معروف من ثياب المهنة » .

لكن عامل التطور عمل عمله في هـذه ( الجلابية ) كمّاً وكيفاً ، فبعد أن كانت قصيرة طالت وبعد أن كانت واسعة ضاقت ، وبعد أن كانت من ثياب المهنـة ، أصبحت من ثياب المهنة ومن ثياب الزينة . وبعد أن كانت خاصة بالرجال ، صارت للرجال وللنساء مع تحويرات خاصة .

والجلابية البيضاء في المغرب تستعمل في حفلات التشريفات .

والجلابية الملونة بالألوان القاتمة ولاسيما اللون الأسود تستعمل في أيام الأمطار وفصل الشتاء .

وفوق الجلابية يلبس ثوب آخر وهو ( السلهام ) ولهذه الكلمة قصة أخرى فيما بعـــد ...

فاس ( المغرب الأقصى ) عبد القادر زمامة

# استدراك على مقال الأستاذ الطيباوي

## المنشور في هذا الجزء

جاءنا من الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي الاستدراك التالي على مقاله المنشور في هذا الجزء :

تضاف الفقرة التالية بعد السطر السابع من الصفحة ٧٧٩ :

وقد وجدنا على غلاف هذا الكتاب اعلاناً نُثْبِتُه فيما يلي لما له من الاهمية التاريخيـــة :

**الكتب التي طبعت في مطبعة الكنيسة الانكليزية المحدثة في جزيرة مالطه**

كتاب تعليم على الاطفال الصغار

كتاب الاجوبة الجلية في الاصول النحوية

كتاب قاموص مختصر

كتاب الكنز المختار في اكتشاف الاراضي والابحار

اطلس اي مجموع خارطات في رسم الارض

كتاب الدر الملضوم في علم الافلاك والنجوم

كتاب تعليم المسيحي قديم وجديد

كتاب توأريخ الكتب المقدسة

كتاب الامثال

كتاب الصلوات على عدد ايام الاسبوع

فتشوا الكتب

مخاطبة اخوية

قصة الجنرال ديكرن

طريق النجا

خبرية اسعد الشدياق

## الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

### خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٢

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه | |
|---|---|---|---|
| ١ - القاموس السياحي | الاتحاد العربي للسياحة | الاردن | ١٩٧١ |
| ٢ - المؤتمر الأول للتعليم الجامعي في العراق | وزارة التعليم العالي في العراق | بغداد | ١٩٧١ |
| ٣ - نور ونار | زكي قنصل | بوانس أيرس | ١٩٧٢ |
| ٤ - النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية ج (١) | د . صبحي محمصاني | بيروت | ١٩٧٢ |
| ٥ - الإيضاح في تاريخ الحديث وعلم الاصطلاح | سعدي ياسين | بيروت | ١٩٧١ |
| ٦ - العقائد السلفية ج (١) | أحمد بن حجر آل بوطامي آل ابن علي | بيروت | ١٩٧٠ |
| ٧ - تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري لى الفتح العثماني | د . عمر فروخ | بيروت | ١٩٧٢ |
| ٨ - نشأة الحركة العربية الحديثة | محمد عزة دروزة | بيروت | ١٩٧١ |
| ٩ - كتب وشخصيات | د . أبو العيد دودو | الجزائر | ١٩٧١ |
| ١٠ - دار الثلاثة وقصص اخرى | » » » | الجزائر | ١٩٧١ |
| ١١ - بحيرة الزيتون | » » » | الجزائر | |
| ١٢ - التراب | » » » | الجزائر | ١٩٦٨ |
| ١٣ - مدخنو الحشيش في الجزئر | هاينريش فون مالتسان ترجمة : د . أبو العيد دودو | الجزائر | ١٩٧١ |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه | |
|---|---|---|---|
| ١٤ – تتمة ديوان الصنوبري | تح : لطفي الصقال ودرية الخطيب | حلب | ١٩٧١ |
| ١٥ – المورد الكبير | د . فخر الدين قباوة | حلب | ١٩٧٢ |
| ١٦ – المؤتمر التربوي لتطوير التعليم العالي والجامعي ج ( ١ ، ٢ ) | المجلس الأعلى للعلوم | دمشق | ١٩٧١ |
| ١٧ - سلاسل المناظرة الاسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس | عبد الله العلمي الغزي الدمشقي | دمشق | ١٩٧٠ |
| ١٨ – في التجربة الثورية الفلسطينية | د . حسام الخطيب | دمشق | ١٩٧٢ |
| ١٩ – مسرحيات مختارة | شارل شارا وزملاؤه ترجمة : سعيد القضماني وسعيد جوخدار | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٢٠ – مختارات من المسرح السوفيتي | ترجمة : هشام الدجاني وعدنان مدانات | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٢١ – دروس في الرياضيات العالية – الجزء الثالث القسم الاول | ف . ي . سميرنوف ترجمة : وجيه القدمي وزملائه «وزارة التعليم العالي» | دمشق | ١٩٧١ |
| ٢٢ – تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين | جورج مونين ترجمة : بدر الدين القاسم | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٢٣ – صندوق الدنيا | أيمن أبو شعر | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٢٤ – التعاون الاقتصادي للتنمية | إسماعيل العربي | دمشق | ١٩٧٢ |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه | |
|---|---|---|---|
| ٢٥ - خلاصة آراء القسم الاستشاري بمجلس الدولة في سنة ١٩٧٠ | مجلس الدولة | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٢٦ - مجموعة المبادىء القانونية التي قررتها المحكمة الإدارية العليا في عام ١٩٦٦ | مجلس الدولة | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٢٧ - دليل مهندس التدفئة | مارتن غارمز ترجمة : د . معن العظمة «وزارة التعليم العالي» | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٢٨ - قواعد كتابة اللغة الإنكليزية | مهدي بديرة | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٢٩ - قواعد لفظ اللغة الإنكليزية | » » | دمشق | ١٩٧١ |
| ٣٠ - موسوعة قواعد اللغة الإنكليزية ـ الجزء الأول | » » | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٣١ - الفراغات التوبولوجية | س . بيرج ترجمة : محمد فوزي القصاص | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٣٢ - الحب للفن | أحمد الراشدي | دمشق | ١٩٧١ |
| ٣٣ - المراسيم التنظيمية الخاصة بوزارة التعليم العالي | وزارة التعليم العالي | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٣٤ - الدراويش يبحثون عن الحقيقة | مصطفى الحلاج | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٣٥ - حول التكامل الاقتصادي العربي | د . وهبي غربال | دمشق | ١٩٧٢ |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه | |
|---|---|---|---|
| ٣٦ - الحسن بن الهيثم | زهير الكتبي | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٣٧ - الأدب في بلاد الشام | د . عمر موسى باشا | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٣٨ - المؤلفات الكاملة للأستاذ زكي الأرسوزي - المجلد الأول | لجنة تخليده | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٣٩ - درر الحبب في تاريخ أعيان حلب - الجزء الأول القسم الاول | ابن الحنبلي<br>تح : محمود الفاخوري ويحيى عبارة « وزارة الثقافة والإرشاد القومي »<br>أحمد يوسف داود | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٤٠ - حوارية الزمن الاخير | پيير فوجيرولا | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٤١ - الثورة الفرويدية | ترجمة : حافظ الجمالي<br>وليد اخلاصي | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٤٢ - الدهشة في العيون القاسية | علي بن أبي بكر الهروي | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٤٣ - التذكرة الهروية في الحيل الحربية | تح : مطيع المرابط<br>تح : د . محمد رضوان الداية | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٤٤ - ديوان ابن خاتمة الأنصاري | للمجد الفيروز أبادي | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٤٥ - البلغة في تاريخ أئمة اللغة | تح : محمد المصري<br>طارق الشريف | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٤٦ - عشرون فناناً من سورية | وليد قصاب | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٤٧ - هدية العيد | أوغست ستريندبرغ | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٤٨ - لعبة حلم | ترجمة : ابراهيم وطفي<br>أندريه روبينه | دمشق | ١٩٧٢ |
| ٤٩ - جوريس | ترجمة : جورج صدقني | دمشق | ١٩٧٢ |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه | |
|---|---|---|---|
| ٥٠ ــ شجرة محار | محمد الصباغ | الرباط | ١٩٧٢ |
| ٥١ ــ من أجل أطفال العالم | ريشارد كرينوف<br>ترجمة : مركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية | الرباط | ١٩٧٢ |
| ٥٢ ــ الحق في التربية من المبدأ إلى الإنجازات . | لويس فرانسوا<br>ترجمة : مركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية | الرباط | ١٩٧٢ |
| ٥٣ ــ نحو تفصيح العامية في الوطن العربي | عبد العزيز بنعبدالله | الرباط | ١٩٧٢ |
| ٥٤ ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال | عبد الرزاق الحسني | صيدا | ١٩٧٢ |
| ٥٥ ــ عبدالرزاق الحسني في بحر خمسين سنة من حياته | » » » | صيدا | ١٩٧٢ |
| ٥٦ ــ ديوان أبي نواس ج (٢) | تح . ايفالد ڤاغنر | ڤيسبادان | |
| ٥٧ ــ أخبار الدول المنقطعة | لابن ظافر<br>تح : أندريه فريه | القاهرة | ١٩٧٢ |
| ٥٨ ــ لحن العوام | أبو بكر محمد الزبيدي<br>تح: د. رمضان عبدالتواب | القاهرة | ١٩٦٤ |
| ٥٩ ــ الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها | ابن السكيت اللغوي<br>تح: د. رمضان عبدالتواب | القاهرة | ١٩٦٩ |
| ٦٠ ــ المذكر والمؤنث | ابن فارس<br>تح: د. رمضان عبدالتواب | القاهرة | ١٩٦٩ |
| ٦١ ــ الحروف | الخليل بن أحمد الفراهيدي<br>تح: د. رمضان عبدالتواب | القاهرة | ١٩٦٩ |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه | |
|---|---|---|---|
| ٦٢ – كتاب الثلاثة | ابن فارس<br>تح: د. رمضان عبد التواب | القاهرة | ١٩٧٠ |
| ٦٣ – مختصر المذكر والمؤنث | للمفضل بن سلمة<br>تح: د. رمضان عبد التواب | القاهرة | ١٩٧٢ |
| ٦٤ – البلاغة | أبو العباس المبرد<br>تح: د. رمضان عبد التواب | القاهرة | ١٩٦٥ |
| ٦٥ – القوافي وما اشتقت ألقابها منه | أبو العباس المبرد<br>تح: د. رمضان عبد التواب | القاهرة | ١٩٧٢ |
| ٦٦ – تاج العروس من جواهر القاموس ج (١٠) | الزبيدي<br>تح: ابراهيم الترزي ومراجعة عبد الستار فراج | الكويت | ١٩٧٢ |
| ٦٧ – جوانب مضيئة من الشعر العربي | محمد عبد الغني حسن | مصر | ١٩٧٢ |
| ٦٨ – بيت الحكمة | سعيد الديوه‌جي | الموصل | ١٩٧٢ |
| ٦٩ – أنفاس الشباب | محمد رضا آل صادق | النجف | ١٩٦٨ |
| ٧٠ الصوت والأصداء | » » » | النجف | ١٩٧١ |

# الفهرس العام

## لمواد المجلد السابع والأربعين

## منسوقاً على حروف الهجاء

# فهرس الأعلام

## لكتاب المقالات في المجلد السابع والأربعين

# فهرس الجزء الرابع من المجلد السابع والأربعين

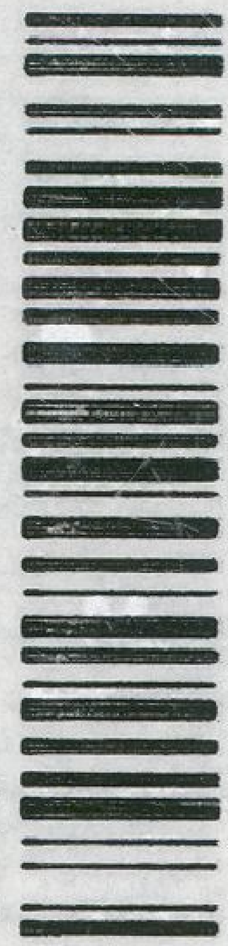
الصفحة



## التعريف والنقد



## آراء وأنباء


Bibliotheca Alexandrina
06552717
